الشيخ نعيم قاسم

في رحاب رسالة الحقوق

شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام



دار المحجة البيضاء

في رحاب رسالة الحقوق

شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

الطبعـــة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م





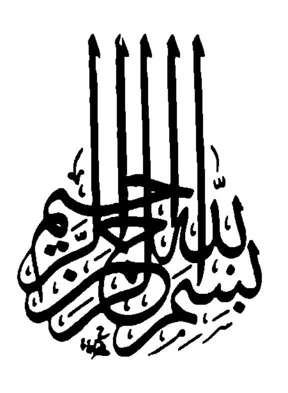
الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الشيخ نعيم قاسم

في رحاب رسالة الحقوق

شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

دار المحجة البيضاء



المحتوى العام

الجزء الاول: حقوق الجوارح

الحلقة الأولى: حقُّ اللِّسان ١٥

١ ـ أثرُ الكلام الفاحش على النفس(١٥). ٢ ـ الكلامُ الحسن(١٧).
٣ ـ الغيبةُ والبهتان(١٨). ٤ ـ اللسانُ دليلٌ على العقل(٢١).

الحلقة الثانية: حقُّ السَّمع ٢٥

١ ـ أهمية السَّمع(٢٥). ٢ ـ اتجاهان للاستماع(٢٦). ٣ ـ أثران للاستماع (٢٨). ٤ ـ الإنصاتُ بتفاعلٍ يؤدي إلى الرحمة(٣٢).
٥ ـ الإعلامُ سلاحٌ فعَّال(٣٣). ٦ ـ أثر المصداقية (٣٥).
٧ ـ تثقيفُ الناس(٣٥). ٨ ـ السماع لا يكفي(٣٦).

الحلقة الثالثة: حقُّ البصر ٣٩

١ ـ ما أُحِلَّ أكثر مما حُرِّم (٣٩). ٢ ـ تركُ النظرة المحرَّمة (٤١).
٣ ـ حرمةُ إثارةِ الشهوة (٤٣). ٤ ـ زِنى العين (٤٤).
٥ ـ الرؤية والتأمل (٤٤). ٦ ـ البصر والبصيرة (٤٦).
٧ ـ النظر إلى الأجنبية(٤٧). ٨ ـ على من تقع المسؤولية (٤٩).
٩ ـ المشاهدة في الشهادة (٥١).

الحلقة الرابعة: حقُّ الرجلين ٥٣

١ ـ للإنسان ما سعى(٥٣). ٢ ـ وأما من خفَّت موازينُه(٥٥).

٣ ـ إلى المسجد(٥٦). ٤ ـ شهادة الجوارح(٥٨).
٥ ـ واقصِد في مشيِك(٥٩).

الحلقة الخامسة: حقُّ اليدين ٦١

١ ـ آثار الأعمال عاجلة وآجلة(٦١). ٢ ـ توجيه اليد(٦٤).
٣ ـ بناءٌ شامل(٦٦). ٤ ـ بوركَتْ هذه اليد(٦٧).

الحلقة السادسة: حقُّ البطن ٦٩

١ ـ لا تجعل البطنَ وعاءً للحرام(٦٩). ٢ ـ العادة المحرَّمة(٧٢).
٣ ـ المحللاتُ أكثر(٧٤)، ٤ ـ الشروط الشرعية أساس(٧٥).
٥ ـ تعليل المحرمات ليس واجباً(٧٦). ٦ ـ الطعام للتقوية(٧٩).
٧ ـ ضرر الإسراف(٨٠). ٨ ـ حرمة المسكر قلَّ أو كَثُر(٨٢).
٩ ـ مسؤوليتنا ما ورد في الإسلام(٨٤). ١٠ ـ الضرورات تبيح المحظورات(٨٥).

الحلقة السابعة: حقُّ الفَرْج ٨٧

١ ـ الغريزة الجنسية(٨٧). ٢ ـ الضبط بين الكبت والانفلات(٨٩).
٣ ـ عوامل مؤثرة في منع الانحراف(٩٤). ٤ ـ الزواج المشروع(٩٦).
٥ ـ الزواج عند المسيحيين واليهود(٩٨). ٦ ـ وضعية ولد الزنى(٩٩).
٧ ـ عزل الزناة(١٠٠). ٨ ـ حدُّ الزنى(١٠٢). ٩ ـ الحقوق بعد إقامة الحد(١٠٢). ١٠ ـ ولا تقربوا... تحريم(١٠٣). ١١ ـ التحصين(١٠٤).
١٢ ـ متطلبات الزواج(١٠٥). ١٣ ـ توجيهُ الشباب(١٠٦).

الجزء الثاني: حقوق الوالدين والولد

الحلقة الأولى: حقُّ الأم ١٥

١ ـ انسانةٌ عظيمة(١٥). ٢ ـ حَمَلَتْكَ حيث لا يحمل أحدٌ أحدا(١٦).
٣ ـ تضحية الأم وشكر الابن(١٨). ٤ ـ الجنَّة تحت أقدام الأمهات(٢١). ٥ ـ حقُّ الأم ثابت(٢٢). ٦ ـ التقصير لا يلغي حقها(٢٣). ٧ ـ بين الطاعة والإحسان(٢٤). ٨ ـ طاعة الابن صغيراً وإحسانه إليها كبيراً(٢٥). ٩ ـ التدخل في حياة الأبناء(٢٦).

١٠ ـ رأي الأم في زوج البنت(٢٨). ١١ ـ تأثير الأمهات في الأبناء(٢٩). ١٢ ـ الهوى والطاعة(٣١). ١٣ ـ التوجيه الفاسد(٣١). ١٣ ـ الغرب ومجتمعنا(٣٣).

الحلقة الثانية : حقُّ الأب ٣٧

١ ـ لولاه لم تكن(٣٧). ٢ ـ حدود حق الطاعة للأب(٣٩). ٣ ـ اختلاف الرأي(٤٣). ٤ ـ الأبوة الثابتة(٤٤). ٥ ـ أهمية دور الأب(٤٥). ٦ ـ الابن الأكبر يقضي عن أبيه(٤٦). ٧ ـ احترام الابن لأبيه(٤٧). ٨ ـ أبوّة علي عليه السلام . .إطلالة سريعة(٤٨). ٩ ـ الأب المقاوم(٥٠). ١٠ ـ مقارنة بين حق الأم وحق الأب(٥١). ١١ ـ كيفية الإحسان للوالدين(٥٢).

الحلقة الثالثة : حقُّ ولَدِك(١) ٥٧

١ ـ حقوق الابن على أبيه(٥٧). ٢ ـ مسؤولية عمل الابن(٦١). ٣ ـ أولادكم فتنة(٦٣). ٤ ـ من يرعى ومن يربي(٦٥). ٥ ـ منشأ عُقَد الطفولة(٦٥). ٦ ـ ضوابط التربية السليمة(٦٧). ٧ ـ مراعاة الولد أمام الآخرين(٦٩). ٨ ـ أسلوب الضرب(٧٠). ٩ ـ أعِنْ ولدك على بِرِّك(٧٣). ١٠ ـ نموُّ شخصيتهم(٧٣). ١١ ـ تقاليد المجتمع الشرقي(٧٥). ١٢ ـ التمييز بين الفتاة والصبي(٧٧). ١٣ ـ أسلوب المجتمع الغربي مع الأطفال(٨٠). ١٤ ـ بين البلوغ وسن الثامنة عشرة(٨٢). ١٥ ـ نصيحة(٨٤).

الحلقة الرابعة : حقُّ ولَدِك(٢) ٨٧

١ ـ التعامل مع المرحلة العمرية للولد(٨٧). ٢ ـ البيئة التربوية المؤثرة(٩٥). ٣ ـ دور الصحبة(٩٨). ٤ ـ الأسئلة عن الجنس(١٠٠).

الحلقة الخامسة : حقُّ الأخ ١٠٧

١ ـ الأخ في إطار الأسرة(١٠٧). ٢ ـ قواعد السلوك(١٠٩). ٣ ـ صلة الأرحام(١١١). ٤ ـ الأخ في الله(١١٢). ٥ ـ كان لي أخ(١١٤). ٦ ـ المودَّة(١١٥). ٧ ـ مواصفات الأخ(١١٦) .

الجزء الثالث: حقوق الافعال

الحلقة الأولى: حقُّ الصَّلاة ١٥

١ ـ معنى الصلاة(١٥). ٢ ـ غريزة التديُّن(١٧). ٣ ـ قيامُ المصلي بين يدي ربِّه(١٩). ٤ ـ الخشوع والخضوع(٢٣). ٥ ـ آداب الصلاة(٢٥). ٦ ـ انعكاس الصلاة على الحياة(٢٩). ٧ ـ الصلاة عمودُ الدين(٣٣). ٨ ـ معراجُ كل تقي(٣٥). ٩ ـ محروم النعمة(٣٧).

الحلقة الثانية: حقُّ الصَّوم ٣٩

١ ـ هدف الصوم(٣٩). ٢ ـ الصوم عند الآخرين(٤٢) ٣ ـ صوم مريم عليها السلام (٤٣). ٤ ـ حق الصوم عند الإمام السجَّاد عليه السلام (٤٤). ٥ ـ آداب الصوم(٤٨). ٦ ـ صوموا تصُحوا(٥٠). ٧ ـ الصبر على الطاعة(٥١). ٨ ـ التكافل الاجتماعي(٥٢). ٩ ـ متى نصوم(٥٤). ١٠ ـ الخيم والمسلسلات الرمضانية(٥٥). ١١ ـ الموائد الرمضانية(٥٨). ١٢ ـ ليلة القدر(٥٨). ١٣ ـ علاقة الصائم بالمُفْطِر(٦٠).

الحلقة الثالثة: حقُّ الصَّدقة ٦٣

١ ـ مفهوم الصدقة (٦٣). ٢ ـ صدقة السر (٦٦). ٣ ـ المنُّ يُسقطها (٦٨). ٤ ـ الاهتمام بالأقارب والجيران (٧٠). ٥ ـ طريقة ايصال الصدقة (٧٢). ٦ ـ الساعي إلى الخير (٧٣). ٧ ـ قوة المجتمع المتكافل (٧٤). ٨ ـ صدقة السَّادة (٧٦). ٩ ـ آثار الصدقة (٧٧).

الحلقة الرابعة: حقُّ الهدي ٨١

١ ـ الهدي من مناسك الحج(٨١). ٢ ـ حق الهدي(٨٣). ٣ ـ الاستطاعة والشباب(٨٥). ٤ ـ خلع ثوب الدنيا(٨٨). ٥ ـ الوحدانية(٨٨). ٦ ـ التدريب والتأهيل لمواجهة الشيطان(٩٠). ٧ ـ الكعبة بيت الله تعالى(٩١). ٨ ـ شبهة تجسيد العبادة(٩٣). ٩ ـ الرمزية والأثر(٩٦). ١٠ ـ الحج ويوم القيامة(٩٩). ١١ ـ ليشهدوا منافعَ لهم(١٠٠).

الجزء الرابع: حقوق الزوج والزوجة

حقُّ الزوجة ١٥

الحلقة الأولى: الزواج الناجح ١٧

١ ـ مفهوم الزواج(١٨). ٢ ـ الايجابية المتبادلة(٢١). ٣ ـ لا سُلْطَة في معصية(٢٢). ٤ ـ عناوين السعادة الزوجية(٢٤). ٥ ـ نسب الزواج الناجح(٢٦). ٦ ـ التباسات النظرية والتطبيق(٢٧). ٧ ـ التأهيل للزواج(٢٨). ٨ ـ مواصفات الشاب والفتاة عند الزواج(٣٠). ٩ ـ النَّفْسُ الواحدة(٣٢). ١٠ ـ الفروقات بين الرجل والمرأة(٣٨).

الحلقة الثانية: توزيع الأدوار ٤٣

١ ـ حدود القوامية(٤٣). ٢ ـ واجب الزوجة تجاه زوجها(٤٩). ٣ ـ الخدمة المنزلية ليست واجبة(٥٢). ٤ ـ بين البيت والعمل الإسلامي (٥٥). ٥ ـ أجرُ العمل المنزلي(٥٨). ٦ ـ جهادُ المرأة(٦٠). ٧ ـ عناية الزوج بزوجته(٦٣). ٨ ـ عناية الزوجة بزوجها(٦٥). ٩ ـ شريكة الجهاد(٦٨).

الحلقة الثالثة: المسؤولية والصلاحيات ٧١

١ ـ العمل المعيشي (٧١). ٢ ـ الشراكة في القرار (٧٢). ٣ ـ الاستقلال المالي (٧٣). ٤ ـ مساعدة الزوج (٧٥). ٥ ـ أداء الزوجة التي تعمل (٧٦). ٦ ـ خصوصيات عمل الزوج(٧٨). ٧ ـ التهديد بالطلاق (٧٩). ٨ ـ فكِّر بمن حولك (٨٠). ٩ ـ نشوز الزوجة (٨١). ١٠ ـ نشوز الزوج (٨٥). ١١ ـ اسكات الزوجة(٨٧). ١١ ـ مكان السكن(٨٨). ١٢ ـ نصيحة(٨٩).

الحلقة الرابعة: مشاكل وحلول ٩١

١ ـ تعدد الزوجات(٩١). ٢ ـ التعدد وحقوق المرأة(٩٥). ٣ ـ تحقيق العدل(٩٧). ٤ ـ عقبة العامل الاقتصادي(٩٩). ٥ ـ يُغنِهِمُ الله من فضله(١٠١). ٦ ـ التكامل بين الحقوق والواجبات(١٠٢). ٧ ـ لياقة التطبيق(١٠٧). ٨ ـ زواج المتعة(١٠٨). ٩ ـ أبغض الحلال(١١١). ١٠ ـ الشروط في عقد الزواج(١١٣).

الجزء الخامس: حقوق المعلم والمتعلم

الفصل الأول: حقُّ المعلم ١٧

حق المعلم(١٥)، ١ ـ لِمَ حقُّ المعلم؟(١٧). ٢ ـ أهمية العلم(١٧). ٣ ـ العلم الديني والعلم العصري(٢٢). ٤ ـ حقُّ المعلم (٢٩). ٥ ـ التعلُّم طريقٌ للتبليغ(٣٣). ٦ ـ الاختلاف وأدب المخاطبة(٣٥). ٧ ـ السؤال للمعرفة(٣٧). ٨ ـ فضلُ العالم(٤١). ٩ ـ من نجالس؟(٤٨). ١٠ ـ المكانة والمسؤولية(٥٠).

الفصل الثاني : حقُّ المتعلم ٥٧

١ ـ حقُّ المتعلم. (٥٥). ٢ ـ مواصفات المعلِّم(٦٥). ٣ ـ التربية والتعليم متلازمان (٧٤). ٤ ـ الفطرة والتربية(٧٧). ٥ ـ التربية في المراحل العمرية(٨٠). ٦ ـ التربية عملية مستمرة (٨٨). ٧ ـ الثواب والعقاب(٩٣). ٨ ـ فوائد العلم (٩٩). ٩ ـ العلم النافع(١٠١). ١٠ ـ العلم والعمل(١٠٧). ١١ ـ صبر المتعلم وتواضعه (١١٢). ١٢ ـ الأسرار والمصالح الخفية(١١٩).

الجزء السادس: الحقوق الثلاثة

الحقُّ الأول: حقُّ الله ١٥

١ ـ الوحدانية العملية(١٧). ٢ ـ قصة واقعية(٢٠). ٣ ـ من أخلصَ بلغ الآمال(٢٤). ٤ ـ القليل مع الإخلاص(٢٧). ٥ ـ يكفيك أمرَ الدنيا والآخرة(٢٨). ٦ ـ رفض الاعتزال(٣١).

الحقُّ الثاني : حقُّ النفس ٣٣

١ ـ جهاد النفس(٣٥)، ٢ ـ طاعة الله وبناء النفس(٣٨). ٣ ـ عزلة النفس(٤١).

الحقُّ الثالث: حقوق الناس

١ ـ حقُّ السلطان ٤٥

٢ ـ حقُّ الرَّعية ٥٠

٣ ـ حقُّ المالك ٥٨

٤ ـ حقُّ مُلْكُ اليمين ٦٢

٥ ـ حقُّ المنعم بالولاء ٧١

٦ ـ حقُّ العبد ٧٦

٧ ـ حقُّ ذي المعروف ٧٨

٨ ـ حقُّ المؤذن ٨١

٩ ـ حقُّ إمام الجماعة ٨٤

١٠ ـ حقُّ الجليس ٩١

تنظيم العلاقات(٩١)، أسس المجالسة(٩٢)، الاستئذان(٩٥)، آداب الحديث(٩٨)، المجالس المستنكرة(١٠٠)، رياض الجنة(١٠٢)، تَصَدُّر المجالس(١٠٤)، آداب الاستماع(١٠٦)، مراعاة الوقت(١٠٧)، مجالسة العلماء(١١٠)، صفات الجليس واحدة(١١١)، التلفاز والمجالسة(١١٢).

١١ ـ حقُّ الجار ١١٥

تعريف الجار(١١٥)، النصرة والمعونة(١١٦)، ستر العثرات(١١٨)، المعاشرة الكريمة(١٢٠)، مكانة الجار(١٢١)، احترام وقت الآخرين(١٢٣)، الجيران ثلاثة(١٢٥)، الاحسان(١٢٧)، الجار قبل الدار(١٢٨)، ثمار دنيوية وأخروية(١٣٠).

١٢ ـ حقُّ الصاحب ١٣٢

حسن اختيار الصاحب(١٣٦)، ضوابط الصحبة(١٣٨)، الصاحب يدلُّ على صاحبه(١٤١)، قرينُ السُّوء(١٤٣).

الجزء السابع: حقوق الناس

١ ـ حقُّ الشريك **١٥**

٢ ـ حقُّ المال **١٨**

نظرة الإسلام إلى المال(١٩)، عنوان الحلال(٢٠)، مسؤوليتك تجاه المال(٢٢)، الخمس فريضة(٢٥)، كيفية الكسب(٢٧)، الثروة المشروعة(٣٠)، الغرور تربية خاطئة(٣٢)، مسؤولية الدولة(٣٣)، الرزق المقسوم(٣٥)، المكانة للعمل(٣٦).

٣ ـ حقُّ الغريم **٣٩**

٤ ـ حقُّ الخليط **٤٣**

٥ ـ حقُّ المدعي **٤٦**

٦ ـ حقُّ المدَّعى عليه **٥٤**

٧ ـ حقُّ المستشير **٥٧**

حق المستشير(٥٧)، وأمرُهُم شورى بينهم(٦٠)، فوائد المشورة(٦٥)، مَنْ نشاور؟(٦٨)، لا تكفوا عن مشورة بعدل(٧٠).

٨ ـ حقُّ المشير **٧٢**

٩ ـ حقُّ المستنصح **٧٦**

١٠ ـ حقُّ الناصح **٨٣**

حق الناصح(٨٣)، الخيرة عند الحيرة(٨٧).

١١ ـ حقُّ الكبير **٩٢**

١٢ ـ حقُّ الصغير **٩٦**

١٣ ـ حقُّ السائل **١٠٢**

١٤ ـ حقُّ المسؤول **١٠٦**

١٥ ـ حقُّ مَنْ سرَّك **١٠٩**

١٦ ـ حقُّ مَنْ أساء إليك **١١١**

١٧ ـ حقُّ أهل المِلَّة **١١٦**

١٨ ـ حقُّ أهل الذِّمة **١٣٠**

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحاب رسالة الحقوق

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد ﷺ وعلى آله الهداة الميامين عليهم السلام وأصحابه المنتجبين.

اشتهر الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ـ الذي ولد في ٥ شعبان ٣٨هـ، واستشهد مسموماً في ٢٥ محرم سنة ٩٥هـ ـ بأسلوبه التربوي النموذجي الهادف، من خلال الدعاء والمواعظ والحِكَمْ، وترك لنا رسالةً قيمة في الحقوق، شملت شبكةَ علاقات الإنسان الثلاثة، مع ربِّه ونفسِه ومجتمعه، فوصل عدد الحقوق إلى خمسين حقاً، لخَّصها الإمام عليه السلام في مقدمة الرسالة، بتعدادها مبيِّناً الصلة فيما بينها، ثمَّ فصَّلها بفقرة مستقلة لكلِّ حق، موضِّحاً فيها أبرز معالم الحق المقصود، فنتج عن ذلك دستورٌ في تنظيم العلاقات الاجتماعية،

على هدي الإسلام، يحفظ حقوق الفرد، ويُرشِده إلى كيفية حفظ حقوق الآخرين، بما يحقِّق له إنسانيته وسعادته في الدنيا وثوابه في الآخرة.

سبقت «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام شرعةَ حقوق الإنسان العالمية بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة، وتميَّزت بجعل الإنسان مسؤولاً أمام خالقه في أدائه للحقوق المختلفة، وببلوغه التعبير الإنساني الأرقى عند التزامه بها، لما تمثِّلُه من مصلحةٍ إنسانية على الصعيدين المادي والروحي، فلا انفكاك بين ما يؤديه الإنسان تجاه الآخرين، وبين ما يربطه بخالقه في إطار الواجبَ والمسؤولية.

شرعتُ في شرح «رسالة الحقوق» عبر حلقات متلفزة، فأنجزتُ نصفها تقريباً، ثم أتممتُ شرح النصف الباقي كتابة، وقد ارتأيتُ تسهيلَ تناول هذا السفر العظيم مشروحاً بيسرٍ للشباب وعموم الناس، فكان إصداره سبعة أجزاء، تناول كل جزء منها مجموعةً من الحقوق المتجانسة مع بعضها، ليتمكَّن القارئ من تناول موضوعه المحدَّد من أحد هذه الأجزاء، فانتهت سلسلة شرح «رسالة الحقوق» الخمسين إلى سبعة كتيبات بالترتيب التالي:

١ ـ حقوق الجوارح: ٧ حقوق.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد: ٤ حقوق.

٣ ـ حقوق الأفعال: ٤ حقوق.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة: حقٌّ واحد.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم: حقَّان.

٦ ـ الحقوق الثلاثة: ١٤ حقًّا.

٧ ـ حقوق الناس: ١٨حقًّا.

أقترح الناشر ـ مأجوراً ـ ضمَّ أجزاء السلسلة في كتابٍ واحدٍ مجلَّد، فجمعنا الأجزاء السبعة بحسب ترتيبها، فنَتَجَ هذا الكتاب الذي بين أيديكم بعنوان: «في رحاب رسالة الحقوق». وقد اعتمدنا فيه الخطوات التالية:

أ ـ كتبنا المحتوى العام لكل الأجزاء قبل مقدمة الكتاب، وبما أنَّنا كتبنا في ترويسة الصفحات اسم الجزء والعنوان الفرعي للموضوع، فبالإمكان الوصول بسهولة إلى الجزء المقصود، ثم الى الموضوع، من خلال رقم الصفحة الموجود في المحتوى العام.

ب ـ أبقينا مقدمة كل جزء في الصفحة السابعة منه، ليطَّلع القارئ على مضمونه الإجمالي وخطة الكتابة فيه.

ج ـ أبقينا الإطلالة الملخصة التي تعدِّد الحقوق الخمسين بالإجمال، في الصفحة الحادية عشرة من كل جزء، وأشرنا فيها بالأسود العريض إلى الحقوق التي شرحناها، ما يمكِّن القارئ من تحديد موقع هذه الحقوق المشروحة في الرسالة.

أصبح بالإمكان الإطلاع على شرح «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام بكاملها، من خلال كتاب «في رحاب رسالة الحقوق»، سائلاً المولى تعالى أن ينفعنا بهذا العلم الربَّاني للإمام عليه السلام، وأن يهدينا إلى الاستقامة في الحياة، ويتقبَّل أعمالنا وطاعاتنا، إنَّه سميع مجيب.

١٢ ربيع الأول ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

٢٦ شباط ٢٠١٠م.

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الجوارح

الطبعـــة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

الطبعة الثانيــة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

الطبعة الثالثــة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

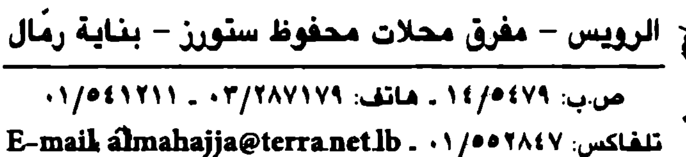
الطبعة الرابعــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الطبعة السابعة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م




الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

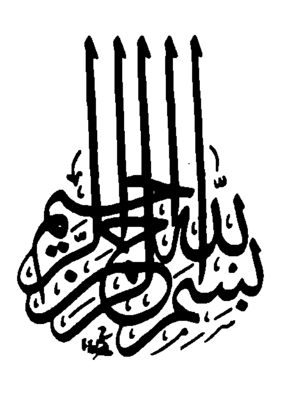
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الجوارح

دار المحجة البيضاء



الاهـــــــداء

إلى المربّي الرّباني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجِّهاً

وللباحثين عن الخلاص معلماً

يا سيدي وإمامي

يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك

إلى كل إنسان

لتضيء حياته بنهج الإسلام

ويعيش الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السابعة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمدﷺ قدوة البشرية ومرشد الإنسان إلى سعادته، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

اتصل بي الأخ العزيز أنور نجم مكلفاً من تلفزيون المنار وذلك للتشاور حول برنامج تلفزيوني أسبوعي له طابع إسلامي ثقافي تربوي بأسلوب حواري، وبعد التداول اتفقنا على اختيار رسالة الحقوق للإمام زين العابدينعليه السلام، فهي رسالة غير متداولة في الأوساط العامة، وفيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي ما يشكل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع. وبدأنا الإعداد للحلقات التي تم عرضها تباعاً لمدة ستة أشهر، حيث بلغ عددها أربعاً وعشرين حلقة أسبوعية، وقد لاقت رواجاً واهتماماً ومتابعة لمسناها من خلال الاتصالات

والمراجعات المكثفة للاستفسار وطلب المعالجة لبعض المشاكل الاجتماعية، ثم تكرر عرضها في فترة السحر في شهر رمضان المبارك، وبعد انطلاقة البث الفضائي تمَّ عرضها فضائياً مطلع العام الميلادي ٢٠٠١م، وقد ظن الكثيرون أنها أُعدت في العام نفسه، وقد جرت اتصالات عديدة من المشاهدين بإدارة التلفزيون متحدثة بإيجابية حول البرنامج، ومطالبة بتحويلها إلى كتاب يسهل اقتناؤه والاستفادة من مضمونه.

شجعني إخواني ومن تواصل معي للمبادرة، وطمعت بالأجر وأنا المحتاج إليه، فعقدت العزم ـ على الرغم من المشاغل الكثيرة ـ لتحويل الحلقات التلفزيونية إلى كتاب، فأجريت تنقيحاً إجمالياً للمضمون يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة مع تعديلات طفيفة تناسب المقام، وقد حافظت على الحوار كما جرى مضيفاً عناوين فرعية تسبق الأسئلة للتسهيل على القارىء.

إنها رسالة الحقوق التي تتضمن خمسين حقاً مختلفاً، وهي تشمل بالعنوان العام العلاقات الثلاث للإنسان: علاقته مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع مجتمعه. وقد أوردتُ مجمل الحقوق قبل تفصيلها كما ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام في الإطلالة التي تلي هذه المقدمة.

إنها رسالة للإمام علي بن الحسين بن علي عليهما السلام، الإمام الرابع

من أئمة أهل البيت ﷺ إنه إبن سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ، وحفيد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، والذي تميَّز بعبادته حتى لقب بـ«سيد الساجدين» و«زين العابدين»، واشتهر بتوجيهاته وأسلوبه التربوي الذي برز في أدعيته في الصحيفة السجادية وغيرها من الأدعية وفي رسالة الحقوق التي نحن بصددها، هذه الرسالة مسبوكة بلغة موجزة ومعبرة، وبمضمون إسلامي عميق وموضح للمسار، وبأسلوب إيماني وروحي مؤثر.

هذا هو الجزء الأول الذي يتضمن سبعة حقوق مترابطة فيما بينها، إنها حقوق الجوارح السبعة: اللسان، والسمع، والبصر، واليد، والرجل، والبطن، والفرج. وهو يُطبع الآن للمرة السابعة بعد نفاد الطبعات الست السابقة، حيث أجريتُ بعض التنقيح والتعديل بما ييسّره للقارىء بحلةٍ أفضل.

وقد أنجزنا بتوفيق الله تعالى كامل أجزاء سلسلة رسالة الحقوق، التي تتضمّن الحقوق الخمسين، والتي استقرت على سبعة أجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلِّم والمتعلِّم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

أسأل الله تعالى النفع والفائدة من مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام لأجيالنا الناشئة.

٢٠ صفر ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

٤ شباط ٢٠١٠م

إطــلالــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها: بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه

تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، **فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.** ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الأيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك،

ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

الحلقة الأولى

حــق اللســــــان

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حقُّ اللسان فإكرامُه عن الخنى، وتعويدُه على الخير، وحملُه على الأدب، واجمامُه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه عن الفُضُول الشنعةِ القليلةِ الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها. وبعد شاهدِ العقل والدليل عليه وتزيُّنِ العاقل بعقله، حُسْنُ سيرته في لسانه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

* * * * *

١ ـ أثر الكلام الفاحش على النفس

قضية اللسان وحقه ومشاكله هذا المفتاح للحلول والمشاكل كيف نتعاطى معه على ضوء ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام؟

الإمام زين العابدين عليه السلام يسلسل الأمور بطريقة من يمسك بأيدينا ويقرب لنا الفكرة تدريجياً ليدلنا على الطريق المستقيم، لاحظ ما يقول عليه السلام: «وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدي إلى لسانك حقه، والى سمعك حقه، والى بصرك حقه،

والى يدك حقها، والى رجلك حقها، والى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك». لقد اعتبر أن المدخل إلى حق النفس هو طاعة الله التي تمر عبر هذه الجوارح السبع، إنَّها بوابات العبور السبع إلى الطاعة وهي محل الاحتكاك بالمجتمع، فمن خلال اللسان أتكلم وأتعاطى مع الآخرين، ومن خلال الأذن أسمع، ومن خلال العين أبصر فأنقل صوراً معينة تعطي انطباعات في ذهني، فإذا كانت صوراً خبيثة تؤثر علي وإذا كانت صوراً جيدة تؤثر علي، كل هذا ينعكس على نفسية الإنسان. إننا إذا أتقنا العلاقة مع هذه البوابات السبع وعرفنا كيف نتعاطى معها سنحل كل المشاكل المرتبطة بالنفس الإنسانية.

بدأ الإمام عليه السلام بأول بوابة وهي بوابة اللسان وأعتبر أن اللسان هو المقدمة، قال الإمام عليه السلام: «وأما حق اللسان فإكرامه عن الخنى»، الخنى يعني الفحش والبذيء من الكلام، والمطلوب هو إكرام اللسان عن الاستخدام السيئ للكلام البذيء والفاحش، وللأسف في بعض البيوت تجد عادة الكلام الفاحش متفشية بشكل كبير، ويقولون لك: هذا كلام لا قيمة له، ولا نقصد من ورائه شيئاً، إنما هي عادة اعتدناها، لكنَّ هذا الكلام الفاحش انعكاس من النفس وعلى النفس. عندما تتحدث بكلام فاحش فهذا تعبير عن صفحة في نفسك، وعندما تطلق هذا الكلام ينعكس مجدداً على صفحة النفس تربية سيئة. البعض يقول: أنتم تعلقون كثيراً على هذه الأمور وهي غير ذات قيمة ! نقول: هذا لسانك تستطيع استعماله

في أمور حسنة هادفة سليمة فلِماذا تستخدمه في الفحشاء والمنكر؟! والأغرب هو تصرف بعض الأهالي مع ولدهم الصغير الذي لا يتجاوز الأربع سنوات حيث يتكلم بكلمات فاحشة ويبعث هذا الكلام الارتياح والسرور في قلب الأهل، على أساس أن الولد يتكلم بكلام أكبر من عمره، ويصفقون له ويشجعونه على ذلك، إنه تعويد على الكلام الفاحش وهذا ينعكس على الإنسان وكأن نفسه تعكس صفحة فاحشة من الكلام.

إن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**لا تسيء اللفظ وإن ضاق عليك الجواب**»[1] إذ عليك المحاولة لتستخدم التعابير المناسبة واللائقة، هذا في لحظات الحشر والضيق، فكيف إذا كان الأمر عادياً والأحاديث عادية. فإذا وجدنا جلسات المسؤولين وعامة الناس مليئة بالكلام الفاحش فإنه يدل على نمط سلوكي منحدر، ونفسية تحتاج إلى تقويم. إنها خطوة على طريق إصلاح النفس من خلال بوابة اللسان، «فإكرامه عن الخنى» هو إكرام لك ولصفحة النفس، وإكرام لمعبر من معابر الطاعة لله تعالى حتى تعطي نفسك حقها.

٢ ـ الكلام الحسن

الامام زين العابدين عليه السلام لا يقف هنا، علينا أن نعوده على الكلام الذي له فائدة، ولذا يقول بتعويده على الخير وحمله على الأدب، وهذا ما نريد أن نوضحه؟

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٥٢٨.

طبعاً لا بد من استخدام اللسان في الحياة، إمامنا زين العابدين عليه السلام يقول: «**وتعويده على الخير وحمله على الأدب**» فلنسمعه أيضاً يقول في كلام آخر له يتعلق بحسن الأدب وتعويد اللسان على الخير: «**القول الحسن يثري المال** (يزيد المال ثراءً) **وينمي الرزق** (يوفق في نماء الرزق) **وينسىء في الأجل**(يطيل في العمر) **ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة** (المحصلة الأخيرة والنتيجة النهائية هي الدخول إلى الجنة)»[1]، إذاً تعويد اللسان على الخير وحمله على الأدب كمال للإنسان وقوة له، والله عز وجل يقول في القرآن الكريم في كلام حنون في الحديث عن عباده: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾[2]، إنّ الشيطان يوسوس لهم ويوجد المشاكل من خلال الكلام السيئ والجارح والمؤذي إذاً فليتكلموا بكلام لائق، ويقول في آية أخرى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[3]، فإذا تحدثت مع الناس بطريقة حسنة ماذا تخسر؟ أنت الرابح لنفسك وللناس ولآخرتك.

٣ ـ الغيبة والبهتان

ماذا يعني «وإجمامه إلا في موضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا»، فهل يشمل الغيبة والبهتان في القصد من المنع؟

إذا قلتُ بأن أمراض اللسان تكاد تكون أكبر الأمراض الموجودة في المجتمع لما كنت مغالياً في ذلك، فلو بحثتَ عند

---

(١) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢ ص:١٨٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

العائلات عن سبب الكثير من المشاكل التي تدوم عشراً أو عشرين سنة، سيقولون لك: في يوم من الأيام فلان تكلم عنا هكذا، أو نقل حادثةً بطريقة مسيئة، أو فضح لنا سراً معيناً، مما يتسبب بمشاكل كثيرة في الأسر. إن الإسلام قد حذر من استخدام اللسان بطريقة سلبية وفاحشة وكذلك نقل أسرار وخصوصيات الآخرين التي لا يجوز لنا أن نكشفها إذا اطلعنا عليها، معتبراً أنها غيبة وهي محرمة، وتعريفها ذكر المؤمن في غيابه بعيب موجود فيه ولكنه مستور عن الآخرين: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(١) فيبين لنا القرآن كم هي صعبة وخطيرة ومؤلمة، وفي الحديث النبوي الشريف يقول: «الغيبة أشد من الزنى» حيث يستغرب البعض بأن الزنى عمل واضح وكبير وهل من المعقول أن تكون الغيبة أشد من الزنى؟ نقول نعم، لأن الزنى عبارة عن ارتكاب محرم بين شخصين ولا يتجاوز إطار الشخصين في المسؤولية المباشرة، أما الغيبة فهي نشر للخصوصيات في أوساط واسعة من الناس، ثم تكبر درجة الأذية للمستغاب بمقدار انتشارها، وله حق مضاف إلى حق الله تعالى لأنك استغبته، وكما ورد عندنا الزاني يحاسب على زناه فإذا تاب واستغفر الله تعالى يغفر الله له وهذا طريقه للغفران، فمشكلته بينه وبين الله لأنه عصا وارتكب محرماً بحق نفسه، بينما المستغيب يخضع لحق عام مع

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

الله تعالى وحق خاص مع الشخص المستغاب، فإذا غفر الله تعالى له بالسياق العام سيسأله عن حق المستغاب: هل غفر لك صاحبك؟ عن جابر وأبي سعيد الخدري قالا: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيَّاكم والغيبة، فإنَّ الغيبة أشدّ من الزنى، إنَّ الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يَغفر له صاحبه**»[1]. من هنا خطورة الغيبة بانتشار آثارها بالحقوق الخاصة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

هذا ذكر المؤمن في عيب موجود فيه، فما بالك بذكره بعيب غير موجود فيه! للأسف نرى في مجتمعنا كثرة الكلام في الزيارات والاجتماعات والسهرات التي تبدأ بالاستغابة للناس، وأنا أعتقد أن الذي عنده مرض في لسانه فهذا يترك انعكاساً سلبياً في بيته وعمله ومجتمعه وعلاقاته، لذا يجب أن نحتاط في لساننا، والأولى أن تكون الحرمة شاملة للبهتان الذي يكون إدعاء وتزويراً واختلاقاً لأمور غير موجودة في الأصل وتسيء إلى الناس. هذه تربية خاطئة ومنحرفة.

الإمام زين العابدين عليه السلام يقول عن اللسان: «واجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا»، اجمامه يعني إراحته بعدم استخدامه إذا لم يكن هناك منفعة للدين والدنيا، فلا تتكلم عندها فالسكوت أفضل. يقول الرسول صلى الله عليه وآله «**السكوت ذهب والكلام**

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢ ص: ٢٢٢.

فضة»[١] يعني أن السكوت أغلى، ويقول ﷺ أيضاً: «**إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[٢]، وفي رواية، «**جاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال يا رسول الله أوصني، فقال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله أوصني، فقال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، فقال: احفظ لسانك، ويحك، وهل يُكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلَّا حصائد ألسنتهم**»[٣]، يجب أن تريح لسانك من الاستخدامات التي ليست في محلها. ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام أيضاً: «وإعفاؤه من الفضول الشنعه القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها» هناك أمور لا يحق لك أن تنطق بها، إنها أمور تافهة لا قيمة لها، ومردودها سيّىء عليك. اعمل حسابك في الربح والخسارة، لماذا تريد أن تتكلم وما هو نفع هذا الكلام أو ضرره؟ أميرنا وقائدنا علي عليه السلام يقول: «**كم من دم سفكه فم**»[٤]، انظروا إلى هذه البلاغة في إيصال الفكرة، نحن نملك أن نطلق الكلمة ولكن لا نعرف إلى أين توصل والى ماذا تؤدي، وفي الحقيقة أن أكثر بلائنا في مجتمعنا من استخدام اللسان في غير محله.

٤ ـ اللسان دليل على العقل

إذا ضبط اللسان واراحه من التدخل إلا في موضع الحاجة، فهل هناك آثار أخرى تتولد عن ذلك؟

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨ ص: ٢٩٤.
(٢) النيسابوري، روضة الواعظين، ص: ٤٦٩.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١١٥.
(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٣٧٩.

إذا أردنا أن نعرف أهمية استخدام اللسان، فلنراقب هذه البوابة التي تطل على العالم الخارجي وما تتركه من آثار كبيرة على حياة الناس. وهل تريد أن تعرف مستوى تفكير ومضمون عقل الإنسان؟ عليك بما يصدر من كلامه على لسانه. قد يعترض البعض ويقول: أنكم تعملون قيمة كبيرة للسان؟! لسنا من عمل قيمة للسان فهو واقعاً هكذا، القرآن والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام سلطوا الضوء على هذا اللسان وانعكاساته، وتجارب الحياة تثبت ذلك، فإذا أردت أن أعرف قيمة عقل الإنسان عليّ مراقبة اهتماماته، إذا كانت اهتماماته التكلم على الناس فعقله ومستواه يكونان بقدر التكلم على الناس، وإذا رأيته يتكلم بأمور نافعة يعني أن عقله متجه إلى الأمور النافعة، من يتكلم بكلام خير يعني أن في عقله خير «الإنسان عبد ما يقول»، فالواجهة لا يمكن أن نغفلها ونتركها، لذا الوصف دقيق «فبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله، حسنُ سيرته في لسانه»، بحسب رسالة الحقوق. أنت تحكم على الإنسان من فلتات لسانه وطريقة أدائه، ونحن لا نقدر أن نفصل اللسان عن العقل، بل يجرك الكلام لتكون أسيره، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«الكلام في وثاقك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرُبَّ كلمةٍ سلبت نعمة وجلبت نقمة»**[1] أنت مالك للفكرة فإذا تكلمت بها صرت في

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨١، ص:٨٣١.

وثاقها، أي أصبحت أسير كلامك وستتحمل المسؤولية، ولا يستطيع أحد التنصل من مسؤولية كلامه. ويقول الإمام علي عليه السلام: **«تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه»**[1]، إن الإنسان ينكشف من كلامه فيُسقِط الشكلُ المضمون كما يرفع الشكل المضمون، فانتبهوا لهذا اللسان. أحذر نفسي وكل الناس، فإن هذا اللسان بوابة أساسية من بوابات العبور إلى طاعة الله وبالتالي إلى نفس الإنسان، فإذا صلح اللسان في أدائه، وفي اختياره للمفيد في حياة الناس، وفي تكلمه فيما يساعد على حسن العلاقة بين البشر، فهذا يعني أن العقل سليم وأن النفس سليمة، فمن تزيَّن بالعقل حسُنتْ سيرته، وهذه خطوة على طريق إعطاء النفس حقها.

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٢، ص: ٨٣٤.

إذا أردنا أن نعرف أهمية استخدام اللسان، فلنراقب هذه البوابة التي تطل على العالم الخارجي وما تتركه من آثار كبيرة على حياة الناس. وهل تريد أن تعرف مستوى تفكير ومضمون عقل الإنسان؟ عليك بما يصدر من كلامه على لسانه. قد يعترض البعض ويقول: أنكم تعملون قيمة كبيرة للسان؟! لسنا من عمل قيمة للسان فهو واقعاً هكذا، القرآن والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام سلطوا الضوء على هذا اللسان وانعكاساته، وتجارب الحياة تثبت ذلك، فإذا أردت أن أعرف قيمة عقل الإنسان عليّ مراقبة اهتماماته، إذا كانت اهتماماته التكلم على الناس فعقله ومستواه يكونان بقدر التكلم على الناس، وإذا رأيته يتكلم بأمور نافعة يعني أن عقله متجه إلى الأمور النافعة، من يتكلم بكلام خير يعني أن في عقله خير «الإنسان عبد ما يقول»، فالواجهة لا يمكن أن نغفلها ونتركها، لذا الوصف دقيق «فبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله، حسنُ سيرته في لسانه»، بحسب رسالة الحقوق. أنت تحكم على الإنسان من فلتات لسانه وطريقة أدائه، ونحن لا نقدر أن نفصل اللسان عن العقل، بل يجرك الكلام لتكون أسيره، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الكلام في وثاقك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرُبَّ كلمةٍ سلبت نعمة وجلبت نقمة**»[1] أنت مالك للفكرة فإذا تكلمت بها صرت في

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨١، ص: ٨٣١.

وثاقها، أي أصبحت أسير كلامك وستتحمل المسؤولية، ولا يستطيع أحد التنصل من مسؤولية كلامه. ويقول الإمام علي عليه السلام: «**تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه**»[1]، إن الإنسان ينكشف من كلامه فيُسقِط الشكلُ المضمون كما يرفع الشكل المضمون، فانتبهوا لهذا اللسان. أحذر نفسي وكل الناس، فإن هذا اللسان بوابة أساسية من بوابات العبور إلى طاعة الله وبالتالي إلى نفس الإنسان، فإذا صلح اللسان في أدائه، وفي اختياره للمفيد في حياة الناس، وفي تكلمه فيما يساعد على حسن العلاقة بين البشر، فهذا يعني أن العقل سليم وأن النفس سليمة، فمن تزيَّن بالعقل حسُنتْ سيرته، وهذه خطوة على طريق إعطاء النفس حقها.

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٢، ص: ٨٣٤.

الحلقة الثانية

حــق السمـــــع

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حقُّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لِفَوْهَةٍ كريمة تُحدثُ في قلبك خيراً أو تكسب خلقاً كريماً، فإنَّه باب الكلام الى القلب يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر، ولا قوة إلا بالله».

* * * * *

١ ـ أهمية السمع

سماحة الشيخ أريد أولاً أن أتحدث عن أهمية السمع عند الإنسان؟

معلوم أن السمع هو طريق لتحصيل جملة واسعة من المعاني والمعارف التي يحصل عليها الإنسان، ونلاحظ أن الذي فقد سمعه منذ الطفولة لا يستطيع أن يتكلم، وبالتالي يخسر قدرة هامة وكبيرة في انتقاء المفردات والمعلومات التي تحصل من خلال الحروف و الأصوات و الوسائل المختلفة التي تلتقطها الأذن.وكما ذكرت في الحلقة السابقة بأن الجوارح عموماً هي مداخل الى المعرفة

ومداخل لالتقاط الحالة الخارجية التي يحتك بها الإنسان، وقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، أي أنه أعتبر السمع واحداً من طرق المعرفة وواحداً من طرق الإطلالة على الحياة، فإذا أردنا استخدام هذه النعمة الإلهية علينا أن نستخدمها بطريقة نسمع من خلالها ما ينفعنا ونترك ما يضرنا. وكما نتحدث عادة في كثير من الحالات عن الأمن الاجتماعي و الأمن الغذائي و الأمن الإنساني، نحن في الواقع بحاجة الى أمن الاستماع حتى نحفظ هذه الأذن، لنُدخل إليها ما يمكننا من تأثيرات على واقع الإنسان تودي إلى أمن نفسيته وعمله. إن رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام تركز على أهمية الحواس، ونحن بحاجة إلى أمن الاستماع عند الإنسان حتى يستفيد من الحشد الكبير الموجود في المجتمع من المعلومات والأصوات والوقائع التي تنتقل إليه، بدل أن يقع فريسة الاستماع لما يؤذيه ويخرب حياته ويجعله في المتاهات الكبرى.

٢ ـ اتجاهان للاستماع

سماحة الشيخ كيف تتعاطى الآيات القرآنية الكريمة بحق السمع؟

يتوجه القرآن إلى حاسة السمع ليحسن من أدائها وليدل الإنسان على كيفية التعاطي معها، وبما أنه يوجد توجيه لهذه

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

الحاسة الأساسية، لا بد أن تزخر الآيات القرآنية بالحديث عن هذا التوجيه الذي يكون في اتجاه إيجابي عندما يصل الأمر إلى الطاعة، ويكون في الاتجاه السلبي عندما يصل الأمر إلى المعصية. وحتى لا نستعرض كل الآيات الكريمة أكتفي بآيتين، واحدة في الجانب الإيجابي وواحدة في الجانب السلبي. يقول تعالى في القرآن الكريم عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[1] ربنا إن الذي أرسلته إلينا، هذه النداءات والوحي والتوجيهات التي أردت أخبارنا بها حتى نسير على طريق الطاعة،قد سمعناها وحصل الانعكاس، فلولا الاستماع لما آمنا، وبعد أن آمنا سرنا على الطريق الصحيح، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار بإعانتنا على المراحل الأخرى، طالما أننا بدأنا في المرحلة الأولى الصحيحة التي كانت نتيجة استماعنا لنداء الإيمان.

أما الآية التي تتحدث عن الجانب السلبي، يقول تعالى عن أولئك الذين يحضرون مجالس الكفر والاستهزاء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[2]، لأن البحث الذي يطرحونه يروج للكفر بإنكار آيات الله تعالى بطريقة غير موضوعية،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

ويستهزئون كتعويض عن عجزهم لمواجهة الحقائق ولإسقاط فعالية الآيات عن التأثير بهذه الطريقة المستهترة والمستخفة، وللتجريح وليس للنقاش أو التحليل أو الاستفادة، وإلا عندما يكون الهدف المناقشة والاستفادة فلا إشكال في أن يطرح الإنسان أي سؤال يريده على قاعدة الاستفهام أو الاستيضاح أو محاولة الوصول الى الحقيقة .لكن إذا أراد الإنسان أن يقف الموقف السلبي سلفاً، ويحاول الخوض في الحديث لمجرد التهكم والاستهزاء وإيجاد الضوضاء دون رغبة الوصول إلى نتيجة إيجابية، عندها يحذّر رب العالمين من الجلوس مع هؤلاء والاستماع لهم وهم يتهكمون، على قاعدة أن هذا الاستماع لا منفعة فيه طالما أن الطريقة استهزائية وفيها نوع من الإهانات المتكررة، ولا فائدة من صرف العمر على هذه المجالس، أو تشجيعها للتمادي، خاصة أن ما يجري فيها يؤذي قلب الإنسان ونفسيته بسبب الأجواء المقيتة التي تحيط بمثل هذه المجالس.

٣ ـ أثران للاستماع

«أما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً الى قلبك إلاّ لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقاً كريماً»، نرى الامام زين العابدين عليه السلام يطرح معادلة الكلمة الطيبة من متحدث كريم كما في ظاهر الحديث تنتج خيراً للقلب وتنتج الخلق الكريم أيضاً فتفضلوا علينا بشرح ما ورد عند الامام زين العابدين عليه السلام؟

«أما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً الى قلبك الا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقاً كريماً» هذا هو الأساس والهدف الذي يصبو إليه الإمامعليه السلام في توجيه سمع الإنسان. إن كل كلمة وكل صوت وكل ما يصل الى هذه الأذن أي كل ما يسمعه الإنسان، له تأثير مباشر على أمرين كبيرين وأساسيين يذكرهما باختصار إمامنا زين العابدينعليه السلام:

الأمر الأول: «تحدث في قلبك خيرا» أي التأثير على القلب، على المضمون الداخلي للإنسان. وعندما نتحدث عن القلب لا نتحدث عن العضو الموجود في داخل الإنسان، إنما القلب هو داخل الإنسان الذي يتقلب ويتأثر، وهو المحرك الأساس في شخصيته على المستوى الروحي والنفسي والعقلي وعلى كل المستويات، إذاً هو الموجه والدافع، إن أول تأثير من الاستماع إلى الخير إنه يحدث في القلب خيرا.

أما الأمر الثاني: «تكسب خلقاً كريماً» وهو الانعكاس الظاهري والخارجي للإنسان في حياته اليومية، هذا الانعكاس الخارجي الذي يتمثل في طريقة التعاطي مع الآخرين يتأثر بالاستماع.

إذاً للاستماع أثران: أثر داخلي في تكوين الشخصية، وأثر خارجي في تصرفات الإنسان، من هنا عندما يتم التشجيع للاستماع إلى الأمور الخيرة والصحيحة والاستئناس بها والتفاعل معها،

فذلك لأنها تنعكس مباشرة على الشخصية داخلياً وخارجياً. أما إذا كان الاستماع استماعاً سيئا للمنكرات والمحرمات، كأن يستمع الإنسان إلى الغيبة والنميمة والى الفحشاء والغناء والموسيقى المحرمة وغيرها من الأمور المحرمة، فسينتقل مضمون الكلام وأثره الى القلب ليختزن الخبائث، وعندما يختزن الخبائث تبدأ المرحلة الثانية في التعبير وفي الانعكاس حيث «كل إناء بما فيه ينضح»، فإذا تربى الإنسان على الخبائث وترسخت في القلب، فسيتحدث بشكل طبيعي عن أمور سيئة وينقل معلومات خاطئة، يستغيب ويتصرف بدون لباقة مع الآخرين، لأن المخزون الموجود في داخله مخزون سيئ.

عندما يحاول بعض الناس الفصل بين المخزون الداخلي والانعكاس الخارجي،يكشفهم السلوك اليومي في المجتمع بسرعة والذي يُبرز الترابط الوثيق بينهما. بعضهم يقول: والله لو أنك تشق قلوبنا لتجد أننا مؤمنون أكثر من غيرنا، لكن تصرفاتهم في الخارج لا تدل على ذلك فلا ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[1] ولا على ألسنتهم من أثر الطاعة لله، ولا تجد أي أثر للإيمان في حياتهم العامة. ويقول لك أحدهم: إن قلبي أبيض وهو أفضل من كل هؤلاء الذين تقول عنهم بأنهم مؤمنون؟! لنفترض جدلاً أنه كما يقول ! كيف لا يصدر عن هذا القلب المؤمن سلوك إيماني إلى الخارج؟! هذه الازدواجية هي ازدواجية هروب من المسؤولية،

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، ولا يوجد إيمان في القلب من دون أثر له في العمل،ولا تنفع الكلمات المنمقة والادعاءات اللفظية في إثبات حسن النية، فالعمل هو الحاكم وهو ظاهر لا يحتاج إلى عناء. بصراحة عندما يحتاج الإنسان الى الكثير من الأدلة ليقنع الآخرين بأمر مخالف لما يدل عليه سلوكه فهذا يعني أنه لا يتكلم الحق، وإذا احتاج شخص إلى الكثير ليقنع الناس بأن أخلاقه جيدة خلافاً لما يرون منه من سلبيات يومية فهو يتعب نفسه، لأن الأخلاق الحميدة تبرز من صاحبها ويتكلم الناس عنها دون حاجة إلى إثبات ذلك. إذاً جوهر المسألة هو أن آثار الاستماع تنعكس أولاً على البنية الداخلية أي القلب، وثانياً على البنية الخارجية أي الخلق والعلاقات مع الآخرين. فالترابط بين النفس والسلوك موجود.

وإذا أجرينا استفتاء بين الناس ونظرنا إلى أصحاب الخلق الحسن في تعاطيهم مع الآخرين، سنرى في الأغلب أن مجالسهم مجالس طيبة ولطيفة، ولا يديرون أسماعهم الى الأمور المنكرة والمحرمة، أما السيئون في أخلاقهم، وفي طريقة تعاملهم فالمناخ الذي يعيشون فيه مناخ سيئ في الاستماع إلى المنكرات والمحرمات من الأحاديث. إننا نريد لهذا القلب وهذا الداخل أن يستقبل الأمور النظيفة والطيبة، وأن يبتعد عن الأمور السيئة التي تعيق وتؤثر وتؤذي، ولنعترف بأن الإنسان يتغذى من كل ما يحيط به. فكما أن الجسم ينمو بسبب الطعام فإذا كان الطعام جيداً كان

النمو جيداً، وإذا كان الطعام سيئا انعكس أمراضاً وأحدث آلاماً. كذلك ما يدخل الى السمع ليصل إلى القلب فإذا كان نظيفاً يؤثر فيه تأثيراً سليماً. إن الإنسان الذي يغذي سمعه بأشياء مفيدة ستنعكس على شخصيته حتماً.

٤ ـ الإنصات بتفاعل يؤدي إلى الرحمة

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، سماحة الشيخ لو لم تكن تكملة الآية الكريمة لعلكم ترحمون، هل كان بإمكاننا أن نستدل من قوله ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ أنه من باب تكريم وتوقير القرآن الكريم، ولكنَّها اتخذت منحى آخر بسبب ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فماذا قصد الباري جل وعلا بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؟

لماذا قال تعالى لعلكم ترحمون ولم يقل بالتأكيد ترحمون في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؟ السبب الأساس أن الأمر لا يتعلق بمجرد الاستماع والإنصات، إنما يحتاج إلى مرحلة وسطية بين الاستماع والإنصات من جهة وحصول الرحمة من جهة أخرى هي مرحلة التفاعل، فإذا استمع الإنسان للقرآن ولم ينفذ المضمون، أنصت إلى القرآن وأعجبته الكلمات ولكن لم يطبقها في حياته العملية، كيف يمكن أن يرحم؟! الأمر واضح. لاحظ قوله تعالى عن عبادة الصوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

﴿قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1] لأنه ليس بمجرد الامتناع عن الطعام والشراب تكون التقوى، بل هناك إجراءات عملية تنعكس عن الامتناع وتتراكم حتى يكون هناك تقوى. لنرجع إلى التاريخ ونرى الرسول ﷺ كيف كان يستمع الى القرآن بشغف، كيف كان صحابة الرسول ﷺ يستمعون الى القرآن الكريم ويأخذون الآية ويعملون بها، سنلاحظ أن الاستماع والإنصات هناك مصحوب بالتفاعل، ولذا حصلت رحمة وعظمة ونمو. المسلمون اليوم بحاجة للتفاعل مع القرآن أكثر مما هو عليه الواقع، فعندما اهتم بعضهم بذلك وفّقه الله تعالى، خاصة ما حصل على يد الإمام الخميني(قده)، وعلى الباقين بذل المزيد من الجهد والاهتمام، ويبقى التوفيق على الله جل وعلا.

٥ ـ الإعلام سلاح فعّال

نرى من خلال تشريعات الإسلام العظيم توجيهاً دقيقاً للاستماع الى كلمة الحق والابتعاد عن الاستماع الى الباطل كما ذكرتم، لكن الكثير من الناس ينصتون الى أهل الباطل حتى يصبحوا منقادين بطريقة مباشرة وغير مباشرة دون الالتفاف الى المسؤولية الكبيرة التي ألقيت على عاتقهم جراء وقوعهم في فخ الدعايات، أنا هنا أريد أن اقف عند الدعايات أو الدعوة بمعنى آخر وتأثيرها على الناس؟

إن السلاح الكبير اليوم في العالم هو سلاح الدعاية والإعلام، بحيث يتم التركيز على بث معلومات خاطئة أو معلومات موجَّهة،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

حتى تحدث الآثار المطلوبة فيمن يسمعونها ويتعرفون عليها بمختلف الأساليب، لما للاستماع من دور أساسي. حتى عندما نتحدث عن التلفاز فموضوع سماع الخبر وطريقته ومضمونه يؤثر في تكوين صورة معينة، ولا تكفي مجرد الرؤية المجردة عن الاستماع، إن تأثير الأخبار وتأثير المعلومات والمفاهيم بشكل عام له علاقة بالاستماع إليها. إن وكالات الأنباء الكبرى العالمية تحاول كسب ثقة الشعوب من خلال بث عدد كبير من الأفكار أو الأخبار الصحيحة ثم بعد ذلك يصبح أي خبر يأتي من قبلهم من المسلّمات، وعدم الأخذ به يحتاج الى دليل، إضافة إلى ذلك فهم يختارون طريقة العرض المؤثرة فيأتون بتصريحات لعدد من الدكاترة حول موضوع معين لتقول في نفسك: هل من المعقول أن يكون الدكاترة الذين يقولون بهذا الأمر مخطئين؟ ومثال آخر نعيشه اليوم: نحن الآن في حالة احتلال إسرائيلي تقارعه المقاومة الإسلامية في لبنان والانتفاضة في فلسطين لإخراجه من الأرض المحتلة. ويُفترض أن يقر الجميع بهذا الحق، ومع ذلك تذهب إلى الغرب وتلاحظ الوضع الشعبي بمجمله مؤيداً لإسرائيل، ويعتبر أن الإسرائيلي مظلوم لأنه يُقتل والآخرون يعتدون عليه ويريدون طرده. إن المعلومات معكوسة تماماً بسبب الإعلام الذي بث معلومات خاطئة وموجهة لفترة طويلة من الزمن فأصبحت الأحكام خاطئة. عندما تتغير جذور المعلومات الموجودة بسبب ما ألقته هذه الدعايات الموجهة وهذا الإعلام بطريقة خاطئة فستتغير الاستنتاجات حكماً.

لذا علينا أن نتابع أصل المعلومات وبداياتها، من هنا تركيز الإمام عليه السلام على كلام الخير وإيصال الحق حتى يفهم الإنسان المضمون المستند إلى المقدمات الصحيحة ويستطيع أن يعمل على أساسها.

٦ ـ أثر المصداقية

رغم الإمكانيات المتواضعة لتلفزيون المنار وإذاعة النور كم استطاعا التأثير على من شاهد وسمع من الأعداء وعملائهم؟

إن أكثر ما أثّر في نفسية الأعداء كما ذكروا في تصريحاتهم ووسائلهم الإعلامية هو مسألة المشاهدة مع الاستماع وليس الاستماع فقط، يعني عندما يشاهدون جنودهم يسقطون بطريقة مأساوية ويأتي الشرح الذي له علاقة بالاستماع ليبين التفاصيل والحقائق، وتثبت التجارب أن أخبار المقاومة أخبار صحيحة مدعومة بالأدلة والإثباتات، فهذا يلقي الرعب في قلوبهم. والآن هم متضايقون من وسائل إعلامنا أكثر مما هم متضايقون من عدد القتلى، لأن العدو عاجز عن تسجيل بطولات وهمية واللعب بالخبر، وهذا ما يؤثر بشكل كبير على التعبئة العامة والنتائج.

٧ ـ تثقيف الناس

كيف نواجه الحالات التي تصدق أخبار العدو أكثر من أخبارنا؟

عندنا مسألتان: المسألة الأولى يجب أن نعوّد الناس على المصداقية عندما نتحدث إليهم لنعطي قوة لكلامنا وتأثيره في أي

موقع كنا. هذه المصداقية تؤثر في نقل المعارف الصحيحة والأخبار الدقيقة. وإذا كنا جاهلين لحدث ما نقول لا نعلم أو غير متأكدين عندها يؤخذ كلامنا بعين الاعتبار.

المسألة الثانية: مطلوب منا بث قدر كبير من المعلومات الصحيحة لنشرها في المجتمع حتى تصبح مقدمات صالحة للربط بينها وبين الأشياء الأخرى، فيقدر الإنسان على الحكم الصحيح، أما إذا لم نهتم ببث المعلومات وتثقيف الناس فستحل الآراء الأخرى الباطلة عندهم. إننا بحاجة إلى هذين الأمرين، إلى مصداقية مهما كان ثمنها والى بث معلومات كثيرة ومعارف حتى يتعلم الناس ويتعرفوا على الحقائق، يوجد أوهام غير عادية وانطباعات عن الإسلام غير صحيحة وغير منطقية وفهم مغلوط للقرآن، إن واجبنا أن ننفض غبار الجهل والتشويه عن الإسلام، ونرّوجه ونعلِّم الناس حقائقه كما جاء، عندها نضمن الإطار النظري في الفهم الإسلامي، والإطار العملي في إبراز الحقائق وتوضيحها.

٨ ـ السماع لا يكفي

يقال فلانة زنت فتقول له: هل رأيتها؟ يقول: لا. ما حكمه؟

أريد أن أدخل من هذه الحادثة حتى أبين عظمة الإسلام في الأمن السمعي لحماية المجتمع من التداول في مسائل شخصية خطرة وغير مؤكدة. إن الكلام عن امرأة بتهمة الزنى يعتبر محرماً

في الإسلام ويعاقب الإنسان عليه، لأنه رمي للمحصنة المتزوجة أو رمي للإنسانة العفيفة إذا كانت غير متزوجة. هذا الادّعاء إدانة للرامي، لأنَّ إثبات الزنى يتطلب أربعة شهود يشهدون برؤية عملية الزنى كما حصلت وبالمواصفات نفسها من دون أي اختلاف، أي على كل واحد منهم أن يقول بأنه شاهد الزنى الساعة الفلانية وجرت عملية الزنى بالكيفية التالية، فإذا خالف أحدهم بالتوقيت أو العملية أو ما شابه لا تكتمل الشهادات الأربع، بناءً عليه فإنَّ كل من شهد من الأربعة يُعتبر رامياً ويجلد ثمانين جلدة في الإسلام.

إن الهدف من هذا العقاب هو حماية المجتمع من نقل الأخبار عن طريق الاستماع خاصة عندما تكون بهذه الأهمية التي تتعرض لأعراض الناس. ورب قائل يقول: قد تكون شهادة الثلاثة صحيحة؟ هذا صحيح، لكن هل المطلوب أن تشيع الفاحشة دون التأكد، إذ لربما أخطأوا في تحليلهم واعتمدوا على السماع، فإذا توفر أربعة شهود فهذا شكل من أشكال انتشار الفاحشة التي يجب قمعها ومنعها، أما إذا لم تصل إلى هذا الحد فربما يتوب الإنسان وتنحصر المشكلة في دائرة ضيقة.

إن المطلوب هو تعويد أسماعنا على الخير والكلام الطيب ونبذ الشر والكلام الخبيث والمحرم لتصلح سريرتنا وتصلح مجالسنا ويصلح مجتمعنا.

الحلقة الثالثة

حـق البصـــــر

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حقُّ بصرك فغضُّه عمَّا لَا يحلُّ لك، وترك ابتذاله الا لموضع عِبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً، فإنَّ البصر بابُ الاعتبار».

* * * * *

١ ـ ما أُحِلَّ اكثر مما حُرِّم

سماحة الشيخ لنتحدث عما يحل لنا وعما حرم علينا؟

عندما نتحدث عن العين التي هي أداة الإبصار، إنما نتحدث عن واجهة تطل على العالم الخارجي لتلتقط كل الصور والانطباعات الموجودة والتي تصادفها العين أمامها، ولا يمكن أن نعزل مشاهداتنا عن التأثير المباشر على داخلنا وعلى نفوسنا، لأن الارتباط بين الصور المنعكسة بواسطة العين وبين القناعات التي تتشكل عند الإنسان هو ارتباط وثيق جداً، ولذا أولى الإسلام أهمية لدور البصر سنتحدث عنها في طيات الحديث.

لكن ماذا أحل الله تعالى؟ إذا أردنا أن نعد المحللات لوجدنا أنها كثيرة جداً، أحل الله النظر إلى الطبيعة وما فيها والى المياه والأنهار والبحار، وأحل النظر إلى موارد الاعتبار في حياة الإنسان والى العلوم والاكتشافات، إلى كل ما يحيط بالإنسان على قاعدة أن لا تكون آثار هذه النظرات آثاراً سلبية.أما المحرمات فهي التي تنعكس على شخصية الإنسان بطريقة تحرفه عما قصدته الشريعة المقدسة من استقامة وعفة وتهذيب نفس وإيمان. كالنظر بلذة وريبة إلى المرأة الأجنبية والتجسس وتتبع العيوب..، وبما أن ما يتعلق بالنظر يدخل في دائرة واسعة جداً في عالمنا، فالأفضل الحديث عن المحرمات لأنها محدودة وأضيق دائرة، وقد وضع فقهاؤنا قواعد تُعرفنا عليها وشرحوا لنا أمثلة عنها، ثم إذا استثنينا المحرمات تصبح كل الأمور الأخرى محللة. ومن الخطأ النظر إلى المحرمات وكأنها القاعدة والأساس و ما تبقى هو المحلل، لأن المحرمات في كل شيء محدودة جداً في مقابل ما أحلّه الله تعالى، لكن الانحراف الواسع الذي يسود بعض المجتمعات يجعلنا أمام اتجاهات حاكمة ومؤثرة تتحول إلى عادات منتشرة نضطر معها للوقوف موقفاً سلبياً برفضها واستنكارها وابراز حرمتها، مما يظهر وكأننا نكثر من الممنوعات، بينما لو كانت الضوابط سليمة والأعراف والعادات مستقيمة لوجدنا أنَّ المحرمات استثناء قليل في مقابل الأمور الكثيرة التي أحلَّها الله لنا.

٢ ـ ترك النظرة المحرمة

النظرة سهم من سهام إبليس مسموم وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة كما ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، ماذا بين هذه السطور؟

قصد الإمام أبو عبد الله عليه السلام في النظرة المسمومة وأنها سهم من سهام إبليس تلك النظرة التي تكون محرمة، وهي النظرة إلى المنكرات وأساسها النظرة إلى الجنس الآخر بعين الريبة والتلذذ والرغبة لمن لا يجوز له ذلك، أي النظرة التي تؤدي الى الرغبة الجنسية وما يصاحبها من إثارة بشكل خاص. وكما هو معلوم فإن الإثارة الجنسية باب لفساد وانحراف كبير، خاصة عندما يتم التركيز على الإغراء وإبراز المفاتن والتفنن بالترويج لهذا السلوك والإباحية. كلها عوامل تثير غريزة الإنسان وتخرجه عن الضوابط إلا من رحم ربي والتزم توجيهات الشريعة المقدسة. إذاً النظر ينقل صوراً إلى العقل وتنعكس على نفسية وسلوك الناظر.

حث الإسلام على غض البصر حيث يقول الرسول صلى الله عليه وآله: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله، أعطاه الله إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه»**[1]. إن النظر المحرم يؤثر على الشخصية واستقامتها لذا اعُتبر سهماً مسموماً من إبليس، لكن من الذي يدفع الإنسان أن يترك هذه النظرة؟ البعض يعترض ويقول: إن

(١) النوري، مستدرك الوسائل، ج١٤، ص:٢٦٨.

الله جميل يحب الجمال. نعم الله جميل ويحب الجمال لكن لا الجمال الذي يؤدي الى تخريب شخصيتك وعقلك وجعلك في دائرة ارتكاب الحرام. انظر إلى جمال الشجر والنهر والبحر والى خلق الله العام الذي ينعكس راحة على النفس وإلى الزوجة المحللة، لا إلى الجمال الذي يخفي في طياته إمكانية الإفساد و ارتكاب الحرام.

أما الذي يدفع للامتناع عن النظر المحرم فهو الدافع التربوي الذي له علاقة بالخوف من الله تعالى، «فمن تركها خوفاً من الله»، حذراً من العقاب، لأن ما يقوم به الإنسان يترتب عليه مسؤولية ولا يمر دون حساب.فإذا أدخلنا الرقابة الإلهية في حياتنا وركزنا على الصبر لعدم النظر الى المحرم، فهذا يمكن أن يشكل دافعاً، بل يشكل دافعاً حقيقياً للامتناع عن المحرمات،وتجنى النتيجة مباشرة في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله أيمانا يجد حلاوته في قلبه»، لأن عنده رغبة للنظر المحرم، ومع ذلك امتنع عن النظر إليه، وأطبق عينيه مبتعداً عن هذا المشهد الذي يرغبه أو الذي يشده بشكل أو بآخر، هنا يشعر أنه انتصر على شهوته قربة إلى الله، ويشعر في داخل نفسه بقوة معنوية كبيرة لأنه استطاع أن يمتنع عن النظر الى هذا المحرم، بل يعيش لذة حقيقية لأنه غلّب طريقاً يريد الاقتداء به على إغراءات شيطانية كادت تسقطه في حبائلها.هذا يحتاج إلى تدريب والى بناء إرادة، إنه يحتاج إلى مزيد من

العبادات والتفاعل معها حتى يتمكن الإنسان من تقوية صلته بالله تعالى ليواجه تحديات الحرام.

٣ ـ حرمة إثارة الشهوة

البعض يحتج ويعتبر أن النظر عبر التلفاز لامرأة تثير الشهوة أو ما شابه لا أشكال فيه لأنه على غير تماس مباشر؟

فلنسأل هؤلاء، عندما تنظرون عبر التلفاز الى امرأة تتصرف بطريقة مثيرة للشهوة، هل يا ترى ينعكس هذا الأمر في إثارة الشهوة أم لا؟ نحن نعلم أنه سواء أكانت الرؤية مباشرة أو عبر التلفاز بغير المباشرة أو عبر الصورة، فإن التأثير يحصل، ولكن تختلف مراتب التأثير بين الجمود والحيوية، أو بين المشهد المباشر والمشهد المخفف لكن التأثير يحصل، كل فقهائنا يقولون بأنه محرم. هنا لفت نظري مسألة سألها عدد من الأخوة لكثير من المراجع وهي من الأسئلة الخاصة عادة، حيث يعتقد الزوجان أنهما إذا تزوجا أصبح النظر إلى المحرمات بالنسبة إليهما وبسبب علاقتهما الزوجية أمراً عادياً وطبيعياً، فتراهما يحضران الأفلام الإباحية تحت عنوان أنه لو أثرت فيهما فلا مشكلة لأنهما زوجان، ولن يدفعهما الأمر لارتكاب محرم آخر. هذا الاستنتاج غير صحيح، إذ النظر نفسه محرم، وهذا الإنسان يرتكب محرماً بهذه النظرة المحرمة، بعد ذلك يمكن أن تؤدي إلى نتائج أخرى محرمة ومباشرة كما يمكن أن لا تؤدي إليها. فالرؤية للمشاهد التي لا يجوز رؤيتها محرمة، وآثارها على داخل الإنسان

موجودة ولو لم تنعكس خارجياً ومباشرة. ولو افترضنا وجود عدد قليل من الناس لا يتأثرون بمثل هذه المشاهد، وهو أمر مستبعد، فالتشريع يأخذ بعين الاعتبار الشريحة العامة من الناس، وكما ورد في أجوبة الاستفتاءات: «**نظراً إلى أن مشاهدة هذه الصورة الخلاعية المثيرة للشهوة لا تنفك غالباً عن النظر بشهوة، ولذلك تكون مقدمة لارتكاب الذنب فهي حرام**»[١].

٤ ـ زنى العين:

زنى العين، هل هو محصور بالنظر الى المرأة أم هو أشهر؟

استُخدمتْ لفظة الزنى في العلاقة غير المشروعة بين الرجل والمرأة، أما عندما يقال في الروايات: «زنى العين» فالمقصود فيها بشكل مباشر وأساسي النظرة المحرمة إلى الجنس الآخر والتي قد تكون من مقدمات الزنى، ولكن لا يترتّب على هذه النظرة المحرَّمة عقوبة الزنى، وإنما هي مبالغة في التحذير لمدخلية النظر في سلوك طريق الحرام.

٥ ـ الرؤية والتأمل

نرى القرآن الكريم يزخر بالآيات القرآنية التي تتحدث عن استخدام آلة البصر والبعض الآخر يتحدث عن الرؤية دون أن يكون لها علاقة بالعين، إلامَ يهدف هذا الأسلوب؟

(١) الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، ج٢، ص: ٤٠، مسألة ١٠٧.

يستخدم القرآن الكريم الأسلوب البرهاني ويقرب الفكرة إلى الأذهان بطرق مختلفة، وعندما لا يلتفت الإنسان من خلال مشاهداته الكونية ومن خلال نظره الى ما يحيط به، يلفته رب العالمين إلى خصوصياته الشخصية فيقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[١]، هذا الالفات إلى الأمور الخاصة لدى الإنسان من المسائل التي لا يستطيع إنكارها، إذ يمكن للشخص أن يدّعي عدم استيعابه وفهمه لما يوجد من أسرار في الكون لسعتها وعدم القدرة على الإلمام بها، ولكن هل هناك من لا يتفاعل مع الحواس المباشرة التي يشعر بها يومياً؟إن الدعوة إلى النظر المباشر هو تثبيت للحقائق الوجدانية التي لا تحتاج إلى دليل لإثبات وجودها. هذه كرسي أمامي،وجاء شخص وقال لي أنظر الى هذه الكرسي ونظرت فسأرى كرسياً، هذا الأمر لا يتطلب إثباتاً لأن الانطباع وجد بسبب النظر وهذا هو الوجدان. فالنظر هنا أوصلنا إلى عبرة الخلق والخالق. والآيات كثيرة في هذا الشأن. ومنها ما يتحدث عن النظر وهو يقصد التأمل والتدبر: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٢] كما قال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]. وكذا عن الرؤية ويقصد التأمل والتدبر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[٤] فنحن لا

---

(١) سورة البلد، الآيتان: ٨ و٩.
(٢) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ ـ ٢٠.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٤) سورة الفيل، الآية: ١.

نقدر أن نرى مباشرة ما جرى مع أصحاب الفيل وأن نشاهد بأعيننا، ولكن ألم تنظر بعين العقل والتدبر إلى تلك القصة التي وردت وثبتها التاريخ لتعتبر. إن لدى العقل قدرة تحليلية تعتمد على الملاحظة والاستنتاج، وهذا يحصل من خلال التقاط صور أو سماع حوادث أو اطلاع على أمور ثم يتم التحليل والوصول إلى نتيجة، فمرة يكون لدينا الاعتبار العقلي بسبب المشاهدة المباشرة ومرة أخرى يكون الاعتبار العقلي بسبب الاطلاع والتأمل بملاحظات ليس فيها مشاهدة مباشرة للمقصود.

إن الهدف من النظر هو الاعتبار والتعلم، وهذا مرتبط بأدائنا، فبدل أن نتجه لما حرم الله تعالى ويكون مبتذلاً رخيصاً، علينا توجيهه إلى حيث العبرة والموعظة والحكمة والفائدة كنتيجة لما ينطبع من صور في أذهاننا بسبب رؤيتنا لما يحيط بنا بطريقة هادفة، وإلى حيث يكون مقدمة للعلم والمعرفة من خلال ما خلق الله في حياتنا. عندها يوصلنا النظر إلى الهداية للخالق والسعادة في حياتنا.

٦ ـ البصر والبصيرة

ما الفرق بين البصر والبصيرة؟

البصر هو الرؤية والمشاهدة من خلال حاسة العين، أما البصيرة فهي الخلفية الموجودة عند الإنسان والتي يستطيع من خلالها أن يهتدي الى الطريق السليم، وعندما نقول لأحد الأشخاص بأن الله قد نوَّر بصيرته يعني أن تصرفاته تصرفات سليمة

وجيدة بسبب خلفيته، وهل يعقل أن تكون هذه التصرفات السليمة من دون شيء داخلي يؤثر وينعكس على تصرفاته؟ إذاً البصيرة هي المضمون الداخلي للإنسان الذي من الممكن أن نعبر عنه بالعقل المستقيم وبالقلب الواعي و المنفتح على الله. وعندما يقال: إن فلانا أعمى البصيرة يعني أنه لا يرى الحقائق، ليس برؤية العين إنما لا يرى الحقائق في الانطباعات التي تحصل عنده في عقله وداخله وعليه تكون بصيرته سيئة.

٧ ـ النظر إلى الأجنبية:

ما هي الحدود الشرعية للنظر الى المرأة الأجنبية؟

يجوز للرجل أن ينظر إلى جسد محارمه ما عدا العورة إذا لم يكن فيه تلذذ وريبة أي ما يكون مقدمة لإثارة الغريزة الجنسية، والمراد بالمحارم ما يحرم عليه نكاحهن[١] وهن ثلاث فئات:

أ ـ من جهة النسب كالأم والجدة والأخت وبنت الأخ وبنت الأخت والعمة والخالة...

ب ـ من جهة الرضاعة كابنته من الرضاعة بسبب إرضاع زوجته لها وفق تفاصيل مذكورة في كتب الفقه...

ج ـ من جهة المصاهرة المترتبة على الزواج، كأم الزوجة وجدة الزوجة وابنة الزوجة...

---

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج٢، ص:٢٤٣ مسألة ١٧.

أما ما عدا هذه الفئات الثلاث فالمرأة تسمى أجنبية. وتختلف الحال بالنسبة للأجنبية إذا كانت مسلمة أو غير مسلمة. أما الأجنبية المسلمة فيجوز النظر إلى وجهها وكفيها أي ما جاز لها إظهاره كتطبيق للستر الشرعي على باقي الجسد شرط أن لا يكون النظر بتلذذ وريبة وإلا حرم أيضاً. لكن لا بأس بالنظر إلى ما يتجاوز الوجه والكفين في حدود معينة كالشعر مثلاً [١] إذا كان من خلال صورة التلفزيون ولم يكن بالبث المباشر كل هذا بدون تلذذ وريبة.

أما الأجنبية غير المسلمة فيجوز النظر إليها ـ مع عدم التلذذ والريبة أي خوف الوقوع في الحرام ـ لما جرت عادتهن على عدم التستر عنها، وكذا نساء أهل البوادي والأعراب ممن اعتدن على لباس معين ولا ينتهين عنه إذا نهين [٢]، كما ذكر الإمام الخميني(قده) في تحرير الوسيلة، ومع ذلك فهو مشكلة، والاحتياط أفضل لعدم التشجيع على الاستهتار في مثل هذه الأمور. هذا كله في الأمور المعتادة والشائعة إجمالاً كالشعر واليدين ولا تشمل الكشف السافر كلباس البحر أو ما شابه من اللباس غير المحتشم بصورة واضحة. على العموم فإن الضابطة العامة التي يعتمدها الشارع المقدس تتركز على إقفال أبواب إثارة الشهوة في دائرة الحرام، وإجراء الاحتياطات اللازمة في المقدمات. وحصر

(١) الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، ج٢، ص:٣٩، مسألة ١٠٢.
(٢) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج٢، ص:٢٤٤، مسألة ٢٧.

التعاطي مع المرأة الأجنبية في إطار ضرورات الحياة من دون تحويله إلى علاقة حميمة خالية من الضوابط، كي لا تشيع الفحشاء في المجتمع. وقد وسع دائرة النظر في المحارم بغير تلذذ وريبة، نظراً للاحتكاك والتواصل الطبيعي بين الرجل ومحارمه ما يسهِّل العلاقات الاجتماعية ويطورها من دون تعقيد، مع رعاية التربية الصحيحة التي لا تستغل هذه العلاقة المنفتحة لتنفذ منها إلى ارتكاب المحرمات، وإلا فالمنع يتم من البداية مع التلذّذ والريبة الذي يؤدي إلى الوقوع في الحرام.

٨ ـ على من تقع المسؤولية

بعض الشباب عندما نقول له لا تنظر الى تلك المرأة فيقول هي التي تسبب ذلك؟

هناك جهتان تتحمَّلان المسؤولية: المرأة والرجل. مسؤولية المرأة أن تتحجب، فإن عصت ولم تتحجب فعليها ذنبها وهذه مشكلتها، ومسؤولية الرجل بعدم النظر إليها خلافاً للضوابط الشرعية التي ذكرناها. فكما تتصرف بإرادتها وتتخذ قرارها في السفور وعدم الحجاب وإبراز المفاتن والإغواء، وهذا يحملها مسؤولية الإفساد والتصرف خارج دائرة الحدود الشرعية. فكذلك هو يتصرف بإرادته عندما يختار النظر المحرم ويلاحق هذه المشاهد ويتفاعل مع سهام الشيطان ويتأثر وينفعل بما يجرى، و يتحمل المسؤولية الكاملة بمعزل عن مسؤوليتها، «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

أما المسألة الأساسية التي أود توضيحها فهي سبب تحديد الإسلام لهذه الحدود والضوابط التي تمنع الإنسان من تلك النظرات المحرمة: خلق الله تعالى المرأة وعندها قدرة الإغراء والإغواء وجسدها بمجمله يشكل عنصر إثارة للرجل، وهذا موضوع تكويني، وكل العلماء والمختصين يثبتون هذا الأمر بل كل الوقائع والشرائع تثبت ذلك، أما الرجل فهو عنصر الانجذاب الى المرأة. أراد الله تعالى من خلال خلق الرجل والمرأة بهذه المواصفات تحقيق طريقة من طرق إعمار الحياة واعمار الكون، ففي انجذاب الرجل والمرأة تتولد رغبة في العلاقة وتساعد الفطرة على هذا الأمر، ليتحول الأمر إلى زواج فينتج عن ذلك تكثير للنسل واعمار للكون. هذه الطريقة لإعمار الكون مع هذه المحبة والانجذاب ومع هذه الرغبات الموجودة، لا يمكن أن تكون متفلتة بدون قيود وضوابط، وبما أن المرأة تشكل عنصر الجذب، والرجل هو العنصر المنجذب، لا بد أن تتحجب المرأة حتى تستر مفاتنها كي لا تكون كل النساء عناصر جذب لكل الرجال بدون ضوابط. وعندما تتحجب النساء ويتوجه الرجل ليختار امرأة معينة، لتصبح هذه المرأة زوجته، هذا يعني أن الإسلام فسح له المجال للتفاعل مع الفطرة وإرواء غريزته، ولكن في اتجاه منضبط ومحدد، حيث لا يوجد حواجز بين الزوج والزوجة وعنصر الانجذاب مشروع وبالتالي كل نتائج هذا الانجذاب داخلة ضمن دائرة الحلال، وفي هذه الحالة سيتعامل مع باقي نساء المجتمع كأناس يعمرون

المجتمع وليس كأدوات تسلية أو لهو أو انجذاب. بتعبير أدق المرأة أنثى لزوجها وإنسانة في مجتمعها، ولا نريد أن نحول المرأة الى أنثى في مجتمعها بل هي انسانة لها حقوق وعليها واجبات، ويتعامل معها الرجال كأنسانة محترمة، كأي شخص آخر تساهم في البناء والتطوير، ولا تكون خاضعة للملذات المحرمة والفساد.

٩ ـ المشاهدة في الشهادة:

في قضية الزنى الحاكم الشرعي يريد أن يحاكم على أساس المشاهدة في عملية الزنى لا على أساس القول أو السمع، لماذا لا يعتمد على غير المشاهدة؟

الحاكم الشرعي ـ عادة وكما هو القانون العام في القضاء ـ يفترض أنه يتحدث مع شاهد رأى الحادثة، الذي يقول انطبع في ذهني هذا المشهد، أما في الاستماع فسينقل عن شخص آخر، هذا النقل لا يعتبر شهادة بالمعنى المباشر للمشاهدة، إضافة إلى ضرورة توفر مواصفات أخرى يجب أن يتميز بها الشاهد من العدالة وغيرها. والفرق كبير بين المشاهدة والسماع، بل قد ينقل سماعاً عشرون شخصاً عن شخص واحد، وقد يكون نقلهم متفاوتاً بحسب الاستيعاب والدقة والانتباه. على كل حال المشاهدة هي التي يعول عليها لتجسيد الحادثة أو الواقعة.

وقد قارن أمير المؤمنين علي عليه السلام بين البصر والسمع بقوله في نهج البلاغة: «**أما إنّه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع**»، ثم

جمع أصابعه، ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: «**الباطل أن تقول: سمعت، والحق أن تقول: رأيت**»[١]، فإذا رأيت فدليلك معك بكل صورته وحيثياته، أما إذا سمعت فقد يكون عن فاسق أو عن قصة مضاف إليها بعض الأمور أو منقوصة، وما أكثر ما يُنقل عن الناس سماعاً، وما أقل ما يكون صحيحاً ودقيقاً فيوقع في مشاكل كثيرة، علينا أن ندقق في المعلومات التي تنقل إلينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٢].

توجد لعبة يقوم بها الكشافة وهي للتسلية، لكنها تبرز واقع الإنسان في عملية النقل، مثلاً يجتمع عشرة أولاد بالترتيب ويقول القائد جملة للأول على أن ينقلها إلى الثاني والثاني إلى الثالث حتى تصل إلى العاشر، ثم يسأل آخر واحد عن الجملة التي وصلته فيتبين أن الجملة التي قالها الأخير تختلف عن الجملة التي قيلت للأول، ويتضح أن عملية النقل لم تكن دقيقة، إذ يمكن أن تكون ذاكرة بعضهم ضعيفة أو لا يستوعب أو يتسرع.. وهكذا ما يؤدي إلى ضياع الجملة الأساسية. أيضاً عندما وُقّع وعد بلفور جرت تظاهرة كبيرة استنكاراً لتوقيع هذا الوعد، أحد المراقبين كان يستمع ليعرف ما هو هذا الشعار الذي يردده المتظاهرون، فتبين له أن أول المسيرة تردد شعار(فليسقط وعد بلفور) وآخر المسيرة تردد شعار(فليسقط واحد من فوق) فالإنسان لا يقدر أن يعتمد على النقل بواسطة السماع بشكل دقيق، أما المشاهدة فتعطينا مقدمات الحكم الدقيق والصحيح.

---

(١) نهج البلاغة، من كلام له ١٤١، ص:٣٠٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الحلقة الرابعة

حـق الـرجلــــين

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حق رجليك، فأن لا تمشي بهما الى ما لا يحِلُّ لك، ولا تجعلهما مطيَّتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها، فإنها حاملتُك وسالكةٌ بك مسلك الدين، والسبق لك، ولا قوة إلا بالله».

* * * * *

١ ـ للإنسان ما سعى

سماحة الشيخ ماذا أراد الإمام من هذه المقولة؟

يستخدم الإنسان رجليه لينتقل من مكان الى آخر بهدف القيام بعمل ما، تارة يكون الانتقال للقيام بعمل محرم، وأخرى يكون الانتقال للقيام بعمل محلل. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما رجليك فأن لا تمشي بهما الى ما لا يحل لك» أي أختر الطريق الحلال ولا تمش برجليك الى الطريق الحرام، وهذا حق رجليك عليك. أما لماذا يعتبر الأمر حقاً على الإنسان؟ فلأن الرجلين لا يسيران الى أي مكان إلا بقرار من صاحبهما، إذ ليس لهما قدرة

على الحركة إلا بأمر من العقل، والإنسان هو الذي يتحمل هذه المسؤولية. فإذا ذهب إلى التسوق فهو في دائرة الحلال، وإذا قصد مسجداً فهو في دائرة الحلال، وإذا ذهب ليتعلم، أو يعمل لرزق عياله، أو لزيارة أرحامه، أو للجهاد في سبيل الله، أو للمرابطة، أو للتنزه والترفيه... فهو في دائرة من دوائر الحلال، فالهدف من السير هو الذي يؤخذ بعين الاعتبار.أما إذا استخدم رجليه للذهاب إلى الخمارة،أو إلى اجتماع سوء ومنكر،أو للاعتداء على شخص، أو للعمل في تجارة محرمة... فهو في دائرة من دوائر الحرام. لذا تركّز التوجيه بعدم المشي إلى ما لا يحل.

نشير هنا إلى مسألة ترتبط بأهمية السعي في حياة الإنسان. فهو عندما يسعى باتجاه الخير، يسجل في صحيفة أعماله خيرا حتى ولو لم يصل الى النتيجة المبتغاة،أي ليس تحقيق النتائج للعمل هو الذي يكافأ عليه الإنسان دائماً، بل يحاسب على العمل بمقدار السعي إليه.فإذا ذهب شخص ليقوم بعمل الخير ولم يتوفق لأي سبب من الأسباب، فإن السعي نفسه فيه أجر وثواب،وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[1]،حتى ولو لم يحصل على النتائج، على قاعدة مدلول هذه الحركة من الإنسان في القيام بتهيئة الشروط اللازمة والعمل لتحقيق الأهداف من خلالها. وقد ورد في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وآله «**الدال**

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ و٤٠.

على الخير كفاعله»[1].قد لا يملك أحدهم مالاً حتى يعطي صدقة لمحتاج ولكن سعى له مع شخص آخر، قصد هذا الشخص ليأخذ منه حتى يعطيه، **هذا السعي بحد ذاته يستحق الأجر من الله تعالى.** وكل سعي كذلك، سواء أكان بالرجلين أو بالاتصال أو بأي شكل من أشكال السعي، **وإن كان يفهم من السعي الحركة باتجاه الشيء.** **إذاً حق الرجلين على الإنسان أن لا يوجههما إلى ما لا يحل أي أن** لا يمشي بهما إلى الحرام.

٢ ـ وأما من خفَّت موازينه

يقول الإمام عليه السلام: «ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخف بأهلها فيها» هنا يشتبه المقصود على البعض، حبذا لو تفضلتم بتبيان هذا الأمر؟

المطية هي ما يركب عليه للانتقال من مكان إلى آخر كالدابة، وتطلق على غيرها مجازاً كالسيارة، وهنا أطلقت على الرجلين الذين يحملان الإنسان من مكان إلى آخر، فالرجلان مطية الإنسان «ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخف بأهلها فيها» لأن الطريق المستخف بأهلها كمواطن السوء ومواطن الانحراف لا قيمة لها ولا وزن لها، ومهما كان الجهد المبذول فهو بلا فائدة. حتى لو اعتقد الإنسان بأنه حصل على فوائد لمتاع الحياة الدنيا،فإنها زائلة بسرعة. ولا أحد ينكر أن من يعيش اللذة المحرمة يشعر بشيء من الراحة

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٢٧.

المؤقتة ونشوة اللحظة، كما يحصل لمن يشرب الخمر فإنه يشعر بالراحة لفترة معينة،لكن هذه اللذة المحرمة التي يشعر بها لا تدوم ولا تبقى، لأنه بعد ذلك تأتي المفاعيل السلبية في حسابات الدنيا فيما يتعلق بحقوق الآخرين كالعائلة والمجتمع، وما يؤدي إليه الإفساد من أضرار تقع على الآخرين، وفي الحساب الأخروي عندما يعاقب على ارتكابه للمحرم.

في المقابل توجد طريق أخرى، تعطي وزناً لمن يسير عليها ولها وزن وقيمة وفائدة، إنها طريق الفضيلة والصلاح، حيث تؤثر أثرها في الانعكاس الإيجابي الدنيوي كالصدق والاستقامة في حياة الناس، وتستمر بركات وخيرات هذه الآثار مع ما يضاف إليها من الثواب الأخروي. يقول تعالى في المقارنة بين الطريقين: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[1].

٣ ـ إلى المجد

في مقابل المستخف بأهلها ماذا نقول لأصحاب الأرجل التي تسعى الى مواطن المجد؟

مواطن المجد هي مواطن الثقل والعزة، حيث يوجد ارتباط حقيقي بين وزن القضايا التي يأمرنا بها الله وبين نتائجها على

---

(١) سورة القارعة، الآيات: ٦ ـ ١١.

الأرض. فالمجاهدون الذين يسعون بأرجلهم ليقاتلوا في سبيل الله، يعيشون اللذة العظيمة في الطاعة لله تعالى. هنا أتوقف عند نظرة خاطئة يراها البعض في أن المحرم مصحوب باللذة وأن المحلل لا لذة فيه، مع العلم أن الموضوع تربوي ونفسي. فهذا الذي يرتكب المحرم ويشعر بلذته، نقول له: لقد شعرت بلذة المحرم ولكن لفترة بسيطة، وبعدها تحمل المساوئ والأضرار والسلبيات في الأمراض النفسية والجسدية والانعكاس الاجتماعي والعقاب الأخروي، إنها نتائج اللذة المحرمة. أما اللذة المحللة فآثارها تبقى وتستمر وتنفع الإنسان، وعليها مكافأة في الآخرة. اسأل المجاهد الذي يذهب ليقاتل في سبيل الله تعالى، كيف يشعر عندما يذهب إلى تلال صافي في الجنوب اللبناني ليقاتل الإسرائيليين المحتلين؟ يقول لك: أشعر براحة نفسية واستقرار وقرب من الله وسعادة وطمأنينة وأشعر بلذة لا يعادلها شيء، وهي تبقى مصاحبة له وتتطور وتتفاعل في حياته.ويضاف إلى هذه النتيجة الشخصية انعكاس وآثار هذه الروحية على المجتمع. إن مسلك الطاعة لله يعبر عنه قول الإمام زين العابدين عليه السلام في الوصف الدقيق عن حق الرجلين: «فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك» لأن سلوك مسلك الدين يحمل لك العظمة والنتائج الكبرى وهذا هو المطلوب.

٤ ـ شهادة الجوارح

يقول الله تعالى﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1]، سماحة الشيخ،لماذا يختم على الأفواه،وكيف تتكلم الأيدي وتشهد الأرجل؟

السؤال المركزي لماذا يختم على أفواههم؟ المعروف في الحياة أن الإنسان عندما يريد أن يدافع عن نفسه يتكلم، فعندما تسأل: يا فلان أأنت ارتكبت هذه المعصية أو قمت بهذا العمل؟ يقول: نعم أو لا، ويعطي المبررات ويناقش في الأمور، فاللسان هو طريق التعبير والدفاع والدليل. لكن طريقة التعبير في يوم القيامة مختلفة. فإذا راهن أحد أن يستخدم لباقته ولسانه وقدرته على التنميق في الكلام حتى يكذب أو يتكلم بأقل من المطلوب أو يخفي بعض الحقائق فهو مشتبه، لأن الله يقول «اليوم نختم على أفواههم»، فهو لا يريد من فمك الكلام، لأن جوارحك ستنطق وستعبر وتبرز حقيقة العمل وتشهد بشكل مباشر قال «وتكلمنا أيديهم».كيف تتكلم الأيدي؟ بعض الناس يتصور أن اليد تنطق، ولكن هي تشهد، ونحن في الواقع لا نستطيع أن نبين الصيغة الدقيقة، لكن نفهم من الأجواء العامة للآيات أن اليد تتحرك بحركة صورها التي كانت تجري مباشرة في الحياة الدنيا، وعليه فكلام اليد هو حركة فعلية للمشهد. إن المحقق في الدنيا في جريمة ما

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٥.

يطلب من الجاني أن يمثل الجريمة بتحريك يده وحمل المسدس وما شابه، لكن طريقة التعبير في الآخرة طريقة مقنعة وواضحة ومكشوفة ومصورة، إذ أن الحادثة نفسها التي جرت بجزئياتها هي التي تكون ماثلة حيث لا يخفى منها شيء. والفكرة سهلة الفهم مع التقنيات الحديثة التي تحفظ الوقائع والحركات من خلال أفلام الفيديو، فكيف برب الكون وخالق كل ما فيه، فإن الصورة جاهزة لديه بكل أبعادها وكأنها للحظتها، ففي الآية الكريمة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ...﴾(١). وتشهد أرجلهم بالكيفية نفسها التي تحدثنا فيها عن شهادة اليدين، حيث يتبين السعي ويبرز المشهد واضحا. اعلم أيها الإنسان أنك لن تستطيع استخدام قدراتك في التعبير لإخفاء الحقيقة في يوم القيامة، لأن جوارحك ستشهد، وستكون الصور ماثلة أمامك بحيث لا يخفى أي شيء.

٥ ـ واقصد في مشيك

سماحة الشيخ الآية الكريمة التي تقول: «وأقصد في مشيك،....» أريد من سماحتكم شرح هذا المقطع من الآية الكريمة؟

هذه الآية وردت في سورة لقمان، وكان لقمان مشهوراً بحكمته ومواعظه لابنه والتي تعتبر مدرسة حقيقية في التربية، في هذه السورة المباركة يقول لقمان عليه السلام لابنه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[1]. هناك نوع من الارتباط بين «لا تمش في الأرض مرحا» وبين «وأقصد في مشيك»، لأن بعض الناس قد وهبه الله نعمة الجمال أو مستوى معيناً من الذكاء أو المكانة الاجتماعية أو القوة... فتراه يمشي ويختال في مشيته، وكأنه يمشي على أطراف أصابعه من الزهو والكبرياء، وبالتالي لا تعود حركته متوازنة وتصبح بعيدة عن القصد السليم. لذا ينهاه الله تعالى عن المشي بطريقة استعلائية وغير مبالية،لأنها تعبر عن خلل في نظرته إلى نعم الله تعالى، وتؤدي إلى خلل في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين،هذه النعم من خلق الله تعالى وعطاءاته، وليست من إنتاج الإنسان ليدّعي الفضل فيها، وهي تستوجب منه الشكر والعمل والتواضع. وفي مقابل هذا النهي يأمره بالأداء البديل، وهو القصد في المشي نحو الأهداف السليمة، والقصد بطريقة متوازنة وعادية وطبيعية، فمقام الإنسان لا يتغير بطريقة مشيته بل بإيمانه وعمله. كل ما في الأمر أن المشية المختالة تعكس نفسية مريضة ومختلة،والمشية القاصدة تعكس نفسية سليمة ومستقرة.

---

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٨ و١٩.

الحلقة الخامسة

حــق اليـــــدين

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حق يدك، فأن لا تبسطها إلى ما لا يَحِلُّ لك، فتنال بما تبسطها إليه، من الله العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها مما افترض الله عليها، ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يَحِلُّ لها، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل، وجب لها حُسْنُ الثواب في الآجل».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

١ ـ آثار الأعمال عاجلة وآجلة

لو تفضلتم سماحة الشيخ وفسرتم لنا هذا الحديث؟

أول الحديث عن حق اليد تقييدها بقوله: أن لا تبسطها الى ما لا يحل لك، وذلك بحسب الأوامر الإلهية حول دائرة الحلال، كي يتصرف الإنسان تصرفات صحيحة تجعل حياته حياة مستقرة. أما إذا اعتمدنا على آراء الناس بمعزل عن الدين، فالمحللات والمحرمات في عقليتهم ونظرتهم إلى الأمور تختلف اختلافاً شاسعاً بين الواحد

والآخر. شخص يقول: هذا مناسب، والثاني يقول: غير مناسب،وثالث يقول: مناسب قليلاً، ورابع يقول: مناسب كثيراً. والدليل على هذا الاختلاف العالمي،ما نجده في أمريكا وأوربا وبلدان العالم المختلفة، بمعزل عن الذين يلتزمون الشريعة الإسلامية، فإن التصرفات الشخصية والسلوك الشخصي يختلفان من بلد الى آخر،ومن مجموعة إلى أخرى بل أحياناً من فرد إلى آخر، وكل واحد ينظر لحقه في السلوك على طريقته. ففي الوقت الذي نقول فيه بحرمة أن يأخذ الإنسان الربا أو يبيع الأشرطة الخلاعية التي تفسد الأجيال، ترى أناساً يقولون بحق الفرد في أن يفعل ما يشاء ويستمتع كما يشاء وإلا أعتبر حرمانه ظلماً.

لاحظ الفرق والتباين الكبير في النظرة إلى الأمور، وعليك أن تختار وتتبنى موقفاً لتنطلق منه في تحديد خياراتك العملية واليومية. من هنا كان التوجيه الإسلامي لتبنّي خيار الموقف والاتجاه الشرعي، فالموقف الشرعي هو موقف الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية،والله أدرى بسعادة الإنسان وحقوقه، وما يصلح قد أحلَّه الله تعالى، فهو مصلحتك في الدنيا والآخرة، ولا يوجهك ليسلبك إرادتك بل ليعينك على اختيارك لفائدتك.

عندما يتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن حق يدك عليك،إنما يتحدث عن أنك إذا استخدمتها بهذه الطريقة سترتاح وتطمئن لانسجامك مع سياق الفطرة الطبيعي، أما إذا مددتها إلى ما

لا يحل لك «فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل». فحلال الله وحرامه في اليد ليس محصوراً بالثواب الأخروي والعقاب الأخروي فقط، بل سيلومك الناس بارتكابك للحرام في الدنيا أيضاً؟ لنعط مثالاً واقعياً: لو أن أحد الأشخاص مد يده وسرق، فمن ناحية، السرقة محرمة وعليها عقاب أخروي، ومن ناحية أخرى، تنعكس السرقة سلبيات في الدنيا، حيث يرفضها الناس، ويعاقب عليها القانون، وتترك آثاراً على المسروق، وتؤذي العلاقات الاجتماعية، وإذا سألت الناس: هل نعاقب السارق أم لا؟ يقولون لك: يجب أن يعاقب حتى لا يسرق الآخرون، وإلا تجرأ غيره على ذلك، وانعدم الأمان بين الناس، وهذا ما قاله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. إذاً القصاص يحمي المجتمع كله، لأنك إذا عاقبت البعض ارتاح المجتمع بأسره، أما إذا لم يحاسب السارق أو القاتل في المجتمع فسيعيش كل الناس حالة قلق وخوف. وهنا ماذا سيقول الناس للسارق والقاتل والمخطئ والمجرم؟ سيلومونه على أعماله السيئة، وسيحملونه المسؤولية، وسيكونون إلى جانب محاسبته.

إن حق يدك ليس للآخرة إنما للدنيا أيضاً، لأن ما حرمه الله تعالى على الإنسان إنما حرّمه لمصلحته في الدنيا والآخرة، وبالرغم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

من كل الاختلافات التي قد تنشأ من تقييم الأمور، فإن آثار ما حرّم الله تظهر عاجلاً أم آجلاً في حياة الأفراد والمجتمعات. فلو انطبع المجتمع بالانكباب على الحرام، كما هي الإباحية في الغرب، فإن النتائج على الأولاد والواقع الاجتماعي والتي بدأت تظهر وتسبب المرارات والأخطار والمتابعات المضنية يدفع كل الناس ثمنها، إضافة إلى العقوبة والمسؤولية الأخروية لمن سبب وساهم وأثّر واستمر.

٢ ـ توجيه اليد

سماحة الشيخ لنكمل كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام «و لا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها»؟

عندما يلتزم الفرد بالأوامر والنواهي الإلهية، فإن عليه أن يلتزم بها جميعاً، وتكون يده طريقاً لأداء وظيفتها فيما افترض الله عليها من دون توان أو تقصير، «ولا تقبضها مما افترض الله عليها» فلا يمنع يده أو يقبضها في تنفيذ الفرائض والواجبات، بل يطلقها في هذا المجال. أما فيما حرّمه الله تعالى فلا بدّ أن يقبضها ويمنعها، فهذا توقير لها ينعكس احتراماً للإنسان الملتزم والمنسجم مع نفسه بسبب أداء يده، لكنَّ الهفوات والأخطاء واردة، وكذلك الوقوع في حبائل الشيطان في بعض المواطن، إذاً على الأقل أن تتم المحافظة على خط الاستقامة بشكل عام بقبض اليد عن كثير من المحرمات،

فهذا أمر مقدور، ويبقى القليل الذي يتطلب متابعة، فالامتناع عن الكثير مع وجود المنهجية الصحيحة والقرار بالمتابعة يساعد على التخلص التدريجي من القليل الباقي. ويأتي العامل الثاني المساعد، وهو بسط اليد بتشجيعها على العمل الكثير الإيجابي والمستحب، مما لا يكون واجباً عليها، كالمساهمة في الزراعة مع أهل القرية ونقل الصدقات إلى الفقراء وإعانة الضعيف... وهذا ما يساعد بتقديم العون للآخرين، وينمي قدرة اليد على أداء الحق.

إن الخطوات المذكورة في موضع السؤال عن كلام الإمام عليه السلام عن اليد تندرج في ثلاثة عناوين:

١ ـ عدم إمساك اليد عن واجباتها وما فرضه الله عليها، للقيام بكل ما عليها.

٢ ـ توقيرها بمنعها عن الكثير من المحرمات، وهذا ما يسبب قدرة ردع والتزام.

٣ ـ بسطها وإعطاؤها كامل الفرصة لتعطي خارج دائرة الواجب كنمط فيه إحسان واستحباب وخدمة، ما يعزز تثبيت منهجية الإسلام في انعكاساته الإيجابية والخيّرة على حياة المجتمع.

إن تحقق هذه العناوين يعطي مقاماً وقدراً كبيراً لليد ولصاحبها، «فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل»، أي كانت تصرفات اليد عاقلة لأنها موجهة من خلال عقل الإنسان واختياره

السليم، وهي في موقع التشريف في الدنيا، لأن هذا النوع من الأداء يُعبِّر عن الأداء الحسن، ويترك بصماته الإيجابية على حياة الفرد وجميع الناس. عندها فقد «وجب لها حسن الثواب في الآجل»، لأن حسن العمل في الدنيا له حسن المكافأة في يوم القيامة.

٣ ـ بناء شامل

هل ترى أنه لا يوجد في أي تشريع سماوي أو وضعي بعد قراءة الرسالات السماوية والفلسفات الوضعية تحديد مسلكي للأيدي والأرجل إلا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟

لا يوجد رسالة سماوية أو مبدأ وضعي في العالم فيه من الشمولية التفصيلية الدقيقة لكل ما يمكن أن يتعرض له الإنسان ويحتاجه في حياته كما هو في الإسلام. فالأنظمة الوضعية تتحدث عن الإنسان في مجتمعه وترسم له علاقاته مع هذا المجتمع، ولكن لا تتدخل في علاقة الإنسان مع نفسه وعلاقته مع ربه، وإذا طرحت بعض التوجيهات من علماء التربية أو المثقفين، فهم يعطونها على قاعدة الآثار المباشرة على المجتمع، ولا تنطلق من روحية شمولية متكاملة في التوجيه للأفراد من أجل بناء داخلهم وأنفسهم بتفصيل دقيق ومتناسب، فهذا غير موجود إلا في الإسلام.

أما الرسالات السماوية الأخرى فقد ركَّزت على التوجيه الروحي والعلاقة مع الله تعالى وهذا يساهم في بناء النفس، لكنها

لم تضع برنامجاً عملياً فيما يتصرفه الإنسان في حياته اليومية وفي علاقاته مع مجتمعه. وما ورد في بعض المجالات فهو مجتزأ أو مجرد إرشادات إجمالية نتيجة اختيارات بشرية محدودة، بينما تعتبر تشريعات الإسلام إلهية وهي نصوص نطبقها كأوامر إلهية، وقد قدمت لنا شاملة لكل مساحة الحياة الإنسانية.

إن التربية الإسلامية هي التي تعطي النتائج العظيمة والمؤثرة، فالإسلام ينطلق من بناء الإنسان وتحصينه من داخله قبل أن يلجأ إلى العقوبات الرادعة التي تأتي من خارجه بواسطة القانون والسلطة المنفذة له، إنه يعتمد على البناء والتحصين ولا يعتمد على الردع والعقوبات.

بمعنى آخر يريد الإسلام أن يوجد في كل نفس نبياً داخلياً أو وازعاً يحركه ويمنعه، ويجعله يقبل على طاعة الله، قبل أن تأتي الدوافع والمؤثرات والموانع، وهذه عظمة لم تتوفر بكل صراحة بهذا التكامل والتناسق إلا في الإسلام.

٤ ـ بوركت هذه اليد

سماحة الشيخ كيف تنظر إلى اليد التي تدافع عن الأرض و العرض والشرف والكرامة؟

الحمد لله أننا لا نحتاج كثيراً لنبين هذه الأمور، فهي شاهدة أمام الناس بشكل واضح، ولو لم يكن عندنا مقاومة إسلامية لكنا

مضطرين أن نسوق قصة من التاريخ أو نجلب تصوراً تقريبياً لما نريده وما نرغبه، أما عندما نرى على شاشات التلفاز ذاك الشاب المجاهد الذي يضع العلم على هضبة جنوبية من لبنان هي تلة الدبشة وأمام مرأى العالم، بكل جرأة وشجاعة، وإذا سألته يقول: أنفذ تكليفي الشرعي في الطاعة لله في تحرير الأرض من الصهاينة،وفي رفع المظلومية عن الإنسان في وطني وأمتي،فهذا الأمر يبين أهمية أن يستخدم الإنسان حواسه في المحل الصحيح. هذه اليد تجعل الإنسان عظيماً، كما تجعله بلا قيمة عندما لا يستخدمها في المجال الصحيح،وهذه الأرجل تجعل الإنسان معزاً لأمته كما يمكن أن تجعله في مجاهل التاريخ لا قيمة له ولا فعالية. ومهما صنعنا فإن الإنسان يرتقي إلى أعلى درجات المجد ولا يمكن أن يلحق به أحد إذا أحسن في طاعة الله تعالى.

الحلقة السادسة

حـق البطـــــــن

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق بطنك، فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير، وأن تقتصد له في الحلال، ولا تخرجه من حد التَّقوية إلى حد التَّهوين وذهاب المروّة، وضبطه إذا همّ بالجوع والظمأ، فإنَّ الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلةٌ ومثبطةٌ ومقطعةٌ عن كل برٍ وكرم، وأنَّ الرَّي المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفةٌ ومجهلةٌ ومذهبة للمروّة».

* * * * *

١ ـ لا تجعل البطن وعاء للحرام

سماحة الشيخ نرى أن الإمام عليه السلام قد وصف البطن بالوعاء فقال عليه السلام: «وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير»، لماذا قال عليه السلام القليل والكثير مع العلم أن الحرام حرام في الشريعة الإسلامية؟ وثانياً ما هي التأثيرات التي يتركها هذا الحرام من خلال هذا الوعاء؟

يصل الطعام والشراب إلى بطن الإنسان، ومن هناك ينتقل

الغذاء إلى سائر أنحاء البدن عبر الأوردة الدموية وتخرج الفضلات عبر الأمعاء لتلفظ بعدها خارج الجسم،فالبطن وعاء. وعندما ينهى الإمام عليه السلام عن قليل الحرام وكثيره إنما يؤكد على أن الحرام حرام قل أو كثر.

بعض الأشخاص يقولون: لم نرتكب محرماً مهماً! أكلنا الميتة كمحرم أو أكلنا غير المذبوح شرعاً كمحرم مرة واحدة أو مرتين أو عشر مرات وبكمية قليلة وليست كثيرة. لكن من حيث المبدأ القليل يمهد للكثير، وكم من إنسان وصل الى المحرمات والموبقات الكبرى بعد أن مهد في حياته لمحرمات صغيرة وبسيطة، ولو راجع أي إنسان تاريخه يرى أن الطاعة تنمو وأن المعصية تنمو، بحيث تكون بداية الإنسان في الطاعة بداية بسيطة وكذلك في المعصية، أضف إلى ذلك وجود نوع من الاستهتار الاجتماعي في التعاطي مع المحرمات، بحيث يقول لك الناس ـ وهذه نلاحظها في مجتمعات وعائلات كثيرة ـ إنك تضيق على نفسك باسم الحرام، فالمسألة ليست بهذه الأهمية بل هي بسيطة، ولكن في الواقع هذه منهجية، المسألة مسألة مبدأ، فمن تجرأ على معصية صغيرة، على طعام محرم بسيط، يتجرأ على طعام محرم أكبر، ومن يستلذ بالطعام المحرم القليل سيصل إلى الكثير. لذا نحن بحاجة على المستوى التربوي أن نواجه الحرام قليله وكثيره ونمتنع عنه. قال الإمام عليه السلام: «فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير» فهو يدفع الشبهة الموجودة عند البعض بأن قيمة الحرام إذا كان كبيراً أما إذا كان

قليلاً فلا مشكلة فيه، وذلك بتأكيده أن القليل والكثير مشكلة، ويجب أن نمتنع بمنهجية في الامتناع لها علاقة بإيماننا وتطبيقنا لأوامر الله تعالى.

إن البطن مركز من مراكز التأثير على نفسية وسلوك الإنسان وأريد أن ألفت النظر الى مسألة هامة قلّما يلتفت إليها الناس، فالناس تأكل وتعتبر أن الطعام هو مجرد غذاء ينتقل إلى مختلف أنحاء الجسد وينتهي الأمر. لكن ثبت على المستوى العلمي أن مفاعيل الطعام ليست منحصرة بالمسألة المادية، إنما هناك انعكاسات نفسية تؤثر على السلوك والشخصية، فمن يكثر من أكل لحم الغنم تصبح عنده في شخصيته نوع من الوداعة المنسجمة مع طبيعة الغنم، والذي يكثر من أكل لحم البقر مثلاً يصبح عنده نوع من الشدة، والذي يأكل لحم الجمل يصبح عنده شيء من النخوة والحرص على المعنويات وفيها شيء من البذل والعطاء، والذي يأكل لحم الخنزير يتأثر بالمواصفات السلبية في شخصية الخنزير في تعاطيه مع محيطه من عدم اهتمامه باختصاصه بزوجته، والذي يشرب الخمر يتأثر عقله وتتأثر نفسيته بالأجواء المحرمة التي تصاحب شربه. قد يقول أحدهم: لكني آكل لحم الغنم وأنا عصبي جداً، لكن حديثنا عن أنه جزء من التأثير وليس التأثير الكامل، إذ توجد مؤثرات كثيرة في حياة الإنسان، والمؤثرات التربوية هي الأهم وهي التي تلعب دوراً هاما في بناء الشخصية. أما المؤثرات الجسدية فهي تنعكس على النفس وتهيئ جو الإنسان لتقبل أمور لا

يمكن أن يتقبلها في حالات أخرى، فإذا أكثر الإنسان من طعام الحرام(الميتة، غير المذبوح شرعاً، الأطعمة التي حرمها الله تعالى، وكذلك الأشربة)حصل انعكاس سلبي، وإذا اهتم بالطعام الحلال ساعده ذلك للاستفادة الإيجابية. وفي كل الأحوال فإن امتناعنا عن الحرام لأنه حرمه الله تعالى وهو أدرى بما ينفعنا وما يضرنا يوصلنا إلى راحة الجسد والنفس.

إن تربية الإسلام تؤكد على اتخاذ إجراءات عملية للتخلص من آثار امتلاء البطن بالحرام. فإذا استغفر الإنسان ربه لا يكفي إطلاق كلمة الاستغفار كعبارة من اللسان، بل أن يسعى إلى البدن بحيث يذيب عنه ما علق به من حرام بسبب طعام الحرام، وأن يذوق مرارة الطاعة حتى يشعر بلذتها فيما بعد فيزيل ما علق أثناء ارتكابه للحرام، وإلى هذا التوجيه يشير أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض معاني الاستغفار: «**والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي ينبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفر الله**»[1].

٢ ـ العادة المحرمة

لماذا يجنح البعض لأكل الحرام خصوصاً الأخوة الموجودين في المهجر؟

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٧، ص: ٨٣٩.

لماذا يُقبل الإنسان على الحرام أيّ حرام؟ السبب الأساسي أن هذه المحرمات فيها أشياء تشكل عنصر جذب ولذة للإنسان، أو تكون متوفرة بسهولة دون عناء البحث فيعتاد عليها. علماً أن الآكل للحم قد لا يميز في الطعم المذبوح شرعاً عن غير المذبوح شرعاً إلا بدقة متناهية، لكن الأمر يبدأ بالاستخفاف بالضوابط الشرعية، واستسهال الحصول على غير الشرعي. أما المأكولات الأخرى المحرمة والتي لا علاقة لها بطريقة الذبح الشرعي كالخنزير والأرنب.... فهي خاضعة أيضاً لتحقق اللّذة بأكلها، أو الاعتياد على نمط معين من الطعام، من دون أن يهتمّ بالضوابط الشرعية. إن الإقبال على الحرام هو جزء من الشعور في تحقيق لذة ورغبة وبعد فترة من الزمن يتحول إلى عادة، بحيث يتطلب قرار التخلص من هذه العادة جهداً خاصاً، لأنه عوّد نفسه على الحرام الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من وضعه. لكن الموضوع تربوي وإرادي، فإذا أخذ قراراً بالامتناع عن الحرام يستطيع أن يمتنع عنه، خاصة أن المحللات متوفرة بكثرة وتعوض ما يحتاجه الإنسان، ومن قصد ترتيب ما يرغب بالحلال، لم تعوزه الهمة والحيلة للوصول إلى مبتغاه، وهذا سهل في عالمنا اليوم.

إحدى المرات ناقشني شخص أجنبي حول المحرمات والمحللات فقال لي: أنت لا تأكل إلا المذبوح على الطريقة الشرعية؟ قلت له: نعم. فقال: يعني أنت لا تشرب الخمر؟ قلت له: نعم. فقال لي: ولا تسمع الأغاني؟فقلت له: نعم. فقال: هذا

غير معقول، كيف تستطيع أن تعيش!قالها لأنه معتاد على نمط معين ويستغرب النمط المعاكس. نحن من يستغرب كيف يعيش حياته؟! لأن في حياته محرمات، والمحرمات مؤذية ومضرة وأدلتها واضحة، بينما الذي يأكل المحللات يتخلص ابتداء من الأذية على المستوى الجسدي والنفسي، وإذا أضاف إليها الضوابط الأخرى من الحمية وعدم الإسراف فإن حماية الجسد وراحته تكونان أفضل.

٣ ـ المحللات أكثر

لا يحدد الإنسان ضوابط تجاه المآكل والمشارب بسبب كثرة المحرمات، ما رأيكم؟

هذه في الأجمال ترتبط بالمنهجية، إما أن يتربى الإنسان على طاعة الله تعالى ويقوي أرادته في هذا الاتجاه فيمتنع عن محرمات الطعام و الشراب، وإما أن لا يلتزم بالطاعة لله تعالى وبالمنهجية الإسلامية فينتقل من محرم إلى آخر. إن مناقشة الأفراد في الجزئيات التفصيلية قبل بحث المنهج العام في شخصياتهم خطأ، لأن الإنسان سيضيع في الأمور الجزئية، مع انحصار الفائدة فيها بأن نكشف أسرارها وأضرارها. إنّ اعتقاد البعض بأن الالتزام بالإسلام يجعل الإنسان أمام محرمات كثيرة على مستوى الطعام والشراب لا تنتهي هو اعتقاد خاطئ، والواقع يثبت بأن المحللات هي الأكثر في مقابل المحرمات. ولو ركزنا في مجتمعنا على المحللات لأصبحت

منتشرة ولا يتعبنا البحث عنها. مثلاً في بعض المناطق ومنها منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت حيث يطغى الجو العام المتدين والأجواء الشرعية، نرى بعض المحلات تعلن بأن الفروج شرعي أو اللحم شرعي الخ. فمع هذا الجو الإيماني تصبح الدورة الاقتصادية متأثرة به، وكل السلوكيات الشرعية حاكمة ومؤثرة بسبب المعاملات والتبادلات بين الناس، عندها بدل أن يبيع فلان الفروج غير الشرعي يبيع الفروج الشرعي، وفي الوقت نفسه تستمر حركة الناس وحياة الناس، فالطبخ يبقى قائماً، والمأكولات المتنوعة تبقى موجودة، والفروقات هي فروقات نفسية وتربوية، أما الآثار العملية لمتطلبات الإنسان فتبقى طبيعية ما دام الاتجاه العام كذلك.

٤ ـ الشروط الشرعية أساس

ما الفرق بين ذبيحتين واحدة سمي عليها وأخرى لم يسم عليها؟

عندنا طريقة للذبح الشرعي من شروطها التسمية (بسم الله) وتوجيه الذبيحة باتجاه القبلة وقطع الأوداج الأربعة: الحلقوم والمريء والودجين وأن يكون الذابح مسلماً، فإذا لم تستكمل شروط الذباحة فهي غير شرعية ولا يجوز أكلها. والسؤال المطروح هل التسمية ستغير من شخصية الذبيحة وواقعها؟ بالواقع لا. إنما تعطي انعكاساً عن شخصية الذي يأكل أنه لا يأكل إلا الذي سمي عليه وفق الضوابط الشرعية، بمعني أنه دخل إلى حركة الانضباط الشرعي، وأنه يأكل ما أحلَّه الله تعالى، فحركته هذه فيها طاعة لله

تعالى،هذا هو المبدأ والأساس، ويضاف إليه وجود أسرار في الشروط الموضوعة لم نطلع على كل تفاصيلها إنما نكتفي بالالتزام بها لأمر الخالق لنا بما فيه مصلحتنا.

لقد ذكروا علمياً أن هذه الطريقة في الذبح الشرعي تخرج كل الدم تقريباً من جسد الحيوان المذبوح، ولا يحصل هناك تخثر أو سموم يمكن أن تنشأ من طريقة ذبح غير سليمة، خاصة أن الأوامر بين الدماغ وباقي الجسد تبقى لفترة بسيطة من الزمن من خلال هذه الطريقة في الذبح، ما يجعل الأوامر مستمرة فيخرج الدم بالكامل من الأوعية الدموية، بينما القطع الكلي يؤدي إلى توقف الأوامر التي يعطيها الدماغ لسير الدم في داخل الأوعية ما يبقي قسماً من الدم موجوداً في الداخل. هذا تحليل علمي للموضوع، ولكننا لم نرتبط بطريقة الذباحة للتحليل العلمي، بل نقول بأن التحليل العلمي مؤيد وكاشف لشيء من الأسرار العظيمة، ونلتزم بما شرعه الله سواء تعدل هذا الكشف أم بقي على حاله. من هنا نقول: إن التسمية مع أنها غير مغيرة ظاهراً لطبيعة الذبيحة،لكننا لا نقدم على عمل ليس مكتمل الشروط كما يريده الله تعالى، لأن ما يريده الله وما يأمرنا به هو لمصلحتنا في الواقع.

٥ ـ تعليل المحرمات ليس واجباً

بعض المحرمات ذكرت تعليلاتها والبعض الآخر لم يذكر وفق الشريعة السمحاء،كيف نبرر ما لا نعلم تعليله؟

توجد محرمات في الشريعة ذُكرت تعليلات تحريمها، ونحن نتقيد بما ذُكر مثل الخمر والقمار، فعندما ذكر لنا القرآن الكريم سبب تحريمهما بيّن بأن مفاسدهما ومضارهما أكثر من منافعهما، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ...﴾[1]، وأن الخمر وغيره رجس، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، إن الخمر يسيء إلى العلاقات الاجتماعية ويصرف عن العبادة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[3].

لكن توجد محرمات أخرى لا تعليل لها من خلال القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة، ونحن نلتزم بالامتناع عن هذه المحرمات عُلّلت أم لم تُعلَّل، فإذا لم تُعلِّلها الشريعة، فإنَّ أي احتمال نضعه كتعليل لا يُحتسب في دائرة اليقين، وقد يبرز مع الزمن أنه غير صحيح،أو لا يكون السبب الكامل للتحريم..، أذكر مرة أن أحد الأطباء كان يريد أن يثبت لأخ مسلم متدين خطأ حرمة أكل لحم الخنزير، لأنه اطلع على بعض التعليلات التي ثبت علمياً عدم صحتها، فقال له: ماذا تقول في لحم الخنزير؟ إن كنت تقول: إن فيه الدودة الوحيدة أو الديدان التي لا تقتلها إلا درجة حرارية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩١.

عالية، ولا ينفع الطبخ العادي فيسبب أمراضاً ومشاكل، أقول لك: أننا توصلنا إلى حلول نستخدم معها درجة حرارية مرتفعة جداً وتحل لنا المشكلة. فأجابه الأخ: ومن قال لك أنني أمتنع عن الطعام لهذه الأمور التي ذكرتها، فلو اكتشفت لاحقاً أنه يوجد سبب مضر بالإنسان ومن أجله يمكن أن يكون التحريم، ثم تبين أن هذا المضر له علاج تفادياً للضرر، أقول لك: ما حرمه الله تعالى لن آكله لأنه أمرني بذلك ولم يبين لي سبب التحريم، **وما ذُكر من احتمالات التحريم لا يُعبِّر عن الاحتمالات الحقيقية التي نجهلها.**

ولكن لماذا لم يبين الله تعالى لنا هذه الاحتمالات؟ أعتبر أن هناك سببين أساسيين لعدم تبيان الأسباب:

السبب الأول: سبب تربوي، ليعوّد الإنسان على عدم ربط الامتناع عن المحرم بسوق الأدلة التفصيلية والإقناع، إذ أن الإقناع مطلوب في العقيدة، أما التفاصيل التشريعية الإجرائية الروتينية والعادية في حياة الإنسان فهي لا تستلزم أن يبين الله تعالى لنا تفاصيلها.

السبب الثاني: سبب عملي، فهناك بعض الأسرار التي لا يستوعبها الإنسان في حياته البشرية أو في فترة منها، والبعض قد لا يفهم معناها فيبدأ التفسيرات والتحليلات التي تشوشه. وهل كلما ذهب المريض إلى الطبيب، فيسأل عن التفاصيل المرتبطة بالدواء ومكوناته، يمكنه الوصول إلى تحقيق رغبته بالإجابات الشافية؟

وهل بإمكان الإنسان أن يستوعب في لحظات ما غاب عنه من أمهات المطالب التي تحتاج إلى مقدمات وسنوات طويلة من الدراسة؟! هذا ما ينطبق على بعض ما فهمه المتخصِّصون بالنسبة لعامّة الناس، علماً أن بعض أسرار المحرمات قد يكون عصياً على الإنسان إلى فترة متقدمة جداً من تاريخ البشرية بل إلى فناء البشرية.

إن الله هو الخبير الذي يعرف مصلحة الإنسان بالكامل، ويعرف ما يضره وما ينفعه، وليس مطلوباً أن يعلل الله لنا كل شيء، وإلا أصبحنا وكأننا نسأله عن كل شيء فإذا اقتنعنا نعمل وإذا لم نقتنع لا نعمل، وهذا لا يساعد على الالتزام. المطلوب أن نؤمن ونقتنع بالالتزام العام، بعد ذلك لا قيمة للتفاصيل والجزئيات، فننفذ الأوامر وهذا ما يؤدي إلى السعادة الحقيقية.

٦ ـ الطعام للتقوية

«وأن تقتصر له في الحلال،ولا تخرجه من حد التقوية الى حد التهوين وذهاب المروة»، ماذا قصد الإمام بحد التقوية؟

لماذا نأكل؟نحن لا نعيش لنأكل بل نأكل لنعيش لأننا نموت بدون طعام. ولكن السؤال نأكل لنعيش كيف؟ وبأي طريقة؟ وما هو الهدف؟ هل الهدف هو أن نأكل لمجرد البقاء على قيد الحياة أو من أجل تحقيق أهداف ومن أجل الوصول الى طموحات ومن أجل اعمار الكون كما أراد الله تعالى؟ في موضوع الطعام يتدخل الإسلام بطريقة تجعلنا نربي أنفسنا وأجسادنا حتى نستقبل الطعام

في الحياة كجزء لا يتجزأ من أهداف الكون الكبرى، فالطعام ليس مجرد حاجة وروتين، إنما له ضوابطه وأبعاده. بعض الأشخاص إذا جلس إلى الطعام لا يقوم حتى يمتلئ ثم يطلب المهضمات لأنه أتخم، وعندما يصل الإنسان إلى هذا المستوى فإن الكثير من الأعمال تتعطل، لأنه قد التهى ببطنه ومشاكلها ولا فعالية له للتحرك. فالمطلوب هو الاقتصاد وفي الحلال، وعدم الإخراج عن حد التقوية للبدن حتى يقوم بما عليه، لا أن نثقله ليسقط عن أداء مهماته. ومن المستحب أن يقال قبل البدء بالطعام: «**اللهم أني نويت الأكل للتقوية على طاعتك**» يعني أنا أريد أن آكل ليصبح عندي بنية قوية لأقوم بالمهمات المطلوبة، فالهدف من الطعام أن أصبح قوياً لألتزم بالأوامر التي أمرتني بها، وليس الأكل بلا حساب وبلا ضوابط ولا هدف، وإلا يصيبنا ما قاله الرسول محمد صلى الله عليه وآله: «**إياكم والبطنة فإنها مفسدة للبدن ومورثة للسقم ومكسلة للعبادة**»[1]. فالمطلوب أن يكون الطعام لتقوية البدن لا لتحطيمه إلى حد تهوين قدرته وذهاب مروته وفعاليته.

٧ ـ ضرر الإسراف

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[2] هذه آية كريمة، والإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «**وضبطه إذا هم بالجوع والظمأ فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل بر وكرم**»؟

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٣، ص:٣٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

الإسراف هو تعبير عن الفعل الذي يتجاوز الحاجة، مثلا فلان يأكل مسرفاً يعني قد يكتفي بالطعام بمقدار صحن واحد لكنه يأكل بمقدار صحنين، هذه الزيادة ليس لها فائدة وهي إسراف، وهناك جانب آخر من الإسراف يتعلق بالتصرف بالطعام والشراب وذلك برمي الكثير منه دون فائدة، وهذا ما يحصل في المآدب خاصة، فهذا جزء من الإسراف في التصرف في الطعام والشراب وليس إسرافاً في الطعام أو في الشراب نفسه. إذاً «كلوا واشربوا ولا تسرفوا» **لأن الإسراف لن ينفعكم بل يضركم. وقد ثبت علمياً أن الإنسان يأخذ من الطعام كميات حرارية معينة أما الفائض فهو** ضرر وبدانة ومشاكل للمعدة. فالتوازن مطلوب، وعلى الإنسان أن يضبط بطنه إذا جاع أو ظمأ فلا يعطيه بلا حساب. لأن الأمر لا يقتصر على الآثار الجسدية بل يتعداها إلى الأداء والسلوك العام، فالتخمة تصيبه بالكسل وتثبط همته عن القيام بواجباته وأعماله، وتضعف قدرته على التواصل الاجتماعي فتقطع صلاته مع بعض الآخرين وبالتالي يقصر في البر للأرحام ولغيرهم وكذا في الكرم. فلا تجوِّع نفسك ولا تتخمها، بل اعتمد الحالة الوسطية، ففي الحديث النبوي الشريف: «**كل وأنت تشتهي وأمسك وأنت تشتهي**»[1] ولا ننس الآثار الروحية السلبية للإسراف في الطعام والشراب. يقول الرسول الأكرم ﷺ: «**من تعود كثرة الطعام**

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٩، ص: ٢٩٠.

والشراب، قسا قلبه»[١]. ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الشبع يفسد الورع**»[٢].

٨ ـ حرمة المسكر قلّ أو كثر

سماحة الشيخ ما كثيره مسكر فقليله حرام،والإمام زين العابدين يقول: «وإن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروة». ما حكمة هذا الربط؟

موضوع الاسكار ثابت عند الجميع بأن له مضاراً واضحة، ليس على مستوى الموقف الشرعي فقط بل على مستوى النتائج العملية التي يراها ويلمسها كل الناس.

أولاً: يذهب عقل الإنسان لفترة من الزمن،حيث يتصرف خلالها تصرفات غير متوازنة وغير سليمة،لكنه مسؤول لأنه هو الذي أذهب عقله ولم يذهب بشكل لا إرادي، وهو الذي أقدم على مقدمات أوصلته الى هذه النتيجة، وقد «**فرض الله... ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل**»[٣] كما عن الإمام علي عليه السلام،إذ ينتج عن عدم تحصين العقل أخلاق سيئة وتصرفات شنيعة تتمثل في إيذاء الآخرين بسبب السكر، وتكفينا حوادث السيارات التي تجري في الغرب بسببه إضافة إلى الأمور الأخرى المحرمة.

---

(١) النوري، مستدرك الوسائل، ج١٦، ص:٢١٣.
(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٢٥.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢، ص:٧٩٣.

العامل الثاني: الإنسان الذي يتعلق بالخمر يبحث عن المال اللازم لشربه، يحرم عياله في بعض الحالات، وقد يسرق من أجل هذا الأمر، إذ تحول الخمر إلى مطلب جسدي لتحقيق اللذة وهو منساق وراء العادة التي اعتادها.

العامل الثالث: الخمر مصاحب لأجواء الفساد في مقدماتها ونتائجها، وفي تهيئة أجواء المجون والإباحية والعلاقات غير المشروعة وارتياد الحانات والبارات، إنه جزء من هذه الأجواء أيضاً وعن الباقر عليه السلام: «**إن الله حرم الخمر لفعلها وفسادها**»(١).

لهذه الاعتبارات واعتبارات أخرى يعتبر الخمر مؤذياً ومضراً في حياة الناس. أما أن يقال بأننا نشرب بمقدار لا يذهب به العقل ولا تكون مشاركة في أمور أخرى، مع حل للمشاكل المصاحبة، فهل هذا ممكن وحلال؟ النبي صلى الله عليه وآله كان حاسماً في شرحه للضابطة العامة: «**كل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام**»(٢) لكن لماذا القليل منه محرم؟ يمكن أن نستنتج أن الدخول في عالم القليل يتدرج بالإنسان للدخول إلى عالم الكثير، ويهيئ الجسد لألفة هذا الشراب تدريجياً حتى يتعلق به ويعتاد عليه ويغرق في هذا المحرم. ولو سألنا المتعاطي للخمر كيف بدأت؟ يقول لك: قصتي عجيبة بدأت مع أصدقائي وكنا نشرب قليلاً كل ثلاثة أو أربعة

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٦، ص:١٣٦.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٤١١.

أيام، وبعد فترة من الزمن أقمنا حفلة فأكثرنا لأن القليل لا يؤنس، تكرر الأمر مرة ثانية ومع حفلة أخرى أيضاً حتى أصبحت عادة يومية كجزء من حياتي. تبدأ الأمور بسيطة ثم تكبر، وهذا يؤكد أهمية التوجيه الذي بدأ به الإمام زين العابدين عليه السلام عندما قال: «فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير» فالمبدأ واحد، ولا أقول: «إنه واحد من باب التعليل، ولكن يستفاد أن هذا القليل يؤدي الى الكثير، وسواء أدى أو لم يؤد فالامتناع عن هذا المحرم من اللحظة الأولى أضمن للسلامة والاستقامة. إن السكر ينتهي بصاحبه إلى أن يكون سخيفاً في تصرفاته، يغلب عليه الجهل وقلة الحكمة، ويذهب مروته وحيويته ونشاطه.

٩ ـ مسؤوليتنا ما ورد في الإسلام

بعض المسلمين يحتجون ويقولون: إنَّ النبي عيسى عليه السلام يقول: «قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان» ألا يعنينا هذا القول؟

لن نناقش القول الموجود عند المسيحيين وفي كل الأحوال هو يتعلق بتكليفهم وبشؤونهم، أما في رسالتنا الإسلامية فالقليل حرام، ومن يلتزم بهذه الرسالة عليه أن يلتزم بكل التفاصيل. إن هذه الرسالة الإسلامية كلٌّ متكامل جمعت لنا ما نحتاجه وما تريده منا، أما ما ورد عن الأنبياء الآخرين فقد يكون خاصاً في زمان معين وقت التشريع، وقد يكون مرحلياً، وقد لا يكون موجوداً في النص الأصلي، فالرسالات السماوية ليست محفوظة بنصوصها كما

وردت عن الله تعالى كما هو القرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، وطالما نتحدث عن التزام إسلامي فالالتزام كلٌ متكامل في دائرة ما هو مقرر في الإسلام.

١٠ ـ الضرورات تبيح المحظورات

سماحة الشيخ الإسلام تحدثت عن حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر ولكن فقهاءنا العظام يجوزون في حالات الضرورة تناولها. كيف ينسجم الأمر مع حرمتها؟

الحالة الاضطرارية هي حالة استثنائية، مثلاً شخص موجود في مكان انقطعت به أسباب الحياة ولا يوجد أحد، وانقطعت به السبل وهو في حالة جوع قد يؤدي به إلى الموت، وظهرت عليه علامات الضعف والانحلال، يجوز له أن يأكل بمقدار يساعده على تجاوز المحنة، فقط لدفع الضرر، لذلك الضرورات تبيح المحذورات ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٢]. وإذا تبين أن الضرورة أن يشرب شيئاً مسكراً وهو العلاج لأمراضه الموجودة والمتفاقمة، ولا يوجد أي علاج آخر، يجوز له بمقدار العلاج. أما إذا أمكن العلاج بالمسكر وبغير المسكر، فعندها لا يجوز تناول المسكر لوجود خيار آخر. عندما وضع الله القواعد أخذ بعين الاعتبار متطلبات الإنسان للمحافظة عليه، فإذا واجهت

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

هذه الحياة صعوبات معينة لا تحل إلا بتجاوز بعض المحرمات في الطعام أو الشراب من أجل البقاء على قيد الحياة، عندها يكون البقاء على قيد الحياة أسمى، ويصبح الأمر واجباً حتى لا يبتلي بجرم أصعب وهو رمي النفس في التهلكة. إن المحرمات من الطعام والشراب يسمح بها عند الضرورة وبمقدار الضرورة، والضرورة هي التي ترتبط باحتمال موت الإنسان أو الأخطار الجسدية التي تتفاقم بطريقة تؤذيه ولا يستطيع معالجتها، إذ عند التزاحم بين المهم والأهم، بين الامتناع عن المحرم وإنقاذ النفس، يقدم الأهم وهو إنقاذ النفس.

الحلقة الثامنة

حـق الفَـــــرْج

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حق فرجك، فحفظه مما لَا يحِلُّ لك،، والاستعانةُ عليه بغض البصر فإنه من أعون الأعوان، وكثرةُ ذكر الموت، والتهددُ لنفسك بالله، والتخويفُ لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حولِ ولا قوة إلا به».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

١ ـ الغريزة الجنسية

سماحة الشيخ حبذا لو تحدثنا عن الغريزة بشكل عام؟

فطر الله تعالى الإنسان على خلق معين،في داخله حاجات عضوية كالحاجة إلى الطعام والشراب وغرائز كغريزة الجنس وغريزة حب البقاء وعنده عقل ومشاعر،وله وظيفة يقوم بها في هذه الحياة في اعمار الكون. إن كل متطلبات اعمار الكون موجودة في شخصية وجسد هذا الإنسان كمقدمات ومقومات، ومنها الغرائز وهي مغروزة غرزاً فيه، أي لو فكر شخص أن يقتلعها منه لكان المطلوب أن يزيل شيئاً من الجذور، بل المطلوب أن نكون أمام مخلوق آخر

تختلف فطرته عن فطرة الإنسان الحالي. أقول هذا لأوضح أن الغرائز التي نتحدث عنها ليست مسألة منكرة نقف في مواجهتا، فهي ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] ففي وقت من الأوقات كان البعض يعتبر الحديث عن غريزة الجنس أو ما شابه بأنه أمر خطير ومعيب، بينما هي جزء لا يتجزأ من حياتنا، ويجب أن نتعاطى معها بواقعية وإيجابية، وأن نتفاعل معها بما يمكنها من تأدية الدور السليم المطلوب لها. إن المشكلة الأساسية تكمن في كيفية التعاطي مع هذه الغريزة وليس في أصل وجودها، لأن وجودها محدد الأهداف ومرتبط بإعمار الكون.

إن الفرق بين الحاجات العضوية والغرائز هو أن الأولى تتحرك من داخل الإنسان، بينما الثانية تتأثر بفعل المؤثرات الخارجية بشكل كبير. مثلاً عندما يجوع الإنسان يشعر بالحاجة إلى الطعام، وهذا يتحرك من داخله ومن بطنه، وعليه أن يأكل، هذه حاجة عضوية يموت الإنسان بدونها، لأنه إذا لم يأكل أو يشرب لفترة طويلة يموت،فالأعضاء تتقوم بهذا الأمر. بينما إذا لم يلب متطلبات الغرائز بالطريقة الصحيحة والسليمة فهذا يؤدي به إلى الشقاء والتعاسة، فالإنسان لا يموت إذا لم يلب غريزته إنما يشقى ويتعب، وكذا إذا لبّاها بطريقة خاطئة أو حرم نفسه بشكل كامل.أما كيفية تحرك الغريزة الجنسية، فهي مرتبطة بسن معينة حيث تتغير عوامل في جسده مع اقترابه من سن البلوغ ليصبح مؤهلاً لهذا

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

الأمر، ولكن المحرك الكبير هو ما يتعرض له الإنسان من الخارج. لذا كلما خفف الإنسان من التعرض لأمور تجذبه وتشده وتغريه وتحرك غريزته، كلما كان هذا أقوم وأفضل وأسلم للإنسان في طريقة التعاطي مع الغريزة، لأن المحرك الخارجي مؤثر جداً.

نستنتج أنه في موضوع الغريزة يوجد مطلب داخلي تكويني وطبيعي، وتوجد محركات خارجية، وكلما قويت المحركات الخارجية كلما زاد المطلب الداخلي للغريزة، وكلما خفت المحركات الخارجية كلما كان المطلب الداخلي بحدود معقولة، ويتصرف الإنسان بعدها لتصريف متطلبات جسده بحسب إجراءاته التربوية والضوابط والقناعات الموجودة لديه. **إذاً الغريزة غرز الله تعالى وفطرته في الإنسان لا لتقمع ولا لتمنع بل لتنظم بطريقة** يحصل منها على اللذة المحللة وعلى اعمار المجتمع والحياة، فالمطلوب أن نعطي الغريزة حقها، لا أن نرفضها أو أن نطلق العنان لها، إنما أن نوازن بما تتطلبه وفق ضوابط تجعلها تعيش حالة الراحة النفسية والطمأنينة في الحياة.

٢ ـ الضبط بين الكبت والانفلات

سماحة الشيخ في حديث الإمام عليه السلام: «أما حق فرجك فحفظه مما لا يحل لك والاستعانة عليه بغض البصر فإنه من أعون الأعوان». ما هو انعكاس غض البصر على حفظ الفرج؟

الأمر الأول: «فحفظه مما لا يحل لك». هناك محرمات يجب أن يبتعد عنها الإنسان وأساس هذه المحرمات في العلاقة مع

الجنس الآخر هو الزنى، وقد حرم الإسلام الزنى، وحرم كل الأمور المرتبطة به أي المقدمات التي تؤدي إليه، وحرّم أيضاً كل الشذوذ الذي نراه اليوم في العالم الغربي. وعليه عندما نتحدث عن الحفظ، إنما يكون حفظه عن كل هذه المحرمات وعن كل مقدماتها، سواء أكانت تحت دائرة الزنى أو تحت دائرة الشذوذ بشكل عام، هذا الحفظ يجعل الإنسان مستقراً في حياته.

ولكن هل يعني الحفظ منع الإنسان من لذته؟ في الواقع لا. لأن المطلوب حفظه مما لا يحل لك، ببقاء الخيار بيدك لما يحل لك، إذ تستطيع أن تتزوج وأن تؤدي لغريزتك حاجتها ويكون الأمر طبيعياً، وتكون بذلك قد أطعت الله تعالى مع تحقيق اللذة، **لأنك سلكت الطريق الصحيح ولم تسلك طريقاً خاطئاً أو منحرفاً، وبالتالي ليس المطلوب عقاب الإنسان في هذا الأمر، بل توجيهه** لتأدية متطلبات غريزته بالطريق الحلال. أما بغير الزواج فالسلوك مرفوض ولا يوجد أي طريق آخر غير الزواج فهو الطريق الوحيد في حفظ الفرج، وقاية للإنسان وإعطاء للغريزة لذتها ومتطلباتها. وكل المقدمات أو الخطوات التي لا تأخذ بعين الاعتبار الوصول إلى الزواج، وهي تؤثر في إغراء الإنسان أو ميلان قلبه نحو الطرف الآخر أو تثير لذته وشهوته فهي محرمة. فالحفظ يكون بالزواج وبالامتناع عن المقدمات المثيرة للشهوة والتي تؤدي إلى الحرام.

الأمر الثاني: «والاستعانة عليه بغض البصر فإنه من أعون الأعوان»، وقد تحدثنا في حلقة سابقة عن أهمية غض البصر، وهنا

يؤكد مجدداً على غض البصر بما يتعلق بحفظ الفرج، وفي هذا يقول تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾[1] إن النظر ينقل صفحات الإثارة والمشاهد الخارجية الى الدماغ، الذي يصدر الأوامر الداخلية وبالتالي يؤثر على تحرك الغريزة. إن غريزة الإنسان ـ كما ذكرت في البداية ـ تتحرك من الخارج بشكل كبير، فالنظر إلى المشاهد الخلاعية، وعيش أجواء الاختلاط، وطريقة اللباس غير المحتشم، والاحتكاك بالجنس الآخر بشكل كبير ومستمر، ينقل صوراً إلى الدماغ، و يعطي **انطباعات تحرك الغريزة، وكلما خفّت هذه الصور وتضاءلت كلما خفّت متطلبات الإنسان الغرائزية.** لاحظ كيف يركز الغرب كثيراً على الأفلام الخلاعية والمشاهد الماجنة لماذا؟ يمكنه أن يكتفي بالأفلام الاجتماعية أو التربوية أو الإنسانية، لكنه يركز على هذا الأمر لأنه يستقطب ويحرك الغريزة، وهو يريد عمل أي شيء لتحريك غرائز الناس، ليتمكن من خلال تحريكها، أن يسير على منهجه المادي الذي يركز على اللذة والشهوات لا على إنسانية الإنسان المتكاملة. إضافة الى ذلك فالغريزة جذابة ومغرية، فإذا اندمج وانساق معها ازداد انحرافاً باتجاهها.

أذكر نقاشاً دار بيني وبين أحد الأشخاص، كان عنده قناعة

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ و٣١.

الحادية، وكان ينتقد الإسلام في أنه يكبت الإنسان.قلت له: إن الإسلام لا يكبت الإنسان، إنما ينظم تصريف غريزته عن طريق الزواج. فقال: سأقول لك كيف يمكن للإنسان أن يكون مرتاحاً أكثر. لو كان عندنا بالوناً له عشر فتحات وكان منتفخاً، ألا ينفس بسرعة أكثر مما لو كانت له فتحة واحدة؟! كذلك الغريزة إذا أطلقنا لها الحرية فسرعان ما ترتاح ويتنفس الاحتقان ولا تعود متطلبة، ثم يصبح الأمر عادياً بل غير مطلوب، أما مع الحدود والضوابط فسيتولد الكبت والشقاء. قلت له: فرق كبير بين المادة الجامدة والإنسان المتحرك الحيوي صاحب الروح، فالبالون يصرف كمية الهواء بعشر فتحات بدقيقة واحدة ويتطلب عشر دقائق بفتحة واحدة، **هذه مادة والتعامل معها تعامل رقمي وهذه حقيقة علمية، أما الإنسان فغريزته مبنية على قاعدة أنها كلما تفلتت كلما طلبت** المزيد، وهذه حقيقة علمية ثبتت بالتجربة، فالعلاج ليس بترك الغريزة لتحل المشكلة، ولكن بضبطها مع تلبية متطلباتها وتهيئة العوامل والظروف الخارجية المساعدة لذلك.

انتقد الغربيون والمتأثرون بهم من المثقفين الشرقيين هذا الانضباط في إطار العلاقة الزوجية، ونظّروا لحق الشاب والفتاة للقيام بتجارب جنسية قبل الزواج، بل لم يعلقوا أهمية كبرى على الخيانة الزوجية واعتبروها مشروعة بلحاظ الظروف الموضوعية التي يمر بها الزوجان، أضف إلى ذلك فإن الزنى حق طبيعي لا يتطلب منعاً ولا عقاباً، كل هذا تحت عنوان حرية الإنسان الشخصية

ومسؤوليته فيما يترتب عليها من نتائج!! لكن ماذا كانت النتيجة في المجتمعات الغربية؟ أين أصبحت الأسرة؟ ما هي النظرة إلى الجنس الآخر؟ أين إنسانية المرأة؟ لو كانت هذه الانتقادات منذ خمسين سنة أو مئة سنة لأمكن للبعض القول لو جربتم لوجدتم صحة ما نقول.. أما وقد انكشفت النتائج المريعة والمرعبة بحق الإنسانية فماذا عساهم يقولون بحق المرأة والطفولة والسعادة البشرية والاستقرار النفسي والاجتماعي؟!.

اليوم لا يوجد أسرة في الغرب بمعنى الأسرة، بل نجد أولاد الزنى منتشرين في المياتم بأعداد كبيرة، وهم معروضون للبيع كبديل عن الإنجاب، لم يعد هناك خصوصية للزوجية والبنوة، ووصل الأمر إلى حد تجاوز الزنى الى الشذوذ الذي يضعون له القوانين لحفظه وتشريعه وحماية الشاذين وتوفير الضمانات الاجتماعية والحقوقية لهم، بدل معالجتهم بالتوجيه والعقوبة والضوابط. لقد وصل الفلتان إلى أقصى حد، والآن تعلو الصرخات في الغرب: كيف يمكن أن نحفظ البنات في سن العاشرة أو في سن الحادية عشرة وليس في سن الثامنة عشرة؟ هذه مصائب الانفلات الغريزي يضج منها المجتمع، عدا عن الأمراض الجسدية والنفسية والتصرفات السيئة، كل هذا بسبب عدم الحفظ وبسبب التفلت الذي يحصل من المقدمات، وعلى رأسها تعريض المجتمع لكثير من المشاهد والاغراءات والأمور الإباحية التي تسعّر الغريزة عند الإنسان، وعندما تتسعر الغريزة عنده يفتش عن طريقة لتصريفها وإطفاء جذوتها، فإذا سلك مسلك الحرام

استنفرت أكثر، أما إذا سلك طريق الحلال بواسطة الزواج فإنها تتجه وتهدأ وتحصل على متطلباتها في إطار شرعي نظيف ومريح على كل المستويات الجسدية والنفسية والاجتماعية.

٣ ـ عوامل مؤثرة في منع الانحراف

يلاحظ في حق الفرج أن الإمام زين العابدين عليه السلام يذهب إلى عامل التهديد للنفس بالله وعامل التذكير بالموت، ماذا أراد الإمام زين العابدين عليه السلام لحظه؟

نلاحظ من الطريقة التي ذكرها الإمام ثلاث خطوات: الأولى: **وأما حق فرجك فحفظه مما لا يحل لك**، والثانية: **الاستعانة بغض البصر فإنه من أعون الأعوان**، والثالثة: **كثرة ذكر الموت والتهديد لنفسك بالله والتخويف لها به**. وقد تحدثنا عن الخطوتين الأولى والثانية، أما الثالثة وهي: كثرة ذكر الموت، في الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وآله: «اذكروا هادم اللذات» وهو الموت لماذا؟ لنفترض أنك في مجلس من المجالس وبدأ ذكر الموت، فلان قتل وفلان مات وفلان شيع اليوم، فإن مصاحبة الموت لجو الحساب الأخروي وقصر عمر الإنسان، يوجد جواً بعيداً عن جو التفكير بالرغبات والملذات، بل يطغى عليه سكون في حالة الحضور وتأمل بالحياة لأن الموت هو انتهاء الحياة الدنيا، ومع كثرة ذكر الموت يتذكر الإنسان كيف سيكون في معرض السؤال والمسؤولية أمام الله تعالى في يوم القيامة، بدل أن

يرى نفسه شاباً قوياً يتطلع إلى متاع الحياة أمامه، معتقداً أن بإمكانه الحصول على كل ما يريد دون أن يحدد أفقاً أو سقفاً، يرى أن هذه القوة ستتحول إلى ضعف وبعدها إلى موت، أو ستتحول إلى موت بدون المرور بحالة الضعف، إذ يمكن أن يموت في سن مبكرة أو بشكل مفاجئ. عندما يتذكر الموت، يتذكر أن العمر قصير وبالتالي هناك مسؤولية خلال هذه الفترة القصيرة وبعد الموت حساب.

أيها الإنسان إذا أردت أن تطلق العنان للذاتك ولغريزتك تذكر أنك إذا ارتكبت الحرام وتصرفت بخلاف الطريق الصحيح ستنتهي حياتك في يوم من الأيام ولا تجد معنًى لهذه اللذة، لأنه سيبدأ الحساب وتقف أمام أعمالك التي تثقل ظهرك، والله رقيب عليك، **ولا يمكن أن يدعك تعيث في الأرض فساداً ثم يتركك بلا عقاب أخروي كما وعد في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾**[1].

إن ذكر الموت يخفف من إقبال الإنسان على الملذات المحرمة، بسبب تذكره للحظة الحساب، ومقارنته بين الربح الدائم والربح الوهمي. هل يربح أكثر إذا خاض في هذه اللذة المحرمة؟ أو يربح أكثر لو استقام وصبر وانتظر لما بعد الموت وما سيأتي من حساب ليسجِّل في صحيفة أعماله ما يتحول إلى مكرمة يكافئه الله تعالى عليها، ويعطيه ما يريد من لذات لا حدود لها؟إن ذكر الموت يضعف الإقبال على اللذة والانجراف وراء المحرمات.

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩.

وتعتبر رقابة الله تعالى في السياق نفسه، وما ارتكاب المعاصي إلا لعدم الشعور بحضور هذه الرقابة، فلو عاش الحضور الإلهي في كل لحظة من لحظات حياته لما أمكن الإقدام على اللذات المحرمة، لكن عندما ينسى أو يغفل أو لا يبالي يتصرف بدافع شيطاني وكأن الحساب مستبعد، وتكون قوة الانجراف إلى الهوى أقوى من الصمود في مواجهته لضعف الصلة بالله تعالى. إن تهديد النفس بالله تعالى وتخويفها به يساعد على الردع والتحصين، ولا بدّ أن يتكرر هذا الأمر، فالنفس الإنسانية متقلبة ومتعرضة لكل الاحتمالات فمع التذكير الدائم بالله وعقابه، يقوى احتمال تخفيف الاندفاع نحو الحرام.

إن عبادات الإسلام تركز على الصلة بالله تعالى وحضوره في حياتنا، فعندما يحضر في عقلنا تسجيل الملكين على الكتفين لأعمالنا ننتبه، وعندما يحضر في قلوبنا حب الله تعالى يتولد الأُنس الذي يغنينا عن الأُنس المحرم، وعندما نجد الدافع إلى انحراف الغريزة يأتي المانع في التهديد بعقاب الله تعالى. إنها حالة إعادة توازن ليفكر الإنسان ويختار مع حضور كل الصورة والمسؤولية أمامه، فهو ليس حراً أن يطلق العنان لشهوته دون حساب.

٤ ـ الزواج المشروع

ما الفرق بين أن يتكلم الإنسان بضع كلمات ليحقق الزواج، وبين أن يتفق هو والجنس الآخر في كنسية أو بيت أو بما يعرف بالزواج المدني؟

الأمور التي ذكرتها متفاوتة جداً. فالزواج في الكنيسة إذا جرى بين نصراني ونصرانية هو زواج صحيح بحسب التزامهم لديني وشرعهم، وكل زواج يجري بين أهل الرسالات السماوية وفق شرائعهم صحيح، بل كل زواج يجري بين الكفار إذا كانوا وثنيين مثلاً طبق مذهبهم وتشريعاتهم يعتبر زواجاً فعلياً وتترتب عليه آثار الزواج بحسب القواعد المترتبة عندهم.

أما المساكنة في بيت واحد، والاتفاق بين شاب وفتاة بصرف النظر عن أي عقد زواج صحيح، ومهما كان انتماء كل واحد منهما، فهو أمر محرم لا شرعية له بأي معيار، وعلاقة النكاح هي الزنى بعينه، **ولا يمكن اللجوء إلى التوافق والقناعة المشتركة كحل لتشريع هذه العلاقة.**

وأما الزواج المدني فهو العقد المعتمد في بعض الدول من خلال دوائر الدولة، حيث يعتمد كعقد معترف به قانونياً وتجري عليه الأحكام الواردة في قانون الدولة، وهو لا يأخذ بعين الاعتبار مذهب أو طائفة أو انتماء أي من الزوجين، وهو عقد باطل للمسلمين.

وأما العقد الشرعي الإسلامي، فهو الذي يؤسّس على الإيجاب والقبول من الطرفين: بأن تقول الأنثى: زوجتك نفسي على مهر وقدره كذا، ويقول الرجل: قبلت التزويج. وهذا يعني أن يصبحا زوجين تنطبق عليهما كامل الحقوق والواجبات المقررة في الشريعة الإسلامية. فالمسألة تتجاوز بضع كلمات، لتصل إلى

منظومة كاملة في العلاقة بين الزوجين يلتزمان بها بمجرد النطق بهذه الكلمات أي إنشاء عقد الزواج. إذاً نحن أمام أمرين أساسيين:

الأمر الأول: إنشاء الصيغة الشرعية للزواج، وهو تعبير عن الارتباط بهذا الدين، واختيار طريق الحلال على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فهو اختيار لمنهج وتعاليم الإسلام، أما التشدد في اختيار عبارات محددة فهو جزء من نظام الالتزام بهذا الطريق، الذي يكون محدداً من البداية، فلا تصرف في الألفاظ ولا تصرف في المضمون إلا في المساحة التي تركتها الشريعة المقدسة لاختيار الطرفين في الشروط الشرعية المقبولة داخل العقد.

الأمر الثاني: هو المترتبات الشرعية الأخرى الموجودة في هذا العقد، فبمجرد أن يتزوجا يعني أنهما ملتزمان بحقوق وواجبات بينهما ،وحقوق للأولاد ونظام متكامل للإرث، أي أنهما يلتزمان بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي الذي ينطبق عليهما في كل الموارد ويكون حَكَماً عند الخلاف، وهو القانون الذي يقسم الأدوار بينهما ،ليأخذ كل واحد دوره وحقوقه وواجباته.

٥ ـ الزواج عند المسيحيين واليهود

سماحة الشيخ الإسلام اعترف بما عند المسيحيين وعند اليهود من طريقة للزواج، هل الاعتراف هو تحصين لمسألة الزنى؟

كل الرسالات السماوية الأخرى تهتم بالأسرة وخصوصية العائلة وتحصينها، وضرورة الارتباط الزوجي المشروع ورفض

الزنى، بل عندهم تعقيدات كثيرة وتشدد في بعض الأحيان، مستندين إلى مجامعهم الكنسية أو اجتهادات الحاخامات. وبما أن الإسلام احترم خصوصية الرسالات السماوية وحرية الاعتقاد بها، احترم أيضاً ما تقره لمعتنقيها من ضوابط للزوجية وما ينتج عنها، معتبراً أن شريعتهم ملزمة لهم. إن قواعدهم لا تترك الغريزة الجنسية على عواهنها، والأساس المشترك هو حرمة الزنى، أمَّا النقاش في تفاصيل الحقوق والواجبات ومدى انسجامها مع متطلبات الإنسان بشكل أفضل، فهذا بحث لا يرتبط بأصل مشروعية الزواج بنظر الإسلام عند كل طائفة ومذهب، وإنما يرتبط بما نعتقده الأكثر ملاءمة مع فطرة الإنسان بما يردعه عن ارتكاب الحرام.

٦ ـ وضعية ولد الزنى

ما هو وضع ولد الزنى بإيجاز؟

ولد الزنى ضحية من ضحايا العلاقة غير الشرعية بين رجل وامرأة، والإسلام أعطاه حقوقاً وحفظه في كثير من الأمور، ولكنه احتاط ومنعه من بعض الحقوق، لأن المشكلة هي انقطاع هذا الولد عن المسار الطبيعي الذي سيؤدي إلى مشكلة كبرى في المجتمع في بعض المجالات التي تتطلب نقاء ورفعاً للشبهات والتهم. مثلاً لا يمكن أن يكون ولد الزنى إماماً ولا يمكن أن يكون مرجعاً، لأن الناس ستعود اليه وستقتدي به، وأنت تعلم أن الأصل الخاطئ في الطريقة سيثير حوله التساؤلات وعلامات الاستفهام فلا داعي لتسليط الضوء عليه، وإن كان معذوراً على المستوى الفردي،

وتقييمه في الدنيا يرتبط بأعماله الصالحة وليس بأصله، ففي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: **«ليس على ولد الزنى من وزر أبويه شيء»**[1] ولعل في هذا الاحتياط في بعض المواقع حماية للمجتمع لحاجته إلى هذه الحماية، وحثاً لكل من الرجل والمرأة على الالتفات إلى عواقب فعلهما فلا تستسهل الرذيلة.

إن الحقوق المجتمعية كلها من حقه، بخلاف استثناءات محددة ومشخصة لها علاقة بمصلحة المجتمع ككل، علماً أن بعض الأشخاص قد يكونون مؤهلين ليتصدروا، ولكن لعجز موضوعي ليس له علاقة بكفاءتهم وإنما بالظروف المحيطة بهم، لا يمكنهم التصدي لهذه المواقع.

٧ ـ عزل الزناة

سماحة الشيخ يقول تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] لو تفضلتم بشرح هذه الآية؟

العلاقات التي يريد أن يبنيها الإسلام في المجتمع هي علاقات نظيفة وطاهرة، لذلك جعل العلاقة بين الرجل والمرأة تبنى على قاعدة الزواج المحلل بالصيغة الشرعية المعروفة وما يترتب عليها، وهذا يؤدي الى اعمار الكون وإلى راحة واستقرار ونظافة

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص: ١١٦٣.
(٢) سورة النور، الآية: ٣.

المجتمع. هنا يدخل الزناة على الخط، سواء كان الزاني رجلاً أو امرأة، ليختلطوا مع الحياة المجتمعية للآخرين فيخربوا حياتهم ويعيثوا فيها فساداً.

عندما نتحدث عن الزاني والزانية نقصد المستمرين والمصرين على هذا الانحراف، ولكن إذا حصلت التوبة أو العقوبة وانتهى الأمر، يصبح البحث منتفياً. إذاً نحن نتحدث عن المتلبس بالعنوان، عن المستقر في العنوان نفسه، هذا الزاني وهذه الزانية إذا تفاعل أي منهما مع النمط الآخر من أصحاب العفة والطهارة، فسينقل رؤيته وفساده وطريقة حياته ليؤثر على الآخرين، عندها بدل أن يكون الزناة محصورين، يتحقق لهم انتشار طبيعي وعلاقات طبيعية داخل المجتمع، ما يشجعهم على نشر فسادهم واستمرارهم في منهجيتهم غير المستنكرة من مجتمعهم. لذا قال تعالى: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ﴾، ليكون كلاهما معزولاً عن الاندماج الاجتماعي والأسري بالتحديد، وليتم حصر الفساد والرذيلة في دائرة الجماعة المتشابهين مع بعضهم البعض، دون أن يختلط هؤلاء في علاقاتهم الغرائزية مع باقي أفراد المجتمع، فيسيئوا وينقلوا مشاكلهم ونفسياتهم المريضة وأفكارهم وأسلوبهم في التعاطي لباقي أفراد المجتمع وخاصة للجيل الناشئ. هذا في الواقع وقاية من هؤلاء الزناة الذين لهم حلول خاصة في ردعهم ومعاقبتهم، ويساعد عزلهم واستنكار فعلهم في محاصرة انتشارهم وانتشار أعمالهم، علماً أن خطرهم في تضييع الأنساب واختلاط الحقوق وتعقيد حياة الأولاد يدفعنا لاتخاذ الإجراءات المناسبة لوضع حد لهم.

٨ ـ حد الزنى

سماحة الشيخ ماذا أراد الله تعالى من خلال الحد الذي يقام على الطرفين؟

الحد الشرعي للزاني أو الزانية هو مقدار العقوبة المحددة استناداً إلى الحالة التي يكون فيها كل منهما، وله أقسام بحسب حالة الزنى، فالقتل إذا كان بذات محرم، والرجم إذا كان محصناً(متزوجاً) أو محصنة، والجلد لغير المحصن والمحصنة... ضمن تفاصيل مذكورة في كتب الفقه. ونلاحظ أن التفاوت في العقوبة له علاقة بمستوى الحالة، فالقتل للزنى بذات محرم لأنه أمر خطير جداً يتجاوز كل الضوابط والمحرمات، وهكذا تكون العقوبة بحسب آثارها الاجتماعية ومستوى خطورتها وملابساتها. إن القصاص عمل تأديبي وعقوبة رادعة للزاني ولباقي الناس، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. إن دعوة القرآن صريحة في أن يشهد العقوبة جمع من المؤمنين: ﴿... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فالعقوبات الإسلامية هي عقوبات تربوية ورادعة، لها آثار فردية وآثار على المجتمع.

٩ ـ الحقوق بعد إقامة الحد

هل تسقط عن الزاني حقوقه المجتمعية حتى بعد إقامة الحد؟

إذا أقيم عليه الحد في مجتمع يلتزم إقامة الحدود الشرعية،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

ولم يكرر فعلته بعد ذلك، فهو إنسان طبيعي في المجتمع، له كامل الحقوق وعليه كامل الواجبات، وإذا تاب الإنسان توبة نصوحا بعد ارتكاب الكبائر كالزنى أو السرقة أو ما شابه، يعود مجدداً إلى دائرة المجتمع ويعيش الحياة النظيفة، ويجب أن يقبله المجتمع ويتعامل معه بشكل إيجابي. إن الإسلام يعطي الفرص لاستئناف الحياة العفيفة الطاهرة، ولا يقف عند فرصة واحدة يقضى عليه بسببها. فالزنى لحظة شيطانية حصلت لأي سبب من الأسباب، وأدت إلى الانحراف، ولكن التوبة عودة بعد ندم، والله يغفر ما تقدم إذا كان الاستغفار استغفاراً حقيقياً وصحيحاً، تترتب عليه مستلزمات، وعلى المرء أن يقوم بها حتى يرفع المسؤولية عنه وما حصل من تأثير على الآخرين.

١٠ ـ ولا تقربوا... تحريم

لماذا لم يكن الخطاب القرآني مباشراً في التحريم حول مسألة الزنى؟ حيث قال:و لا تقربوا الزنى، بينما في آيات أخرى ذكر التحريم كقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[1]...، هل هناك حكمة ما؟

لا تقربوا الزنى هو تحريم، ولكن الصيغة المستخدمة هي صيغة لا تقربوا بدل أن يستخدم كلمة حرم أو حرام والروايات الواردة تؤكد ذلك، وعندما يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[(١)] فهذا منع من الاقتراب معللاً بالسبب، وهو كلام مستخدم في اللغة العربية ويؤدي معنى الحرام نفسه، كما في اجتنبوا التي وردت في قوله تعالى: ﴿. . . فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[(٢)] وهي بمعنى الحرام أيضاً. وقد أجمع فقهاؤنا على التفسير بالتحريم.

١١ ـ التحصين

سماحة الشيخ كيف نحصن أنفسنا عن الزنى ونبتعد عنه؟

الزواج هو طريق التحصين الأساسي من الزنى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي**»[(٣)].

وعلينا أيضاً أن نبتعد عن مقدمات الزنى وهي: النظرة المحرمة إلى الجنس الآخر والاختلاط وأجواء الفساد واللهو ومعشر السوء من الرفقة المنحرفة ومشاهدة الأفلام الخلاعية.. عندها نكون قد حصَّنا أنفسنا من الأجواء الفاسدة والمؤثرات الخارجية الفاسدة، في المقابل نؤدي رغبتنا في الحلال عن طريق الزواج.

فإذا أضفنا الاهتمام بالعبادات والتقرب من الله تعالى وذكر الموت وعيش الآخرة، فهذا يقوي الرادع الداخلي ليحمينا ذاتياً من

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص: ١١٧٩.

الانجراف وراء المعصية. ولا ننس طلب العون من الله تعالى، فكما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوة إلا به»، لأن ارتباطنا الدائم وصلتنا الدائمة بالله تعالى، يعززان تأييده لنا ولصلاحنا، ويعصمنا من الانحراف والمعاصي.

١٢ ـ متطلبات الزواج

الوضع الاقتصادي الآن لا يساعد على الزواج،ومتطلبات الزواج كثيرة، ماذا نقول للشباب؟

واقعاً هناك أزمة اجتماعية تؤثر كثيراً في موضوع الزواج وهي ناشئة من صعوبة الوضع الاقتصادي من ناحية، ومن ناحية ثانية بسبب المتطلبات غير المنطقية التي يطلبها الأهل أو تطلبها الزوجة بحيث تعقِّد خطوات الزواج. المطلوب منّا أن نعمم ثقافة الإسلام في تسهيل مقدمات ومقومات الزواج، بحيث لا تكون المهور مرتفعة ومرهقة، وأن لا يكون البيت المطلوب واسعاً بحيث يصعب استئجاره أو شراؤه، و أن يكون الأثاث منسجماً مع واقع الحال والقدرة المتوفرة، بمعنى مراعاة الإمكانات المتوفرة، فإن هذه الأمور تسبب بعض التسهيلات. أما مع عدم توفر هذه الأمور ووجود الحاجة للزواج فهناك حالات معينة يشكل الزواج المنقطع حلاً لها، مع الانتباه إلى الضوابط الشرعية، وحدود الانضباط والأخلاقية في التعاطي مع هذا الحل كي لا يؤدي إلى مضاعفات سلبية. فلو تعسَّر الزواج مرحلياً، فإنَّ الحلَّ يرتبط بالتحصين

الشخصي من خلال العبادات وعيش الأجواء الروحية، والابتعاد عن موارد الشبهة وإثارة المشاعر والغرائز.

وأتمنى أن تؤسس مؤسسات أو جمعيات تساعد في توفير بعض الدعم والمقومات للراغبين في الزواج، **فيتحقق تكافل اجتماعي يساعد في** موضوع زواج الشباب.

١٣ ـ توجيه للشباب

أقول للشباب: قوتكم الموجودة في داخلكم **هي** قوة يمكن أن تسخر نحو الخير، كما يمكن أن تسخر نحو الشر، كلما توجهتم بالمنهجية الصحيحة كلما تفجرت الطاقات نحو الخير، وعندما يتجه الشاب لطاعة الله ويعيش عشق العلاقة مع الله تسمو نفسه فتصغر المحرمات ويصبح بعيداً عنها،إن قوة الإنسان الإرادية التي يبنيها في طاعته لله وعلاقته مع الله هي الضمانة في أن يواجه مصاعب ومشاكل المجتمع التي لا حل لها أحياناً، أو تتطلب فترة طويلة من الزمن، وعلينا أن نفتش دائماً عن تصريف قوتنا في دائرة الحلال، فإذا عجزنا فلنفتش عن طرق تساعد في عدم توجهنا نحو الحرام، مثلاً أن يملأ الإنسان وقته في نشاطات رياضية وعلاقات اجتماعية وأعمال منتجة حتى لا يشغله الفراغ بالتفكير في الأمور المحرمة، فضلاً عن الابتعاد عما يؤدي إلى الحرام. إذا ملئ هذا القلب بحب الله تعالى تجاوز كل الصعوبات، وإذا لم يملأ به ملأته المحرمات.

المصادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي ﷺ.**

- نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** الريشهري، الشيخ محمدي.**

- ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

*** الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

*** الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

*** الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

- أجوبة الاستفتاءات، مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية، لبنان، ط٦، ٢٠٠٤م.

*** الإمام الخميني، روح الله الموسوي، ت ١٩٨٩م.**

ـ تحرير الوسيلة، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٠هـ.

*** الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

ـ الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

*** كوراني، الشيخ علي.**

ـ برنامج المعجم الكمبيوتري، الاصدار الثالث، ٢٠٠١م.

*** الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**

ـ عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

*** المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

ـ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** النوري، الحاج ميرزا حسين.**

ـ مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

*** النيسابوري، العلامة محمد بن الفتال، ت ٥٠٨هـ.**

ـ روضة الواعظين، منشورات الرضي، قم.

المحتوى

الإهداء ٥
مقدمة الطبعة السابعة ٧
إطلالة ١١

الحلقة الأولى: حق اللسان

١ ـ أثر الكلام الفاحش على النفس ١٥
٢ ـ الكلام الحسن ١٧
٣ ـ الغيبة والبهتان ١٨
٤ ـ اللسان دليل على العقل ٢١

الحلقة الثانية: حق السمع

١ ـ أهمية السمع ٢٥
٢ ـ اتجاهان للاستماع ٢٦
٣ ـ أثران للاستماع ٢٨
٤ ـ الإنصات بتفاعل يؤدي إلى الرحمة ٣٢
٥ ـ الإعلام سلاح فعّال ٣٣
٦ ـ أثر المصداقية ٣٥
٧ ـ تثقيف الناس ٣٥
٨ ـ السماع لا يكفي ٣٦

الحلقة الثالثة: حق البصر

١ ـ ما أُحِلَّ أكثر مما حُرِّم ٣٩
٢ ـ ترك النظرة المحرمة ٤١

٣ ـ حرمة إثارة الشهوة ٤٣
٤ ـ زنى العين ٤٤
٥ ـ الرؤية والتأمل ٤٤
٦ ـ البصر والبصيرة ٤٦
٧ ـ النظر إلى الأجنبية ٤٧
٨ ـ على من تقع المسؤولية ٤٩
٩ ـ المشاهدة في الشهادة ٥١

الحلقة الرابعة: حق الرجلين

١ ـ للإنسان ما سعى ٥٣
٢ ـ وأما من خفَّت موازينه ٥٥
٣ ـ إلى المجد ٥٦
٤ ـ شهادة الجوارح ٥٨
٥ ـ واقصد في مشيك ٥٩

الحلقة الخامسة: حق اليدين

١ ـ آثار الأعمال عاجلة وآجلة ٦١
٢ ـ توجيه اليد ٦٤
٣ ـ بناء شامل ٦٦
٤ ـ بوركت هذه اليد ٦٧

الحلقة السادسة: حق البطن

١ ـ لا تجعل البطن وعاء للحرام ٦٩
٢ ـ العادة المحرمة ٧٢
٣ ـ المحللات أكثر ٧٤
٤ ـ الشروط الشرعية أساس ٧٥

٥ ـ تعليل المحرمات ليس واجباً ٧٦
٦ ـ الطعام للتقوية ٧٩
٧ ـ ضرر الإسراف ٨٠
٨ ـ حرمة المسكر قلّ أو كثر ٨٢
٩ ـ مسؤوليتنا ما ورد في الإسلام ٨٤
١٠ ـ الضرورات تبيح المحظورات ٨٥

الحلقة السابعة: حق الفَرْج

١ ـ الغريزة الجنسية ٨٧
٢ ـ الضبط بين الكبت والانفلات ٨٩
٣ ـ عوامل مؤثرة في منع الانحراف ٩٤
٤ ـ الزواج المشروع ٩٦
٥ ـ الزواج عند المسيحيين واليهود ٩٨
٦ ـ وضعية ولد الزنى ٩٩
٧ ـ عزل الزناة ١٠٠
٨ ـ حد الزنى ١٠٢
٩ ـ الحقوق بعد إقامة الحد ١٠٢
١٠ ـ ولا تقربوا... تحريم ١٠٣
١١ ـ التحصين ١٠٤
١٢ ـ متطلبات الزواج ١٠٥
١٣ ـ توجيه للشباب ١٠٦
المصادر ١٠٧
المحتوى ١٠٩
صدر للمؤلف ١١٢

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء) :

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سابعة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة سادسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة سادسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة سادسة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة خامسة).
* صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
* حزب الله: المنهج. . التجربة. . المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* سبيل الله تعالى (طبعة ثالثة).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الوالدين والولد

الطبعـــة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م
الطبعة الثانيــة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م
الطبعة الثالثــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م
الطبعة الرابعــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م
الطبعة السابعة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م
الطبعة الثامنـة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م



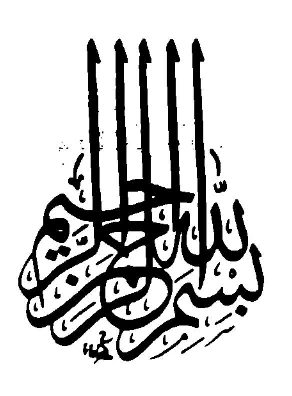
الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

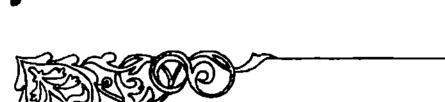
الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الوالدين والولد

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهـــــــداء

إلى المربِّي الربَّاني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجهاً

وللباحثين عن الخلاص معلِّماً

يا سيدي وإمامي، يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك،

إلى كل أسرة

لتُضيء حياتها بنهج الإسلام

وتعيش الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثامنة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد الرسل محمد ﷺ قدوة الإنسانية ومرشدها إلى سعادتها، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

تمت طباعة كتاب «حقوق الوالدين والولد» للمرة الثامنة، بمعدل طبعة كل سنة، منذ إصداره في صفر ١٤٢٣هـ الموافق أيار ٢٠٠٣، وقد استفاد منه بعض المربين والأهل والأولاد، كما أُقيمت عدة دورات تربوية ناجحة استفادت من مضمونه تحت عنوان: «تربية الأبناء». وقد استطاعت مادة الكتاب أن تقدِّم رؤية إجمالية متكاملة يحتاجها المربون والأهل والأولاد لتصويب النظرة إلى العلاقات الأسرية الناجحة.

هذا هو الكتاب الثاني المستفاد من الحلقات الحوارية التلفزيونية حول رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. وهي رسالة قيِّمة فيها من الغنى الإيماني والفكري

والتربوي والأخلاقي والاجتماعي ما يشكل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع.

إنها رسالة للإمام علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام إنه ابن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وحفيد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد تميز بعبادته حتى لقب بـ«سيد الساجدين» و«زين العابدين»، واشتهر **بتوجيهاته وأسلوبه التربوي الذي برز في أدعيته في الصحيفة السجادية وغيرها من الأدعية وفي رسالة الحقوق التي نحن بصددها، وهي رسالة مسبوكة بلغة موجزة ومعبرة، وبمضمون** إسلامي عميق وموضح للمسار، وبأسلوب إيماني وروحي مؤثر.

اخترت حقوق الوالدين والولد كمحور رئيس لهذا الكتاب، ولا يخفى أن كثيراً من الضوابط بين الوالدين والولد مجهولة، فكانت هذه المحاور المبسَّطة والواضحة سبيلاً لتسليط الضوء على العلاقة بينهما مشفوعة بأمثلة توضيحية من الحياة اليومية. إنها تجيب عن أسئلة ملتبسة في التطبيق العملي: عن ماهية الفرق بين الطاعة والإحسان؟ وما مدى مشروعية الضرب للأولاد؟ وهل الإيمان أو الانحراف مسؤولية الأهل؟ وما الفرق بين تربية الصبي والفتاة؟ وكيف نجيب عن أسئلة الأولاد المتعلقة بالجنس؟ وكيف يتصرف الولد مع والديه؟ وهل الولد مطلق الصلاحية ليختار ما يشاء في بيت والده؟ وغيرها من الأسئلة.

ثم أضفت حق الأخ لانسجامه مع حقوق الوالدين والولد، فهو واحد من حقوق الرحم التي أوردها الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته، واكتفيت بذكر الأخ دون غيره من الأرحام تماشياً مع النص، لكني فصَّلت بالمناسبة عن الأخ في الله.

وقد أبقيت الحوار في الحلقات كما جرى مع بعض التعديلات والإضافات التي تناسب الكتابة وتحيط بالأسئلة المثارة حول الموضوع. **أمَّا الحلقة التي لم تطرح في الحوار التلفزيوني وهي حق الأخ، فقد كتبتها من دون أسئلة لأنها لم تكن حلقة حوارية.**

يتضمن هذا الكتاب أربعة حقوق: حق الأم، وحق الأب، وحق الولد، وحق الأخ، اخترناها بما ينسجم مع عنوان هذا الجزء، وهي من رسالة الحقوق التي تتضمن خمسين حقاً مختلفاً، والتي تشمل بالعنوان العام العلاقات الثلاث للإنسان: علاقته مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع مجتمعه. وقد قسَّمنا الحقوق الخمسين إلى سبعة أجزاء، يحمل كل جزء عنواناً مستقلاً جامعاً لمضمونه، وأصدرناها بالعناوين التالية:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته الحقوق الخمسين مجملة ومختصرة، ثم فصَّلها بعناوينها الخمسين، وقد أوردنا ما أجمله قبل التفصيل في الإطلالة التي تلي هذه المقدمة، ثم كتبنا الحقوق الأربعة مفصلة ومشروحة، سائلين المولى تعالى أن نحقق الأهداف التربوية المرجوة.

٢٥ صفر ١٤٣١هـ **الشيخ نعيم قاسم**

١٠ شباط ٢٠١٠م

إطلالـــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها: بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه

تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان، **وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول**، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك،

ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، **فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.**

الحلقة الأولى

حـــق الأم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرة بذلك فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض. فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظللك وتضحي وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها. وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك، ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه».

* * * * *

١- إنسانة عظيمة

سماحة الشيخ للوهلة الأولى إذا قلت لك أمك ماذا تقول؟

يشعر المرء عندما يتعاطى مع أمه بأنه يتعاطى مع قمة الحنان،

ومع المستودع الذي حفظ المخلوق الجديد بطريقة نموذجية، لا نرى لها تفسيراً في الأنظمة والقوانين، إنما نجد تعبيرها من حنان الأم، من قلبها وعاطفتها ومن طريقة أدائها، ولذا يشعر المرء تجاه أمه بعاطفة حقيقية، وبتفاعل يتجاوز كل الأسس المادية وكل المعطيات المادية. يكفي أن يتذكر الإنسان ما صنعته هذه الأم معه، وكيف حنت عليه، وكيف حملته في بطنها، وبعد ذلك كيف تابعته ورعته عندما ولد في هذه الحياة. ولذا أشعر عندما أذكر لفظة أمي، أني أمام إنسانة عظيمة أعطت من طاقتها وحنانها من أجل أن تربي إنساناً سوياً في هذا المجتمع. وبطبيعة الحال هذا الشعور هو شعور ابتدائي وطبيعي عند الجميع، ما لم تأت مقومات وعوامل تسيء إليه، سواء بتربية الإبن وطريقة تعاطيه مع الأم، أو بطبيعة الأم وطريقة متابعتها لخصوصية ولدها.

٢- حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا

سماحة الشيخ لنسير مع قول الإمام عليه السلام: «فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا» ماذا يريد أن يقول لنا الإمام زين العابدين عليه السلام؟

المدخل الذي دخل منه الإمام زين العابدين عليه السلام هو مدخل هادف لإلفات نظر الإنسان تجاه أمه، لاحظ ماذا قال: «أن تعلم أنها حملتك»، بطبيعة الحال كل واحد يعلم أن أمه حملته، لكن

عليك أن تتذكر دائماً وعليك أن تعيش دائماً صورة هذا العلم، لأنك بمجرد أن تنسى أيها الإنسان بأنها حملتك وأنها تعبت من أجلك وأنها سهرت عليك الليالي، بمجرد أن تنسى هذه الأمور فقد لا تتعامل مع أمك كما يجب وكما تستحق. إن مشكلة المشاكل في علاقة الأولاد مع أمهم، أنهم يتعاملون معها بطريقة ندِّية،أي أنهم مقابلها وكأنهم غرباء عن بعضهم البعض، ينسى الإبن هذه المرأة الطيبة هذه الأم التي بذلت في لحظات حاجته للبذل بطريقة سخيّة، ولذا بدأ الإمامعليه السلام بالتذكير «أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا» **إن مميزات هذا الحمل هو أنه متعب وفيه تكاليف باهظة تتحملها الأم، على المستوى الجسدي والنفسي والصحي وعلى كل** المستويات، ومع ذلك تتحمل هذا العبء الكبير الذي لا يتحمله أحد تحت أي عنوان آخر.

لنجرِ مقارنة بسيطة بين الأم في تعاملها مع ولدها وبين الانسانة العادية في تعاملها مع إبن الأخرى، هل يا ترى نستطيع أن نجد مقارنة منطقية وموضوعية في التعامل؟ قد تشعر أي امرأة تجاه ولد من الأولاد بحنان معين وعاطفة معينة، لكنها ليست مسؤولة في أن تتحمله وأن تتحمل مشاكله وتعبه، بل تعلن رفضها في مواجهة الأعباء المترتبة على الأمومة إلا ما ندر، لكنها من موقعها كأم تفكر بطريقة مختلفة تماماً،وتتحمل خارج دائرة التوقعات. هنا تستحضرني تلك الحادثة مع أمير

المؤمنين علي عليه السلام، عندما أراد أن يحكم للولد إلى أي أم يتبع لأنهما ادّعتاه، كل واحدة تقول بأنه ولدها، ولا تساعد المعطيات للتحديد بدقة لمن هذا الولد. لجأ الإمام علي عليه السلام إلى أسلوب حكيم ليستكشف خلفية الأمومة عند الأولى أو الثانية، «**فدعا بمنشار،فقالت إحداهما:ما تصنع به؟ قال: أجعله نصفين. قالت إحداهما: قد سمحت بحقي لها. فقال:هذا ابنك**»[١]. لأنها حاضرة أن تضحي بأي شيء من أجل أن تبقيه على قيد الحياة. إنَّ موقعية الأم وطبيعتها مختلفة عن طبيعة الأخرى.

٣- تضحية الأم وشكر الإبن

كيف يمكننا إجمال المعاناة التي ذكر مفرداتها الإمام زين العابدين عليه السلام لنصل إلى قوله: «فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه» وما هي موقعية كل من الأم والإبن بالنسبة للآخر؟

لو استعرضنا ما تقدمه الأم لولدها من وقت بداية الحمل إلى نهايته ثم ولادته وإرضاعه ورعايته وهو طفل حتى سن كبيرة، سنجد أن مستوى العطاء نموذجي، فهو تضحية متواصلة كل ليلة بليلة وكل لحظة بلحظة، بعض الأمهات لا ينمن الليل بسبب طبيعة ولدهن، خاصة إذا كان عنده بعض المعاناة في جسده أو في معدته، بل تكفي الأشهر التسعة للحمل فهي تعبير عن عناء استثنائي وكبير، وفي هذا

(١) الشيخ النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج٩، ص:٣٦١.

يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾[1].
أنظر لهذا المستوى من التعب والعناء وفي كل لحظة من اللحظات، ماذا يمكن أن يفعل الولد مع أمه طوال حياته؟ يمكن أن ينفق عليها وأن يحترمها ببعض اللياقات، ويتواصل معها، لكن لو جمعنا كل هذه العطاءات مهما بلغ مستواها، لا يمكن أن تحاكي شعور جسدها وأنينه وتعبه وألمه. إن الإبن يعطي أمه من الخارج مع الحنان، بينما تعطي الأم من الداخل، من قلبها وعقلها وجسدها، هي جزء لا يتجزأ من معاناة الولد بينما هو ليس جزءاً لا يتجزأ من معاناتها. قد تكون مريضة ويتأثر عليها، لكن لا يتأثر جسده، أما هي **فحملته وهناً على وهنٍ وهذا مستوى عال من تأثر كل الجسد.**

وفي هذا يعبر الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «وأنها وقتك (حمتك) بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها» أي لم تبق قطعة من الجسد إلا وساهمت في حمايتك ورعايتك. إنك في داخلها قبل الولادة «وكان بطنها لك وعاء»، وتحضنك باحتواء لك بعد الولادة «وحجرها لك حواء»، وتسقيك الحليب من ثديها وهو خلاصة غذاء جسدها «وثديها لك سقاء»، وتحميك بنفسها من أي عارض «ونفسها لك وقاء».

بل أكثر من هذا فقد آثرتك على نفسها، واستبدلتك بها، وأعطتك ما كان لها، وتحملت آلاماً كان يمكن أن تتحملها أنت لو لم

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

تتصد لها بدلاً عنك «فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظلك (من الشمس والرياح) وتضحي (بالتعرض لها)»، وهي تقدم لك النعيم واللذة والراحة مع تعبها وقلة نومها «وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها»، إنها تواجه الحر والبرد لمصلحتك، فما كان يشكل فائدة لك يسرته، وما كان مضراً لك حمتك منه «تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك».

مع كل هذه المعاناة فهي مستأنسة مستبشرة بالمولود الجديد، فرحة بما ستحصل عليه، تتحمل الألم والمكروه والثقل والهم والغم دون أي رفض، **منتظرة للأمر الإلهي في دفع هذا المولود بقدرة الله إلى خارج جسدها ليعيش على هذه الأرض، حيث تواكبه بعطاءاتها وحنانها وتضحياتها.**

لقد رعتك و تريدك أن تبقى حياً مهما كانت وضعيتك، بينما حَمَلتها أنت وتنتظر موتها رأفة بحالها، لأنها عجوز وقد انتهت طموحاتها، وربما كانت تعاني من العجز، فلعل راحتها بموتها.

إن مستوى تحمل الأم لولدها والعناية به يصل إلى أقصى وأفضل الدرجات، بينما عناية الابن هي رد لهذا الجميل ومحاولة للبر بحسب توجيهات الشرائع المقدسة، إلا أنه لا يرقى الى مستوى ما أعطته الأم في أحسن حالاته. وعندما يذكر الإمام زين العابدين عليه السلام «فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله

وتوفيقه» فهو يختصر تلك الفوارق الحقيقية الموجودة بين عطاءات الأم وعطاءات الإبن، الذي يحتاج إلى تسديد إلهي ليكون موفقاً،وعليه أن يتذكر دائماً الأوامر الإلهية في الدعوة الى رعاية الأم والاهتمام بها،ليرد لها بعضاً مما قدمته وما أعطته، فيكون شاكراً وباراً لأمه.

٤- الجنة تحت أقدام الأمهات

ما المقصود بـ «الجنة تحت أقدام الأمهات»؟

الحديث الشريف يقول: **«الجنة تحت أقدام الأمهات»**[١]، **والمقصود به أن الأم التي رعت ولدها وأحسنت تربيته وقامت** بواجباتها والتزاماتها تجاهه، هذه الأم هي انسانة لها مقام خاص،ولا بد أن تدخل الى الجنة مع كل ما أعطته وقدمته، وكانت قد راعت فيه كل الضوابط السليمة والصحيحة والشرعية في عملية التربية، لأنها وفت بالتزاماتها وقامت بما عليها، ولذا الجنة تحت أقدام الأمهات. بعض الأمهات لا يكنّ في الجنة بشكل طبيعي، أي ليس مجرد صفة الأمومة تُدِخل إلى الجنة، بل لا بد من الأخذ بعين الاعتبار قيام الأمهات بالتكليف العام الملقى على عاتقهن، وبطبيعة الحال لديهن رصيد مسبق هو الحمل نفسه، إنه رصيد لمصلحة الأم، والرعاية عند الطفولة هو رصيد كبير لمصلحتها،

(١) الشيخ النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١٥، ص: ١٨٠.

والأعباء المصاحبة للتربية هو رصيد لها، هذه الأرصدة التي تحصل عليها الأم هي لمصلحتها، فإذا قامت بما يتوجب فيما بعد ضمن الخط الصحيح والمستقيم، معنى ذلك أنها ستفوز بالجنة حكماً فالجنة تحت أقدام الأمهات. إن الأمومة تسهل الدخول إلى الجنة إذا ما واكبتها الاستقامة والصلاح.

٥ - حـــق الأم ثابت

معروف أن هناك أمهات غير صالحات يلدن أبناء صالحين، هل يلغي الإسلام هنا تأدية حق الأم؟

إن علاقة الإبن مع الأم في رعاية حقها هي علاقة ثابتة في التشريع الإسلامي بكل المعايير، سواء أكانت الأم صالحة أو لم تكن صالحة، وهي محددة في دائرة قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[1]، وهي قاعدة عامة تشمل الأم والأب. فالمصاحبة بالمعروف والوفاء لهذه الأم بأن تُشعرها كإبن، أنك بار تحترم وتراعي أمومتها، بل يصبح المطلوب من الإبن البار المؤمن مع الأم الفاسدة أن يُشعرها بعظمة الالتزام الديني في الوفاء على الرغم من مسلكها وأخطائها، وربما يشكل هذا رادعاً وتوجيهاً لها. إذاً في مسألة تبعيتها في الشرك والانحراف لا يجوز للإبن أن يسمع لها وأن يطيعها في هذا الأمر، أما فيما يتعلق بالوفاء والإحسان

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

والمصاحبة بالمعروف فهذا أمر يجب الالتزام به. بعض الأشخاص يدَّعون أنَّ من حقهم أن يصرخوا عليها وأن يضيقوا عليها على قاعدة أنها غير مؤمنة، لكن أين قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾(١) هذه الآية الكريمة لا تتحدث عن رفض قول: أف للأم المؤمنة فقط، بل هي عامة لكل أم وأب.

٦ - التقصير لا يلغي حقها

أحد الأشخاص يقول: إن أمه لا حق لها عليه، فعندما طلقها والده لم تلتفت إليه بشيء، فهل لها حق عليه؟

لا تنعدم مسؤولية الإبن في الإحسان إلى أمه إذا قصَّرت بحقه وكانت مخطئة، فالتوجيه الإسلامي لتقدير الأم مرتبط بصفتها. ويجب التدقيق في حالة عدم رعاية الأم لولدها، ربما يكون الأب هو السبب بحيث حرمها بعد الطلاق من حقها في الاتصال بولدها، أو كانت الظروف مانعة بسبب تباعد بلدي تواجد كل منهما، أو كانت ظروف الأم قاهرة، بل حتى لو كانت مخطئة، فإننا أمام صلة رحم أرقاها في علاقة الأبناء بالوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٢)، يكفي ما عانته أثناء الحمل والولادة، فإذا كانت مقصرة بعد ذلك في واجباتها فحسابها عند الله تعالى، وعلى الولد أن يقوم بواجبه تجاهها.

---

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٢٣.

٧ - بين الطاعة والإحسان

أحياناً تستغل الأم الجانب العاطفي المتدفق من الإبن باتجاه أمه أو العكس، وتطلب منه مثلاً أن يدرس مادة الرياضيات بدل الأدب وإلا لن تكون راضية عنه،ماذا يفعل؟

هذا ليس مورد رضا أو عدم رضا، إن الاختيارات هي للولد في سن البلوغ وما بعده، أما مراعاة الأم فيدخل في دائرة الإحسان ولا يدخل في دائرة الطاعة وسأميز بين الأمرين.

الطاعة هي الالتزام بتنفيذ الأمر، أما الإحسان فهو مراعاة تنفيذ رغبة الآخر وهذا يشمل الأم والأب، والإحسان مطلوب تجاههما بعد البلوغ والرشد، بأن تؤخذ رغبة الأم والأب بعين الاعتبار من قبل الولد حتى لو خالفت رغبته، لإدخال السرور إلى قلبيهما. مثلاً لو افترضنا أن مستقبل الولد لا يتأثر سواء درس هذه المادة أو الأخرى، وأمه ترغب واحدة من الاثنتين، فلا مشكلة أن يحسن إليها ويراعي رغبتها. لكن إذا اعتبر مصلحته الأكيدة في الأمر الآخر، فالقرار عندئذ يعود له، ولا تستطيع أن تلزمه تحت عنوان الطاعة، إذ بعد البلوغ تكون علاقته مع أمه مرتبطة بدائرة الإحسان وليست مرتبطة بدائرة الإلزام.

هنا يوجد موضوع دقيق جداً. إن وجود الولد داخل الأسرة،

ورعاية الأسرة لشؤونه، بحيث ينام ويأكل ويشرب داخل البيت الواحد، يستلزم من قبله الانضباط القانوني ومراعاة الضوابط داخل الأسرة، فالأب يعطي صلاحيات للأم أن نظّمي البيت كما تشائين، وامنعي الولد أن يجلس هنا أو هناك. بعض الأولاد يتجاوز فيقول بأنه يحب أن ينام في هذا المكان وأن يجلس في ذاك المكان، لكنَّه ملزم بالطاعة، لأن المكان ليس له، والتفويض معطى من الأب للأم بأن تتصرف في هذا المكان، فهو لا يستطيع أن يفعل ما يريد لأنه يتصرف بملك الغير، وما لم يحرز رضا الآخر في ملكه فهو لا يستطيع التصرف. إذاً نحن أمام القواعد العامة المعتبرة في حقوق **الناس مع بعضهم البعض والتي تطبق داخل الأسرة، ثم يدخل البر والإحسان والمراعاة التي لها علاقة بالمسايرة والتنازل والطاعة** لخصوصية الأمومة والأبوة.

٨ - طاعة الإبن لها صغيراً وإحسانه إليها كبيراً

سماحة الشيخ إلى أي حد هو حق الأم؟

الأم مسؤولة عن العملية التربوية للإبن، كما أن الأب مسؤول أيضاً، فالأم ترعى ولدها منذ طفولته وتهذبه وتحسن أخلاقه وتوجهه، وأفضل نموذج في التربية هي التوجيهات الإسلامية التي أعطيت للأم، فإذا قامت بعملية التربية والولد في سن صغيرة، فمن الطبيعي أن يتم التركيز على طاعة الولد الصغير

لأمه، لأنه لا يمكن أن تتم عملية تربوية سليمة مع تحريض على عدم الطاعة، ولأن الصغير لا يملك قدرات عقلية وجسدية ولا يملك مستوى مساعد ليميز بين الأشياء حتى نترك له الحرية في الطاعة أو عدمها، لذا نقول إنه ملزم بطاعة أمه في عملية التربية في حالة الصغر، وهذا الأمر يتقاسمه كل من الأب والأم، بسبب توزيع الأدوار في العملية التربوية، آخذين بعين الاعتبار المساحة المشتركة بينهما وضرورة الاتفاق عليها، وما يعود للأب من موقع قواميته داخل الأسرة، وللأم من موقع مواكبتها لطفلها، فيفترض أن لا يكون هناك تنازع بحيث تربي الأم بطريقة ويربي الأب بطريقة أخرى، وإلا ضاع الولد. وصل هذا الإبن إلى مرحلة البلوغ عندها يكون الحديث عن الإحسان إلى الوالدين الذي قد يصل إلى دائرة الطاعة، ما لم يؤد ذلك إلى ارتكاب معصية، وإلا ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾. فبإمكان البالغ التمييز وتحمل مسؤوليته الشرعية.

٩ - التدخل في حياة الأبناء

إن المجتمع يعيش بعض الحالات المعقدة بين الأب والإبن وبين الأم والإبن، ونرى اليوم زيجات تهدم من وراء تصرف أمهات يتدخلن في حياة أولادهن بشكل دائم، ما رأي سماحتكم؟

الأم التي تتصرف من موقع أمومتها على أساس التحكم بحياة ولدها كائنا ما كان عمره ترتكب خطأ تربوياً كبيراً، إذ لا يمكن

التعاطي مع ابن عشرين وثلاثين وخمسين سنة كما يتم التعاطي مع ابن خمس أو عشر سنوات، فدورها أن تربيه صغيراً وتساعده عندما يبلغ، وتعينه على توفير المقدمات المناسبة والنصائح الملائمة ليأخذ قراراته ويبدأ بالاستقلال التدريجي من داخل البيت انتهاء إلى خارجه.

إن التدخل في الحياة الزوجية للولد (الإبن أو البنت) ومتابعة تفاصيلها، وإبداء الرأي الملزم في كل مفردة من مفرداتها، سيؤدي إلى تحطيم الحياة الجديدة الناشئة. صحيح أن الحجة في ذلك هو **الإرشاد والتوجيه، وعدم قدرة الولد على إدارة شؤونه، لكنها ليست كافية لسلب قدرة الولد واستقلاله، بل يجب توفير كل السبل** المناسبة لمعالجة الضعف في الإدارة والاهتمام بالاستقلال المسؤول في الحياة الزوجية.

إن احترام الولد لأمه لا يعني الهيمنة على شخصيته، وهنا أسأل هذه الأم: ألم تتمني اللحظة التي تصلين فيها إلى الاستقلال الذاتي في بيت الزوج؟ ألم تعيشي الرغبة في التخلص من سيطرة الأهل وطلباتهم لتكوني منطلقة في قراراتك من دون تدخل الآخرين؟ إذاً كيف تتمنين هذا الأمر ولا تدعين ولدك يحقق أمنيته ويقرر شؤون حياته؟! على الأم أن ترتاح، فهي قامت بما عليها من التربية، وتُعتبر سعادتها من سعادة ولدها، فالحياة الاجتماعية لا تستقيم مستقرة مع كثرة

التدخلات. هذا الكلام ليس ضد الأمهات بل هو معهن، لأننا عندما نتحدث عن الموضوع الشرعي نساعد الأم ونساعد الإبن ليعرف كل واحد منهما حدود دوره ومسؤولياته، حتى لا يتم تجاوز الحقوق والواجبات، لأن معظم مصائبنا هي في تجاوزها.

١٠ - رأي الأم في زواج البنت

ما رأيك في الأم التي تريد أن تزوج ابنتها بحسب قناعتها،هل هناك مشكلة في ذلك؟

من حق الأم أن تبدي وجهة نظرها وأن تقدم النصيحة،لكن لو افترضنا أن البنت قد اختارت اختياراً معيناً،فعلى المستوى الشرعي ليس للأم حق الطاعة في موضوع اختيار الزوج، نعم رأي الأب وموافقته بالنسبة للبنت البكر مطلوب، فالأم تستطيع أن تبدي وجهة نظرها، ومن المفيد أن تراعي البنت أمها في الإحسان إليها وبالأخذ بعين الإعتبار بعض نصائحها، فلو افترضنا وقع الخلاف بين البنت والأم في اختيار الزوج، فالقرار يكون للبنت ولا تكون مأثومة في ذلك، وعلى الأم أن تدرك أن حق هذه البنت أن تختار وهي تتحمل مسؤوليتها.

١١ - تأثير الأمهات في الأبناء

سماحة الشيخ، من خلال تجاربك إلى أي حد استفادت المقاومة الإسلامية من الأم الصالحة التي تدفع أبناءها للجهاد؟ وكم يتأثر الأبناء بأمهاتهم؟

عندنا نماذج رائعة جداً من الأمهات اللواتي يعطين الدفع الحقيقي لأبنائهن في عمل الجهاد، وعندما تكون الأم مقتنعة بهذا الخط، فإن نفسية الولد الذي يذهب إلى مواقع الجهاد تكون نفسية مرتاحة، **لأن عاطفته مع أمه وحبه لها يشعره بمسؤولية معينة تجاهها، فإذا وجدها تدعو له وتنسجم مع خطه، يكون اندفاعه** اندفاعاً مختلفاً عن ذاك الذي يشعر أنه في مشكلة مع أمه وهي تتكلم بشكل سلبي عن توجهه الجهادي، هذا الإنسان يكون مُتعَباً لأنه لا يرغب بالخلاف مع أمه ويريد الإحسان إليها، لكنه يتبع تكليفه في الجهاد، فهو يستعين بالله تعالى ويستمد روحانية من إيمانه ليخفف عنه هذا الألم.

إن إيمان الأمهات ينتج أولاداً صالحين مجاهدين، فهي زرعة الأم ومن الصعب أن تتبدل أو تتغير، فالأم الصالحة ينعكس تأثيرها الصالح، كما أن الأم الفاسدة ينعكس تأثيرها الفاسد، وعلى العموم فالأولاد يتأثرون بأمهم بشكل كبير، ويأخذون صفات كثيرة من صفاتها أكثر من الأب، بسبب رعايتها لهم بشكل تفصيلي.

إن الأم عندما تحمل روحية جهادية، وتحمل مسؤولية الدفاع عن الأرض والدفاع عن الإنسان وتنفيذ الأحكام الشرعية، فهذا سينعكس في داخل الأسرة وخاصة على الأبناء في العمل الجهادي، وها هي الآثار واضحة، لأن الموضوع برمته موضوع تربوي. لكن لا نستطيع القول إنه بمجرد إن تكون الأم مؤمنة فسيكون الأولاد مؤمنين حكماً، أو أن تكون الأم فاسدة فسيكونون فاسدين كذلك، وإن كان مؤدى القاعدة التربوية، إذا أحسنت الأم المؤمنة تربيتها لأولادها وكانت الظروف ملائمة فسينشأ الأولاد على الإيمان، وإذا عملت الأم الفاسدة على تربية أولادها على **هواها فسينشأ الأولاد فاسدين،لكن مع ذلك تحصل الاستثناءات أيضاً، لوجود معطيات تربوية أخرى مؤثرة في حياة الأولاد**، ولا يقتصر الأمر على تربية الأم فقط.

بعض الأمهات اللاتي زرناهن يعطين المعنويات أكثر مما نعطيهن، أكثر من هذا كانوا يحذروننا من صعوبة تقبل بعضهن خبر استشهاد ابنها،وفي إمكانية تعرضها لانتكاسة صحية مفاجئة، وإذ بنا نفاجأ أنها انقلبت رأساً على عقب مع شهادة إبنها، بالعزيمة والقوة التي فاجأت الجميع، وهذا كله مرتبط بالأرضية الصالحة الموجودة عند الأم.

١٢ - الهوى والطاعة

هل يعتبر الولد عاقاً إذا لم يستمع الى منع أمه من الذهاب إلى قتال العدو؟

الطاعة ليست موجودة مع وجود التكليف الشرعي عند الولد، ومع بلوغه عمراً يتحمل معه مسؤوليته في التكليف الشرعي، فمع نفير الواجب العيني عليه، لا يستطيع أحد أن يوقف حركة الحياة على عواطف ومشاعر لا تكون منطلقة من مسؤولية، وإنما منطلقة من أهواء ومشاعر. كما نقول بأننا نرفض الأهواء عند الإنسان **بشكل عام والتي تؤدي إلى عدم أداء الواجب، نرفض أيضاً الهوى للأم عندما لا يكون مستنداً إلى أشياء موضوعية.** وهذا لا ينفي أن يُبقي الولد في حسابه الإحسان لأمه في المعاملة وفي إخراج الموقف ومتابعته، بل لو كان الأمر غير محصور به فعليه المراعاة، أما التطبيق فهو بحسب الحالة.

١٣ - التوجيه الفاسد

من الجانب الآخر من مجتمعاتنا ماذا نقول عن الأم التي تشجع بناتها للذهاب إلى البحر وفي أجواء مختلطة، وكذا على الرقص والسهر وعدم مراعاة الحجاب في اللباس..؟

الأم الصالحة بحسب فهمنا هي الأم التي تنسجم بأوامرها

وتوجهاتها مع ضوابط الشريعة المقدسة،أما الأم التي ترتكب هفوات أو أخطاء أو معاصي فهي بمقدارٍ ما مخطئة، بقدر هفواتها ومعاصيها وقد تصل إلى الفساد. وهنا تدخل المعصية من بابها الواسع لا بعنوانها كأم فقط،وإنما كإنسانة مسؤولة، فإذا شجعت الأم على أمور فيها فساد للأسرة، فهذا له علاقة بعقليتها وايمانها وتربيتها، وهي لا تؤمن بأن الصلاح يكون بالحجاب مثلاً، فتدعو بناتها الى عدم الحجاب، ومن المؤكد أن هناك أمهات تحارب بناتها إذا أردن لبس الحجاب تحت عنوان سلبياته في النظرة إليها بأنها غير جميلة ومتخلفة، وهذا النموذج موجود في مجتمعنا. **هذا الأمر ينطلق من تربية وعقلية ونظرة إلى الحياة والمسؤولية.**

لذا نحن أمام نموذجين: الأول:أم تلتزم بأحكام الشريعة المقدسة، وتطبق تعاليمها كافة، فحلالها حلال وحرامها حرام دون أن تتأثر بضغوطات المجتمع وانحرافاته. الثاني:أم لا تلتزم بأحكام الشريعة المقدسة أو تلتزم ببعضها ولا تلتزم بالبعض الآخر، وبمقدار ايمانها ستوجه أولادها، من هنا عندما توجه أولادها الى أمور فاسدة سواء بالذهاب إلى الخمارات أو الاختلاط المحرم أو التشجيع على أمور فاسدة أخرى، هذا التوجيه له علاقة بخطئها في التربية والمنهجية وبانحراف في المسلكية غير المنسجمة مع الإسلام.

١٤ - الغرب ومجتمعنا

ما هو الفرق بين علاقة المرأة بابنها في الغرب وفي مجتمعنا؟

يكاد يشعر الإنسان أن الأمومة في الغرب الى زوال، لأن بناء المجتمع الغربي لا يهتم بتكوين الأسرة، أمّا الإسلام فهو يركز على حماية الأسرة، ويرسم حقوقاً للوالد والوالدة والأبناء وتنظيم العلاقة بينهم، وفق أحكام شرعية كثيرة تضبط حركة الأفراد داخل الأسرة، مما يؤدي إلى الراحة والمودة والسكن والاستقرار. وقد **راعت الرسالات السماوية الأخرى خصوصية الأسرة، فالنصرانية اعتبرت العائلة مقدسة،ولها ضوابط مشددة، تنسجم مع التوجهات** الموجودة عندهم.

في المجتمع الغربي وفي العقلية العلمانية عموماً، هناك نوع من التدمير للأسرة، على قاعدة أن الإنسان شخص يعيش لنفسه ولذاته وليومه ولا يعيش للآخرين، فالفتاة تفكر بأنوثتها وجمالها، فلا داعي لتحمل مسؤولية الحمل وما يترتب عليه من آثار على جسدها، وكل الأضواء الإعلامية والتوجيهية وحفلات ملكات الجمال وعارضات الأزياء وأدوات الزينة موجهة إلى هذه الخصوصية، والولد يربكها في حركتها الاجتماعية والاقتصادية فلا مانع للتخلص منه لو وقع الحمل خطأً أو قبل الزواج، وإذا كانت مقتنعة بتحمل المسؤولية وتيسر تربيته من خلال الحاضنة، فإنها

تشرف عليه كما تشرف على أي قطعة من أثاث المنزل. هذا الوصف ليس مبالغاً فيه، بل هو يمثل الاتجاه الذي ينمو تدريجياً ويزداد يوماً بعد يوم. أما ما نراه من اهتمام أسري في بعض الأماكن فله علاقة بالعامل الديني. إن الأمومة عيش للآخرين والأبوة عيش للآخرين حتى البنوة عيش للآخرين، ففي مجتمعاتنا وبتأثير من الدين تعتبر العلاقة الرحمية محترمة عموماً، وتكوين الأسرة أساس، ومكانة الأم عظيمة في نظر الناس، وتعتبر الفتاة أن الأمومة إحياء لها ولاستمراريتها.

في الغرب يفكر الشاب و الفتاة أن يعيشا مع بعضهما البعض كأنهما زوجان، دون أن يكون بينهما رابط زواج، وبعض الأحيان يتفقان على رعاية أي ولد من أي ميتم أو أماكن الرعاية فهو أسهل من موضوع الإنجاب. إذاً التعامل ليس تعاملاً عادياً وطبيعياً وهو مخالف للفطرة، إضافة إلى حالات الإنجاب من الزنا وهي كثيرة جداً، فعندما تنجب ولداً من الزنا ترسله الى ميتم أو أي دار رعاية بشكل طبيعي، وتمضي تعهداً بأنها قطعت كل صلتها به، مع إخفاء كل المعالم التي توصل الى هذه الأم في المستقبل، وتكون راضية ومقتنعة. هذا النوع من السلوك ينعكس على الأبناء وسلوكياتهم. فقد ذكر لي أحدهم قصة ولد مع أمه: هذه الأم كبيرة في السن وعندهم نوعان من الإيواء: أن يبقوا الكبير في سكنه وهم يقومون بزيارته، أو أن يكون في مأوى جماعي، وقد اختارت الأم

مبنى سكن الولد نفسه، فكان يمر أسبوعان وثلاثة أسابيع وشهر لا يسأل عنها إلا نادراً ولا أولاد آخرين لها، وإذا كان يريد زيارتها فمدة الزيارة دقيقة أو دقيقتين. ماتت الأم في داخل المنزل وتأخرت الرعاية في تفقدها، واشتم الجيران رائحة قوية فاتصلوا بالمعنيين، وتبين أنها ميتة منذ ٤٨ ساعة ولا أحد يعرف ذلك.

الحلقة الثانية

حــق الأب

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله».

* * * * * *

١ - لولاه لم تكن

كيف نفسر ما أورده الإمام زين العابدين عليه السلام من حق الأب؟

قول الإمام زين العابدين عليه السلام «فأن تعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن»، حتى يفهم الإنسان بأنه مدين لمن كان سبباً مباشراً لوجوده في الحياة، وهذه مسألة مسلّم بها، وهي مرتبطة بما أكمله الإمام عليه السلام «فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه». إذا رأيت نفسك قوياً فأبوك أصل هذه النعمة، لأنه السبب المباشر لهذا الأمر بناء لخلق الله تعالى، وإذا وجدت أنك تتمتع بقدرات فالأساس هو الأب، فلا تنس أن كل ما

تراه في شخصك وبدنك وقوتك وصحتك، أصله وبدايته من الأب، وهذا يولّد مسؤوليات عند الابن في طريقة التعاطي مع والده، الذي تنشأ له حقوق على ولده.

إن الالتزام بالضوابط الشرعية التي أمرنا بها الله تعالى حول كيفية التعاطي مع الأب، تجعلنا مبرئي الذمة، ونكون قد التزمنا بأداء حق الأب بحسب قدراتنا وطاقاتنا. وبما أننا في هذا الوجود وقد تيسرت لنا هذه الحياة بواسطة الأب، فلا بد أن نحمده على عطاءاته، وأن نشكر الوالد على قدر ما كان مسبباً للنعم، وهذا غير متيسر إلا بالاستعانة بالله تعالى متبعين إرشاداته وأوامره في هذا المجال، وبهذا نكون قد قمنا بما علينا. ولا تقاس الأمور بمقدار ما يعطي الإنسان من بدل، إنما تقاس بمقدار ما يملك من قدرات وطاقات ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1]، أما أن يُواجه الابن من قبل الأب، الذي يقول له: أنا سبب وجودك فماذا فعلت لي؟ أو أنا ربيتك فلن تستطيع رد جميلي! أو أنا أنفقت عليك وأنت بحاجة لي! فهذا لا ينسجم مع خلق الله تعالى ومع الواقع الموضوعي. إذ من الطبيعي أن يكون الأب سبباً للوجود ومربياً ومنفقاً، ولا يستطيع الابن أن يكون كذلك، إنما يستطيع أن يكون باراً محسناً منفقاً على والده عند الكبر، وهذا يدخل في دائرة موقعية وقدرة كل منهما. فالمقارنة خاطئة، لأن دور الأب يختلف

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

عن دور الابن وبالعكس، ويتحمَّل كل واحد منهما المسؤولية على أساس دوره وواجباته، وسيأتي دور الإبن عندما يصبح أباً ليقوم بمهامه من موقعه، فيكون مطالباً بحسن الأداء تجاه مولوده، فالمقارنة الممكنة بين الأب والابن تكون على أساس العمل الصالح والتقوى بحسب موقع كل منهما ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

٢ - حدود حق الطاعة للأب

ما هو حق الأب في الطاعة؟

سنقسم هذا البحث إلى عدة فقرات لتسهيل فهم حق الأب، وهو يشمل الصبي والبنت عند الحديث عن الولد أو الابن إلاَّ ما استثني:

أولاً: الفترة المتعلقة بالصغر إلى سن البلوغ، ومن الطبيعي أن يكون حق الطاعة فيها للأب، الذي لا يمكنه إدارة العملية التربوية لهذا الولد إلا بطاعة الولد له، وكذلك تكوين الأسرة في الإسلام وجعل القوامية والإدارة عند الرجل تستلزم أن تكون الطاعة من قبل الأولاد لوالدهم، قد ذكرت في الحلقة السابقة بأن الأم لها أيضاً حق الطاعة، ضمن إطار تقسيم الأدوار بين الأب والأم،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

بحيث إنها في إدارتها الداخلية وفي عمليتها التربوية المنسقة مع الأب، لها حق الطاعة من فترة الصغر إلى سن البلوغ.

ثانياً: تجاوز الولد سن البلوغ وأصبح مكلفاً على المستوى الشرعي، ولكنه موجود في داخل البيت، والأب هو المالك والمسؤول والمنفق ورب البيت، فالطاعة من قبل الابن للأب تكون في إطار ودائرة إدارته للمنزل ولطبيعة الأسرة، وتعتبر كل التصرفات التي يقوم بها الولد داخل البيت هي ضمن دائرة ملكية ومسؤولية الأب، وقد ذكرنا أن الأم تدخل هنا في دائرة التفويض من الأب. **أما في الأمور الشخصية التي لها علاقة بمستقبل الابن وقراراته العامة، ماذا يريد أن يعمل؟ كيف سيبني مستقبله؟ ماذا سيتعلم؟** فليس للأب أن يفرض على ولده هذه الأمور، لكن على الابن أن يستفيد من النصيحة، وليس واجباً عليه أن يكون مطيعاً لكامل رغبات الأب كما يريد إذا شعر أنها تضر بمستقبله، لأن الولد أصبح مكلفاً ومسؤولاً ويريد أن ينشئ مستقبله. نعم في داخل البيت والأمور المتعلقة بالبيت والإنفاق فهو لا يستطيع التصرف كما يحلو له، لأنه ضمن دائرة ملكية وصلاحية الأب ومسؤوليته، والأب هو الذي يقرر، أمَّا فيما يتعلق بمسؤولية الابن ما لا ينعكس على دائرة سلطة الأب، فمن حقه أن يأخذ القرار المناسب.

ثالثاً: الإحسان وهو مجاراة رغبة والده كما يحب، وفيه أجر كبير طالما أن هذا الأمر لا يؤثر عليه، وينسجم مع قناعاته، أو لا

يترتب عليه انعطاف جذري في حياته. فلو واجه الابن أمرين، أحدهما يرغبه كثيراً والثاني أقل رغبة، فالإحسان يكون بمسايرة رغبة الأب. لكن ليس عليه أن يكون مطيعاً في كل أمر، بمعنى أن يلتزم بكل أمر من الأب خارج دائرة صلاحياته في موضوع الإنفاق والإدارة الأسرية. أما في دائرة الإنفاق فالصلاحية للأب وهو المسؤول عن قراره، وقد يمارس ضغطاً في هذا الشأن، فالولد معني بأن يوازن قدرته وأن يقبل معادلة الضغط لاعتبارات يراها من مصلحته، فالطاعة هنا تأخذ شكل المقايضة والتبادلية ولا تأخذ **شكل الإلزام.**

لنفترض أن الولد اختار اختصاصاً أو سفراً أو منزلاً يرتب نفقات مالية على الأب، يستطيع الأب أن يرفض، سواء لعدم قناعته أو لعدم قدرته على الالتزام المالي، ولا يقدر الولد أن يلزم أباه، أو أن يعتبره مقصراً في حقه، فهذا من حق الأب، وليس من حق الولد أن ينزعج ويحمل الأب المسؤولية، لأن القرار مُكلف ولا يستطيع الابن تحمل أعبائه، ومع رفض الأب يمكنه العدول بما يتناسب مع قدرته. لكن لو افترضنا أن الولد اختار تخصصاً لا يكلف شيئا أو يكلف تكاليف معينة يمكن للابن أن يتحملها، وقال الأب أنا لست راضياً، فهذا لا يصح لأنه خيار الولد وعلى الأب أن يترك مجالاً للولد للاختيار. أمّا إذا غيّر الولد وجهة نظره مراعاة للأب فهذا يدخل في الإحسان، لكن إذا لم يراع والده وهو مقتنع

بما يفعله فلا يكون عاصياً، لأنه ليس في دائرة واجب الطاعة وحق الأب.

رابعاً: التوجيه الذي له علاقة بالإيمان والسلوك هو من حق الأب بعد بلوغ الابن من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب متابعة الأسرة لصلاحها. وهو عندما يمارس بعض الضغوطات المالية والعملية وأساليب الترغيب والترهيب يقوم بدوره ومسؤوليته، عندها تكون طاعة الولد منسجمة مع السياق العام المطلوب من كل إنسان. **أما لو كان الأب منحرفاً وأراد توجيه ولده في هذا الاتجاه، أو شجعه على المعصية، أو منعه من سلوك طريق طاعة الله، عندها يحق للولد أن يرفض هذا التوجيه ولا يلتزم بطاعة والده** في هذا الشأن بالأسلوب اللائق المحترم لموقع الأبوة، وهذا ينطبق على الأم أيضاً ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ. . .﴾[١].

خامساً: الزواج، وهو بالأصل اختيار وموافقة الولد ذكراً كان أم أنثى، لكن الإسلام أعطى صلاحية للولي وهو الأب أو الجد للأب بالنسبة للبنت البكر، فاشترط موافقة الولي إضافة إلى موافقتها، على قاعدة حماية البنت وتوفير المشورة المناسبة لها. إلا إن الأب لا يستطيع استخدام هذه الصلاحية عشوائياً بحيث يرفض بلا مبرر مقنع أو يدعي عدم استئناسه بهذا الزواج أو لا

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

يرغب بهذه العائلة مع توفر كل الشروط الشرعية المطلوبة في الزواج من الإيمان وقدرة الإنفاق، لأن الرفض في هذه الحالة خارج السياق المسؤول عنه شرعاً، فإذا كانت البنت مقتنعة مع توفر الشروط الشرعية في العريس، عندها تسقط موافقته وتكفي موافقتها، بل في حالات معينة إذا شعرت أنها قد ترتكب حراماً إذا لم تتزوج، ولم يقدِّر الوالد هذا الأمر، فمن حقها الزواج مع عدم موافقته خشية الوقوع في الحرام، كما تغني موافقة الجد عن موافقة الأب في كل الحالات. أما الثيِّب أي غير البكر فلا تحتاج إلى إذن والدها إذ لا حق له عليها.

وكذا لا حق للأب في قرار زواج ابنه الصبي، فموافقة الابن تكفي. لكن نعود مجدداً إلى الإحسان لتكون مراعاة موافقة الأب من هذا الباب، ولحسن استمرار الروابط الأسرية. أما مع توفر الضوابط واتخاذ كل طرف سواء أكان أباً أو صبياً أو بنتاً لموقفه استناداً إلى صلاحياته الشرعية، فعلى الجميع التسليم والقبول إذا أرادوا أن يكونوا في دائرة الطاعة لله تعالى والالتزام الشرعي.

٣ - اختلاف الرأي

عندما يطلب الابن من الأهل أن يطلبوا له بنتاً، ويقاطعهم إذا رفضوا، هل يتحمل الأب مسؤولية ذلك؟

هذا الشاب يتصرف بطريقة غير شرعية، لأن عليه أن يقنعهم،

فالقرار بيدهم للذهاب أو عدمه، فإذا كانوا غير مقتنعين لأسباب تعنيهم عليه أن يتدبر أمره، أما التهديدات والالزام فلا محل ولا جواز لها. فكما نقول للأب لا تستطيع إلزام الابن بمن يريد أن يتزوج طالما أنه اختار لحياته، نقول للابن لا تستطيع إرغام أبيك لاختيارك، نعم ننصح في هذه الحالات أن تكون هناك مسايرة من كل طرف للطرف الآخر، وذلك لتقريب وجهات النظر قدر الإمكان، فالمراعاة مفيدة من الطرفين لمقاربة الرغبة، إذا لم يوجد سبب جوهري وأساسي.

٤ - الأبوة ثابتة

سماحة الشيخ هل تتصور أن الابن يترك والده؟فلو كان المبرر ترك الوالد له عند الصغر هل يصح ذلك؟

الولد مسؤول عن والده في الإنفاق عليه عند حاجته وخاصة في الكبر، وفي رعاية شؤونه بقدر استطاعته، وربما تكون مطالب الأب أكثر من قدرة الابن فمسؤولية الابن مرتبطة بالاستطاعة ضمن الأسقف المنطقية والطبيعية والشرعية المتوفرة، لكن التخلي عن هذه المسؤولية هي عقوق للوالد.

يبقى الأب أباً في موضوع الإحسان وصلة الرحم، فإذا أساء الأب في طريقة التربية فإننا لا نعطيه مجالاً ليدمر حياتنا، ولكن هو أب له حقوق لا تسقط رغم الإساءات والإهمال وذلك ضمن الضوابط الشرعية، فلا يحق لأحد أن يسلخ صفة الأبوة لأنها صفة

واقعية، ولا بدّ أن ندقق بالظروف التي سببت التقصير، وفي كل الحالات الإحسان حق علينا تأديته.

٥ - أهمية دور الأب

لعل إطاعة الأب في مجتمعاتنا الشرقية والإسلامية بالتحديد كانت السبب المباشر في ربط المجتمع الأسري عندنا، ما رأيكم؟

بطبيعة الحال عندما تكون الأسرة متماسكة وإدارتها سليمة، معنى ذلك أنها ستعيش جو استقرار، وهذا سينعكس على وضع المجتمع. **لاحظ الأسر المفككة، فالجميع فيها من الأولاد والأب والأم يعانون من مشاكل نفسية وعقد وأزمات وخلل في العلاقات،** أما الأسر المنضبطة والمتلائمة مع بعضها فهي تعيش جواً نفسياً مرتاحاً، ويكون الوضع التربوي فيها مقبولاً مع سلامة الخط وسلامة التوجه.

إن الأسرة التي ترتبط برأس، ضمن الأدوار الموزعة في الإسلام تعيش جواً سليماً، وهنا ألفت بعض الآباء أن رعايتهم لأسرهم تكون في بعض الأحيان رعاية تسلطية، فلا يراعي الأب أنه مدير و مسؤول، وبراعة المدير وأهميته في حسن إدارته لا في قوة تسلطه، وليس صحيحاً أن يقول: هؤلاء يشكلون أسرتي وأنا مسؤول عنهم وأقوم بالذي يعجبني، هذا خطأ، لأن القوانين والأنظمة التي وضعها الإسلام تعطيك صلاحيات محدودة، ولا تطلق يدك لتتصرف كما تشاء من دون ضوابط، بل تحث الولد

ليرفض توجيهك له في دائرة المنكر، لكن بالأسلوب المنسجم مع أخلاقية الإسلام ومع الإحسان.

٦ - الابن الأكبر يقضي عن أبيه

على حسب رأي الفقهاء الولد الكبير يقضي الصلاة والصيام عن والده المتوفى، ما سر هذه العلاقة بعد وفاة الأب؟

«يجب على الولي وهو الابن الأكبر قضاء ما فات عن والده من الصلوات.. ولا تلحق الوالدة بالوالد وإن كان الأحوط (استحباباً).. **ولا يجب على البنات، ولا على غير الولد الأكبر** من الذكور... **فإذا مات الولد الأكبر بعد والده لا يجب على من** دونه في السن من أخوته، ولا يعتبر في الولي (الولد الأكبر) أن يكون بالغاً عاقلاً عند الموت (لوالده)، فيجب على الصبي إذا بلغ[1]. «فلو كان الولد الأكبر للميت بنتاً، وولده الثاني ذكراً... فقضاء الصلاة والصيام يجب على الابن الذي هو الولد الثاني للأب». «فإذا مات الولد الأكبر قبل الأب... فتكليف قضاء الصلاة والصيام متوجه للابن الأكبر الذكر من الباقين»[2].

هذا الرأي الفقهي المستند إلى الروايات يُظهر شيئاً من الوفاء في العلاقة مع الأب، فلا يعتبر رحيله من هذه الدنيا انتهاء لعمله بالكامل، بل يكلف الابن الأكبر بمعالجة بعض ثغراته وتقصيره من

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص: ٢٢٧، مسألة ١٦.
(٢) الإمام الخامنئي(حفظه الله)، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص: ١٦٢، س٥٥٢ و٥٥٣.

قضاء للصلاة والصيام، وهذا ما يخفف عنه من حسابه في يوم القيامة. ونحن لا نعلم السر الدقيق لهذا التخصيص بالابن الأكبر، ولكن بما أنه الأول بين الذكور وينال حظوة خاصة لأنه الثمرة الأولى للحياة الزوجية،إضافة إلى الاهتمام والرعاية التي ينصب عليها الاهتمام به فلا بدَّ أن يتحمل شيئاً من المسؤولية. إنها علاقة وفاء وتعزيز للصلة واعتراف بالجميل لهذا الأب.

٧ - احترام الابن لأبيه

ما رأيكم في حدود احترام الابن لوالده؟

احترام الابن للأب له مصاديق متعددة، فإذا دخل الأب مجلساً، فعلى الابن أن يقف احتراماً له وأن يجلسه مكانه، وإذا تحدث بحديث أنصت له ولم يقاطعه، وإذا أراد توجيه مسألة قالها باللباقة التي لا تحرج أو تجرح الأب إذا كان التدخل ضرورياً. ولا مانع إذا تحدث الابن في مسألة لا يعرف عنها الأب أو يبدي وجهة نظره فيها، فليس المطلوب من الابن أن يصمت في المجلس الذي يجلس فيه الأب.

أما أن يتعّير الابن بأبيه بسبب مهنته أو كبر سنه أو شكله أو عدم قدرته على التعبير والتحدث فهذا مرفوض، إنه أصله ولولاه لم يكن، فعلى الأقل أن يتم التصرف في مثل هذه الحالات بما لا يؤدي إلى الحرج، ولكن أيضاً بما لا يؤدي إلى التنكر للأب.

في المقابل على الأب أن يراعي خصوصيات ولده وزمان ولده، فلا يتعامل معه دائماً وكأنه صغير السن لا يفهم شيئاً في هذه الحياة، ولا يقارن له حياته بما كان يعيش في السابق، فيقول له أنا كنت أصنع كذا وأفعل كذا وأتصرف كذا، فإنَّ تغير الزمان والظروف يتطلب بعض التغيير في السلوك الاجتماعي العام وبعض الأعراف والتصرفات، فنوعية اللباس تختلف من الريف إلى المدينة ومن زمان إلى آخر، وطريقة التعليم تختلف من جيل إلى جيل، وأمور أخرى تتطلب من الأب أن يراعيها وأن لا يقارنها مع ما كان يجري معه، وأن لا يعد الاختلاف في الظروف والعادات من قلة الاحترام.

٨ - أبوة علي عليه السلام.. إطلالة سريعة

لنطل إطلالة سريعة على العلاقة بين الأب وولديه، عنيت أمير المؤمنين علي عليه السلام كأب في علاقته مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام؟

نحن أمام أب عظيم وأبناء عظماء، ولا يستطيع التاريخ أن ينجب أعظم من هذه النماذج الرائعة، نماذج الأئمة المعصومين، وهم في المقام الأول وفي الدرجة الأولى، وبالتطبيق العملي كل مواصفات حياتهم تذهل العقول وتثبت جدارتها، إنهم ليسوا مقدسين لمجرد الدعوة والتعبئة للقداسة، إنما هم مقدسون لأن أهليتهم وأداءهم وما تركوه من آثار وأعمال جعلتنا نشعر بقداستهم ونعيشها في كل جوارحنا وفي كل حركة من حركاتنا، إن القداسة أتت من أهلية موجودة، ومن عظمة موجودة فرضت نفسها بشكل

طبيعي. اشتهر إمامنا علي عليه السلام برعاية ولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وكان دائم النصيحة والتوجيه لهما حتى عندما كبرا، وفي وصية مؤثرة لهما عندما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال لهما: «**وقولا بالحق واعملا للأجر و كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً**»[١] ونهاهما في لحظة الموت بأن لا ينتقما من قاتله: «انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**»[٢]. نحن بحاجة إلى حلقات للحديث عن هذا الموضوع.

إن من توفيقات الله تعالى للإنسان أن يوفق بأب مؤمن ملتزم منفتح واع يملك الأسس السليمة، ويرسم الخطوات التي تساعد الولد على النهوض. نحن نستفيد من التجربة الأبوية لأمير المؤمنين عليه السلام لنقول للآباء، بأن احرصوا لتمهدوا لأبنائكم ليكونوا أفضل منكم، وانطلقوا من رصيدكم ليكمل الأولاد الرصيد، وليحرص كل أب على التعلم والتعرف على أساليب التربية السليمة النافعة، ليكون الولد استمرارية حقيقية لهذا المنهج الأبوي المستقيم.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٤٧، ص: ٦٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٦٤.

٩ - الأب المقاوم

ما رأيكم بحالة الأب المقاوم؟

عندما كنا نلتقي بآباء المقاومين كنا نشعر أننا أمام قوة مميزة، لأن الأب إذا كان مقتنعاً بهذا الخط الجهادي فنوعية أدائه تكون مميزة. بعض الآباء كان يرفضون التعزية وكانوا يصرون على إحضار الحلويات،كان أحدهم يقول: أنا في فرحة لأن ولدي قام بواجبه ورفع رأسي. الحمد الله أصبح التنافس في مجتمعنا على الطاعة، والبيت الذي ليس فيه شهيد يشعر أهله بحسرة، **أما البيت الذي فيه شهيد فالكل يشعر باعتزاز وسرور، وهذا حسن تربية في الواقع**، ومن بركات **الإسلام العظيم، الذي** جعل الشهادة طريقاً لحياة المجتمع، وهذه هي الحياة الحقيقية التي نريدها لمجتمعنا، بدل أن يكون المجتمع ميتاً يبحث عن شهواته ولذاته. هؤلاء الآباء كانت لهم المساهمة الكبيرة في دفع الشباب وإعطاء المعنويات للمسيرة، ومن يتصور أن مسيرتنا قوية بالشباب المقاوم فقط يكون مخطئاً، هؤلاء الآباء والأمهات جزء من هذه المسيرة كالشباب، ولكن طبعاً من مواقعهم، بحيث تأخذ المسيرة قوتها من الأب والأم والأخت والطفل والمجتمع المقاوم فكلُّهم يساعدون ويعطون دفعاً إلى الأمام.

١٠ - مقارنة بين حق الأم وحق الأب

بمقارنة إجمالية بين ما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام حول حق الأم وحق الأب، نجد اختلافاً في طريقة عرض الحق، لماذا؟

الملاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام ركز في موضوع حق الأب على العلم بأنه أصل وجود هذا الإنسان، فهو السبب المباشر وإلاَّ أصل الخلق من الله تعالى، لكن أجرى الله الأسباب في مسببات معينة فكان طريق خلق الإنسان أن يكون بواسطة العلاقة الزوجية، وبالتالي فالأب هو المصدر الأساس لهذا الولد. بينما في **حق الأم كان يتحدث عن الخصوصية الرعائية للأم، هذه الخصوصية لا تقتصر على كونها احتضنت هذا الولد في بطنها، بل** هناك سلسلة من المعاناة والصعوبات والجسدية و التربوية والنفسية والرعائية التي عاشتها الأم سواء في مرحلة الحمل قبل الولادة أو ما بعد الولادة، وهي تختلف في تفصيلاتها عن خصوصية الأب. ومع أن الأب هو الأصل في الوجود لكن دور الأم مميز ومتواصل في العطاء. من هنا كان تركيز الرسول صلى الله عليه وآله على بر الأم بشكل متقدم على الأب. فقد روي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: «**يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أباك**»[١].

إن التمايز الموجود له علاقة بقابلية ووظيفة كل منهما، فالأب

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١٦٠.

أصل الوجود ومسؤول عن حماية الأسرة وتنشئتها والإنفاق عليها، أما الأم فعطاؤها يبرز على مستوى التعب الجسدي والنفسي المباشر والمنسجم مع تكوينها وما تنبض به من حنان لرعاية مولودها، وهي في الوقت نفسه بحاجة إلى الشعور بهذا النوع من المبادلة والمقارنة، نظراً للتدفق العاطفي الذي تعطيه وتستحقه.

١١ - كيفية الإحسان للوالدين

كيف يمكننا ترجمة الإحسان للوالدين عملياً من خلال مفردات حياتنا اليومية؟

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[1]. وإحسان الله عطاء بدون مقابل وهو إعطاء ابتدائي لا يبتغي البدلية، وعليك أن تؤسس شخصيتك وحياتك على قاعدة الإحسان بالإعطاء بلا تفكير بالبدل. كيف إذا كان الأمر يتعلق بالوالدين؟ وهما اللذان أعطياك حياتهما ومهما فعلت لن توفيهما أجرهما إلا بمقدار ما وفقك الله تعالى إليه من قدرة لديك. فالإحسان للوالدين هو القاعدة العامة التي تحكم تصرفات الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً.

وهذا أمر الله واضح في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١].

وكذا الشكر لهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

يتبين لنا من خلال هاتين الآيتين أمور عدة:

١- ربط الإحسان للوالدين بالعبادة لله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، على اعتبار استكمال خطوات **العبادة بهذا الإحسان، وربط الشكر للوالدين بالشكر لله تعالى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾، لأنه لا يعقل أن لا يشكر** المخلوق خالقه، وكذلك عليه أن يشكر لوالديه كسبب مباشر لخلقه، والمصير إلى الله تعالى في يوم القيامة للحساب على هذا التوجيه. وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**وأمر بالشكر له (لله) وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله**»[٣].

٢- الاهتمام بالإحسان وخاصة عند الكبر لاحدهما أو لكليهما، لأنهما بحاجة إليه أكثر، فهما في موقع الضعف، وحساسية التعامل معهما تتطلب رقة وتذللاً ورحمة لهما.

٣- إن خطوات الإحسان العملية عديدة، قد بيّن الإمام

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٣) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:١٥٧.

الصادق عليه السلام بعضاً منها في تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء، حيث سأله أحد أصحابه عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، ما هذا الإحسان؟ فقال عليه السلام: «الإحسان أن تُحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين، أليس يقول الله عزَّ وجل: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وأمَّا عن قول الله عزَّ وجل: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، قال عليه السلام: إن أضجراك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك.

وعن قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، قال عليه السلام: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم.

وعن قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، قال عليه السلام: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاَّ برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدم قدامهما»[١].

فالمطلوب: حُسن الصحبة، وتأدية ما يحتاجانه، وعدم التذمر، وعدم النهر، والقول الكريم، وخفض الجناح، والرحمة بهما.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:١٥٨.

٤- الدعاء لهما بالرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، والدعاء أثر يستمر لما بعد الموت، ففي الحديث عن الرسول محمدﷺ: «**إذا مات المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[١].

كما يتجلى الإحسان عند الاختلاف العقائدي، فإذا أمر الوالدان ولدهما بالشرك بالله، وحاولا تقديم معطيات يجهلها لإبعاده عن طاعة الله، فلا يجوز له اتباعهما، بل يرفض ما يدعوانه إليه، مع التمييز بين رفض الانسياق العقائدي الخاطئ والمصاحبة لهما بالمعروف، **وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ** سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]، وهذا يؤكد أن المطلوب هو الإحسان في دائرة الحلال، ومع الاختلاف فالإحسان في إخراج الموقف واستمرارية العلاقة بالمعروف مع التمسك بالعقيدة الصحيحة واتباع من يوصل إلى الله تعالى.

هذا الإحسان هو بر بالوالدين بعد كل المعاناة والتضحية التي قدماها، إنَّه لا يدخل في دائرة الاستنساب بل هو واجب في حدوده المذكورة. وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليعليه السلام: «**بر الوالدين**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص:٢٢.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

واجب وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق ولا لغيرهما»[١].

وحذار من العقوق وهو مخالفة الإحسان، ومنه إغضابهما وإحزانهما في الوقت الذي يتمكن فيه من عدم إيذائهما، ففي الحديث الشريف عن الرسول ﷺ: **«من أحزن والديه فقد عقهما»**[٢]، لأن نتيجة العقوق وخيمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: **«إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ولا يجدها عاق....»**[٣].

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص: ١٣٢.
(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٣٧٢.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٣٤٩.

الحلقة الثالثة

حـــق الولد

(الجزء الأول)

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق ولدك فتعلم أنه منك، ومضاف إليك، في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما ولّيته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب. فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذّر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والآخذ له منه، ولا قوة إلا بالله».

* * * * * *

١ - حقوق الإبن على أبيه

ما هي حقوق الابن على أبيه منذ الولادة؟

الأمر الأول ـ حسن اختيار الأم: وردت عندنا روايات كثيرة تتحدث عن توجيهات للأب تمهد لابنه المستقبلي ذكراً كان أو أنثى، حتى قبل مجيء هذا الولد أي قبل الزواج الذي يعتبر مقدمة مباشرة لولادة الولد، فطلب من الرجل أن يحسن اختيار المرأة لأن

اختيارها يلعب دوراً كبيراً في مسألتين: الأولى؛ هي الفطرة وهي المواصفات الذاتية التي أودعها الله تعالى في كل مخلوق، والتي تتمايز من فرد لآخر، ويكتسب الولد من أبويه هذه المكونات الفطرية. الثانية؛ هي التربية التي تساهم فيها الأم بشكل كبير، ويؤثر محيطها التربوي وما نشأت عليه في إضفاء شخصيتها على ولدها.

ففي المسألة الفطرية التكوينية، بعض الأولاد يتميزون في خلقتهم بذكاء حاد، والبعض الآخر تكون قدرتهم الذهنية بسيطة وضعيفة، وقد تكون البنية الجسدية سليمة أو ضعيفة،وعلى مستوى الشكل يوجد جمال أو قبح، **فالأمر له علاقة بالشخصين الرجل و** المرأة، ولذا طلب من الرجل أن يحسن اختيار المرأة التي ظهرت فيها صفات تهيئ لخصائص إيجابية في شخصية المولود، ففي الحديث الشريف: «**اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين**»[١].
وأما في التربية فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار أن لا يكون الاختيار مركّزاً على النواحي الظاهرية والجمالية فقط، إنما يجب التركيز على المضمون الديني والأخلاقي، وقد ورد في الحديث الشريف: «**إياكم وخضراء الدمّن، قيل:وما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**»[٢]، ذلك أن الولد إذا كانت أمه في منبت سوء أو

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص: ٣٣٢.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٠، ص: ٢٣٤.

كانت شخصيتها سيئة، فمهما عمل هذا الوالد لن يستطيع السيطرة على الوضع التربوي بالشكل المناسب، لأن الجو موبوء.

الأمر الثاني ـ اختيار التسمية: إن الوقوف عند التسمية له أثر كبير، ويستحب عندما يولد المولود أن يعطى اسم محمدﷺ في بداية أيام الولادة، تبركاً باسم الرسولﷺ قبل أن تطلق عليه التسمية الأخرى إذا كانت مختلفة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**لا يولد لنا ولد إلاَّ سميناه محمداً فإذا مضى سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا**»[1]، ثم يختار له الاسم الذي يستفيد منه و يتأثر به. وقد ورد في الرواية عن النبيﷺ: «**يا علي: حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً**»[2]، أي أن يختار الاسم الحسن كأن يسمي ابنه باقر نسبة إلى الإمام الباقر عليه السلام أو يسميه مهدي نسبة إلى الإمام المهدي(عج) أو اسم يرمز إلى الشجاعة أو إلى الأخلاق أو أي اسم من الأسماء التي لها دلالات إسلامية في التاريخ أو لها دلالات لشخصيات مرموقة أو لها معاني جميلة، فعندما يحمل الولد هذا الاسم يكون مؤثرا عليه بشكل أو بآخر، بدل أن يتندر زملاؤه أو الناس به.

ولن أذكر أمثلة حتى لا أجرح بعض المشاعر، لكن بعض الأسماء تُشعر بأن الولد عندما يحملها وكأنه ولد خنوع لا شخصية

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:١٩.
(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص:٣٧٢.

له، وكذلك الشاب الذي يحمل اسماً يدل على الأنوثة، أو الأنثى التي تحمل اسماً يدل على الرجولة، فهذه أمور تعطي إنطباعاً سيئاً للوهلة الأولى، والانطباع الأول مؤثر عادة. فإذا أردت أن تتعرف على شخص وسألته عن اسمه، فإذا كان اسمه عادياً ومألوفاً تسير الأمور بشكل طبيعي، أما إذا كان الاسم غير مألوف فتسأله مباشرة: لماذا سماك أبوك هذا الاسم؟أو تكون مندهشاً منه. هذه الإطلالة تُلاحظ في المدرسة مع المعلمة أو الأستاذ، وذلك عندما يقول التلميذ اسمه، حيث تمر بعض الأسماء بشكل طبيعي، لكنَّ البعض الآخر لا يمر بشكل طبيعي إنما يتم التوقف عنده، فحسن الاسم مؤثر في الانطباع الأول وعلى الأب والأم أن يحسنا الاختيار.

الأمر الثالث ـ أن ينفق عليه: لأنه هو المسؤول عن الإنفاق، وذلك بأن يؤمن له المسكن والطعام والملبس والطبابة والتعليم والحاجات التي يتطلبها هذا الولد، فهو محتاج الى الرعاية على مستوى الإنفاق المادي.

الأمر الرابع ـ التربية والرعاية الدائمة في توجيه هذا الولد: ففي نهج البلاغة: «**وحق الولد على الوالد أن يُحسِّن اسمه، ويُحسِّن أدبه، ويعلِّمه القرآن**»[١] يعمل على تعليمه القرآن وتأديبه وتوجيهه بطريقة تستقيم فيه الشخصية. للأسف فإننا نلاحظ في أغلب العائلات أن

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٩، ص: ٨٣٥.

الأب غالباً ما يتخلى عن مسؤوليته التربوية، حيث يركز على جانب الإنفاق وتأمين الحاجات المادية، وينحصر دوره التربوي في توجيهات نادرة، وتبرز صورته كفزاعة في البيت وليس كمربٍّ، حيث يُظهر الشدة مع أولاده ويكون عابساً في وجوههم، ويسأل الأم عند عودته إلى المنزل، هل هناك ما يزعجك حتى أقوم بوضع حد له؟ فالحل عنده بالصراخ والضرب وينتهي الموضوع عند هذا الحد، لكنها ليست طريقة تربوية سليمة، فهذا الأسلوب خاطئ.

٢ - مسؤولية عمل الابن

نلاحظ أن الإمام السجاد عليه السلام استعمل أسلوبا لافتاً للنظر، حيث يشبه كون الولد جزءاً لا يتجزأ من أبيه، وكأنه قطعة انقسمت منه فقال: «إنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره» ماذا أراد الإمام أن يقول لنا؟

بطبيعة الحال الإبن هو قطعة من الأب وقطعة من الأم، إنه جزء عضوي وليس إنسانا خارجاً عن دائرة التكوين المباشر، وهذه العلاقة يجب أن تترجم في العملية التربوية، فمن يكلف بالتربية لولد من الأولاد قد يصل إلى مرحلة يشعر معها بصعوبة الاستمرار، أو عدم الرغبة فيها، أو لا تعنيه متابعة هذه التربية، فالولد غريب عنه ولن يضيف له شيئاً. أما مع الإبن فالحرص على العلاقة العضوية والرحمية تساعد في أن يبذل الجهد بطريقة استثنائية،

ويتحمل دونها الصعوبات، وهذا ينسجم مع فطرة الإنسان، وعليك أن تتذكر دائماً ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام: «فأن تعلم أنه منك» إنه جزء لا يتجزأ منك، فكما تتضرر يدك وتتألم فيهتز البدن ويتداعى الجسم بأكمله ليعيش حالة الوجع، فإنَّ الولد جزء منك ينعكس عليك ما يحصل له إذا فرح أو تألم أو أساء أو أحسن.

فهو «مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وبشره» أي بأعماله. إنه جزء منك في الخلق ولكنه مضاف إليك بخيره وشره في هذه الدنيا بأعماله التي ستكون ملتصقة بك، وسيحملك الناس مسؤوليتها ابتداءً، فإن كان صالحاً ينسبون الصلاح إليك، وإن كان **فاسداً ينسبون الفساد إليك، على قاعدة إضافة هذا الولد لك، لا على قاعدة أنك أنت الذي قمت بالصلاح أو أنت الذي قمت** بالفساد. إذاً هذه الإضافة هي عبارة عن إضافة خارجية وليست جزئية داخلية، حتى لا نقول في النهاية بأنَّ كل ما يتصرفه الولد هو مسؤولية الأب مباشرة، لأنه في بعض الحالات لا يتحمل الأب أي مسؤولية، ففي الحسابات الدقيقة قد يكون الأب مسؤولاً أحياناً، وقد لا يكون مسؤولاً أحياناً أخرى.

وهذه تجربة النبي نوح عليه السلام، الذي دعا قومه إلى الله تعالى تسعمئة وخمسين سنة، ولم يقدر أن يجذب ولده نحو الإيمان. إن النبي نوح عليه السلام بذل كل جهده ولا يوجد أفضل من أدائه كنبي معصوم، لكن ظهر فساد الولد في النهاية، فالأجواء المحيطة كانت أقوى بكثير

من كل محاولاته مع ولده، إذاً ماذا يفعل؟ قال تعالى للنبي نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1]، أنت لا تتحمل مسؤوليته بسبب فساده، فالإضافة السيئة لا تجعله جزءاً منك فقد انقطع عنك بعمله. هذه النتيجة مثلت القرار النهائي بعد الجهود الكبرى التي بذلها لإعادته إلى الإيمان. فلا تستهن بالعملية التربوية في العلاقة مع الولد، لأنه مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وعليك متابعة خطواته لأنك مسؤول.

٣ - أولادكم فتنة

تتحدث الآية الكريمة إن الأولاد فتنة. هل يمتنع الشخص عن الزواج؟

هذا السؤال لطيف، لأني لاحظت عدة أشخاص يسألون في بعض المحاضرات مستهجنين: كيف يشجع الإسلام على الزواج وإنجاب الأولاد، ثم تأتي الآية القرآنية لتقول: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[2]؟ يجب أن نفهم معنى الآية الكريمة ليزول الالتباس. الفتنة تعني الاختبار والامتحان، وأنت أيها الإنسان مختبر وممتحن بولدك أي مفتون به، فقد تنجح في الاختبار وقد تفشل فيه، فلا تعتبر أن دورك توقف عند ولادة الولد بالربح وأنَّه لم يعد عليك أي مسؤولية سوى

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

الإنفاق عليه وتأمين احتياجاته. إنتبه، فأمامك سلسلة تربوية واسعة، ومشوار طويل يمتد لكل لحظات حياته، وأنت مسؤول عنها ويجب أن تتابعها مع ابنك حتى تستطيع النجاح في الامتحان. يجب عليك أن لا تراعيه في كل ما يريد ولا تساعده على المنكرات، بل تشجعه على الطاعة والإقبال على العمل الصالح، فهذه كلها اختبارات بالنسبة لك والعبرة تبرز عند النتيجة.

«واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة» فهم اختبار بالنسبة إليكم، اختبار في تصرف الآباء والأمهات. هذا ينجح في الاختبار إذا أحسن تربية ولده، وآخر يرسب في الاختبار إذا لم يحسن الأداء **مع ولده، بصرف النظر عن نتيجة تربية هذا الولد، لأنه يمكن أن** ينتج ولد فاسد من أب صالح قام بما عليه. ويمكن أن يكون الأب قد أساء كثيراً في تربية ولده، ولكن الله أنقذ هذا الولد وأصبح إنسانا صالحاً، فيعاقب الله الأب على سوء التربية، ويكافىء الولد على توفيقه في يوم القيامة. لا يمكن ربط المقدمات دائماً بالنتائج المباشرة، وإن كانت القاعدة تفترض أن التربية الصالحة تؤدي إلى نتيجة صالحة مباشرة، والتربية الفاسدة تؤدي إلى نتيجة فاسدة. إن العملية التربوية لا ترتبط بالأب فقط أو بالأم فقط، فالمربون غير الأب والأم كثر، كالمدرسة والتلفاز والشارع والمجتمع والعائلة الخ... كلهم يعملون في العملية التربوية، وغالباً ما يفقد الأهل السيطرة لأن ضغوطات التربية الأخرى تكون أقوى منهم بكثير. من

هنا توجهنا إلى الأب وإلى الأم، لأننا نريد أن نعينهم ونتفاهم معهم على أن يتقنوا ما أمر به الإسلام، ليقوموا بوظيفتهم، والتوفيق على الله تعالى.

٤ - من يرعى ومن يربي؟

سماحة الشيخ هل توافق الرأي أن الأستاذ الأول من بين جميع من يحيطون بالولد هو الأب الذي يلعب دوراً في التوجه؟

أنا أحب أن أستعمل عبارة الراعي الأساسي في المنزل، لأن المربي المباشر والمؤثر بداية هو الأم، فالأب يرسم الخط العام للتربية لأنه هو القوّام على الأسرة والمسؤول عن التوجيه العام، أما **الأم فهي التي تواكب كل خصوصيات الولد منذ الطفولة وتؤدي** دوراً هاماً في تربيته وصقل شخصيته.

٥ - منشأ عُقَد الطفولة

سماحة الشيخ يخرج الواحد منا من بيت أهله مشحوناً بالعُقد من سوء العلاقة بينه وبين والديه، إلى من تُرجع سماحتكم سبب هذه العلل التي تدمر الكثير من قيمنا؟

أولاً: أريد أن أعتذر من الآباء والأمهات الذين يخطئون في طريقة أدائهم وتربيتهم، أن لا يشعروا بأن الحديث موجه إليهم للإساءة إليهم في علاقتهم مع أسرهم، لأن المطلوب أن نعرف الحقيقة، وأن نميز الصواب من الخطأ ونعمل على التصحيح،

وعلى الإنسان أن يكون جريئاً فيغير من أسلوبه وطريقته في التعاطي عندما يكتشف خطأه وذلك لمصلحة أولاده.

ثانياً: إن المشكلة الأساسية في العملية التربوية هي العملية التربوية نفسها. هؤلاء الآباء الذين تتحدث عنهم لو بحثنا عن كيفية بناء شخصياتهم قبل أن يصبحوا آباء، لوجدنا أنهم لم يتوفقوا لتوجيه وتربية وتعليم يساعدهم على معرفة الضوابط الصحيحة وطريقة التربية السليمة ليتمكنوا من أداء معقول وسليم. الولد يتربى فترة من الزمن عند أهله وفي مجتمعه، ثم يبدأ بمرحلة جديدة عند الزواج. سؤالي هنا: هل يأخذ هذا الزوج توجيهات خاصة حتى يعرف كيف يتعامل مع الواقع الجديد؟ هل يا ترى شكّل هذا الولد انطباعاً بأن طريقة والده كانت طريقة صحيحة حتى يتصرف على أساسها؟ هل أنَّ ما تعلّمه وما اختبره كان صحيحاً وسليماً؟ إنه بعد الزواج يفتش ويكتسب خبرات ذاتية، وهو يختار الأسلوب التربوي بطريقة إنتقائية. وعندما يجتهد كل واحد من أفراد المجتمع بأسلوب تربوي مستفاد من تربيته ومن خبرته التي تكونت، فستكون ناقصة وفيها خلل ومشاكل كثيرة. إنَّ الحل في هذا الموضوع يكمن في أمرين:

الأمر الأول: أن يتعرف الواحد منا على أحكام الإسلام في حقوق الولد وحقوق الوالدين وواجبات كل منهم، حتى يعرف ما له وما عليه، وبهذا يشكل ثقافة سليمة، ويتعرف على الضوابط القانونية الشرعية التي تساعده في التربية.

الأمر الثاني: أن يجاهد نفسه ويربيها على طاعة الله، ليعيش في أجواء يقتنع ويقبل معها أن يطبق ما تعلمه، ولو لم يكن منسجماً مع رغباته الخاصة وأهوائه.

أعتقد أن المشكلة الموجودة عندنا هي هكذا، وحقيقة أنا أشفق لحال الكثير من الآباء والأمهات بسبب طرقهم السلبية التي يتصرفون بها، لأنك لو بحثت في ماضيهم فستجد أنهم متأثرون بالأساليب التربوية الخاطئة للأهل، ويقول الواحد منهم «إذا كنت الآن أضرب كفاً فأبي كان يضربني عشرة» فهو يعتبر أنه استفاد من تجربته وحسّنها وطّور فيها الكثير. وتقول لك: «إذا رأيتني أصرخ **وأشتمك ولا أراعي أحياناً أساليب التربية الصحيحة، فأمي كانت مشهورة بالقسوة والضرب وعدم احترام الولد إلى أقصى الحدود**». هذه مشكلة واقعية نعيشها ولا تحل إلا بالاستناد إلى النصيحتين التي ذكرتهما، وفي التعرف على أحكام الإسلام، وفي المواكبة التطبيقية بعيداً عن الأهواء.

٦ - ضوابط التربية السليمة

لنعد إلى قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وإنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب»، كيف يكون مثاباً ومعاقباً؟

حدّد سيد الساجدين عليه السلام المسؤولية بثلاثة أمور أساسية:

١- حسن الأدب، فما يتأسس عليه الولد منذ الصغر، ينطبع في شخصيته ويتحول إلى سلوك عادي، وعادة ينمو حسن الأدب أو سوؤه مع الطفولة. هذا السلوك الاجتماعي يصعب تغييره مع الكبر، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أهمية التأديب منذ الصغر في قوله لولده الإمام الحسن عليه السلام: **«وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك»**[1].

٢- الدلالة على ربه، ليعرف خالقه وصفاته وعلاقته به وأنه سيحاسبه في يوم القيامة. فمن عرف ربه عرف الكثير من الأسرار التي تحيط به، **وهذا يؤدي أيضاً إلى معرفة مسؤوليته وتكاليفه الشرعية، ويتأكد الارتباط به وحده لا شريك له. إنها دلالة على** الاتجاه الوحيد الصحيح.

٣- المعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فالولد بحاجة إلى العون والتوجيه الدائمين خاصة فيما يذكره الإمام لمساعدته على طاعتك أيها الأب، فهذا يسهل عليك العمل، ولمساعدته على نفسه حتى يكون في طاعة الله، فهذا خير له في الدنيا والآخرة.

وبما أنك مسؤول أيها الأب، فأنت مثاب إذا أحسنت أداء هذه الأمور الثلاثة، ومعاقب إذا أسأت في أدائها. وفي الأمور

(١) نهج البلاغة، من وصية له للإمام الحسن عليه السلام، كتاب ٣١، ص:٦١٧.

الثلاثة ما يؤكد على المواكبة الدائمة والتربية المستمرة، لأن المسألة لا تنجز بكلمة أو نصيحة أو محطة بل تحتاج إلى متابعة.

يتابع الإمام قائلاً: «**فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا**»، فعملك مع ولدك كمن يزين نفسه بالأثر الصالح لهذا الولد في الدنيا «**المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والآخذ له منه**» فتكون معذوراً عند الله تعالى إنك أحسنت القيام بما عليك بالنسبة لولدك بينك وبين الله، وأخذت منه لله ما يصلح شأنه، وفي كل الأحوال تكون الاستعانة بالله تعالى، فعليك العمل وعليه التوفيق.

٧ - مراعاة الولد أمام الآخرين

كم من الآباء يضربون أبناءهم أمام الناس ظناً منهم أنهم يصقلون شخصيتهم، ما تعليقكم على هذا الأسلوب؟

في الحديث الشريف عنوان عام «**من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانيةً فقد شانه**»[١]. من نصح أخاه سراً احترمه وطمأنه وأراحه، ومن نصحه جهراً فقد شانه وعابه ووضعه في موقف حرج. هذه القاعدة تنطبق أيضاً على الآباء والأولاد، فعلى الأهل أن يراعوا مشاعر أبنائهم، وحتى الولد الصغير الذي له من العمر ثلاث أو أربع سنوات، وتظن أن الضرب أمام الناس لا يؤثر عليه، سيقول لك

(١) الحرَّاني، تحف العقول، ص: ٤٨٩.

عندما يكبر هل تتذكر وأنا ابن أربع سنوات، عندما ضربتني أمام عشرين أو ثلاثين شخصاً! فتكون هذه الحادثة قد أثرت في نفسه بطريقة سلبية، كما يمكن للبعض أن يتجاوزها. علينا أن نلتفت بأن إهانة الولد أمام الآخرين سيئة على المستوى التربوي، نعم بعض الأولاد يزيدون من إحراج آبائهم بطريقة غير عادية، فالمطلوب من الأب أن يكون واعياً ويتوازن بحيث يحسن التصرف عند الحرج الشديد من قبل الولد، وذلك بأقل الإحراج الممكن للولد، والأفضل دائماً أن يلجأ الى الأسلوب التوجيهي والرعاية المباشرة، وذلك بالترغيب والترهيب مع التحفظ على التصرف أمام الملأ.

٨ - أسلوب الضرب

إلى أي حد يجوز للأب أن يضرب ابنه؟ وهل يعتبر هذا التصرف شرعياً؟

حدود الضرب مجهولة عند الكثيرين من الناس، وهي حدود شرعية تشمل الولد وغيره، فإذا تم تجاوزها ترتب إثم ودِيَّة على الفاعل، وهذا يؤكد أن الضرب ليس أصلاً في عملية التربية، بل يتم اللجوء إليه وبشروط مشددة، فلو تم الضرب على الوجه «**واسْوَدَّ الوجه من غير جرح أو كسر فالدية ستة دنانير**[1]، **وإن اخْضَرَّ ولم يَسْوَدَّ ثلاثة دنانير، وإن احْمَرَّ دينار ونصف، وفي البدن الدية نصف ما**

---

(١) الدينار = نصف ليرة ذهبية عثمانية.

كانت في الوجه»[١] «ولا فرق بين الرجل والأنثى والصغير والكبير... ولا في بقاء الأثر وعدمه»[٢].

أيها الأب أنت قوَّام على هذه الأسرة وأنت ولي هذا الولد، تربيه وتشرف على شؤونه، ولكنك لست مطلق الصلاحيات بل لك حدود وضوابط. من الذي يحمي هذا الولد؟ القانون الإلهي هو الذي يحميه. إذا قلنا إن الوالد حر مع ولده لأنه جزء منه، فهذا يعني أن الضوابط الشرعية لا عمل لها، عندها يضربه أو يؤذيه أو يقتله على قاعدة أنه ابنه وهو حر فيه. لكن مع الحقوق والواجبات الشرعية، يحق له أن يؤدبه ويوجهه ويعاقبه بالضرب، عندما يجد أنه شكل من أشكال العقوبة المطلوبة، **دون أن يكون هناك اسوداد أو اخضرار أو احمرار، ومع التجاوز يستوجب الكفّارة أو الدية،** وأمور أخرى تستوجب الاستغفار. لذا علينا أن ننتبه، ففي عالم التربية ليس مسموحاً أن نجرح مشاعر الولد دون مبالاة، أو نحطم معنوياته دون اكتراث، فالولد إنسان له حقوق كما عليه واجبات، نحن مسؤولون أمام الله تعالى لنقوم بواجباتنا ولا نتجاوز حقوقنا.

إن الضوابط التي وضعها الإسلام لتربية الولد ليست للتقييد وإنما للتوجيه، حتى يحسن الوالدان التربية وفق نموذج تربوي مناسب وفعال. إن الأمور تختلط وبشكل كبير عند الآباء والمربين،

---

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج٢، ص: ٥٩٥، مسألة ٤. وتكملة منهاج الصالحين للإمام الخوئي(قده)، ص: ١٣١، مسألة ٣٧٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٥٩٥، مسألة ٤.

فإذا سألنا الأب لماذا ضربت الولد ضرباً لا يتحمله؟ لماذا تشفّيت منه أثناء ضربه؟ يقول لك: عصّبت وفقدت السيطرة لأني صدمت من تكرار فعله، وما فعلته اليوم هو نتيجة تراكمات وليس لأجل هذه الحادثة ! أولاً: ليس سليماً أن تجمع أفعال ولدك لتعاقبه عليها دفعة واحدة، فمع التجزئة والمتابعة تكون الأمور أسهل. ثانياً: عندما تفقد السيطرة على أعصابك فلا مبرر لديك لعدم الالتزام بالضوابط، فإنك مسؤول عما تفعل، وعليك معالجة تصرفاتك وقت الشدة، إنَّ المثل الشائع يقول «عد للعشرة قبل أن تقدم على العمل» فلا تباشر إلى التصرف بمجرد سماعك للشكوى أو الخطأ بل اصبر قليلاً، هذا المثل مستفاد مما ورد في الإسلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم»**[(١)]، وهناك توجيهات تفصيلية عن الرسول صلى الله عليه وآله: **«فأيما رجل غضب وهو قائم فليجلس فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالساً فليقم، وأيما رجل غضب على ذي رحمه فليقم إليه، وليَدْنُ منه وليَمسَّه، فإن الرحم إذا مسَّتْ الرحم سَكَنَتْ»**[(٢)]، لأنك عندما تجلس تتغير حركتك، وهذا الجلوس يهدئ من الغضب، أو إذا كنت واقفاً فامش قليلاً، فهذا المشي يعطيك فرصة للتأمل قبل أن تأخذ القرار، وإذا مسست رحمك أي عانقته أو أحطته فإن الحالة العاطفية ستسيطر، وعندها يهدأ روعك وغضبك.

---

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص: ١٤.
(٢) الصدوق، الأمالي، ص: ٤٢٠.

المطلوب أن نستخدم كل الأساليب التربوية وأن لا نركّز على أسلوب الضرب، إذ يمكن حرمان الولد من شيء يحبه، أو إبراز الغضب أمامه، أو عدم التجاوب مع رغباته، كما توجد أساليب كثيرة فعّالة ونافعة في هذا الإطار.

٩ - أعن ولدك على برّك

الوالدان يتحملان مسؤولية عقوق ولدهما، ما تعليق سماحتكم؟

ورد في الروايات ما ينبه الوالدين إلى مسؤوليتهما، فإذا عقَّ الولد والديه نسأل عن الأسباب، **حيث تكون أحياناً بسبب الولد فالوالدان غير مسؤولين، وأحياناً أخرى يكون العقوق بسبب طريقة** التعاطي مع الولد، فالوالدان يتحملان جزءاً من المسؤولية. وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ: «**رحم الله من أعان ولده على بره، وهو أن يعفو عن سيئه ويدعو له فيما بينه وبين الله**»[١]. فالمسألة مرتبطة بالأسلوب التربوي المساعد على الاستقامة أو المنفّر الذي يؤدي إلى فقدان السيطرة والتوجيه للولد، ما يؤدي إلى العقوق.

١٠ - نمّو شخصيتهم

ما رأيكم بملاحقة الولد صغيراً وكبيراً على كل سلوك تحت عنوان حق الوالدين؟ وإذا أصر الولد على التدخين وهما لا يريدان ذلك، ما العمل؟

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ص:٩٨.

عندنا مفهوم خاطئ موجود عند الآباء والأمهات، يبرز عند الآباء مع الصبيان، وعند الأمهات مع البنات، على قاعدة المثل الشائع الذي يقول «الولد ولد ولو حكم بلد». على الأهل أن يتركوا فرصة لأولادهم لتنمو قدراتهم ويعززوا استقلاليتهم كي يحسنوا إدارة حياتهم، ولا ضرورة للتدخل في شؤون الأولاد بشكل تفصيلي، فالأعمال التي ليس فيها محرم أو خطر كبير للوقوف عنده لدفع هذا الخطر، لا تتطلب تضييقاً وتأزيماً للموقف، وليس مطلوباً أن يكون الولد نسخة طبق الأصل عن والديه في كل تصرفاته، فالإمام علي عليه السلام ينصحنا بقوله: **«لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»**[١]، المقصود هنا بالآداب العادات. **أنت تستيقظ عادة في السابعة صباحاً وتشرب القهوة أو** الشاي، ولكن ابنك يريد أن يستيقظ الساعة السابعة والنصف، لعدم الحاجة إلى الاستيقاظ في هذا الوقت، فلا حاجة لإحداث مشكلة. أنت مزارع ومن عادتك أن تنزل الى الحقل الساعة الخامسة، وابنك موظف يذهب الساعة الثامنة الى عمله، لكل واحد منكما نمط مختلف عن الآخر، فلا حاجة للإصرار على الأداء نفسه ! الأم لها مشاريعها ونشاطاتها فلا داعي لإلزام البنت حتى بعد أن تتزوج بمشاريع الأم نفسها. . . .

أما في موضوع التدخين أو ما يراه الوالد مذموماً، ويتعلق به

---

(١) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة ج٢٠، ص:٢٦٧.

الإبن وتساعد الفتاوى الشرعية على القيام به، فالمطلوب هو التوجيه والنصيحة وبذل الوسع في إعانته على ما لا تراه مناسباً منه للإقلاع عن التدخين، إلا أن المنع لا يرقى إلى درجة المقاطعة والتأزيم. المطلوب من الآباء أن يتحلوا بمرونة أكثر ليُشعروا أبناءهم ببعض الحرية والاحترام وهم يربحون بذلك، كما أن المطلوب من الأبناء مراعاة الآباء ضمن قواعد الإحسان إليهم.

١١ - تقاليد المجتمع الشرقي

الآباء يسلبون حقوق أبنائهم، لأنهم يعتبرون أن هذا الحق ملك لهم من خلال تقاليد المجتمع الشرقي، ما هو تعليقكم على هذه المسألة؟

يوجد فرق بين تعاليم الإسلام في مسألة الحقوق وبين المسائل القائمة فيما يسمى بالمجتمع الشرقي. صحيح أن أغلبية المجتمع الشرقي من المسلمين، لكن هذا لا يعني أن أفكارهم المخالفة للضوابط الإسلامية هي تصرفات إسلامية، لذا فإنَّ تصرفات الآباء مع الأبناء هذه، هي تصرفات المجتمع الشرقي وليست تصرفات الإسلام. إن الأداء الموجود عند الآباء تجاه أبنائهم من السلطة القهرية تحت عنوان الرجولة في المجتمع الشرقي، سواء في المظهر أو طريقة التصرف أو ضبط الأسرة الحديدي أو القسوة والعنف على الأولاد أو على المرأة، لا يتحمل الإسلام مسؤوليته. إستخدم الإسلام عبارة القوَّامية، وهي أن يقوم

بالأمر وأن يكون مسؤولاً، فالمسؤولية شيء والتسلط شيء آخر. المسؤولية لها ضوابط والتسلط ليس له ضوابط. ثم ما الذي يمنع الأب من أن يكون ممسكاً بأسرته وبتوجيهاتها ولكن بحنان وعطف وحب واحترام، لتعيش الأسرة مناخ الراحة والطمأنينة والحرية في المساحات التي تركها الإسلام؟ ولماذا يتم التركيز على صورة الأب العبوس والضارب والصارخ؟ الأب في الإسلام هو الراعي والحنون والمؤدِّب والمعلم والموجه والحامي والمنفق، وكلها عناوين عملية ومربية. نحن بحاجة إلى توسيع ثقافتنا الإسلامية للتعرف على الضوابط الإسلامية لنميزها عن أخطاء المجتمع الشرقي، وعن عقلية الرجل في المجتمع الشرقي، والتي لا علاقة لها بالعقلية التي يريدها الإسلام.

إن بعض الآباء لم يسمعوا ببعض الروايات التي تصور شخصية الأب بطريقة محببة للغاية، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«من كان عنده صبي فليتصَابَ له»**[1] فليتصرف معه بما ينسجم مع سنه الطفولي. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في أحد المجالس فدخل رجل إلى المجلس وشرح طريقته في التعاطي مع أولاده، **قال: أنا** ما قبَّلت ولداً قط وهو مفتخر بذلك، ثم غادر المجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«هذا رجل عندي إنه من أهل النار»**[2] **لأنه يملك قسوة** غريبة، فابنه يحتاج إلى الحنان والعطف بحيث يكون التقبيل تعبيراً

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ص:٤٨٣.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٥٠.

عن ذلك. كيف يقطع الأب الرحمة والحب والحنان من قلبه؟! في الحديث الشريف أيضاً يقول: «**أحبوا الصبيان وارحموهم**»[(١)].

وقد وردت روايات تشجع على التعبير عن الحب للولد، قل له بأنك تحبه، وهو يعرف أنك تحبه، ولكن عندما تقول له بأنك تحبه، تربطه بك وتربيه وتؤدبه. لاحظ إبنك الصغير في البيت، إنه يسألك: هل تحبني؟ ماذا تقول له! أغرب عن وجهي: فالآن ليس وقتك ! هذا جزء من التربية، إنه يسألك مراراً في اليوم الواحد، وعليك أن تجيبه بأنك تحبه، وهو بحاجة إلى هذا العطف، فلا تصدَّه حتى لا يتجنبك ويخاف منك ويعتبرك فزاعة. أشعروا أولادكم بالحب والحنان والعطف، أعبسوا في وجوههم عند الحاجة كتعبير عن أن الحب **الذي رأوه منكم، قد يفقدوه إذا لم يتأدبوا، هذا جزء من عملية** التأدب. وما ذكرناه ينطبق على الأم أيضاً.

١٢ - التمييز بين الفتاة والصبي

سماحة الشيخ هل تعتقد أنه يجب أن نميز بين الفتاة والصبي؟

رفض الإسلام عملية التمييز، والآية القرآنية استنكرت ما كان يفعله الناس في الجاهلية من التعبير عن الانزعاج، والابتعاد عن طريق الناس عندما تولد الأنثى بالقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص: ٤٩.

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١] هذا حكم سيئ وخاطئ، في الوقت الذي يجب التعاطي معها ـ كمولود جديد ـ بالبشرى والاستبشار. إنَّ الإسلام رفض هذا التمييز رفضاً قاطعاً، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل**»[٢]. وعن الرضا عليه السلام عند سؤاله عن التمييز في الحب بين البنات والبنين قال: «**البنات والبنون في ذلك سواء، إنما هو بقدر ما ينزِّلهم الله عزَّ وجل منه**»[٣]. وأعطى العنوان العام الذي يتساوى فيه الجميع أثناء التقييم والمحاسبة، وكنتيجة للوجود في هذه الحياة، وهو العمل وليس الجنس: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٤]. إن قيمة العمل بصلاحه سواء صدر عن صبي أو صدر عن بنت، ولا نقول بأن عمل الصبي أحسن من عمل البنت أو العكس، فالمكانة بالأداء. من هنا فإنَّ تعامل الأب مع أبنائه يجب أن يكون تعامل الذي يساوي بينهم ويراعي متطلباتهم.

إن الفرق الموجود في التكوين وبعض التكاليف هو لخير المجتمع، وقد عبّر الإمام الصادق عليه السلام عن نتيجة هذا الفرق بقوله: «**البنون نعيم والبنات حسنات، والله يسأل عن النعيم ويُثيب على**

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ و٥٩.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص:٤٤٥.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٥١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٧.

الحسنات»[١]. ومن يدقق في الفهم الإسلامي يرى أن النعمة هي عطاء إلهي يتحمل الإنسان مسؤوليته ويحاسب على ما صنعه في هذه النعمة، لكن البنات حسنات والحسنة مكافأة وعطاء وهي نتيجة لعمل.

ورد هذا التعبير في روايات عدة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، وهو يرمز إلى أن الصبي بما أودع الله تعالى فيه من مقومات معينة وحمَّله من مسؤوليات مستقبلية، يحمِّلك أيها الأب مسؤولية إضافية في تقويم تربيته، لتكون قد استحقيتَ هذه النعمة فأدَّيتَ حقها. أما بالنسبة للبنت فهي حسنة تدر عليك الخير، وفي روايات أخرى هي رحمة بالنسبة إليك، فعليك أن ترعى الحسنة والرحمة برحمة ولطف أيضاً لتكون منسجماً مع هذا التوجيه.

فلا تظن أن الصبي عطاء يجب رعايته والاهتمام به إلى أقصى الدرجات وتتوقع أن يجلب لك الاسم والمنافع الكثيرة، وأن البنت نقمة تتعاطى معها بسلبية معتبراً إياها عبئاً ومأزقاً، بينما هي الرحمة التي تُثاب عليها والصبي هو النعمة التي تُسأل عنها. إن قول الإمام الصادق عليه السلام: «البنون نعيم والبنات حسنات» هو حث على إيجاد التوازن العاطفي والعملي لتعديل الكفة النفسية، التي قد تحصل للوهلة الأولى عند رغبة الإنسان في أن يميز بين الصبي والبنت على أساس الأدوار المستقبلية، وعلى أساس التمايز في طبيعة الخلق.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٧.

١٣ - أسلوب المجتمع الغربي مع الأطفال

في المجتمع الغربي باستطاعة الولد أن يوقف أباه عند حده ويشكوه عند الشرطة، كيف يمكن لمجتمعاتنا أن تضمن حق الولد؟

في المجتمع الغربي الأمريكي عموماً والأوروبي خصوصاً، يعلِّمون الولد منذ الصغر أرقام هواتف الشرطة، فإذا ما قام والده بعمل لا يعجبه أو يزعجه أو يعتبره مؤذياً له، يستطيع الاتصال بالشرطة، فيحضرون للتحقق بحسب الحدود المرسومة، فالموضوع لا يرتبط بسن الثامنة عشرة فقط، لأنه في هذه السن يصبح حراً بالكامل وإن كان في بيت والديه، لكن كل الإحصاءات تتحدث عن صرخة من الآباء والأمهات، وهي تعبِّر عن المشاكل التي تعتريهم في تربية أولادهم الذين أصبحوا قليلي الأدب والاحترام، وعن فقدان السيطرة لتوجيههم. إنَّ الولد ابن ثلاث أو أربع أو عشر سنوات الذي تعطيه الحرية والصلاحيات في أن يقرِّر، معنى ذلك أنه هو الذي يتحكم بالعملية التربوية لوحده، ومع وجود التلفاز والإنترنت والمدرسة والمجتمع فسيختار ما يعجبه، مع أن هذا الولد بحاجة الى توجيه وإرشاد ولا يجوز تركه لوحده في المعترك، وإلا ستكون النتيجة فوضى، وليس هناك أي أسس وقواعد وضوابط لذلك.

إن التمثل بالمجتمع الغربي لا يعطينا الحل، لأننا إذا أردنا أن ندخل إلى المجتمع الغربي ونبدأ بذكر اجتماعياتهم وأخلاقياتهم

وفسادهم فنحن أمام كارثة، ولا أتحدث عن التقدم العلمي فهذا أمر مهم ومفيد.

إنهم يطلقون علينا اسم بلاد العالم الثالث، لأن في بلداننا نواقص كثيرة على كل المستويات، ويسموننا أيضاً الدول المتخلفة ثم يلطفونها فيقولون الدول النامية. إنَّ هذه الدول تعاني من أزمات سياسية واقتصادية وفي مختلف المجالات، وأنظمتها مهترئة بشكل عام وليس فيها ضوابط قانونية كافية تحمي المواطن أو تساوي بين المواطنين في الحقوق والواجبات، إضافة إلى الإدارة المتعثرة. فكيف يمكن أن يفكر أحد بتقليد الغرب في طريقة التعاطي مع الأطفال، وذلك بالشكوى إلى قوى الشرطة المتخصصة بشؤون الأهل؟! **فضلاً عن ثبوت فشل هذه الطريقة، فإن التفكير بتطبيقها** في مجتمعاتنا ضرب من التهور والضياع!. ثم هل تمتلك الحكومات أهلية كافية لسن قوانين وأنظمة تساعد في بعض المجالات المطلوبة؟! إن بعض من يطرح هذه الفكرة، يرغب في تسييب المجتمعات الشرقية كما هي الغربية لاعتبارات ثقافية وفكرية، وليس لما فيها من نجاح!.

إن المشكلة ليست في أن يشتكي الولد للسلطة حتى تناصره ضمن ضوابط العلاقة السليمة، إنما هي في مستوى فهمنا لمضمون الإسلام، فإذا فهمنا الإسلام والتزمنا بتعاليمه، فلا حاجة لشرطة ولا لتدخُّل الدولة، لأن تنمية الالتجاء إلى مفردات الحقوق

والواجبات تحمي المجتمع، ولأن تنمية الوازع الداخلي أو الضمير يساعد على التربية والتأديب والتوجيه، وعند حصول اختلافات معينة يكون التحكيم عند شيخ القرية أو الحي أو الرجل الموقر الموثوق بين الناس، وهذا يساعد في المعالجة، فالتربية لا تصلح عندما تكون العصا والشرطة عنواناً لها.

١٤ - بين البلوغ وسن الثامنة عشرة

نلاحظ في المجتمع الغربي عندما يبلغ الولد سن الـ ١٨ يتحرر من والديه ويمكن أن يقاضيهما، ما هو موقف الإسلام من ذلك؟

إنَّ الإسلام يعتبر الصبي مكلفاً ابن خمس عشرة سنة هجرية أو عندما يبلغ، وتكلف البنت عند بلوغها التاسعة هجرية. عند التكليف يختلف التعاطي مع الولد الذي يجب أن يتحمل المسؤولية، فقد أصبح مكلفاً ومحاسباً على أعماله في الآخرة وكذلك في الدنيا. يشجع الإسلام على أن تستمر رعاية الأب بحسب حاله في الإنفاق على أولاده، بل يوجب عليه ذلك مع قدرته وعجزهم، وقد يبقى الصبي في رعاية والده وإنفاقه وهو في سن الثامنة عشرة أو العشرين أو أكثر من ذلك، وقد تستمر البنت فترة طويلة وتبقى داخل البيت عند أهلها إلى حين زواجها، وعلى الأب بكل روحية وبكل طيب خاطر أن يرعى وينفق ويساعد، هذا كله مرتبط بالتوجيه الإسلامي في عدم لفظ الأبناء أو إخراجهم من البيت في سن معينة أو تحميلهم أعباء لا يتحملونها. أما إذا أصبح

لدى الإبن القدرة المالية للإنفاق على نفسه، لكنه مستهتر وقليل الاهتمام أو لا يحب أن يعمل، ويريد أن يبقى عالة على والده مع أن الفرص مفتوحة أمامه وهو يهملها، عندها يحق للأب أن يحمله المسؤولية في الإنفاق على نفسه.

في المجتمع الغربي قاموا بوضع حد فاصل له علاقة بالعمر، وليس له علاقة بالقدرات ولا بالظروف الاجتماعية وهذه منهجية مختلفة، فالاستقلال في القرار لابن الثامنة عشرة حيث يستطيع أن يفعل ما يريد، ويأخذ القرار الذي يريده، ويستطيع أن يخرج من البيت ساعة يشاء ويفعل ما يشاء دون صلاحية للأب لمطالبته أو تقييده رغم أنه ينفق عليه، يعتبر تشجيعاً للولد ليتمرد في سن مبكرة نسبياً وقبل أن يستقل في بيته.

إنَّ الإسلام قد سمح لهذا الولد أن يستقل إذا أحب ذلك وكان يملك الإمكانيات ويريد أن يبدأ حياة الزوجية أو أن يستقل قبل ذلك، على أن يراعي قواعد الإحسان للأهل. . طالما أن لديه قدرة على الإنفاق فليتوكل على الله ويقوم بما يريد، بينما أبقى البنت في حالة خاصة واستثنائية، لأن ظروف المجتمع لا تتحمل استقلالية البنت في بيت خاص قبل الزواج أو الخروج في أوقات معينة، حتى لا تصبح محط الأنظار وإثارة علامات الاستفهام حولها، وإلا هي كالشاب في قراراتها، لكنها تختلف في شرط موافقة وليها (الأب أو الجد) على زواجها. مع ذلك تدخل عناوين الإحسان

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقييد حركتها المستقلة بسبب خصوصية المجتمع.

أما في الغرب فالولد ذكراً كان أو أنثى فلديه حرية التصرف الكاملة في الثامنة عشرة من عمره، ولن أكرر الحديث في النتائج المأساوية والفساد الأخلاقي الكبير، لكن رعاية ومسؤولية الأب لم تعد موجودة، والندّية قائمة بين الأهل والأولاد بدل الاحترام أو العلاقة الأسرية. فالفرق شاسع جداً بين نظرة أبنائنا لآبائهم ونظرة أبناء الغرب للآباء، فقد أصبح الأب في الغرب مثل مدير شركة مع موظفين لديهم حصانة، وبعد استقلالهم يصبح خارجاً عن حياتهم. أما عندنا فنوعية العلاقة التي تُبنى على صلة الرحم تستمر إلى آخر رمق من حياة الأهل، ولها دلالة أخلاقية ونفسية واجتماعية مهمة، وهي محميّة بحماية حقوق كل فرد من أفراد العائلة بضوابط الحقوق والواجبات.

١٥ - نصيحة

الآباء يتعبون كثيراً، أقول لهم: أنتم تضحّون وتعملون وتجاهدون فلا تجعلوا تضحياتكم تذهب هباء. ليست تربية الولد بتهيئة المعاش والإنفاق عليه فقط، إنما تربية الولد بتوفير ظروف الرعاية والتأديب الذي ينسجم مع الإسلام، علموا أولادكم وراقبوهم وتابعوهم وتعاطوا معهم بحنان وعطف، وراعوا حقوقكم لديهم وحقوقهم لديكم، وإذا أخطأتم عدّلوا من خطئكم فهذه

مكرمة، وإذا اطّلع بعض الأبناء على هذه الحلقة، وواجهوكم ببعض الأخطاء، فاسبقوهم وقولوا لهم سنعدّل، لأننا فهمنا بعض الأفكار الإسلامية، أو اسبقوهم قبل أن يسألوكم، ولا تخشوا من مقولة الحق حتى لو كانت عليكم، لأن الأجر الكبير عند الله هو الذي يجعل الإنسان يتجاوز كل شيء. إنك أيها الأب ستثاب على حسن أدائك مع ولدك بصرف النظر عن نتيجة عمله، وستعاقب على سوء الأداء معه بصرف النظر عن نتيجة عمله، لأنك مسؤول عن حسن التربية والأداء، أما التوفيق فعلى الله جل وعلا.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقييد حركتها المستقلة بسبب خصوصية المجتمع.

أما في الغرب فالولد ذكراً كان أو أنثى فلديه حرية التصرف الكاملة في الثامنة عشرة من عمره، ولن أكرر الحديث في النتائج المأساوية والفساد الأخلاقي الكبير، لكن رعاية ومسؤولية الأب لم تعد موجودة، والندّية قائمة بين الأهل والأولاد بدل الاحترام أو العلاقة الأسرية. فالفرق شاسع جداً بين نظرة أبنائنا لآبائهم ونظرة أبناء الغرب للآباء، فقد أصبح الأب في الغرب مثل مدير شركة مع موظفين لديهم حصانة، وبعد استقلالهم يصبح خارجاً عن حياتهم. أما عندنا فنوعية العلاقة التي تُبنى على صلة الرحم تستمر إلى آخر رمق من حياة الأهل، ولها دلالة أخلاقية ونفسية واجتماعية مهمة، وهي محميّة بحماية حقوق كل فرد من أفراد العائلة بضوابط الحقوق والواجبات.

١٥ - نصيحة

الآباء يتعبون كثيراً، أقول لهم: أنتم تضحّون وتعملون وتجاهدون فلا تجعلوا تضحياتكم تذهب هباء. ليست تربية الولد بتهيئة المعاش والإنفاق عليه فقط، إنما تربية الولد بتوفير ظروف الرعاية والتأديب الذي ينسجم مع الإسلام، علموا أولادكم وراقبوهم وتابعوهم وتعاطوا معهم بحنان وعطف، وراعوا حقوقكم لديهم وحقوقهم لديكم، وإذا أخطأتم عدّلوا من خطئكم فهذه

مكرمة، وإذا اطّلع بعض الأبناء على هذه الحلقة، وواجهوكم ببعض الأخطاء، فاسبقوهم وقولوا لهم سنعدّل، لأننا فهمنا بعض الأفكار الإسلامية، أو اسبقوهم قبل أن يسألوكم، ولا تخشوا من مقولة الحق حتى لو كانت عليكم، لأن الأجر الكبير عند الله هو الذي يجعل الإنسان يتجاوز كل شيء. إنك أيها الأب ستثاب على حسن أدائك مع ولدك بصرف النظر عن نتيجة عمله، وستعاقب على سوء الأداء معه بصرف النظر عن نتيجة عمله، لأنك مسؤول عن حسن التربية والأداء، أما التوفيق فعلى الله جل وعلا.

الحلقة الرابعة

حــق الولــد

(الجزء الثاني)

١ - التعامل مع المرحلة العمرية للولد

كيف نتعامل مع الولد مع اختلاف نموه وعمره؟

التعامل مع الولد يختلف باختلاف عمره، لأن تكوينه النفسي والعقلي والجسدي يختلف من عمر لآخر، ولأن استعداداته تنمو بشكل تدريجي لتشكل خصوصية ترتبط بكل مرحلة عمرية لها أساليبها الخاصة في التعامل.

أ- فالطفل إلى سبع سنوات تنمو قدراته ببطء، وتتركز معالم قدراته الأولية، ويتعامل مع المحيط كساحة لعب وتسلية، ولا يدرك معنى المسؤولية بدقة. إن الاستجابة لمتطلباته وعدم تحميله ما لا يطيق، يساهم في تنميته ليعيش طفولته بشكل سليم، فالضوابط والأوامر خفيفة ومحدودة، وتُمَرَّر له تباعاً دون إثقاله بأعباء كثيرة، والتسامح في هفواته وأخطائه العفوية الطفولية يعتبر أمراً طبيعياً، بل

التصابي معه ومجاراته في لعبه جزء لا يتجزأ من العملية التربوية، لربطه بمحبة والديه في أنهما يواكبانه ويهيئان له ما يرغبه، ليتمكنا من الاستفادة من هذا الحب لحسن الإدارة والتوجيه. وعندما يذكر في الحديث: «**دع ابنك يلعب سبع سنين**» فهو توجيه لخصوصية الولد واهتماماته، من دون التخلّي عن مسؤولية المتابعة والضبط المناسب. إن حرمان الولد من طفولته يؤدي إلى مجموعة من العُقد التي تصاحبه في شبابه وكامل حياته، وتنعكس على تصرفاته وسلوكه.

إن أكثر تركيز الأهل يكون على الطعام والشراب والصحة، أما التربية فتعتمد على الوضع التقليدي في جملة من الأوامر والنواهي الصارمة والكثيرة التي تحاصر الولد دون أن تأخذ بعين الاعتبار انفعالاته وتأثره. لقد ركز الإسلام على مجموعة من الضوابط للتعامل مع الطفل تؤسس لمستقبل تربوي أفضل، نذكر منها:

١- أهمية الأم ودورها في العملية التربوية، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**انظروا من تُرضع أولادكم فإن الولد يشبُّ عليه**»[1]، فالإرضاع هنا لا يقتصر على اللبن، وإنما يمتد لأخلاقية وسلوك وتربية الأم، بما تعكسه من شخصيتها مع الإرضاع.

٢- التصابي مع الولد وكأنَّه يتعامل مع أبناء جيله، فعن رسول

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٤٣.

اللهﷺ: «**مَن كان عنده صبي فليتصاب له**»[١]، لأن التصابي مدخل إلى محاكاة طفولة الولد، والنفاذ منها للتأثير عليه. وهذا يختلف عن إطلاق العنان لسلوك خاطىء أو تشجيعه للتمرد على الضوابط، الذي ينعكس غنجاً ودلالاً يصعب ضبطه لاحقاً.

٣- تعزيز العلاقة العاطفية بالحب، وترجمة هذه العلاقة بتقبيل الولد، وتعزيزها بتحقيق رغباته بما يتناسب مع حسن تربيته. روي عن رسول اللهﷺ أنه عندما خرج على عثمان بن مظعون ومعه صبي صغير له يلثمه، «**قال له: ابنك هذا؟ قال: نعم.قال: أتحبه يا عثمان؟ قال: أي والله يا رسول الله أحبه. قال: أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى فداك أبي وأمي. قال:إنه من يرضي صبياً له من نسله حتى يرضى ترضَّاه الله يوم القيامة حتى يرضى**»[٢]، إن هذه المحبة تنعكس رحمة على الأب في يوم القيامة، فعن الإمام الصادقعليه السلام: «**إن الله عزَّ وجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده**»[٣]، فالمحبة تُولد مناخاً إيجابياً للتربية الهادفة.

٤- الرحمة بالولد، فعوده طري، ويفتقر إلى الإدراك السليم والتجربة، ما يستدعي التعامل معه بلطف ورقة وصدق. قال رسول اللهﷺ: «**أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم**

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٨٦.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال ج١٦، ص: ٥٨٦.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص: ٥٠.

فإنهم لا يدرون إلاَّ أنكم ترزقونهم»[١]. إن التوجيه نحو الأساليب الأنفع لا يكون معزولاً عن المضمون السليم لتلقين الولد وتعليمه، إذ «**كل مولود يولد على الفطرة إلاَّ أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٢]، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو ابن بيئته الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، ويتأثر بالكلمة والحركة والمعاملة وأجواء الأولاد الذين يعاشرهم والمدرسة التي يذهب إليها، وهنا الصعوبة في تهيئة المناخات المناسبة لتربية أفضل يتكامل فيها التعلم واكتساب التجربة وحُسن الأساليب.

ب ـ أما الفترة العمرية الثانية والحساسة، فهي من سن السابعة إلى الرابعة عشرة، ويدخل فيها النضج الجسدي الذي يؤدي إلى مرحلة المراهقة، وكذلك الاستعدادات الشخصية والنفسية التي تكون مهيأة للتلقي، والتي تتطلب متابعة دقيقة. فالغالب على هذه المرحلة ثلاثة أمور هي: التعليم والتأديب والمتابعة. وهذا ما يبرز في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر[٣] سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٤]. فالأمر بالصلاة لسبع سنين مع عدم التكليف الشرعي لعدم البلوغ، يستلزم تعليماً لها، وهو طريق للتعويد والألفة مع

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٦، ص:٤٩.
(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص:١٧٦.
(٣) في بعض الروايات تسع سنين.
(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص:٤٣٩./ بحار الأنوار ج٨٥/ ١٣٣ حيث وردت الرواية في روايتين منفصلتين.

الصلاة ما يساهم في التأديب والتوجيه، ليأتي الضرب «التأديبي» في العاشرة والذي لا يؤدي إلى الأذية الجسدية مهما كان نوعها، فيكون عاملاً من عوامل التأديب والملاحقة، حتى لا يكون التراخي مقدمة لعدم الإقبال على الصلاة عند التكليف، ثم يُضاف التوجيه الدقيق في التفريق بين الأولاد أثناء النوم، فلا يكونون تحت غطاء واحد وفراش واحد، كإجراء وقائي بسبب بداية التغيرات الجسدية وتأثيرها على العامل الجنسي، ما يُخشى معه الانحراف وسلوك الطريق الخاطئ. فالضوابط في دائرة الإيجاب أو السلب، ومتابعتها باحتياطات قبل أوانها، هي للتعويد على السلوك الإسلامي المطلوب.

ويتبين لنا ما في هذه المرحلة، ما ورد من عناوين لها وبتعابير مختلفة في الروايات التي تحدثت عن المراحل العمرية المختلفة، نذكر منها:

١- عن رسول الله ﷺ: **«الولد سيد سبع سنين، وخادم سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت مكانفته(جعلته في كنفك)لإحدى وعشرين، وإلاَّ فاضرب على كتفه، قد أعذرت إلى الله فيه»**[1].

٢- وعن رسول الله ﷺ: **«الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين،ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلاَّ فاضرب على جنبه، فقد أعذرت إلى الله»**[2].

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص:٤٤٢.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص:٢٢٢.

٣- وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**يُرخى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً، ويُستخدم سبعاً، وينتهي طوله في ثلاث وعشرين، وعقله في خمسة وثلاثين، وما كان بعد ذلك فالتجارب**»[١].

٤- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، ويُؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلاَّ فلا خير فيه**»[٢].

٥- وعن الصادق عليه السلام: «**الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين**»[٣].

فالولد في هذه المرحلة «عبد وخادم ويؤدب ويتعلم» -كما في الروايات الخمس أعلاه-، وهي إشارات إلى استعداده لتنفيذ الأوامر وتلبية التوجيهات، وإلى ضرورة أن يوجّه ليكون كذلك. فهو عبد وخادم أي يطيع دون رفض، ويؤدب في دائرة الملاحقة والمتابعة ورسم الحدود، ويتعلم لتتكون عنده بنية معلوماتية، تشكل رصيداً لمعلومات أولية سليمة تساعده في الفهم والوعي وحُسن الحكم على الأشياء بشكل سليم، إستناداً إلى هذه المقدمات الصحيحة التي تلقنها وتأسس عليها.

إن هذه المرحلة تتطلب جهداً كبيراً، لأنها مرحلة التأسيس، وتتطلب مواكبة تفصيلية ودقيقة، ولا يكفي فيها الإطار العام. ولا يمكن الاطمئنان فيها لاستقامة الأمور، لأن تقلُّب شخصية الولد

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٢.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧ ص: ٣٣١.

واردة بشدة في هذه المرحلة، ولأن العوامل المؤثرة لا تقتصر على الأهل، وإنما تشمل المدرسة والعائلة والأصدقاء ووسائل الإعلام وكل ما له علاقة بمخاطبة الولد أو الاحتكاك به. لذا يجب الانتباه لكل كلمة أو تصرف، ضمن رقابة مدروسة وغير متسلطة، وبدراسة بعض الظواهر دون اللجوء إلى أساليب منفرة. لكن الطابع التعليمي والتأديبي مع متابعتهما هو الغالب على التعاطي مع الولد في هذا العمر.

وقد أكدَّ الإمام الصادقعليه السلام هذا المعنى عندما قال: «**إنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإن كان إلى نصف النهار وأكثر من ذلك أو أقل فإذا غلبهم العطش والغرث أفطروا، حتى يتعودوا الصوم ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع بما أطاقوا من الصيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا**»[1].

ج ـ أما الفترة العمرية الثالثة فهي من سن الرابعة عشرة إلى الواحدة والعشرين، وهي الفترة التي تتكون فيها معالم الشخصية المستقلة، فالولد يجنح إلى الاستقلال وإبداء الرأي والاختيار، ويرغب بأن تؤخذ وجهة نظره بعين الاعتبار، ويكره بأن يُعامل بطريقة طفولية، ويتصرف على أساس أنه صاحب قرار، وأنه يتميز بمجموعة من الصفات الخاصة والمهمة. لذا، نرى بداية المصادمة مع أهله إذا

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤ ص: ١٢٤.

لم ينسجم مع توجيهاتهم، ونزوعه إلى التفاعل مع أصحابه وجوِّه الخاص، واختياره لأنشطة تعبر عن هذا المنحى، ومحاولة تقليده للكبار باللباس أو طريقة الحديث أو الجلوس أو التدخين. .

إن التعاطي مع هذا العمر يتطلب شكلاً من المؤاخاة مع الصبي أو البنت، وإشعارهما بخصوصيتهما وبالاعتراف بشخصيتهما ومتطلباتهما. ونلاحظ تركيز الروايات الخمس أعلاه في تربية الولد على هذا الاتجاه. ففي الروايتين الأولى والثانية «ووزير سبع سنين»، والوزير للعون والمشاورة وتحمل المسؤولية، وعندما يكون ولدك وزيراً لك، فذلك يستدعي مناقشته ومحاورته والاستئناس برأيه، لتكون وجهة نظره حاضرة قبل اتخاذ أي قرار، فلا ينفع التسلط والآمرية القاسية فهذا يُوَلّد ردَّة فعل سلبية. وفي الرواية الثالثة «يستخدم سبعاً»، لأن القابليات التي نمت لديه تمكنه من أن يؤدي بعض المهام بنجاح، فبإمكانك أن تحمله مسؤولية ما، وهو قادر على متابعتها وملاحقتها وذلك بحسب سنه وما ينسجم معه.

وفي الرواية الرابعة «ألزمه نفسك سبع سنين»، أي أبقه إلى جانبك كصديق وأخ، وتعامل معه من موقع النِّدِّية لا الفوقية، وهذا لا يعني قدرته على مواكبة تجربتك كأب أو كأم بالكامل، ولكننا نتحدث عن أسلوب التعاطي الذي يُغلِّب المصاحبة والرفقة، وهو أسلوب مطبوع بالتقدير والنضج والحوار.

وفي الرواية الخامسة «يتعلم الحلال والحرام سبع سنين»،

وهذا يختلف عن المرحلة التي سبقتها حيث كان «يتعلم الكتاب سبع سنين»، فالتعلم في المرحلة السابقة إجمالي وتعبوي وتوجيهي، لكن التعلم في هذه المرحلة تفصيلي وتترتب عليه مسؤولية، فهو تكليف يحدد السلوك ويؤثر على المسار العام للشخصية، ويحدد الاتجاه الذي اختاره هذا الشاب. إنَّ تعلم الحلال والحرام هو تعبير عن اختيار المنهج في الحياة، وهو انتقال من التلقين إلى الاقتناع والالتزام والفهم والتبني للتكاليف الشرعية. والتوجيه لنا أن نهيء له سبل تعلم الحلال والحرام، لا أن نتركه دون معرفة أو توجيه، لأنه إذا لم يطَّلع على مسائل الحلال والحرام فستتكوَّن اختياراته من علمه الالتقاطي الذي يأخذه من هنا وهناك، ويكون تأثره بمن أخذ منه أكثر أو أعجبه واستأنس به، دون أن يكون الاختيار مبنياً على أسس الإيمان والاستقامة والصلاح.

إن الالتزام بهذه المراحل الثلاثة لا يعني تشابه التفاصيل في كل مرحلة خلال سبع سنوات، وإنما بيَّنا الإطار العام لكل مرحلة حيث تتفاوت فيها بعض الجزئيات والمتابعات، لكنها تكون محكومة للعنوان العام والقواعد الكلية المذكورة.

٢- البيئة التربوية المؤثرة

ما هي الأجواء المؤثرة تربوياً على الولد؟

الأسرة هي البيئة الأولى والأساسية في تربية الولد، وبمقدار ما يكون الوالدان ممسكين بخطوات العملية التربوية، يكون التأثير من قبلهما

على مستقبل مسار الولد. وعندما نتحدث عن تأثير الوالدين فهذا يشمل التأثير المباشر وغير المباشر، أما المباشر فهو المرتبط بأفكارهما وسلوكهما وتوجيهاتهما التي تنعكس على الولد، وأما غير المباشر فهو المرتبط بالمدرسة والصحبة والجيران والتلفاز وغيرها مما يتم اختياره ومواكبته من الأهل.

وقد علل أمير المؤمنين علي عليه السلام مباشرته لتربية ولده الإمام الحسن عليه السلام ، بالسبق لتوفير المقدمات الأفضل والأصلح حتى لا يملأ الفراغ أولئك الضالون والمنحرفون، إذ لا مجال لترك صفحة النفس الإنسانية خالية، فإما أن تكون صالحة وإما أن تكون فاسدة، وهنا تكمن أهمية الخطوات الأولى التي توفَّر للولد، يقول الأمير عليه السلام : «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبك**»[١].

فإذا استعرضنا قناعات الأولاد وسلوكهم عبر التجارب الطويلة السابقة، لوجدنا أن البيئة المحيطة والتي تشكل بيئة الآباء والمجتمع المحيط-سواء كانوا منسجمين معها أو مسيطرة على واقعهم، وسواء اختاروها أو أساؤوا الاختيار ما جعل الأمور خارجة عن سيطرتهم- هي المؤثرة والبانية والمؤسِّسَة.

فهذا النبي إبراهيم عليه السلام يسأل أباه وقومه عن سبب عبادة الأصنام والانحراف عن طاعة الله عزَّ وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ

---

(١) نهج البلاغة، كتاب ٣١، ص:٦١٧.

مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[١] ويأتي الجواب: ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[٢].

هذا التقليد الأعمى لبيئة الآباء ليس مُبرَّراً بأجوبة منطقية، بل لا يقبلون المناقشة حول مستوى الوعي والفهم وطريق الهداية، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[٣]. ويزداد الموقف صعوبة عندما يتم الدفاع عن قناعات الآباء في أنها أوامر الله تعالى، وهم تعلّموها كذلك، وبدأوا يدافعون عنها من هذه الزاوية ليبرروا انحرافهم ويُسكتوا ضمائرهم، ويقطعوا الطريق على تغيير طريق الفحشاء والمنكر ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٤].

إذا كانت البيئة صالحة، فهذا يعني التأثير على منهج وسلوك الأولاد، وتبرز المهمة الكبرى أمام الأهل في تهيئة مفردات هذه البيئة. إنهم مسؤولون في حُسن التوجيه والتربية والتعليم ومواكبة المراحل العمرية المختلفة، ومسؤولون في اختيار المدرسة بالتركيز على أهدافها التربوية وعدم الاقتصار على الظاهر التعليمي، فالمدرسة هي المعلم الثاني والموجِّه الفعال للولد، ومسؤولون في

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

ما يتابعه على شاشة التلفاز دون الاستهتار بالمشاهد والمضامين، ومسؤولون في معرفة صحبته وأخلاقيتهم وبيئتهم لأنهم ينقلون ما عندهم إلى ولدهم، ومسؤولون عن مواكبة وقته كيف يمضيه لأنه يمثل مداميك بناء الشخصية بالتراكم التدريجي مع الزمن. فإذا لم يتابع الوالدان تربية ولدهما بشكل مباشر وغير مباشر وبهذه السعة والشمولية، أو لم يكونا مؤهلين لقصور عندهما أو لتقصير بسبب اهتماماتهما الأخرى، أو كانت المؤثرات الخارجية أقوى من مقدرتهما على الضبط والمواكبة، فستكون التربية عندها على عهدة غيرهما صلاحاً أو فساداً. وهذا ما يُفسر صلاح الولد مع فساد الأهل، أو فساد الولد مع صلاح الأهل، أو بعض التمايز الذي يكون بينهما.

٣ - دور الصحبة

ما هو المؤثر الثاني المباشر والفعال بعد الأهل؟

يعتبر الصديق أو الصاحب المؤثر الثاني المباشر بعد الأهل، فقد يتفوق بتأثيره إذا استحوذ على الولد ومثَّل له نموذجاً وقدوة، ولا اعتبار للعمر في الصداقة وإن كانت غالباً في سن متقاربة، إذ قد يكون الصديق المؤثر أكبر عمراً وأكثر خبرة وأقدر تأثيراً، فالاهتمام بالصحبة عامل أساس في تربية الولد. وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجين في العلاقة مع القرين(الصاحب)، الأول لم يتأثر بقرينه لأن بناءه الإيماني كان متيناً، وعند دخوله الجنة يسأل عن

قرين السوء الذي حاول أن يؤثر عليه: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾[١]. أما الثاني فقد تأثر وستبرز ندامته عند الحساب لكنه سيدخل إلى جهنم ولن تنفعه هذه الندامة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٢].

من هنا تركيز أمير المؤمنين علي عليه السلام على المعاشرة وتبيان نتائجها العملية، فهي حياة القلوب عندما تكون لذوي الفضائل «**معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب**»[٣]، وهي طريق السعادة نظراً للفوائد الجمَّة التي يكتسبها المرء من عِشرة أهل الفضل «**عاشر أهل الفضل تسعد وتنبل**»[٤]. وحذار فيمن تسر له وتطمئن لعشرته ولا يكون أهلاً لذلك «**غلط الإنسان فيمن ينبسط إليه أخطر شيء عليه**»[٥]، وإذا أردت معرفة معدن وجوهر أي إنسان فانظر إلى صحبته فـ «**خوافي الأخلاق تكشفها المعاشرة**»[٦].

بما أن الصديق يشكِّل هذا التأثير الكبير، فنحن معنيون بتوجيه ولدنا لاختياره. تنحصر الصحبة بالعمر المتقارب، وهذا يعني أن

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ٥٠ ـ ٥٢.
(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٨ و٣٩.
(٣) غرر الحكم: ٩٧٨٥.
(٤) غرر الحكم: ٩٧٧٣.
(٥) غرر الحكم: ٥٧٣٤.
(٦) غرر الحكم: ١٠٠٢٩.

اختيارنا للصحبة يرتبط بالمعلم المربي الذي يواكب عدداً من التلامذة ويصبح المؤثر على سلوكهم، أو يرتبط بالنادي أو الكشّاف أو بعض الأنشطة التي يرغبها الولد وتربطه بقائده الكشفي أو مدرّبه في النادي حيث يقوم هذا القائد أو المدرّب وكذلك المعلّم المربّي بدور القدوة والرمز والموجّه والمؤثّر بطريقة الصحبة ورفع الكلفة، فإن هذا الأمر يملأ فراغاً في حياة الولد، ويهيىء لبناء سلوكي يؤثر في اختيار الصحبة المقاربة لعمر الولد من المحيط نفسه ومن الأجواء نفسها. فمع استقامة هذا الاختيار للقدوة والصحبة، يكون المسار مُطمئِناً، وتكون خطوة أخرى لتربية الولد في الاتجاه الصحيح.

٤ - الأسئلة عن الجنس

توجد أسئلة محرجة ترتبط بالجنس ويُربك الأهل في الإجابة عنها، ما هو الحل؟

أصعب ما يواجهه الأهل في المسار التربوي، تلك الأسئلة الحرجة التي تزداد مع النمو الجسدي والعقلي للولد، فتغيراته الجسدية وخاصة في سن المراهقة تضعه أمام تحولات تتطلب إجابات واضحة تُشبع رغبته في معرفة ما يحصل له، ونموه العقلي يدفعه للاستفسار عن أشياء يلاحظها في البيت أو المجتمع ويسعى للحصول على الأجوبة المقنعة ليؤسس عليها رصيده المعرفي.

هنا يبدأ المأزق، لأنَّ مجتمعنا قد تربى على تحريم الحديث

الذي يرتبط بالجنس، مع أنه محل ابتلاء في سن المراهقة، وهذا يضعنا أمام احتمالات عدة في كيفية الإجابة التي تتبعها نتائج متلازمة معها:

١- رفض الحديث بالمطلق بين الوالدين وولدهم (الصبي أو البنت)، ما سيدفع الولد للبحث عن الأجوبة من زملائه أو أستاذه أو أيّ وسيلة أخرى، ولا ضمانة للاستنتاجات الصحيحة أو الخاطئة التي سيحصل عليها.

٢- الإجابة على الأسئلة فقط، وبطريقة مختصرة ومحددة، مع الإشعار بضرورة عدم التمادي، مما لا يؤدي إلى كامل النتيجة المرجوَّة، فتكون التكملة على قاعدة الاحتمال الأول، أي من الآخرين أو التجربة الذاتية.

٣- الحديث المفتوح غير المتحفظ والذي يشارك فيه الجميع داخل الأسرة، وهذا يؤدي إلى إثارة لموضوعات في غير أوانها بالنسبة إلى بعض الأولاد، ويُوجِد جواً من قلة الحياء في التعاطي مع هذه المسائل، ما يصيب الناشئين بأضرار وتعقيدات وتجارب سلبية في دائرة الاكتشاف قبل أوان النضج والنمو، وكذلك يوقع - بسبب عدم التحفظ- في دائرة الإشكالات والإثارات الجنسية.

ولن نخوض في كل الاحتمالات السلبية المحتملة التي تعود في أغلبها إلى الاحتمالات الثلاثة، لننتقل إلى الحديث عن الاحتمال الأفضل:

لكل عمر نمو، ولكل نمو متطلبات عقلية وجسدية ونفسية، وعلى الأهل أن يتدرجوا مع الولد في مواكبته في مراحل النمو المختلفة، فكما يتدرج الإطعام من الحليب إلى بعض المأكولات إلى أن يصبح بالاختيار مما أنعم الله تعالى، وكما يتدرج التعويد على المشي من الحبو إلى التمسك بالكرسي أو الطاولة أو الانتقال البطيء ثم إلى المشي، وكما يتدرج التعلم المدرسي من الحضانة إلى الروضة إلى الصفوف العليا، ومن الأحرف الأولى والكلمات إلى الجمل والمعاني والربط، فكذلك يجب التدرج في متابعة نموه الجسدي وأسئلته المواكبة له، لنعمل على خطين:

الأول: تعليمي، بأن نبادره بالتوجيه والإلفات والتعليم.

الثاني: تفاعلي، بأن نستمع لأسئلته ونشجعه عليها ونقدم الإجابات المناسبة عنها.

فإذا كان الأهل قادرين على القيام بهذه المهمة وإتقانها فهذا أفضل، وإلاَّ فعليهم توجيه ولدهم إلى مربٍّ يتابعه في هذا الشأن (بأسلوب مباشر أو غير مباشر)، بحيث يستفيد لتحصيل المعرفة المطلوبة، ولا يخفى ما لمدرس الدين والشيخ والمدرسة والأستاذ المحبوب من أثر في هذا المجال.

لكننا سنبقى عند مهمة الأهل بالأولوية، فالتعليم أساس ويمكن مباشرته أو الاعتماد على المدرس أو حلقات المسجد، ضمن التوجيهات المسؤولة في إيمان الأهل، ولا يوجد

مشكلة في حديث الأهل عن المسائل الجنسية، لكن ضمن ضوابط الأدب والحشمة من ناحية، والتدرج الضروري في المعرفة من ناحية أخرى، فنضمن بذلك عدم الوقوع في قلة الحياء، ولا نتوسع خارج دائرة المطلوب، وفي التوجيه العام يقول الرسولﷺ: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»[1].

وها هو القرآن الكريم يحدثنا عن نهج هدايتنا، ومن ضمنه حديثه عن الزواج والعلاقات الزوجية والحيض والجنابة... بأسلوب تعليمي وأدبي رفيع وبإشارات يتم التوسع فيها مع أحاديث الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام بحسب الحاجة. وإذا سألَنا الصغير عن معنى آية أو كلمة لا يمكنه فهمها بسبب سنِّه، نخبره بعدم قدرته على استيعابها وعندما يكبُر تتم الإجابة المناسبة.

فإذا أضفنا بعض الخطوات لتعويده عليها كنمط في السلوك الأسري داخل المنزل، والتي تُبقي الحدود والضوابط الأخلاقية التي لا تنعكس سلباً على سلوكه أو نظرته إلى الأمور، كتحديد المسموح والممنوع، والالتزام بها دون الحاجة إلى تفصيلها في بعض الحالات، وكجزء من نظام البيت، فإننا نتمكن من رسم آلية للمعرفة وللعلاقة العملية كتعويد يصبح مألوفاً، فمع المواكبة والمتابعة وفق التفاصيل التي ذكرناها في هذا الاحتمال نصل إلى مرادنا.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٢٣.

إن مسؤولية الأهل هي التصرف بشكل طبيعي مع التوجيهات الإلهية. فإذا أراد الولد أن يدخل إلى غرفة والديه، عليه الاستئذان قبل الدخول في أوقات ثلاثة: قبل صلاة الفجر، وأثناء استراحة الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، سواء أكان الولد صغيراً أو بالغاً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

ويُفرق بين الأولاد في المضاجع وهم أبناء عشر سنين، فلا ينامون في فراش واحد تحت غطاء واحد. وتُطرح الموضوعات الخاصة في داخل الأسرة بطريقة ثنائية مع تعويد الآخرين بعدم التدخل والحشرية في كل أمر وسؤال.

هذه العلاقة الصريحة والواضحة والمتفاعلة بين الولد ووالديه أو أحدهما بحسب توزيع الأدوار بينهما ضرورية جداً، لمواكبة تربية تنسجم مع نمو الولد ولا توقعه في أزمات أو تخرجه عن طريق معرفة تكليفه بالطرق المستقيمة، خاصة عندما يكون على أبواب التكليف الشرعي أي سن البلوغ الشرعي، حيث يكون مسؤولاً عن معرفة تكليفه وحُسن تنفيذ موارد الابتلاء، وفي هذا

(١) سورة النور، الآية: ٥٨.

يقول الإمام الخميني (قده): «**يجب تعلم مسائل الشك والسهو وغيرها مما هو محل الابتلاء غالباً، إلاَّ إذا أطمأن من نفسه بعدم الابتلاء بها، كما يجب تعلم أجزاء العبادات وشرائطها وموانعها ومقدماتها**»[1]، وعليه أن يسأل ليتعلم، وكما قال الرسول ﷺ: «**حسن السؤال نصف العلم**»[2]، بل يجب عليه أن يسأل، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**سلّ عما لا بدَّ لك من علمه ولا تعذر في جهله**»[3]. والأهل معنيون بمساعدته وتوجيهه ومواكبته، فإن لم يكونوا قادرين بشكل مباشر، فليكن بإرشاده أو تسهيل صلته بمن يتمكن من ذلك بالطريقة الصحيحة.

---

(١) الإمام الخميني (قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٩.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ص:٧٣.
(٣) غرر الحكم: ٦٦٠.

الحلقة الخامسة

حق الأخ

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أخيك، فتعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجيء إليه، وعزُّك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم بحق الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوِّه، والحول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن إنقاد لربِّه، أحسن الإجابة له، وإلاَّ فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه».

* * * * * *

١- الأخ في إطار الأسرة

يطلق مصطلح الأخ على المولود بالنسبة لمولود آخر من أم واحدة فيكون أخاه لأمه، أو من أب واحد فيكون أخاه لأبيه، أو من أم وأب فيكون أخاه لأمه وأبيه، وبتعبير آخر: الأخ من جمعك وإياه بطن أو صلب أو هما معاً. وقد اهتم الإسلام بتعزيز الروابط

الأسرية ومنها رابطة الأخوة، وأولاها اهتماماً كبيراً. فالأخوة يعيشون مع بعضهم فترة الطفولة والشباب تحت سقف واحد، ويرتبطون برابطة الدم والرحم، ما يتطلب خصوصية في التعاطي لا تتشابه مع العلاقات الاجتماعية العامة.

الأخ يعيش مع أخيه الأيام الحلوة والمرة، ويحتاج إلى مساندته وعونه ونصحه وتأييده، ويأنس بالأيام التي يقضيها معه. فالإنسان بحاجة إلى من يحنو عليه، ويشعره بخصوصية في العلاقة تتجاوز العلاقات المادية المقننة في إطار حسابات المجتمع. إنها علاقة خارجة عن دائرة التجريد، فهي علاقة عاطفية حيث تكون المحبة والمودة والإيثار والتعاون والنصرة... عناوين ملازمة لها.

هذه الأخوة هي نتيجة خلق الله واختياره، ولا مجال للتعامل معها على أساس الاستنساب والاستئناس، إذ يمكنك اختيار أصدقائك وجيرانك، ولكن لا مجال للتعاطي مع الأخوة بانتقائية. بمعنى آخر: يجب أن تضع نصب عينيك كيف تحافظ على علاقتك بأخيك؟ فالأصل استمرارية العلاقة وسلامتها، وإزالة الشوائب من طريقها، وتحمل المصاعب التي تعترضها، والمبادرة لتحصينها. المطلوب بذل الجهد لتكون الأفضل، ولتعزيز العلاقة العاطفية فيها، ولتدعيمها بكل أسباب الحياة والفعالية.

إن الإسلام قد ركز على صلة الرحم ومنها علاقة الأخوة، لما

لها من آثار نفسية وتربوية واجتماعية وعملية، ولما لها من معانٍ سامية ونبيلة في إنسانية الإنسان، وفي تكوين مجتمعه الصغير الذي يطل من خلاله على المجتمع الكبير. فإذا لم يكن المرء قادراً على أُلفةٍ في إطار الأسرة، وإذا لم يكن مستعداً لتأسيس علاقة المودة من خلال الأخوة، فأي قدرة له واستعداد عنده ليكون إنساناً فاعلاً ومفيداً في المجتمع؟!

٢- قواعد السلوك

حدد الإمام زين العابدينعليه السلام في حديثه عن حق الأخ كيفية النظرة إليه، وقواعد السلوك معه. أما النظرة إليه فتتمحور حول القوة والمساندة التي يشكلها الأخ لأخيه، فهو يدك التي تبسطها، فتكون سنداً إضافياً تستفيد منه، وظهرك الذي تلتجيء إليه، حيث يمثل الظهر قوام الجسد وشموخه، وهو عماد الدعم في الشدائد، وعزُّك الذي تعتمد عليه، فتضاف إلى مكانتك في المجتمع مكانة أخيك وموقعه وما يضيف إليك من عزّ ومنعة، وقوتك التي تصول بها إذا وقعت في أزمات أو صعوبات، إذ يكون إلى جانبك في مواجهة الأعداء والجائرين والظالمين.

أما قواعد السلوك: فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، لأن خصوصية الأخوة لا تعني سقوط الضوابط الشرعية، بل هي عون لها وقوة من خلالها. وليس من حق الأخ أن يسخط لعدم وقوف

أخيه إلى جانبه فيما يُغضِب الله تعالى من ارتكاب للمحرمات ومنها الظلم، فالأخ ليس سنداً لأخيه في ظلمه بل هو سند له في الخير ومعين له في إبعاده عن الشرور، ولهذا يجب أن ينصره على نفسه بردعه عن المعاصي والظلم، وأما معونته على عدوه فهو من مستلزمات الأخوة. قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل: يا رسول الله، نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال ﷺ: تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**»[١].

وعليك أن تهديه إلى الاستقامة والطاعة لله تعالى، فتحول بينه وبين وسوسات شياطينه وأصحابه ورغباته، وتنصحه بما ينفعه لدنياه وآخرته، وبما يمكّنه من الإقبال على الله تعالى، بتشجيعه على العبادة، والقيام بالأعمال الصالحة، ومعاشرة الأخيار... فإذا أثَّرت فيه فانقاد لربه، واستجاب لدعوته، فهذا خير وإيجابي. وإلاَّ فإذا فشلت في ذلك، فانتبه لمسؤوليتك أمام الله تعالى، فعملك مع أخيك وحبك له بتوجيه الله تعالى لك، وأمر الله مقدَّمٌ على كل شيء وطاعته أساس لكل سلوك، فليكن الله آثر عندك من أخيك، فهو الأكرم عليك منه، وهو الأرحم بك منه، وإليه تعود الأمور. فلا تؤازر أخاك في معصية، ولا تشاركه في انحراف، ولا تشجعه على باطل، ولا تدعمه في ظلم. فحق الأخوة أن تكون سنداً ومعيناً ومواكباً له في كل حالاته لمساعدته في طريق الطاعة لله تعالى.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص: ٩٤.

٣- صلة الأرحام

هنا نطل إطلالة سريعة على صلة الأرحام، وقد اعتبر الإسلام قطيعة الرحم من الكبائر. أما الأرحام المباشرين فهم: الأب والأم والابن والابنة والأخ والأخت والجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة، وهؤلاء يتوجه إليهم الإسلام بصلة الرحم التي تتم بالزيارة والاتصال والسلام وما تعارف الناس عليه من بقاء الصلة وعدم انقطاعها، وذلك بحسب قرب المكان وبعده، وظروف العمل وإمكانيات التواصل.

هذه الصلة تعزز التماسك الأسري والعائلي، وتُنمِّي العلاقات الاجتماعية والنظرة الإنسانية، وتساعد في تحقيق فوائد عدة تربوية وأخلاقية، وتنسجم مع فطرة الإنسان ككائن اجتماعي يعيش في إطار الجماعة، وتساهم في تجاوز علاقات المصالح والماديات، ولها آثار أخرى من عطاء الله تعالى: كزيادة الرزق وإطالة العمر ودفع البلاء. . . .

عن أبي جعفر عليه السلام: «**صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسىء له في عمره، وتوسع في رزقه، وتحبب في أهل بيته، فليتق الله وليصل رحمه**»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**صلة الأرحام تحسن الخلق،**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١٥٢.

وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسىء في الأجل»[١].

ولا ترتبط الصلة بالتبادل بين الطرفين، فقد يقطعها الطرف الآخر، أو تكون تصرفاته مؤدية إلى النفور منه، ومع ذلك فالحرص على إبقائها واستمراريتها مسؤولية شرعية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«صلوا أرحامكم وإن قطعوكم»**[٢].

وعن أبي ذر(رض) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت»**[٣].

وعندما سُئل الإمام الخامنئي(حفظه الله) عن أخ لا يراعي الأمور الشرعية والأخلاقية، ولا تنفع معه النصيحة، أجاب: «يجب عليك إظهار الاستياء من هذه التصرفات المخالفة للشرع، وتذكيره بأي أسلوب أخوي تراه مفيداً وصالحاً، ولكن لا تقطع الرحم فإنه غير جائز»[٤].

٤- الأخ في الله

وسَّع الإسلام دائرة الأخوَّة، لتشمل الأخ في العقيدة والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١٥١.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص: ٢٢٣.
(٣) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٣٤٥.
(٤) الإمام الخامنئي (قده)، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص: ٣٤٠.

اَللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، وهو بذلك يجعل رابطة الإيمان تحمل تفاعلات وآثار رابطة أخوة الدم في الحب والتفاعل والإيثار والتضحية، ويستثنى منها ما حرَّمه الله وأحلَّه. وهو يؤكد على أهمية العلاقة بين المؤمنين لتكون مبنية على قاعدة الإيمان لا على قاعدة المصلحة. فرابطة الإيمان تتجاوز الفوارق المادية بين الغني والفقير، بين صاحب المركز الاجتماعي والإنسان العادي،، وهي تجمعهم في صلاة واحدة وأهداف واحدة، ومن ابتغى البدلية والأجر فأجره على الله تعالى، فما بالك إذا اجتمعت أخوة الدم مع اخوة الإيمان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**رب أخ لك لم تلده أمك**»[٢]، وهو يحمل المواصفات التي تشكل السند والدعم لمواجهة تحديات الحياة الدنيا. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعده عِدة فيخلفه**»[٣].

ومن المفيد استعراض بعض مواصفات ومنافع الأخوة في الله تعالى، والتي تبين المقياس الأفضل لأداء مريح ومؤنس، بعيد عن الهوى والآثام.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) غرر الحكم: ٩٧٥٢.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص: ٢٠٥.

٥- كان لي أخ

خطب الإمام الحسن بن علي عليه السلام في الناس فقال: «أيها الناس، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني، صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلاَّ على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صمَّاتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليثاً عاديا، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزَّه أمران لا يدري أيهما أفضل؟ نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلاَّ عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلاَّ من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكَّى ولا يتشهى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها، فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله»[1].

---

(١) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٩، ص:١٧٠.

٦- المودة

تزداد الأخوة منعة ومتانة بالمودة، ولا تنتظر أن يبادرك أخوك بها، بل بادره أنت. فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا يكن أخوك أقوى منك على مودَّته**»[١]. فالتنافس في الحب والمودة والتسابق نحو العطاء والخير يعزز منطق الأخوة على أساس الإيمان. أما إذا كانت المودة شكلية ولفظية، وتنطلق من المصالح المادية الآنية، وتسقط عند الملمات والمهمات، فهي غير نافعة ويجب الحذر منها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من لم تكن مودَّته في الله فاحذره، فإنَّ مودَّته لئيمة، وصحبته مشؤومة**»[٢].

إن الحرص على الأخوة يستدعي تثبيتها، فلا يكفي التباني عليها، ولا اعتبارها معروفة وقائمة منذ زمن طويل، بل المفيد تأكيدها بخطوات تفيد هذا المعنى، ومنها إعلام أخيك بحبك له، ولو تكرر هذا الأمر مرات عدة وفي أزمان وظروف مختلفة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أحبَّ أحدكم أخاه فلْيُعْلِمه، فإنه أصلحُ لذاتِ البين**»[٣]. إن كلمة الحب تترك أنساً في النفس، وتثير مشاعر المودة، وتؤكد على الحالة العاطفية المطلوبة بين الأخوين. ألا تلاحظ أثر هذه الكلمة على ابنك وهو يسألك مراراً بحبك له؟

---

(١) الكراجكي، كنز الفوائد، ص:٣٤.
(٢) غرر الحكم: ٩٧٠٥.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص:١٨٢، عن نوادر الراوندي.

وأثرها على الزوجة وهي تهتم بمعرفة أحاسيس زوجها تجاهها باستمرار؟ وأثرها على المتعلم عندما يطلقها المعلم أمامه؟. . . .

٧- مواصفات الأخ

لن أطيل عليك، وما عليك إلاَّ اتباع هذه التوجيهات العظيمة للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، لترتاح في علاقة الأخوة وتحسن الاستفادة منها.

أحسن اختيار إخوانك، فإن خيرهم من سار بك في طاعة الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير إخوانك من أعانك على طاعة الله، وصدك عن معاصيه، وأمرك برضاه**»[١].

قال الإمام علي عليه السلام: «**خير إخوانك من دلَّك على هدى، واكسبك تقى، وصدك عن اتباع الهوى**»[٢].

هذا الأخ لا يوفر توجيهاً ولا عوناً ولا نصيحة نافعة، لأنَّ: «**المؤمن مرآة أخيه المؤمن**»[٣] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتنطبق عليه المواصفات التي ذكرها أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إن أخاك حقاً من غفرَ زلَّتك، وسدَّ خلَّتك، وقَبِلَ عُذرك، وسَتَرَ عورتَك، ونفى وَجَلك، وحقَّق أَمَلَك**»[٤].

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص:٤٦.
(٢) غرر الحكم: ٩٤٨٥.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص:١٥٤.
(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:١٥٤.

وبما أن المحافظة على الأخوة أصل، يجب تجنب ما يعكر صفوها، والمبادرة إلى معالجة الخلافات والمشاكل على قاعدة الإصلاح والعفو. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[(١)].

وفي الحديث: «**ملعون رجل يبدأه أخوه بالصلح فلم يصالحه**»[(٢)].

وليكن الأولى هو البحث عن عذر لخطأ أخيك أو تصرفه، ففي الحديث الشريف أيضاً: «**احمل أخاك المؤمن على سبعين محملاً من الخير**»[(٣)].

وإلاَّ إذا ابتعدت عن إخوانك عند أي خطأ منهم، فلن يبق لك أخوة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من جانب الأخوان على كل ذنب قلَّ أصدقاؤه**»[(٤)].

إنها صفة سلبية في شخصيتك عندما تعجز عن المحافظة على إخوانك بسبب طريقتك في التعاطي معهم، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم**»[(٥)].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) الكراجكي، كنز الفوائد، ص: ٦٣.

(٣) المحقق البحراني، الحدائق الناضرة، ج١٥، ص: ٣٥٣.

(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٤٣.

(٥) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، رقم ١٢، ص٧٣٤.

وهنا تبرز العقدة الكبرى في أن تكون حساسيته مفرطة، وظنونه كثيرة، ولا يتحمل أي ملاحظة. فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ليس لك بأخ من احتجت إلى مداراته**»[١]. وعنه أيضاً: «**شر الإخوان من تُكلِّف له**»[٢]. فانتبه حتى لا تكون هذه الصفات في شخصك تجاه إخوانك.

ولتكن قواعد العلاقة محكومة بهذه التوجيهات لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «**وإن أردت قطيعة أخيك، فاستبقِ له من نفسك بقية ترجع إليها إنْ بدا له ذلك يوماً ما. ومن ظنَّ بك خيراً فصدِّق ظنَّه، ولا تُضيِّعنَّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعتَ حقَّه، ولا يكن أهلُك أشقى الخلق بك، ولا ترغَبَنَّ فيمن زهد فيك، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صِلَتِه، ولا تكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان**»[٣].

---

(١) غرر الحكم: ٩٥٥١.

(٢) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، ٤٧٩، ص: ٨٥١.

(٣) نهج البلاغة، كتاب ٣١ من وصيته للإمام الحسن عليه السلام، ص: ٦٣١.

المصادر

* **القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

* **ابن أبي طالب، الإمام علي عليه السلام.**

- نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

* **ابن ابي الحديد، ت ٦٥٦هـ.**

- شرح نهج البلاغة، دار احياء الكتب العربية، قم، ط٢، ١٩٦٧م.

* **الإمام الخميني، روح الله الموسوي، ت ١٩٨٩م.**

- تحرير الوسيلة، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٠هـ.

* **الآمدي، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد.**

- غرر الحكم.

* **البحراني، المحدث الشيخ يوسف، ت١١٨٦هـ.**

- الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

* **البيهقي، ابو بكر أحمد، ت ٤٥٨هـ.**

- السنن الكبرى، دار الفكر، لبنان.

* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن .**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

* **الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري .**

- تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

- أجوبة الاستفتاءات، مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية، لبنان، ط٦، ٢٠٠٤م.

* **الريشهري، الشيخ محمدي.**

- ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

* **الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

- الامالي، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

- الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

- عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

- من لا يحضره الفقيه ، جماعة من المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الطبرسي، الشيخ أحمد بن علي، ت ٥٦٠هـ.**

- الاحتجاج، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م.

* **الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت ٥٤٨ هـ.**

- مكارم الاخلاق ، منشورات الشريف الرضي ، ط٦، ١٩٧٢م .

* **الكراجكي، ابن الفتح محمد بن علي، ت ٤٤٩هـ.**

- كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، قم، ط٢، ١٤١٠هـ.

* **الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**
- الكافي، دار الكتب الاسلامية ، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

* **كوراني، الشيخ علي.**
- برنامج المعجم الكمبيوتري، الاصدار الثالث، ٢٠٠١م.

* **الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**
- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

* **المازندراني، محمد صالح، ت ١٠٨١هـ.**
- شرح أصول الكافي.

* **المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**
- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**
- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **النمازي، الشيخ علي، ت ١٤٠٥هـ.**
- مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٣، ١٤١٨هـ.

المحتـوى

إهداء ٥

مقدمة ٧

إطلالة ١١

الحلقة الأولى: حق الأم

١ـ انسانة عظيمة ١٥

٢ـ حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا ١٦

٣ـ تضحية الأم وشكر الابن ١٨

٤ـ الجنة تحت أقدام الأمهات ٢١

٥ـ حق الأم ثابت ٢٢

٦ـ التقصير لا يلغي حقها ٢٣

٧ـ بين الطاعة والإحسان ٢٤

٨ـ طاعة الابن لها صغيراً وإحسانه إليها كبيراً ٢٥

٩ـ التدخل في حياة الأبناء ٢٦
١٠ـ رأي الأم في زواج البنت ٢٨
١١ـ تأثير الأمهات في الأبناء ٢٩
١٢ـ الهوى والطاعة ٣١
١٣ـ التوجيه الفاسد ٣١
١٤ـ الغرب ومجتمعنا ٣٣

الحلقة الثانية: حـــق الأب

١ـ لولاه لم تكن ٣٧
٢ـ حدود حق الطاعة للأب ٣٩
٣ـ اختلاف الرأي ٤٣
٤ـ الأبوة الثابتة ٤٤
٥ـ أهمية دور الأب ٤٥
٦ـ الابن الأكبر يقضي عن أبيه ٤٦
٧ـ احترام الابن لأبيه ٤٧
٨ـ أبوة علي عليه السلام ..إطلالة سريعة ٤٨
٩ـ الأب المقاوم ٥٠
١٠ـ مقارنة بين حق الأم وحق الأب ٥١
١١ـ كيفية الإحسان للوالدين ٥٢

الحلقة الثالثة: حق ولـــدك (الجزء الأول)

١ـ حقوق الابن على أبيه ٥٧
٢ـ مسؤولية عمل الابن ٦١
٣ـ أولادكم فتنة ٦٣
٤ـ من يرعى ومن يربي ٦٥
٥ـ منشأ عُقد الطفولة ٦٥
٦ـ ضوابط التربية السليمة ٦٧
٧ـ مراعاة الولد أمام الآخرين ٦٩
٨ـ أسلوب الضرب ٧٠
٩ـ أعِنْ ولدك على برِّك ٧٣
١٠ـ نمّو شخصيتهم ٧٣
١١ـ تقاليد المجتمع الشرقي ٧٥
١٢ـ التمييز بين الفتاة والصبي ٧٧
١٣ـ أسلوب المجتمع الغربي مع الأطفال ٨٠
١٤ـ بين البلوغ وسن الثامنة عشرة ٨٢
١٥ـ نصيحة ٨٤

الحلقة الرابعة: حـــق ولـــدك (الجزء الثاني)

١ـ التعامل مع المرحلة العمرية للولد ٨٧

٢ـ البيئة التربوية المؤثرة ٩٥
٣ـ دور الصحبة ٩٨
٤ـ الأسئلة عن الجنس ١٠٠

الحلقة الخامسة: حـــق الأخ

١ـ الأخ في إطار الأسرة ١٠٧
٢ـ قواعد السلوك ١٠٩
٣ـ صلة الأرحام ١١١
٤ـ الأخ في الله ١١٢
٥ـ كان لي أخ ١١٤
٦ـ المودة ١١٥
٧ـ مواصفات الأخ ١١٦
المصادر ١١٩
المحتوى ١٢٣

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سابعة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة سادسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة سادسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة سادسة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة خامسة).
* صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* سبيل الله تعالى (طبعة ثالثة).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تـمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الأفعال

الصلاة - الصوم - الهدي - الصدقة

الطبعـــة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

الطبعة الثانيـــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

الطبعة الثالثـــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

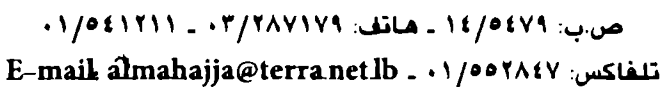
الطبعة الرابعـــة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

الطبعة السادسة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال


ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

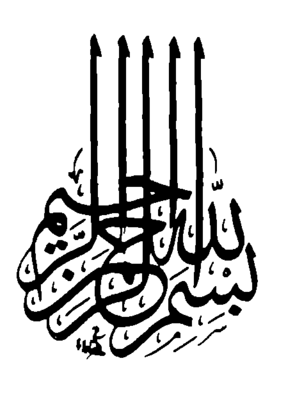
الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الأفعال

الصلاة - الصوم - الهدي - الصدقة

دار المحجة البيضاء



الإهـــــداء

إلى المربِّي الربَّاني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجهاً

وللباحثين عن الخلاص معلِّماً

يا سيدي وإمامي، يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك،

إلى كل إنسان

لتضيء حياته بنهج الإسلام

ويعيش الاستقرار بدقة الإلتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السادسة

الحمد الله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد الرسل محمدﷺ قدوة الإنسانية ومرشدها إلى سعادتها، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء الثالث من الحلقات الحوارية التلفزيونية حول رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. وهي رسالة قيمة، فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي، ما يشكل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع.

إنَّ تسمية حقوق الأفعال مستفادة من نصّ الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته، وهي: الصلاة والصوم والهدي والصدقة. هذه العبادات هي التي تصقل شخصية المؤمن، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم يثبت الإخلاص، والحج يشيِّد الدين،

والزكاة تنمِّي المال والرزق. إنها خطوات الطاعة للوصول إلى التقوى، وهي تفتح أبواب الاستقامة والتقيّد بأوامر الله تعالى ونواهيه.

وقد أبقيت الحوار في الحلقات كما جرى، مع بعض التعديلات والإضافات التي تناسب الكتابة وتحيط بالأسئلة المثارة حول الموضوع، وذلك بأسلوب واضح ومفيد، ليستفيد القارىء في محاكاة أدائه العبادي من أجل الوصول إلى الأفضل. وقد أوردت مجمل الحقوق قبل تفصيلها كما ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام في الإطلالة التي تلي هذه المقدمة.

إنها رسالة للإمام علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، إنه ابن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وحفيد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد تميز بعبادته حتى لقب بـ«سيد الساجدين» و«زين العابدين»، واشتهر بتوجيهاته وأسلوبه التربوي الذي برز في أدعيته في الصحيفة السجادية وغيرها من الأدعية، وفي رسالة الحقوق التي نحن بصددها، وهي رسالة مسبوكة بلغة موجزة ومعبرة، وبمضمون إسلامي عميق وموضح للمسار، وبأسلوب إيماني وروحي مؤثر.

لقد سبق الإسلام بأربعة عشر قرناً شرعة حقوق الإنسان العالمية، التي اخذت حيزاً دعائياً كبيراً في القرن العشرين، فجسَّدت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أروع وأرقى آداب

التعامل بين الناس، ما يضفي على الاجتماع الإنساني والعلاقات الاجتماعية صفاءً واستقراراً وبهجة، وهذا ما يؤكد حاجتنا الماسَّة للتعرف على هذا الرصيد الكبير.

اعتمدنا تقسيماً فنياً للأجزاء التي أصدرناها يتناسب مع العنوان الذي ركَّزنا عليه في كل جزء، بحيث تندرج فيها الحقوق الخمسون، لتستقر على سبعة أجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

نجدد طباعة هذا الجزء للمرة السادسة بعد نفاد الطبعات السابقة، وقد تكرر هذا الأمر مع الأجزاء السبعة لـ «شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام»، سائلين المولى تعالى أن يوفقنا للعمل بمضمون هذه التوجيهات التربوية الرائدة.

٣٠ صفر ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

١٥ شباط ٢٠١٠م

إطلالـــــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام **على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله»** للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها: بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه

تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. **ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً،** ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، **وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك** بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك،

ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

الحلقة الأولى

حق الصلاة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فأما حق الصلاة، فأن تعلم أنها وفادةٌ إلى الله، وأنك قائم بها بين يدي الله، فإذا علمت ذلك، كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب، الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرع، المعظِّمِ من قام بين يديه بالسكون والإطراق، وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه، والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك، ولا قوة إلاَّ بالله».

* * * * * *

١- معنى الصلاة:

سماحة الشيخ بداية ما معنى كلمة الصلاة؟ وماذا يقصد منها الإمام السجاد عليه السلام؟

الصلاة في اللغة هي الدعاء، وقد استخدمها الله تعالى في عبادة الصلاة بتكبيرتها وركوعها وسجودها وقراءتها وذكرها . . .

وفق تفاصيل وأجزاء تسمى بمجموعها الصلاة بالمعنى الإسلامي، بحيث أصبح المتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة الصلاة إنَّها تلك العبادة التي شرَّعها الله تعالى، وصار استعمالها بمعنى الدعاء مجازاً، ولا بدَّ من قيد أو سياق يدل على المعنى الآخر غير العبادة. وتختلف عبادة الصلاة بشكلها وتفاصيلها في الرسالات السماوية المختلفة، لكنها أساسية في كل الشرائع، قال تعالى عنها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[(١)].

أما المعاني الأخرى التي وردت في القرآن الكريم فهي:

أ - صلاة الله على عباده وهي رحمته بهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[(٢)].

ب - صلاة الملائكة على العباد وهي تزكية واستغفار لهم.

ج - صلاة العباد على النبي صلى الله عليه وآله أو على المؤمنين وهي دعاء له أولهم بالرحمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[(٣)]، وعن أبي الحسن عليه السلام قال: **«صلاة الله رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له»**[(٤)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٤) السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٦، ص:٣٤٣.

وما يقصده الإمام زين العابدين عليه السلام عن حق الصلاة هو العبادة، إنها صلة الإنسان بربه ودعاؤه له وتفاعله معه، إنها الصلوات اليومية الخمسة كأساس.

٢- غريزة التدين:

نرى غالبية الشعوب عبر التاريخ قد اعتمدت صيغاً لعبادة الله والوصول إليه ولو كان يطغى عليها سمات غير إيمانية! ولم يكن الاتجاه موحداً، ولم تكن الصلاة واحدة، فإلى ماذا تردُّون هذا التفاوت في الاتجاه وشكل الأداء؟

يوجد أمر ربما يكون مجهولاً عند الكثيرين، يرتبط بظاهرة التدين والقداسة، والتي تنعكس من خلال التصرفات اليومية مثل القيام بصلاة معينة أو بعبادة معينة كعلاقة مع الخالق أو بتقديس ما، وهذا مرده إلى فطرة الإنسان. فالميل نحو التقديس والاحترام، وتبجيل القدرة والعظمة، والتعلق بقوة موجودة ومؤثرة وفاعلة، موجود في فطرة الإنسان، وهو ما يسميه البعض غريزة التدين، لأنه مغروز في الإنسان أي في فطرته، فكل إنسان بحاجة الى أن يقدس وأن يُجِل وأن يحترم، وأن يقف عاجزاً أمام عظمة ما، إنَّه يحتاج إلى عنوان القوة المحورية. لذا نرى مظاهر التقديس موجودة عند كل البشر، لكنَّ الفرق في التفاصيل. واحد يقدس الإله الواحد الأحد، وثاني يقدس النار لأنها تمثل إله العظمة والقدرة أو التأثير، وثالث يقدس الزعيم ويعطيه في بعض الحالات صفة الإلوهية،

حتى الملحدين الذين ينكرون الخالق، ويدَّعون أنهم مجردون وعمليون، يقفون أمام قداسة الفكرة وقداسة الزعيم، وهذا تعبير من تعابير الرغبة بملء ما هو في داخلهم من غريزة التدين.

لكن الشكل والأداء المعتمد ليس منسجماً مع التوجيه الصحيح لفطرة الإنسان، فعندما نرى أن الشعوب تلجأ الى طقوس معينة وتسميها صلاة، حيث يمكن أن تكون للنار أو ما شابهها في معابد مختلفة، فلأنها بحاجة على المستوى الغرائزي والفطري أن تخضع للقدرة الكبرى، التي هي في نظرنا القدرة الإلهية. ولكنهم ضلّوا عنها، فابتدعوا تلك الأشكال والطقوس المختلفة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سأله سائل: يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني.

فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟

قال: نعم.

قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟

قال: نعم.

قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟

فقال: نعم.

قال الصادق عليه السلام: «**فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث**»[1].

هذا الاتجاه الفطري إلى الله تعالى يتطلب توجيهاً وإرشاداً، ليتعرف المرء على طريق الهداية، ويسلك منهج العبادة الحقة التي توصل إلى الله تعالى من خلال مفرداتها، وهذه هي الوظيفة الأساسية للأنبياء ولسيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله، ليهدوا البشرية إلى العبادة الصحيحة التي تربط بالخالق القادر الواحد الأحد.

٣- قيام المصلي بين يدي ربه:

الإمام زين العابدين يقول عليه السلام: «أما حق الصلاة، فأن تعلم أنها وفادة الى الله وأنك قائم بها بين يدي الله، فإذا علمت ذلك، كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب، الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرع» ماذا يريد الإمام عليه السلام أن يقول لنا؟

فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله، أي أنها قدوم إلى الله تعالى وورود إليه. فالواقف بين يدي الله تعالى للصلاة، يتحدث ويخاطب ويناجي ربَّه، ومعنى القربة إلى الله تعالى هو التقرب والإقبال وابتغاء العلاقة بالله تعالى. إذاً أنت في محضر الله تعالى، وعليك أن تستعدَّ للحضور والمثول أمامه، لا أن يكون قدومك عادياً أو لا مبالياً. إن مشكلتنا هي في تحويل الصلاة إلى

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص:٢٣١.

حركات وشكل يفرغ من مضمونه تدريجياً، ويصبح أداء تقليدياً لا فعالية فيه، وتغلب عليه العادة وليس الوفادة الحقيقية.

فلنتذكر عندما نبدأ بتكبيرة الإحرام أننا نسلِّم أمرنا لله تعالى، فهو الأكبر والأعظم والأقدر وإليه تعود الأمور كلها. وعندما نقرأ سورة الفاتحة وسوراً أخرى من القرآن الكريم، نعيش معنى الآيات وأنها خطاب الله تعالى لنا، وكأنه يحادثنا مباشرة للحظتنا، كي يكون لهذا الكلام أثر في العقل والقلب، في الروح والجوارح. وعندما نركع نسبح الخالق وننزهه، ونخضع له ولا نخضع لغيره، وعندما نسجد نعبر عن أقصى الخضوع والتذلل، وهو مصدر قوة للمحتاج الذليل إلى خالقه. إننا قائمون بين يدي الله تعالى، وحري بنا أن نحسن الوقوف والأداء.

إذا علمنا أنها وفادة إلى الله وقيام بين يديه، ترتبت علينا آداب تمكننا من الاستفادة من هذا الموقف، وبدونها لا يتحقق الهدف المنشود من الصلاة. وقد ذكر الإمام السجاد عليه السلام مجموعة من الصفات المؤثرة في إقامة الصلاة:

أن تقوم فيها مقام الذليل، حيث تكشف ضعفك أمام الله تعالى، وتتذلل له ليعطيك ويعفو عنك ويهديك ويرحمك. هذه الذلة مع الخالق تعطي المخلوق مدداً وارتباطاً وقوة دفع، وهي التي تمنع ذلة المخلوق للمخلوق.

الراغب، حيث ترغب بهذه العلاقة مع الله تعالى، فلست

منساقاً إليها غصباً عنك، وليست عبئاً ثقيلاً تضطر للقيام به، إنما هي شوق وتعلق بالخالق. كان رسول الله ﷺ يتشوق للصلاة تشوق الظمآن إلى الماء، قال ﷺ لأبي ذر: **«إن الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة، وحبَّبها إليَّ كما حبَّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، فإن الجائع إذا أكل الطعام شبع، وإذا شرب الماء روي، وأنا لا أشبع من الصلاة»**(١). وهي رغبة بثواب الله تعالى على الاستقامة.

الراهب، الذي وطَّن نفسه للعبادة رهبة من الله تعالى.

الخائف، الذي يخشى من العقاب والسؤال في يوم الحساب، لأن الأعمال مسجلة في صحيفة المرء، ولا يدري كم يكون عبئها ثقيلاً عليه؟ وكم يكون ميزانه خفيفاً ليجتاز عقبات يوم القيامة؟ فهو مقبل على الصلاة بخوف يبتغي معه تعويضاً عما قصَّر، وحماية من ارتكاب المعاصي لما يأتي.

الراجي، لرحمة ربه، وإذا لم يرج ربَّه فمن يرجو؟! وإذا لم يتأمل برب الأرباب فبمن يتأمل؟! وعندما يقوم بين يدي الله تعالى، فبإمكانه أن يعقد كل الرجاء به، حيث لا يخيب لديه سائل، ولا يرد رجاء من رجاه.

المسكين، وهو الذي لا يجد ما يسد رمقه. وهل يملك المرء شيئاً من غير الله؟! فقف بين يدي ربك مسكيناً مستكيناً، واكشف

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص:٥٢٨.

حقيقتك أمامه، واعترف بفقرك وحاجتك، واطلب من قاضي الحاجات والحاضر في الملمات، أن يعينك على نفسك وشهواتك ودنياك.

المتضرع، أي المتذلل الذي يُطوِّعُ نفسه لتتذلل لله تعالى، لأن التذلل مفتاح للعون أثناء البلاء، وطريق لمساندة الجبار للمحتاج. فقد عاقب الله تعالى أمماً ليتضرعوا ويعرفوا حدودهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[1].

إن المتأمل بصفات الوافد على الله تعالى من خلال قول الإمام زين العابدين عليه السلام، يرى أنها تتمحور حول أدب المخلوق مع خالقه، وهي ترجمة لما يجب أن يكون عليه المخلوق أثناء لقائه بالله تعالى ليحقق الفائدة المرجوة من صلاته، وذلك بعد أن يتحلل من رذائل الصفات التي اكتسبها في يومياته، فيُسقط كبرياءه واعتداده بقوته وثقته المبالغ بها في نفسه، ليكون في واقعه الطبيعي الضعيف والعاجز والمحتاج والفقير والذليل أمام الله تعالى القوي القادر الغني، وعندها ينفتح قلبه على نفحات الرحمن وعطاءاته، ويأخذ نور الله وهديه لحياته، وتؤثر الصلاة التي اكتسبت مدد الخالق في حياة المخلوق، فتصبح قادرة على التغيير.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٢.

٤- الخشوع والخضوع:

سماحة الشيخ، لنتابع مع الإمام السجاد عليه السلام: «المعظِّم من قام بين يديه بالسكون والإطراق، وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه، والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك، ولا قوة إلاَّ بالله»، ولننظر معاً إلى أين يريدنا أن نصل؟

أنت تقف بين يدي الله، فلا بدَّ أن تعظِّمه، وذلك يكون بتصرفاتك أثناء الصلاة، بأن تكون ساكناً في نفسك وجوارحك، مطرقاً احتراماً وتبجيلاً، لا تتلفت ولا تتحرك من مكانك، ولا يكون حالك حال الخارج عن الصلاة.

كما عليك أن تكون خاشعاً في الصلاة، فمن صفات المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1]، وقد قال الشيخ الطبرسي في تفسيره لهذه الآية: «أي خاضعون متواضعون متذللون، لا يرفعون أبصارهم عن مواقع سجودهم، ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: «أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»، وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح، فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والإعراض عما سواها، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود، وأما بالجوارح فهو غض البصر والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث»[2].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢.

أما لين الجناح فهو الذي يكون هادئاً في تصرفاته، وكذلك يكون في الصلاة ويبدأ بمناجاة الله في نفسه، فإن نفسه ستشعر بإحاطة الرحمة الإلهية لها، وستعيش حالة من التفاعل والسمو الذي تختلف درجاته بحسب الأفراد.

وبما أنك في وفادة إلى الله، فاطلب منه أن يعفو عن خطاياك التي أحاطت بك، وأن ينقذك من النار بعد أن استهلكت ذنوبك رصيدك، لأنك إذا لم تنج بغفران الله ورحمته، فلن ينقذك أحد من عذاب يوم القيامة.

أيها الإنسان قف أمام الله موقف الذليل الراغب الخائف الراجي، انظر إلى عجزك والى عظمته، انظر إلى حاجتك والى قدرته على تلبية الحاجة،انظر الى صغرك والى كونه خالقاً تقف أمامه، أشكر ربك بأنه قَبِلَ أن تناجيه وأن تتحدث معه، فليس سهلاً أن يقف الإنسان الضعيف أمام الخالق العظيم ليناجيه ويخاطبه، هذا الأمر يجب أن يكون حاضراً عندك. يركز الإمام علي بن الحسين عليه السلام على آداب الصلاة، والوقوف أمام الله تعالى، لتؤتي الصلاة ثمارها وتحقق آثارها، فإذا لم نقم بهذا ولم نتفاعل بالخضوع والخشوع، ولم نعرف كيف نخاطب ربنا، فإنَّ الصلاة لا تؤثر أثرها، فالصلاة ليست مجرد شكل وحركات، إنها خطوات

(٢) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج٧، ص:١٧٦.

ومضمون لملء النفس وشحنها بنور الله تعالى، لتنعكس على حياة الإنسان بأكملها.

٥- آداب الصلاة:

ما هي الآداب المعنوية والمادية للصلاة؟

الآداب هي الأعمال التي تؤدي رعايتها والقيام بها إلى إتمام عبادة الصلاة لتحقيق أهدافها، وهي تشتمل على الواجبات والمستحبات، كما تشتمل على صورة الصلاة ومضمونها للوصول إلى الصلاة الفضلى. فعلى المستوى المادي توجد واجبات الصلاة ومستحباتها. أما الواجبات فلها علاقة بمقدمات الصلاة كالطهارة والوضوء واستقبال القبلة وغيرها، ولها علاقة بالصلاة نفسها بدءاً من تكبيرة الإحرام وانتهاءً بالتسليم، ضمن تفاصيل مذكورة في كتب الفقه التي تبيِّن كيفية أداء الصلاة الصحيحة.

أما مستحبات الصلاة كالآذان والإقامة والقنوت وغيرها، إضافة إلى النوافل من الصلوات المستحبة فهي سياج يحمي الواجب، ويعطيه شحنة إضافية تضفي المزيد من الروحانية على الصلة بالله تعالى.

أمَّا الآداب المعنوية فهي الرصيد الذي ينعكس على النفس الإنسانية عندما يعيش المرء أبعاد الصلاة، وحقيقة كلماتها وذكرها ومفعول حركاتها. فإذا كنت تقرأ الفاتحة، عليك أن

تعيش معنى كلماتها، فالبسملة ابتداء برحمة الله وأمل بشمول رحمانيته ورحيميته حياتك، والحمد لله بأن تحمده على نعمه التي أعطاك إياها دون أن تسأله وعندما سألته، وإياك نعبد فلا معبود غيره في كل الكون وكل الحياة، وإياك نستعين فأنت العون في الشدة والرخاء، وقد خاب من لجأ إلى غيرك وفاز من بقي في حصنك، ونتابع على هذا المنوال ليحصل التفاعل الروحي مع الصلاة.

وقد تحدث الإمام الخميني(قده) عن الآداب بمعنييها، فقال: «إن للصلاة غير هذه الصورة لمعنى، وإن لها دون هذا الظاهر لباطناً. وكما أن لظاهرها آداباً يؤدي عدم رعايتها إلى بطلان الصلاة الصورية أو نقصانها، فإن لباطنها آداباً قلبية باطنية يلزم من عدم رعايتها بطلان أو نقص في الصلاة المعنوية»[١].

عندما قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى جعل قرة عيني الصلاة»، فلأنه عاش الصلاة المملوءة بالروح الإيمانية التي تقرب من الله تعالى، والتي تجعله يشعر بظلاله ووجوده وعظمته ورحمته في كل جارحة من جوارحه. والتي كان يستأنس بها ويشعر بلذتها، فهو يتمنى أن يأتي وقتها بسبب الحالة المعنوية الكبرى التي كان يعيشها. «كان النبي صلى الله عليه وآله ينتظر وقت الصلاة، ويشتد شوقه، ويترقب دخوله، ويقول لبلال مؤذنه، أرحنا يا بلال، أشار بذلك إلى أنه في

(١) الإمام الخميني(قده)، الآداب المعنوية للصلاة، ص:١٩.

تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات وقيامه بوظائف الصلاة»[١].

ومن المفيد في هذا المجال قراءة كتاب الآداب المعنوية للصلاة، وكتاب أسرار الصلاة للإمام الخميني(قده)، فإن فيهما من التوجيهات والالتفاتات ما يُهيء سبيل الروح لتلقي آثار الإقبال على الصلاة.

ليس سليماً أن تستقر صلاتنا على نمط رتيب، دون أن نشعر بالحالة المعنوية المميزة في العلاقة مع الله تعالى أثناء الصلاة، وليس صحيحاً أن نرضى عن أنفسنا لمجرد الإكتفاء بضوابط القراءة والحركات كما ورد في الروايات فهي بحاجة إلى تعبئة روحية، ولا يكون الانصراف إلى الشكل دون المضمون مقياساً مقبولاً، ولا يكون أداء التكليف كافياً دون النظر إلى آثاره في الحياة.

قرأت للشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر(قده)تمييزه لمرتبتين من مراتب الصلاة، مرتبة رفع التكليف ومرتبة القبول. أما رفع التكليف فيتم عندما تُؤدى الصلاة بشروطها، فيسقط وجوبها بأدائها، وتبقى في ذمتنا قضاء إلى أن نقضيها، وعندما يكون الوضوء صحيحاً وواجبات الصلاة وأركانها صحيحة، فهذا يعني رفع التكليف عنا. وأما القبول فهو ما بعد رفع التكليف، وهو

---

(١) رسائل للشهيد الثاني، ص: ١٢٠.

درجات تختلف من إنسان لآخر، فبمقدار التفاعل الروحي مع الصلاة ترقى النفس الإنسانية وتحقق درجة من درجات التقوى، فالصلاة معراج المؤمن، والصلاة قربان كل تقي، ويكون مستوى العروج وقيمة القربان بحسب مستوى تفاعل هذا المؤمن. لذا نرى مصلياً تصل به الصلاة إلى مستوى حسن، وآخر إلى مستوى جيد، وثالث إلى درجة الذوبان في القرب من الله تعالى.

روي أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة، تغير لونه، وأصابته رعدة، وحال أمره، فربما سأله عن حاله من لا يعرف أمره في ذلك، فيقول: إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم. وكان إذا وقف في الصلاة، لم يشغل بغيرها، ولم يسمع شيئاً لشغله بالصلاة[1].

تذكر أنك تتقرب من الله تعالى، فلو قيل لك ستلتقي مع زعيم تحبه أو قائد تبجله، أو أنك ستلتقي مع صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، فكيف سيكون حالك؟:! فما بالك بأنك ستلقى الله تعالى في الوقت الذي تختار، وفي المكان الذي تختار، وستناجيه بكلماتك ومستواك، وهو يقول لك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٩٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

٦- انعكاس الصلاة على الحياة:

ما هي الآثار السلبية التي تنشأ عن مجتمع لا يستفيد من الصلاة؟ وما هي الآثار الإيجابية لها في مجتمع المؤمنين؟

لنر كيف يقيِّم الله تعالى الصلاة، وماذا يريد منها في حياتنا اليومية؟ يقول تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[1]. **فإذا كان الهدف من إقامة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا يعني أن تنعكس الصلاة على الحياة اليومية وتؤدي إلى الابتعاد عن المحرمات، وعن كل ما هو خارج عن طاعة الله تعالى. فإذا صلّى الإنسان لسنوات طويلة ولم يستفد من** صلاته في إحداث تغيير في سلوكه، ولو بابتعاده التدريجي عن الفحشاء والمنكر، فهذا يعني إنعدام فعالية الصلاة وآثارها، فهو يرفع تكليفه بأدائها بشكلها، لكنه لا يحصل على مستويات القبول التي تساعده في التخلص من الشوائب. بل يمكن أن يبدأ الاتجاه المعاكس مع عدم الاستفادة منها، فعن الرسول ﷺ: **«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاَّ بُعداً»**[2].

إنَّ أهم الآثار الإيجابية للصلاة في حياة الإنسان أنها تنقل حياته من الانحراف إلى الاستقامة، ومن المعصية إلى الطاعة،

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٧، ص:٥٢٦.

ومن إغراء ملذات الحياة الدنيا إلى الرجاء بجنَّة الله تعالى. أمَّا أن يدَّعي البعض بعجزه عن تغيير سلوكياته وعن الاستفادة من دور الصلاة، فهذا يعني ضرورة إعادة النظر في كيفية أدائه للصلاة، وفي الموانع والحجب التي تجعله يخسر نتائج هذه الصلة العظيمة بالله تعالى، لأن طريقة أدائها وأوقاتها والأمر اليومي بها، أمور تستهدف تحقيق الهدف منها.

عن الإمام علي عليه السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا﴾ وقرأ الآية كلها. قال: يا علي! والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً! إن أحدكم ليقوم من وضوئه، فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه، لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء، كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين، كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس. ثم قال: يا علي! إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي، كنهر جار على باب أحدكم، فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن، ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي[(١)].

ليست المشكلة في أجزاء الصلاة، إنما المشكلة في تفاعلنا معها. إنَّ علينا الاهتمام بالتهيئة لها والإقبال عليها، ومراجعة خطواتنا عندها نلمس آثارها في حياتنا. فلنتأمل قبل أن نصلي،

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج٥، ص:٣٤٦.

ولنركز أثناء إقامتنا لها، فلو نجحنا في المرة الأولى بالتركيز على بدايتها رغم المحاولات المتكررة، ثم بعد ذلك لجزء منها، ثم بعد ذلك لأغلبها، فأنها تؤثر فينا تدريجياً، ونلمس آثارها تباعاً. فلا يجوز أن نيأس من تأثير الصلاة، إنها بين أيدينا لخمس صلوات يومياً، وعلينا الاستمرار في استكشاف أسرار قوتها وعوامل ضعفنا للمعالجة، وعلينا مراقبة أنفسنا والعمل لإزالة الحجب والمؤثرات السلبية عليها، لنصل إلى إتقان الصلاة بآثارها الروحية والسلوكية.

أما المجتمع الذي لا صلاة فيه، ولا صلة له بالله تعالى بشكل يومي ودائم من خلال أفراده، فهو معرض للانحراف والسقوط. إذ ما هو الوازع الذي يمنع الأفراد من ارتكاب المحرمات؟ وما هو الدافع للاستقامة؟ ومن الذي سيشعرهم بوخز الضمير؟ ومن الذي سيثير فيهم حمية الالتزام والطاعة لله؟ فإذا كان المصلون يتدافعون مع شيطان الهوى والملذات، ويعيشون المعاناة للوصول إلى الاستقامة، ويبقون كذلك لفترة طويلة من الزمن قد تستوعب الحياة كلها عند البعض:! فكيف يمكن لغير المصلين الوصول إلى الالتزام بضوابط الحلال والحرام؟!

إن قيمة الصلوات اليومية في إحاطتها للإنسان من كل جانب، فحياته تبدأ في الصباح، وقبل اجتراح أي عمل، بالصلة بالله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1]، ثم يُقبل على

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

شؤونه وحياته، ويخوض في معترك الحياة، ويحمل معه جملة من الأعمال التي تراكمت، فتكون صلاتي الظهر والعصر في منتصف النهار، أي في داخل مسرح العمل، ليتذكر الإنسان فلا يتمادى،ثم تغيب الشمس بعد ذلك إيذاناً بإنتهاء النهار والعمل بشكل عام، فتكون صلاة المغرب وبعدها صلاة العشاء خاتمة يوم حافل بالعلاقات والأعمال والتصرفات وما سجله الملكان عن اليمين وعن الشمال، **وفي كل محطة من هذه المحطات عودة إلى الصلة بالله تعالى ومخاطبته ودعاؤه ورجاؤه، لتشكل محطات الصلاة خطوات على طريق تقويم المسار ومعالجة الأخطاء قبل تفاقمها وتراكمها.**

إن البعض يعيش الصلاة عبئاً، ويعبر عن ارتياحه عندما ينتهي من أدائها، لأنه لم يفهمها جيداً. إنها الراحة بعينها، وستقوده إلى عالم جديد، إلى علاقة إلهية صافية ومطمئنة ومستقرة، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[1]، فإذا كانت الراحة بعد أداء الصلاة بسبب الراحة التي سببتها الصلاة فهذا إيجابي، أمَّا التعامل معها كعبء فهذا خلاف المقصود من تشريعها، ويجب إعادة النظر بطريقة فهمنا لها. فالصلاة ليست عقوبة ولا ضريبة، إنها من أجل الراحة والاستقرار وحُسن ثواب الآخرة.

(١) مسند احمد، ج٥، ص: ٣٦٤.

٧- الصلاة عمود الدين:

كيف نتعامل مع غير المصلين في مجتمعنا؟ وما هي نظرة الإسلام إليهم؟

نتعامل مع غير المصلين بعين الرحمة والشفقة، لأنهم حرموا من نعمة الصلاة ودورها وأهميتها، ونحن نؤمن بالقاعدة الإسلامية التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم: «لا إكراه في الدين»، ولا نعتبر الضغط والالزام والقهر لأداء الصلاة أمراً نافعاً، بل هو مضرٌ لأنَّه يسبب النفور والابتعاد عن الدين. لكن من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب السعي للإقناع والترغيب والترهيب بما عرضه الإسلام للدفع باتجاه أداء الصلاة.

لفتتني طريقة الإمام الخميني(قده) في الدعوة إلى الالتزام بطريقة حنونة وجذَّابة، ففي خطبة له يتحدث فيها عن النساء السافرات(غير المحجبات)، يعتبر أنهن مظلومات في عدم التوفيق لإرتداء شعار الطهر والعفاف، وربما لم يتيسر لهن من يرشدهن إلى الطاعة، فبدل أن نكيل لهن التهم في الفسق والانحراف، يجب أن نهيء لهن أسباب الالتزام، وأن نشجعهن على طي صفحة الماضي وتهيئة المناخ الملائم للحجاب. إنها النظرة الإيجابية في الدعوة إلى الله تعالى بدل أحكام التكفير والتفسيق. وهذه الطريقة مفيدة في التشجيع على الصلاة.

لكن لا يمكننا طمأنة تاركي الصلاة فهم مسؤولون، كما لا

نريد أن نقف في موقف محاسبتهم، إلاَّ أنَّ علينا إيقاظهم وتعريفهم على أهمية الصلاة. فهي الركن والعمود والأساس، وعليها يتوقف إقامة الدين في حياة الإنسان، إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها.

إن الله تعالى يحدثنا في القرآن الكريم عن المؤمنين أصحاب اليمين يستفسرون عن معارفهم: ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ * وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾[١].

وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أول ما ينظر في عمل العبد يوم القيامة في صلاته، فإن قُبلت نظر في غيرها من عمله، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله بشيء»**[٢].

وفي الحديث أيضاً: «**بين الإيمان والكفر ترك الصلاة**»[٣].

وفي الحديث أيضاً: «**الصلاة عمود الدين، فمكن ترك صلاته متعمداً فقد هدم دينه**»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم**»[٥].

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٠ ـ ٤٧.
(٢) الاحسائي، عوالي اللآليء، ج ٣، ص: ٦٥.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٧، ص: ٢٧٩.
(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٩، ص: ٢٠٢.
(٥) نهج البلاغة، كتاب ٤٧، ص: ٦٦٤.

وعن الإمام الباقر ﷺ: «**الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل الفسطاط، إذا ثبت العمود يثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود لم يثبت وتد ولا طنب**»[(١)].

إن الامتناع عن الصلاة فيه شبهة إبليس الذي أبى أن يسجد لأمر الله تعالى، وقد بيّن أمير المؤمنين ﷺ دور الصلاة بقوله: «**فرض الله الإيمان تطهراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر**»[(٢)]، **مما يعطي الصلاة دور الخضوع والخشوع والاعتراف بالربوبية وعدم الاستنكاف عن العبادة.**

من هنا نلتفت إلى المستهترين بصلاتهم، الذي يؤخرونها بلا مبرر، ولا يولونها الأهمية الكافية. وكأنهم يؤدونها من نافل وقتهم، وقد يفوتونها في بعض الحالات بحجة الانشغال والاهتمامات الأخرى. فلينتبهوا إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[(٣)].

٨- معراج كل تقي:

ما هي الحكمة من التركيز على الصلاة في أمور عدة كالصلاة على الميت وصلاة الآيات وصلاة الاستسقاء وغيرها؟

أوجب الله تعالى علينا خمس صلوات يومية لإبقاء الصلة معه

---

(١) البرقي، المحاسن، ج١، ص:٤٥.
(٢) نهج البلاغة، من كلماته ٢٥٢، ص:٧٩٣.
(٣) سورة الماعون، الآيتان: ٤ ـ ٥.

في محطات يومنا المختلفة، كي نذكره دائماً، ونتواصل معه دائماً، ونطلب منه دائماً، ونخشاه دائماً، في الصباح والظهر والعصر والمغرب والعشاء. ولولا أهمية هذا التواصل الدائم في التربية والتوجيه وتزكية النفس لما أمرنا بها، ولولا انعكاس هذه الصلاة بكيفيتها على أعمالنا لما شرَّعها لنا بهذه الطريقة. ويلاحظ الواحد منا أن التقصير فيها مهلكة وضياع وانحراف. وقد حثنا على إقامتها بقوله: «أقم الصلاة» لتكون البنيان الذي يشيِّد حياة الإنسان، فهي ليست تكليفاً شرعياً عادياً، بل علينا أن نقيمها في حياتنا لنقيم الدين.

وبسبب منافع هذا التواصل وأسرار أخرى يعلمها الله تعالى، اختار لنا محطات عديدة لنصلي فيها فنتواصل مع الله تعالى. فالصلاة على الميت تسليم لقضاء الله وقدره، وتشييع إلى المثوى الأخرى، وتذكر للوقفة بين يدي الله تعالى.

وصلاة الآيات كالكسوف والخسوف والحوادث الكونية المخيفة، تواصل مع المشرف على الكون ومحدث الآيات، وهو لجوء إلى الله تعالى كمالك قدير حيث لا ينفع أي لجوء إلاَّ إليه، فيذهب الروع عن الخائفين، ويتحقق خشوع العابدين، ويتأكد إقرار المصلين بعبوديتهم لله الواحد الأحد.

وصلاة الاستسقاء لاستنزال المطر بعد حبسه، تعبير عن التسليم لله في عطائه ومنعه، فهو الحابس للمطر وهو المنزل

له. فالصلاة تعبير عن الطلب بلهفة ويكون التقدير للخالق الحكيم.

وقد شجعنا الإسلام على النوافل اليومية، والصلوات المستحبة في أزمنة ومناسبات مختلفة، لأن الصلاة هي الطريق الأجدى والأنجح للذوبان والتفاعل مع الله تعالى، ليتحول المصلي إلى الرضا بما قسم الله تعالى، وإلى ترك الاعتماد على من سواه ولو بشبهة نفسية أو عملية، وهي بحق: معراج كل تقي.

٩- محروم النعمة:

سماحة الشيخ ماذا تقول للذين لا ينعمون بنعمة الصلاة؟

أقول لهم: لا تسألوا عن فلسفة الصلاة، ولا تسألوا عن المعنى اللفظي والحرفي لها، جربوها مع روحية تُقبلوا من خلالها على الله، وتشعروا معها بأنكم أمام الخالق القادر العظيم، فستجدون أنَّ لذتها وطعمها يلزمكم بأن تستمروا بها. لكن إذا قارنتم بصلاة البعض وتوقفتم عندها، ورأيتم ممارسات خاطئة وعلَّقتم على هذه التطبيقات غير المناسبة، وادعيتم أنكم لا تصلون من أجلها، أو عذَّرتم أنفسكم بطيب السريرة وضعف الهمة فقد سلكتم الطريق الخطأ، فالمحروم من حُرم نعمة الصلة برب العباد.

الحلقة الثانية

حــق الصــوم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في حق الصوم: «وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليسترك به من النار. وهكذا جاء في الحديث: «الصوم جُنَّة من النار». فإن سكنت أطرافك في حجبتها رجوت أن تكون محجوباً، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب، فتطَّلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله، لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه، ولا قوة إلا بالله».

* * * * * *

١- هدف الصوم:

سماحة الشيخ ما هو هدف الصوم؟

الصوم لغة هو الامساك والامتناع والترك، فمن أمسك عن فعل أو قول فقد صام عنه. أما المعنى الإسلامي للصوم فهو

الإمساك والامتناع عن أشياء خاصة وفي مقدمتها الطعام والشراب، وقد نهى عنها الشرع في زمن مخصوص، حيث يبدأ يوم الصوم من الفجر وينتهي بالغروب بنية التقرب إلى الله تعالى وامتثال أمره، وله أحكام تفصيلية موجودة في كتب الفقه.

أما هدف الصوم فقد بينَته الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، إنه الوصول إلى التقوى الحاجبة والمانعة من أن يرتكب الإنسان المعاصي، ليرتقي في درجات الكمال الإنساني. فالامتناع عن الطعام والشراب، وأمور أخرى أحلها الله تعالى في غير فترة الصوم، يساعد على تهيئة الجسد والنفس ليكونا أكثر قابلية في التفاعل الروحي مع الله تعالى، كما يهيء الأرضية الملائمة لتهذيب النفس، وخاصة في شهر رمضان المبارك حيث تكون الأجواء العامة مهيأة، «**إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتَّحة، فاسألوا ربكم أن لا يغلقها عنكم، وأبواب النيران مغلقة، فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فاسألوا ربكم أن لا يسلِّطها عليكم**»[2].

إن الصوم مدرسة في الإرادة وتقوية قدرة الإنسان على الانضباط في إطار التكاليف الإلهية، لأن من يمتنع عن الحلال

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) من خطبة الرسول الأعظم في استقبال شهر رمضان المبارك، فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق، ص:٧٨.

امتثالاً لأمر الله تعالى، يعتاد على الامتناع عن الحرام بل يصبح الأمر أسهل بالنسبة له. وكم من عادات أصرَّ البعض على صعوبة الإقلاع عنها، ونجحوا في تجاوزها بسبب الصوم، لخصوصية تنفيذ الأمر الإلهي، كالامتناع عن القهوة أو التدخين أو الطعام في وقت محدد... وعندما تقوى الإرادة تشتد رعاية الالتزام الديني، مما يعزز الإخلاص لله تعالى، وهو ما ذكرته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها: «**جعل الله الصيام تثبيتاً للإخلاص**»[١]. فالصوم لا يتوقف عند شهر رمضان المبارك، بل هو دورة تدريبية تمتد آثاره إلى كل السنة وإلى كل الحياة الإنسانية.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن علة الصوم: «**لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش، فيستدلوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً محتسباً عارفاً صابراً لما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب، مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل، ورائضاً لهم على أداء ما كلفهم، ودليلاً في الآجل، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة، فيؤدوا إليهم ما افترض الله تعالى لهم في أموالهم...**»[٢].

أما النتيجة المؤثرة للصوم في الحياة، فقد توضحت من خلال

---

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص:١٣٤.
(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص:١٢٣.

حديث معراج النبي صلى الله عليه وآله الذي قال: «**يا رب وما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح، بعسر أم بيسر**»[1].

٢- الصوم عند الآخرين:

سماحة الشيخ ورد في آية الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، مما يعني أن الصوم واجب على المجتمعات والأمم السابقة، فما هو السبب؟ وهل يتشابه الصوم؟

الصوم بالمعنى العام أي الإمساك عن أشياء محددة موجود عند الأمم السابقة وفي أغلب المجتمعات، فقد شرَّعه الله تعالى في كل الرسالات السماوية السابقة وعلى رأسها اليهودية والنصرانية.

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة، فهو كما يمارسه اليهود، عدة أيام متفرقة من السنة تتبع بعض الأحداث المهمة سواء كانت مفرحة أو محزنة، وذلك بالامتناع عن بعض الأطعمة والقيام ببعض الأعمال. وكما يمارسه النصارى فهو امتناع عن أطعمة عديدة لمدة أربعين يوماً قبل عيد الفصح في الربيع، وذلك من منتصف الليل حتى الظهر يومياً مع السماح بتناول الماء وأمور أخرى. لكن

(١) الحر العاملي، الجواهر السنية، ص:١٩٧.

الصوم بأحكامه الإسلامية يختلف عنه بأحكامه في رسالات الأنبياء.

إلا أن الاشتراك في تثبيت عبادة الصوم يدل على أهميتها في العملية التربوية، وبما أنها ترتبط بالأمر الإلهي فهي تعزيز لارتباط الإنسان بربه وتدريبه للامتناع عن المحرمات بحسب شريعته. وهي تدل على الحاجة في كسر المألوف والعادات، والوقوف عند محطات معينة في كل سنة للتدريب والتهيئة النفسية والروحية، وكأنها تذكير بعد نسيان، أو إلفات مع غفلة، أو تهيئة بعد تراخ، أو ترقِّي في درجات الطاعة لمزيد من التقوى. ونحن نشعر أثناء الصوم أننا تجاوزنا الروتين اليومي، وبدأنا الاستعداد لأمر جديد، فإذا استفدنا منه حق الاستفادة حصلنا على مكاسب وآثار وأهداف الصوم.

٣ - صوم مريم عليها السلام:

سماحة الشيخ، السيدة مريم بنت عمران عليها السلام قالت كما ورد في القرآن الكريم ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1]**، ما الفرق بين هذا الصيام وصيام شهر رمضان المبارك؟ وأين يلتقيان؟**

المقصود بصوم السيدة مريم عليها السلام هو الامتناع عن الكلام، لأن القوم كانوا يسألونها عن حملها؟ وعن أب الولد؟ وبدأوا يتحدثون

(١) سورة مريم، الآية: ٢٦.

عنها، فكان الصوم جزءً من الاختبار الإلهي لمريم عليها السلام، وربما وُجدت أسرار أخرى لهذا الأمر الإلهي لمريم عليها السلام، كما أنه لحمايتها خلال الفترة الأولى، وإبراز المعجزة بأن الولد ينطق ويتكلم في بطن أمه، فالصوم هنا كان إمتناعاً عن الكلام لثلاثة أيام وهو تكليفها.

إن الامتناع عن الكلام كصوم، والامتناع عن الطعام كصوم، وأشكال الصوم المختلفة، يرتبط بتنفيذ الأمر الإلهي، لأن الله هو الذي يأمرنا بالصوم، ومن نتائج الصوم الأساسية تقوية الإرادة عند الإنسان، لتساعده في أن يكون صلباً عند مواجهة التحديات، فكما أن المطلوب هو الامتناع عن الطعام الحلال للتدريب في الامتناع عن الحرام، كذلك فإنَّ الامتناع عن الكلام تنفيذاً للأمر الإلهي يحقق القدرة على تحقيق الأهداف المطلوبة في تثبيت هذا الدين، وإبراز معجزة خلق عيسى عليه السلام، وتهيئة الأجواء المناسبة لنجاح السيدة الجليلة مريم عليها السلام في اختبار الطاعة، وإثارة أجواء القوم ليلتفتوا إلى خالقهم، ويحددوا مسارهم في طاعتهم إياه.

٤- حق الصوم عند الإمام السجاد عليه السلام:

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليسترك به من النار». وهكذا جاء في الحديث الشريف: «الصوم جنة من النار». ما معنى كلمة حجاب؟ ولماذا التركيز عليها؟

الحجاب هو الذي يحجب ويخفي وراءه شيئاً كي يبقى مصاناً من التعرض لأي ضرر، فعندما نقول عن لباس المرأة الشرعي بأنه حجاب، فلأنه يستر جسدها ويصونه، مما يشكل حماية للمرأة وللمجتمع من جوانب متعددة.

الصوم حجاب، يعني أنه حاجب ومانع وساتر، قد ضربه الله تعالى أو فرضه وأمر به، على لسانك ليمنعه من الكلام المسيء والمحرم والذي يخرج عن اللياقات والآداب الإسلامية، وعلى سمعك لتنتهي عن الغناء وسماع الغيبة وغيرها، وعلى بصرك لتحجبه عن مشاهدة الأفلام الخليعة وغيرها مما حرم الله تعالى، وعلى فرجك وبطنك للتأهيل من أجل الامتناع عن النواهي والممنوعات. فإذا حقق الصوم هذا المنع عن المحرمات، وثبَّت الصائم باتجاه الحماية منها، حصلت النتيجة وهي الستر والحماية من النار التي تكون عقاباً للعاصين، وينجو منها الصائمون الطائعون الممتنعون عمَّا حرَّم الله تعالى.

إن التركيز على الجوارح ينطلق من أنها وسائل الالتقاء مع العالم الخارجي، فهي مفاتيح الجسد، ومنها يستقبل الإنسان الخيرات أو الشرور. وبما أن الدنيا مفتوحة على الشهوات والرغبات كما هي مفتوحة على الطاعات، فلا بد من تهيئة أسباب القوة الدفاعية للتصدي لمنزلقات الشهوات المحرمة، وتركيز ضوابط الاستقامة. وهنا يساعد الصوم في الوقاية من الشرور

والآثام والرذائل، لأن الامتناع عن المحللات وذبول الجسد وضعفه خلال النهار، وتعزيز الصلة بالله تعالى بسبب الطاعة، إضافة إلى التقديمات الإلهية المساعدة في شهر رمضان المبارك: «**أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب**»(١)، كلها عوامل مساعدة لتقوية الإرادة حيث تتمكن الجوارح من التصدي للشهوات والمحرمات. فيكون الصوم قد حقق هدفه بتأكيد مسلك الطاعة، ونتج عنه الحماية والوقاية من النار، فكما ورد في الحديث الشريف: «الصوم جنة من النار». فحجب الجوارح عن ارتكاب المحرمات بسبب الصوم يحجب عن عقاب النار.

ثم يتابع الإمام زين العابدين عليه السلام بيانه لكيفية تفاعل الإنسان مع الصوم، فيقول: «فإن سكنت أطرافك في حجبتها» وهو تعبير عن الهدوء والتوقف عن الحركة المرفوضة للأطراف والتي تمثل الجوارح ووسائل الإتصال مع العالم الخارجي، حيث تسكن جميعها فتسكن كل واحدة منها بحسب المطلوب منها في الاحتجاب، فتكون الأطراف قد سكنت في حَجَبتها. وهذا يؤدي إلى النتيجة المرجوة، في أن يسكن الجسد بأكمله وتسكن النفس بتمامها، فسكون الأطراف عن المحرمات يؤدي بمجمله إلى سكون

---

(١) من خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك، فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق، ص: ٧٨.

الجسد والنفس الإنسانية من الانجرار وراء الشهوات، وهذا هو الهدف حيث «رجوت أن تكون محجوباً» عن المحرمات.

لكن حذار من الخطر!فحجاب الصوم يتطلب إتقاناً ومتابعة، ولا يكفي أن يكون ظاهرياً بالامتناع عن الطعام والشراب بمعزل عن الآثار المترتبة عليه في تأثر الجوارح بالامتناع عن الشهوات. «وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب»، بحيث لا يشكل الصوم مانعاً وواقياً حقيقياً، فيحصل اضطراب الأطراف والجوارح، وترتفع آثار الحجاب عملياً، وذلك بسبب سلوكك وتصرفاتك، «فتطَّلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة، والقوة الخارجة عن حد التقية لله»، وتكون الجوارح بذلك قد اخترقت حجاب الصوم وانحرفت في دائرة الشهوة، ولمَّا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لتتقي من الملذات المحرمة التي تُسقط قوة الحماية عندك، عندها «لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه»، لأنه حجاب رقيق ضعيف لم يتحصن بالقدر الكافي.

إن حجاب الصوم للجوارح يؤدي إلى حجب الإنسان عن المعاصي، وإن التراخي والاستهتار في ضبط الجوارح من خلال عبادة الصوم يضعِّف قيمة ومتانة هذا الحجاب وهذه الحماية، مما يؤدي إلى السقوط أمام إغراءات الشهوات، فلا يؤدي الصوم هدفه بل يبطل مفعوله، وعندها لا حجاب ولا وقاية من عذاب الله تعالى في النار، بسبب التفريط وعدم رعاية أصول الطاعة من خلال عبادة الصوم.

٥- آداب الصوم:

ما هي آداب الصوم؟

الآداب هي الأعمال التي تؤدي رعايتها والقيام بها إلى إتمام عبادة الصوم لتحقق أهدافها، ويمكن أن يُقال لواجبات الصوم آداب الصوم، كما يمكن أن يُقال لمستحباته كذلك، ويطلق البعض الآداب على الواجب والمستحب معاً، كما يخصص البعض الآخر الآداب بالمستحبات.

فالصوم له واجبات تجب رعايتها لتكتمل صورة الصوم بالامتناع عن الطعام والشراب وباقي محرمات الصوم، وله مستحبات وأعمال مرافقة تساعد في استثمار صوم الجسد لتنمية قدرة الروح على التفاعل مع خالقها من خلال قراءة القرآن وقيام الليل والتفاعل مع الأدعية المأثورة وإطعام الفقراء وغيرها. فآداب صورة الصوم من الطهارة والوقت ورعاية الضوابط الشرعية الموجودة في الرسائل العملية، لا تكتمل إلاَّ بالآداب المعنوية للصوم التي تتحقق في جو الأنس الإيماني مع الله تعالى والإخلاص له وتأديب النفس ورعاية المستحبات، وتدعيم خطوات الكمال الإنساني في التفلت من اسر متطلبات الجسد.

لن أتحدث عن واجبات الصوم فهي متوفرة في الرسالة العملية للمرجع، وهي تحدد كل الخطوات اللازمة لأداء فريضة الصوم. لكن سأذكر بعض الآداب والتوجيهات من خلال روايتين للرسول

الأكرمﷺ والإمام الصادقعليه السلام، لتسليط الضوء على الآثار المعنوية الكبرى التي يحققها المرء من صومه.

قال رسول اللهﷺ: «**أيها الناس. من حسَّن منكم في هذا الشهر خُلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه، خفف الله عليه حسابه، ومن كفَّ فيه شره، كفَّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه، قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوَّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدَّى فرضاً، كان له ثواب من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليَّ، ثَقَّل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور**»[١].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم، وهو الصمت الداخل، أما تسمع قول مريم بنت عمرانعليها السلام، ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾» يعني صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تنابزوا، ولا تجادلوا، ولا تبادوا، ولا

---

(١) من خطبة الرسولﷺ في استقبال شهر رمضان المبارك.

تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تزاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، وألزموا الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر، واجتنبوا قول الزور والكذب والفراء والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم، منتظرين لما وعدكم الله، متزودين للقاء الله، وعليكم السكينة والوقار والخشوع والخضوع وذل العبد الخائف من مولاه، راجين خائفين راغبين راهبين، قد طهرتم القلوب من العيوب، وتقدست سرائركم من الخب، ونظَّفت الجسم من القاذورات، وتبرأ إلى الله من عداه، وواليت الله في صومك، وبالصمت من جميع الجهات مما قد نهاك الله عنه في السر والعلانية، وخشيت الله حق خشيته في السر والعلانية، ووهبت نفسك لله في أيام صومك، وفرَّغت قلبك له، ونصبت قلبك له فيما أمرك ودعاك إليه. فإذا فعلت ذلك كله، فأنت الصائم لله بحقيقة صومه، صانع لما أمرك، وكلما نقصت منها شيئاً مما بينت لك، فقد نقص من صومك بمقدار ذلك-إلى أن قال:- إن الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً مما سواها من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصُوَّام وأكثر الجُوَّاع»[1]

٦-صوموا تصحوا:

هناك قول للرسول صلى الله عليه وآله: «صوموا تصحوا»، ماذا يريد الرسول صلى الله عليه وآله من هذا القول؟

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٠، ص:١٦٦.

الصوم يعطي الصحة للإنسان، حيث أثبتت الأدلة أن الجسد عندما يرتاح بأن ترتاح المعدة لفترة من الزمن، يحصل المرء على نوع من النشاط الإضافي، ويتخلص الجسد من بعض المصاعب التي يعاني منها الإنسان بسبب كثرة الأكل ووضع الطعام على الطعام والطريقة المعتادة في حياتنا اليومية. فالصوم يساعد على تنظيم تناول الطعام ونوعيته، ويُجمع الأطباء أن الصوم فيه فوائد صحية كثيرة ترتبط بتنقية الدم، وإراحة المعدة، مما ينعكس على الصفاء الذهني. فالصحة الجسدية لها آثارها المعنوية والروحية والنفسية والعقلية، وكما يقول المثل المعروف «العقل السليم في الجسم السليم»، فالصوم كله منافع وكله فوائد على المستوى الصحي للجسد، وعلى مستوى حياة الإنسان العقلية والنفسية والروحية. ربما كان التوجيه في قوله: «صوموا تصحوا» لا ينحصر بالجسد وإن كان الأساس في الحديث، لأن الترابط بين الجسد والعقل والروح وما يحصل من انعكاسات أمر واضح من خلال التجارب الواقعية للصوم.

٧- الصبر على الطاعة:

هل تؤثر تصرفات الإنسان في عصبيته أو ردود فعله على الصوم؟

يبتعد الإنسان عن أهداف الصوم من خلال تصرفاته، فلا يمكن إطلاق العنان لمشاعره وطريقة تعبيره مع الآخرين بالإيذاء

والشتيمة مع المحافظة على أجواء الصوم وأهدافه. فقد روى الإمام الباقر عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله: **«سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تساب جارية وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام وقال لها: كلي!**

فقالت: أنا صائمة يا رسول الله!

فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك!؟ إن الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصُوَّام وأكثر الجُوَّاع»(١).

على الصائم أن يتحلى بالصبر وهدوء النفس وعدم الانفعال لأي سبب، وليكن تركيزه على تحقيق خطوات الصوم في الصبر على الطاعة وتعويد النفس على التحمل. فإذا أزعجه أحدهم أو أثار غضبه، فليقل «اللهم إني صائم» مما يهدىء من روعه، ويذكره بالهدف الأسمى الذي يسعى له، حيث تصغر الأمور الأخرى فلا تستحق أن ينفعل الإنسان لها. إنها مراقبة النفس في انفعالاتها وسكناتها ومتطلباتها لتتروض على الطاعة واحتساب الأجر عند الله تعالى.

٨- التكافل الاجتماعي:

هل نستطيع تكوين مجتمع تكافلي من خلال أجواء شهر رمضان المبارك؟

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٣، ص:٢٩٣.

إن التكافل الاجتماعي هدف من أهداف الإسلام، وإن رعاية الفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل وغيرهم يساهم في إيجاد ترسيخ العلاقات الإنسانية بدل العلاقات المادية والمصالح الأنانية. وقد ربط الله تعالى الاهتمام بالفئة المحتاجة إلى الرعاية بالإيمان بيوم القيامة، فقال في سورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[١]. ووجَّه أموال الزكاة إليها بشكل أساسي في المجتمع الإسلامي، كما خصَّ من أموال الخمس ما يعالج هذه المشكلة الاجتماعية المستعصية.

وعندما تكون النفس مهيأة في شهر الطاعة لله تعالى، تكون أكثر إقبالاً على العطاء ومتجردة من الأنانية، وقد وجَّه رسول الله ﷺ المسلمين في خطبته بقوله: «**وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم**»، كما قال فيها: «**أيها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول الله، فليس كلنا نقدر على ذلك. فقال ﷺ: اتقوا الله ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء**»[٢].

إن تركيز العطاء على قاعدة الطاعة والأجر من الله تعالى يهذب النفس ويرفع الحرج عن المحتاجين، ويضعنا أمام مسؤوليتنا

---

(١) سورة الماعون، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) من خطبة الرسول ﷺ.

تجاههم في المجتمع، بدل أن يتحولوا إلى عبء، أو إلى سبب من أسباب المراءاة أو المن أو المباهاة. وعلى كل منا تقديم ما أمكنه في دائرة تواصله مع الآخرين من الأقرباء والجيران والأصدقاء، وكذا تنظيم الإمكانات من خلال المؤسسات والجمعيات، فالفعل التضامني مع عوائل الشهداء والأسرى والجرحى ومع المحتاجين أوجد تحصيناً مهماً لمجتمعنا، وأثَّر في إبقاء الصلة ضمن دائرة الهدف الإسلامي الكبير. إنَّ التكافل الاجتماعي لا يقتصر على سد الحاجة المادية، بل يساهم في تماسك المجتمع وتحصينه من الانحراف تحت ضغط الحاجة وابتزاز المستكبرين وأعوانهم والمستغلين لحاجات الفقراء.

٩- متى نصوم؟:

هل يقتصر الصوم على شهر رمضان المبارك؟

الصوم واجب في شهر رمضان المبارك وهو الأساس في تشريع الصوم، وقد أقتصر على شهر من السنة تسهيلاً للعباد، وشُرِّعت هذه العبادة لآثارها العظيمة في تهذيب النفس والترقّي في درجات التقوى.

وهو مستحب في أيام محددة من الشهر أو السنة ترتبط بتواريخ ومناسبات معينة، فيستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأفضل كيفيتها أول خميس منه وآخر خميس منه وأول أربعاء من العشر الثاني، كما يستحب صوم يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله في السابع

عشر من ربيع الأول، ويوم الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة، وشهر رجب وشعبان..[(١)].

لكن الصوم محرم في عيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، فهما من أيام الاحتفال والبهجة بالطاعة.

ويكره الصوم في يوم عرفة لمن يضعفه الصوم عن القيام بأعمال عرفة، وصوم الضيف نافلة من غير إذن مضيفه وكذا مع نهيه، فعن أحد الصادقينعليه السلام قال: «**من دخل على أخيه وهو صائم تطوعاً فأفطر كان له أجران، أجر لنيته لصيامه، وأجر لإدخاله السرور عليه**»[(٢)].

وهنا نلاحظ كيف تنوعت ضوابط الصوم من الواجب إلى المحرم والمستحب والمكروه، لتكتمل منظومة التوجيه كي تكون العبادة مؤثرة وفاعلة بلحاظ وقتها وظروفها وخصوصياتها. وقد ذكرتُ نماذج منها، ومن أراد التفصيل فليراجع الرسائل العملية.

١٠- الخيم والمسلسلات الرمضانية:

سماحة الشيخ ما تعليقكم على الخيم الرمضانية إلى تصل فيها الأمور إلى حد الأغاني والرقص وبعض الأحيان تقديم المشروب؟

هذه إساءة كبيرة لشهر رمضان ولحرمة هذا الشهر وللمسلمين في آن معا، فعندما تُسمى الخيمة رمضانية وتُنسب إلى شهر رمضان

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص: ٣٠٢.
(٢) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص: ٣٨٧.

ثم تكون فيها المعاصي ووسائل اللهو المختلفة، فهذه إهانة واستخفاف ومنكر يجب العمل للنهي عنه، وقد وقف في العام الماضي الكثير من العلماء والمسؤولين بوجه هذا الأمر، والحمد لله كانت الوقفة مؤثرة في مواجهة هذا الانحراف. أمَّا أن تُسمى خيمة الراقصين أو خيمة من يريدون إضاعة أوقاتهم أو ما شابه، فهو عنوان معروف نستنكره لكن أهدافه واضحة.

ويتكرر هذا الأمر مع بعض المسلسلات التلفزيونية التي يعرضونها ويعلنونها إكراما لشهر رمضان المبارك، مع أنَّها فاحشة وخليعة ولا علاقة لها بتهذيب وتربية الشهر الفضيل! أين إكرام شهر رمضان المبارك!؟ هذه إهانة لشهر الله.

شهر رمضان يعني الطاعة وقراءة القرآن والدعاء وحضور المجالس التي تثقف وتبني الأخلاق وتربي الروح... البعض يقول بأن الخيم الرمضانية التي نقيمها ليس فيها مشروب مسكر وليس فيها رقص وغناء، لكنها مجالس للتسلية والسهر حتى الصباح. نحن لا نشجع على هذه المجالس وحتى لو كانت في المحلل، لأن خصوصية شهر رمضان المبارك تستدعي إحياء ليالي القدر وإحياء الليالي الرمضانية في طاعة الله تعالى وقراءة القرآن، والاهتمام بالعلاقات الاجتماعية كزيارة الأخوة والأقارب والجيران وغير ذلك من الأعمال، فلو أراد أحدهم أن يروِّح عن نفسه قليلا مع أصحابه وأرحامه فلوقت معقول ليستفيد بعدها من هذه العبادة المباركة وما يحيط بها.

ما فائدة الصوم إذا كان يسهر بعد الإفطار إلى صلاة الصبح دون أي عمل عبادي، ثم ينام بعدها إلى الظهر، ويضيع الوقت أو يُعد الطعام في الوقت الباقي، ثم يعيد الكرَّة بالتسمر أمام التلفاز واللهو في الوقت الباقي!؟ إذا لم نساعد أنفسنا فيه على بعض العبادات، وعلى توفير أجواء الطاعة، فكيف نستفيد منه بتقوية الإرادة؟ ليس المطلوب أن يمتنع الصائم عن الأكل والشرب في النهار، ثم بعد ذلك يضِّيع فائدة هذا الامتناع بكل الأعمال الأخرى التي تبطل أثر الصوم وفائدته، ففي الحديث الشريف: «**رب صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظُّه من قيامه السهر**»[1]، أما لو أحسن الصيام الصحيح مع تهيئة الأجواء الإيمانية فهي فرصة كبرى للمغفرة، قال الرسول ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[2] وفي رواية أخرى: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً، خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه**»[3].

إن الصوم بأبعاده وتفاصيله يؤثر في حياة الإنسان ومستقبله، وهي خسارة كبرى أن تضيع هذه الأيام القليلة باللهو وهدر الوقت، سواء كان الأمر في دائرة الحرام المرفوض قطعاً أو في دائرة الأمور المحللة التي تضّيع الوقت الثمين بدل الاستفادة منه في تربية الروح وتهذيب النفس.

---

(١) الشيخ الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص ١٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٣.

١١- الموائد الرمضانية:

ما هو رأيكم بالموائد الرمضانية التي تزخر بالمأكولات المتنوعة والكثيرة؟

إنَّ الاهتمام الزائد بتوفير أطايب الطعام عند الإفطار يضيِّع من فوائد الصوم، فهو يؤدي إلى التخمة بسبب وضع الطعام على الطعام، ويعبِّر عن الإسراف نظراً للتكلفة المالية من ناحية وفائض الطعام الذي يُرمى من ناحية أخرى. وهو يحوِّل شهر رمضان إلى عبء مالي على بعض العائلات، كما يتخذ الأمر طابعاً تنافسياً في الموائد الجماعية مما يحرج ويعطل في بعض الأحيان تلك اللقاءات الاجتماعية أو العائلية في الإفطارات المشتركة التي تساهم في تعزيز صلة الرحم وأواصر العلاقات بين الأفراد. إننا مدعوون لتبسيط الأمور وتسهيلها في الاقتصار على المغذي والنافع، وتحديد التنويع في الطعام عند الإفطار لاعتبارات صحية، كي نحافظ على لياقة الجسد بعدم إرهاقه بالتخمة، فإن لهذا السلوك آثاراً تربوية وروحية، ثم لنقوم بالأعمال الرمضانية التي تساعد على تحقيق هدف التقوى.

١٢- ليلة القدر:

ماذا عن ليلة القدر؟

ليلة القدر ليلة عظيمة في حياة الإنسان وفي حياة البشرية جمعاء لأسباب عدة أهمها:

أولاً- نزول القرآن الكريم فيها إلى السماء الدنيا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾(١)، وذلك دفعة واحدة ليكون الدستور الخالد والكامل لإسعاد البشرية، ثم نزل بعد ذلك تفصيلاً على محمد ﷺ بدءاً من المبعث النبوي الشريف في ٢٧ رجب عند نزول أول آيات القرآن الكريم من سورة العلق في غار حراء: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٢) واستمر ذلك مدة حياة النبي ﷺ بعد الوحي إلى وفاته خلال ٢٣ سنة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ثانياً-إنها ليلة احتساب الأعمار والأرزاق والشؤون المتعلقة بكل فرد لسنة كاملة: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(٣)، إنها ليلة التقدير لما سيترتب على حياة الإنسان، فالأولى أن يكون حاضراً قائماً راكعاً داعياً سائلاً المولى تحسين سنته القادمة في نتائج أعمالها وعطاءاتها.

ثالثاً- تمتاز بقيمة الأعمال العبادية التي يقوم بها الصائم، فالليلة خير من ألف شهر، وكل ما فيها يعادل هذه القيمة التي تتراكم لمصلحة المؤمن، وتعوض له ما فاته، وتعطيه دفعة معنوية ومكاسب عملية في فترة زمنية قياسية في ليلة واحدة مباركة.

رابعاً- سلام هي حتى مطلع الفجر، وأمان هي في العلاقة بين

---

(١) سورة القدر، الآية: ١.
(٢) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.
(٣) سورة الدخان، الآية: ٤.

الإنسان وربه، وتواصلٌ هي بين السماء والأرض حيث تنزل الملائكة والروح فيها، وسريعة هي في تحقيق الإجابة وإزالة تلك الحجب الكثيفة التي تعيق التقرب من الله تعالى. إنها ليلة الإعتراف والاستغفار والطاعة والدعاء والطلب والتقوى.

إنَّ أهمية هذه الليلة في إحيائها والاستفادة من عظمتها وخيراتها، فمن توفق لقيامها والدعاء فيها وقراءة القرآن حتى مطلع الفجر، فقد حصل على مكسب استثنائي في هذه المحطة الهامة في كل سنة. إنها تمثل الذخيرة للطاعة والعمل الصالح، فإذا انفتحت الآفاق في هذا الاتجاه وتعززت العلاقة مع الله تعالى، وبدأت تتساقط حجب الغفلة والرياء والأمر بالسوء، تكون ليلة القدر قد أثمرت. وهي ليست ليلة حصول المعاجز كما يتصور البعض، من سجود الأشجار إلى تغيير بعض المعالم الكونية، إنها ليلتك أنت في سجود كبريائك وتغيير معالم نفسيتك نحو الاستقامة والسير في طريق الطاعة لله تعالى. فالسعيد من توفق لإحيائها بإحياء الاطمئنان في نفسه للعلاقة مع خالقه.

١٣- علاقة الصائم بالمفطر:

كيف يتعامل الصائم مع المفطر في شهر رمضان المبارك؟

شرع الله الصيام رحمة بالإنسان وتوجيهاً وتأديباً له، فإذا كان معذوراً لعدم قدرته على الصوم أو لسفره أو لعدم توفر شرائط وجوب الصوم، فالحل الإسلامي موجود في القضاء: ﴿فَمَن شَهِدَ

مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1] أو العفو عن حالات معينة كالعاجز والمجنون. لكنه ليس معذوراً في ترك الصوم إهمالاً واستخفافاً، فهو بذلك يكون مقصراً في واجب من واجبات الإسلام، وعليه عقاب عند الله تعالى لو لم يستدرك فيتوب ويقضي ما فاته ويدفع الكفارة التي وجبت عليه.

أما المعذور فعليه مراعاة الجو الاجتماعي الصائم، فالأفضل تخفيف الطعام خلال النهار لتكون له مشاركة محدودة بشكل اعتباري، وعدم المجاهرة بالإفطار للمحافظة على مناخ وأجواء الصائمين، فهو شريك ومساهم في تحقيق أهداف شهر رمضان المبارك.

ولا يجوز التشجيع على معصية الإفطار والمشاركة فيها، فلا يجوز تقديم الطعام والشراب للضيف المفطر عن عمد دون عذر مسوغ لإفطاره، ولا يجوز لاصحاب المطاعم تقديم الطعام للعاصين في إفطارهم وذلك خلال النهار، كي يشعروا بمسؤوليتهم ورفض مجتمعهم للتعامل معهم بشكل طبيعي لأنهم آثمون بمخالفتهم للأمر الإلهي بالصوم. أما المعذور في إفطاره فلا بأس بتقديم الطعام والشراب له.

إننا معنيون بتعزيز الأجواء الرمضانية في المجتمع لتحقيق آثار

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الصوم بشكل أفضل، وإن الاستهتار والتساهل مع العصيان والمنكر والأخطاء يوجد الألفة بين الطاعة وعدمها، مما يضيع فرص الهداية أمام أصحاب القابليات. من هنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على حماية الشعائر الدينية وتعظيمها وتعميمها، وحشد المساهمة فيها لكل الفئات الاجتماعية ولمختلف الأعمار، فالدعوة إلى الله تعالى تنتشر بشكل أفضل عندما يعم السلوك الإسلامي في المجتمع.

الحلقة الثالثة

حــق الصدقـة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حق الصدقة، فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج الى الإشهاد، فإذا علمت ذلك، كنت بما استودعته سرّاً أوثق منك بما استودعته علانية، وكنت جديراً أن لا تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كل حال، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها، كأنها أوثق في نفسك، لا كأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك، ثم لم تمتَّن بها على أحد لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد، ولا قوة إلا بالله».

* * * * * *

١- مفهوم الصدقة:

سماحة الشيخ ما هو مفهوم الصدقة ولماذا حث الله تعالى على فعل الصدقات؟

المتبادر إلى الذهن والذي أفرد له صفحات في الرسائل العملية هو الصدقة المستحبة، وهي عبارة عن مساعدة تعطى لشخص ما، بقصد القربة إلى الله تعالى، وتتوجه في الغالب إلى الفقراء والمحتاجين دون اشتراط الإيمان أو الإسلام[١]، وتشمل غير المحتاجين من الأفراد، وكذلك المؤسسات والمساجد والأنشطة العامة، إنها عمل طوعي غير واجب.

لكنَّ القرآن الكريم تحدث عن الزكاة بعنوان الصدقة وهي واجبة، قال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[٢]،حيث حددت الآية دائرة توزيع الزكاة المفروضة على الثمانية المذكورين، وقد أمر الله تعالى رسوله بأخذ الزكاة ممن وجبت عليه بقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم﴾[٣]، وهي تشمل الغلات الأربعة: الحنطة والشعير والزبيب والتمر، والأنعام الثلاثة: الغنم والإبل والبقر، والنقدين: الذهب والفضة، وذلك عندما يبلغ كل واحد من هذه الأمور التسعة مقداراً معيناً مذكوراً في كتب الفقه، ولا تجب في غيرها.

كما حثَّ القرآن على الصدقة المستحبة، فهي أفضل من كثير

---

(١) الإمام الخميني (قده)، تحرير الوسيلة، ج٢، ص:٩١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

من المناجاة بين الإنسان وربه، وهي تطبيق عملي في دائرة أفعال خيِّرة، كالإصلاح بين الناس بدون قصد البدلية أو المقايضة، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

فتحصَّل أن الصدقة واجبة ومستحبة، وقد ذكر الإمام الخميني(قده) أن الأجر يشملهما فقال: «وأما فضل الزكاة فعظيم وثوابها جسيم، وقد ورد في فضل الصدقة الشاملة لها: «أن الله يربِّيها كما يُربّى أحدكم ولده حتى يلقاه يوم القيامة وهو مثل(جبل) أحد»، و«أنها تدفع ميتة السوء»، «وصدقة السر تطفيء غضب الرب»، إلى غير ذلك»[2].

ويأتي تركيز الإمام زين العابدين عليه السلام في حق الصدقة على المستحب منها، لما تحمل من معاني المبادرة والإحساس بحاجة الآخرين لها، والقيام بها قربة إلى الله تعالى في السر، وعدم المنّ أثناء أدائها، ذلك أنها تمثل قيمة إنسانية عظيمة في التفاعل مع الآخرين من موقع الحرص على مشاعرهم والمساهمة في معالجة أمر ما من خلالها، إنها تعزز التكافل الاجتماعي والعلاقات بين الناس.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٣١١.

٢- صدقة السر:

سماحة الشيخ يقول الإمام عليه السلام: «وأما حق الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج الى الإشهاد»؟

لا يصح أن تنحصر العطاءات التي يعطيها الفرد للفرد في دائرة التبادل، بحيث يعطي إذا أخذ شيئاً بالمقابل، فلا يعطي تطوعاً أو طلباً للأجر عند الله تعالى. فالنظرة الإسلامية تختلف عن النظرة المادية للحياة، إنه يركز على العلاقات الإنسانية ويربط بالمعنويات ويؤسس لقاعدة الأجر.

ومن أراد البدل فليطلبه من الله تعالى، وهكذا تكون الصدقة «ذخرك عند ربك»، فبمجرد تقديمها تكون قد وفَّرت ذخيرة لك مخبأة عند الله تعالى، ليعطيك المكافأة بدلاً

عنها في يوم القيامة، فضلاً عن الانعكاسات التي تؤثرها في الدنيا. وهي وديعة وأمانة لا تحتاج إلى الشهود ليثبتوا حقك، فلا شيء يضيع عند الله، ولا شيء يغيب عن الله، ولا يُحرم العبد من مكافأة الله تعالى.

فإذا علمت ذلك، فلا داعي ليعرف الناس بما قدمت، لأن سرك محفوظ عند مليك مقتدر، ونتيجته أفضل بكثير مما لو عرفه الناس عنك، فإذا أردت المباهاة بين الناس فقد فقدت الصدقة معناها وكأنها لم تكن، وإذا أردت وجه الله تعالى فقد وقعت حيث تريد. ومع المحافظة على السر يعني أنك واثق ومطمئن إلى

النتيجة، ولا ينسجم الإسرار مع الإعلان، ولا حاجة لتشهد أسماع الناس وأبصارهم على ما فعلت، وإلاَّ دل الأمر على عدم ثقتك بالله تعالى في أن يعيد وديعتك إليك بأفضل ما قدمت، فهو ذو فضل عظيم ولا يجحد فضله إلاَّ المنافقون والكافرون.

قال رسول الله ﷺ: «**صدقة السر تطفىء غضب الرب**»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**الصدقة والله في السر أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله العبادة في السر أفضل منها في العلانية**»[2].

لكن هذا لا يعني منع العلانية بالكامل، فقد تنشأ ضرورات ومنافع تستلزم العلانية بالمقدار المناسب لتشجيع الآخرين في المساهمة في أعمال الخير، أو لأي سبب آخر وجيه. فالعلانية المذمومة هي التي تُخرج الصدقة عن هدفها في القربة إلى الله تعالى، بحيث تكون النية مغموسة بالكبرياء أو المباهاة أو الرياء أو الانحراف عن هدف الصدقة.

ومع هذا كله، تبقى صدقة السر أفضل من صدقة العلن، والله هو الحافظ لما قدَّمه هذا الإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص:٨.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١).

وقال أبو عبد الله: «**صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب**»(٢).

٣- المن يسقطها:

سماحة الشيخ يتابع الإمام فيقول: «ثم لم تمتَّن على أحد لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد»؟

قيمة الصدقة أن لا تكون فيها مِنَّة، فهي شكل من الإحسان قربة إلى الله، ولا تنسجم مع قولك لمن أعطيته بأنك أعطيته أو أحسنت إليه! بعض الناس يشيرون إلى مِنّتهم على الآخرين بطريقة غير مباشرة ليعلم الناس صنعهم، فيتحدثون عن الفقير الذي أنقذوه، والمسكين الذي كاد أن يموت ووفقهم الله تعالى لمساعدته، أو أنهم أعطوه الثياب لأطفاله حتى لا يبردوا في الشتاء! علماً أن حساسية هذا الأمر يجعل البعض يخفي حاجته درءاً للإهانة والمذلة، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٠ و٢٧١.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص:٢٧٦.

أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(١).

إذا كنت تريد الصدقة فلا داعي للمن، لأنها محفوظة عند الله تعالى وهي لك، قال عليه السلام: «ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك»، ومتى يمنن أي فرد فهو مقدمة لخسارة ما أعطاه، «فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه» يعني أن هذا عيب عليك وإساءة بالنسبة إليك وغير منسجم مع معنى الصدقة، وتكون بذلك قد أفسدت على نفسك أجر الصدقة بالمن بها على من دفعتها له. إن المعادلة واضحة فإما أن تمنن وهذا يعني أن الصدقة لم تُردها لنفسك فلم تعد لك، ولم ترد أن تعطيها قربة الى الله تعالى فسقطت قيمتها وكأنك لم تتصدق، وإمَّا أنك تريدها لنفسك فلا تمنن أحداً، لأنك بالفعل قد سجلتها وديعة عند الله تعالى، وسيحفظها لك سيعطيك بدلاً عنها يوم القيامة. قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(٢) وإذا كان البعض يظن أن المال والمساعدة سبيل ضروري للاطمئنان إلى عطاء الله لكنهم يخلطونه بالأذى فسيخسرون ما صنعوا، فالأفضل لهم أن يستبدلوا البذل المادي بالكلمة الطيبة والعفو، لأنها لا تكلفهم وفيها أجر، بدل أن يخلطوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

العمل الصالح مع السيء، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[1]. وفي الحديث الشريف: «**كل معروف صدقة**»[2].

٤- الاهتمام بالأقارب والجيران:

نلاحظ أن الإسلام يحث على دفع الصدقة للأقارب والجيران، فما السر في ذلك؟

على المرء أن يعيش حالة من التفاعل الاجتماعي مع محيطه، والإسلام يؤكد على العلاقات الاجتماعية في أوسع أطرها، فهو يشجع على صلة الرحم ويوجبها، ويؤكد على حسن الجيرة، ويحث على التزاور في الأفراح والأحزان، وعلى عيادة المرضى. وذلك لتعزيز الروابط بين الناس. ومن الطبيعي أن يكون الاهتمام بالأقرب اجتماعياً في دفع الصدقة، وإعانتهم على تلبية احتياجاتهم إنسجاماً مع هذه الرؤية المتكاملة.

قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[3]، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «**لا صدقة وذو رحم محتاج**»[4]، وهذا تأكيد على إعطاء الأولوية للأرحام، باهتمام أقربائهم بهم في لحظات الشدة والضعف والحاجة والضيق، لتبلسم الصدقة جراحاتهم وتسد بعض

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٢٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.
(٤) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص:٦٨.

حاجاتهم، فإن مشاعر المحبة والتواصل والتماسك الاجتماعي تزداد بهذا السلوك وتساعد على تحمل الصعاب والمشقات.

هذا الأمر ينطبق على الجار القريب منك. فليس مناسباً أن تشبع ويجوع، تكتسي ويعرى، تتدفأ ويبرد، فلا بدَّ من لفتة كريمة بمقدار استطاعتك، وقد أكد الحديث الشريف على أهمية الاهتمام بالجار بقوله ﷺ: «**ما آمن بي من أمسى شبعاناً وأمسى جاره جائعاً**»[1]. فالأفراد ليسوا أرقاماً إحصائية في المجتمع، إنما هم بشر يملكون الأحاسيس والمشاعر الرقيقة التي تتطلب رعاية واهتماماً، ولا يكون هذا إلاَّ بالتعاون والمساعدة.

يجب أن تخرج علاقة الإنسان بالإنسان عن دائرة الأنانية والنفعية إلى دائرة الإيثار والبذل، وأن تتغلب روحية العطاء على الأخذ، وأن يكون البناء جماعياً لا إفرادياً، وأن تكون الصلات بين الأفراد طريقاً لتعزيز الحياة الاجتماعية.

لقد أثبتت الإحصاءات أن صاحب السلوك المادي أناني لا يُحِب ولا يُحَب، ويفقد معنى وجوده الإنساني وحسن الارتباط بالآخرين والتفاعل معهم، لأن الحياة بالنسبة إليه أرقام ومكاسب دنيوية. بينما تعيش الأسرة المتفاعلة مع بعضها حالة نفسية مرتاحة، فالكل يتعاون أثناء الشدائد، ولا توجد حسابات دقيقة، ويغلب

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص: ٤٦٥.

على نفسياتهم البذل والإيثار، إنَّه نمط حسن من الأولى أن ينتشر في المحيط القريب والمباشر ليتعمم بعد ذلك.

إن الصدقة تربي على العطاء بروحية المطمئن، ومهما كانت القدرة محدودة فالتربية على هذا السلوك مهمة مطلوبة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كل معروف صدقة، وأفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعوّل، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف**»(١).

٥ - طريقة إيصال الصدقة:

ما هي الطريقة التي نحقق من خلالها صدقة السر؟

لن يعدم المرء وسيلة لإيصال صدقة السر، فقد يعطيها مباشرة بينه وبين الشخص المحتاج، وقد يضعها في مكان تصل إلى صاحبها دون معرفة معطيها، وكما ورد في الروايات بأن لا ترى شمالك ما أعطته يمينك، كتأكيد على رعاية مشاعر المتصدق عليه.

وقد روى الإمام الباقر عليه السلام: «أن علي بن الحسين عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه، فلما توفي فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان علي

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٢٦.

بن الحسين عليه السلام، ولما وُضِع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل، مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين»[١].

إن تأكيد الراويات على نتائج صدقة السر، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«صدقة السر تطفيء غضب الرب، وتطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وتدفع سبعين باباً من البلاء»**[٢]، يهدف إلى مراعاة المشاعر الإنسانية وتحقيق هدف المساعدة، وذلك باعتماد الوسيلة الأفضل دون شوائب، مع حفظ الأجر بأعلى مراتبه عند الله تعالى.

٦ - الساعي إلى الخير:

سماحة الشيخ تحدثنا عن القادرين على أن دفع الصدقة، فما صدقة الذين لا يقدرون على دفعها؟

من لا يستطيع دفع الصدقة أمامه طريقان:

الطريق الأول: أن يصنع المعروف، لأن كل معروف صدقة لمن لا يستطيع دفع الصدقة.

الطريق الثاني: أن يسعى لتيسير الصدقات للآخرين، فالساعي إلى الخير كفاعله، فمع عدم القدرة على المساعدة يمكن تشجيع

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص: ٢٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص: ٢٧٧.

الآخرين عليها، أو السعي لتحصيل المساعدة لهم، كالسعي لتحصيل مساعدة ليتيم أو محتاج أو جمعية أو مؤسسة، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**من مشى بصدقة الى محتاج كان له كأجر صاحبها، من غير أن ينقص من أجره شيء**»[١]. وهذه توسعة لدائرة المشاركة في تعميم الصدقة. وعنه صلى الله عليه وآله: «**كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله عزَّ وجل يحب إغاثة اللهفان**»[٢]. وفي خطبته في استقبال شهر رمضان المبارك: «اتقوا الله ولو بشق تمرة»، من أجل أن يعتاد الإنسان على هذا النمط من العطاء و البذل.

٧- قوة المجتمع المتكافل:

في لبنان مؤسسات خيرية كمؤسسة الشهيد والمبرات والمؤسسات الاجتماعية وكلها تتلقى الصدقات والمساعدات، ما هي التأثيرات التي تتركها الصدقة على مستوى المجتمع؟

إن أحد أسباب قوتنا بين أهلنا وأحبتنا في هذا المجتمع هو هذا المناخ من التكافل الاجتماعي. البعض يتصور بأن العلاقات في المجتمع المقاوم هي كالعلاقات في المجتمعات المادية، ولذا عندما أجروا تحقيقات صحفية حول إقبال الشباب على عمل المقاومة وتفاعل الأهل معها، أرادوا أن يفتشوا عن تفسيرات مادية، فكتب بعضهم أن البنات يلبسن الشادورات والحجاب بسبب

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٤٣٢.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص: ٢٧.

المساعدات المالية، وأن الشباب يقبلون على القتال بناء على أجواء نفسية تجعلهم يفقدون شيئاً من توازن عقلهم، فيقبلون على الشهادة وهم في سن لا يحملون معه مسؤولية العائلة والأولاد، وقد فوجئوا ببعض الشهداء الذين عندهم زوجة وأولاد ومسؤوليات مثل الشهيد صلاح غندور أو الشهيد الشيخ أسعد برو أو غيرهما. أما نساء الشهداء وأمهاتهم وأخواتهم فتفاعلهن كبير مع كل المصاعب والمصائب التي حلَّت بهنَّ، فالتفسير المادي قاصر عن فهم ما يجري.

إننا نطبق التكافل الاجتماعي على قاعدة الإيمان وليس على قاعدة المبادلة، وهذا ما يجعل مجتمعنا يرتاح من كثير من العقبات، فآلاف العوائل الفقيرة تأخذ أموالاً من الحقوق الشرعية أو من الصدقات التي تدفع للمؤسسات المختلفة، ما يساعدها على أن لا تمد يدها الى أحد، وأن تعيش بعفة وكرامة، وهي عائلات لا تستطيع أن تعمل أو أنها تعمل ولا يكفيها العمل الذي تعمله، كما أن الآلاف من الأولاد والنساء والرجال العجزة يستفيدون من هذه المؤسسات الاجتماعية المختلفة، ومن اشراف العلماء على مساعدتهم ودفع الحقوق الشرعية والصدقات المختلفة لهم. أما الرصيد الكبير فهو الاهتمام بعوائل الشهداء وأولادهم ليكونوا أعزَّة، والرابح هو الذي يبذل ويسجل عطاءه في صحيفة أعماله يوم القيامة. إنَّ هذا التكافل قد خفف العبء كثيراً في مجتمعنا، وإلا فمع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الموجودة في بلدنا،

فالصرخة كبيرة والمفروض أن تعلو أكثر بكثير لولا أن المؤمنين والخيِّرين يقومون بدور كبير في مساعدة شريحة كبيرة من الناس المحتاجين أو الذين ابتلوا بسبب المواجهة مع العدو.

٨- صدقة السادة:

هل يجوز التصدق على السادة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله على رأي فقهائنا العظام؟

السادة هم الذين ينتسبون إلى بني هاشم والذين يعتبرون من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، ولهم خصوصية في الحقوق المالية المقررة لهم، فمثلاً ينقسم الخمس إلى قسمين: قسم سهم الإمام وقسم سهم السادة، أما سهم الإمام فيصرف على المشاريع والفقراء والمحتاجين والأعمال الإسلامية والخيرية المختلفة وطلبة العلوم الدينية وكل ما ينطبق عليه سبيل الله وإعلاء كلمة الدين، وأما سهم السادة فيصرف على الأيتام والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم. أما زكاة الأموال والتي هي زكاة الأنعام الثلاثة والغلات الأربعة والنقدين وكذلك زكاة الفطرة التي تدفع ليلة عيد الفطر أو صبيحته إلى الزوال، فإن كان مصدرهما من أحد السادة فهي تُعطى للسادة ولغيرهم، ولا يجوز للسادة أن يأخذوا زكاة غير السادة إلاَّ مع الإضطرار، لكن الأحوط إن لم يكن الأقوى الاقتصار على قدر الضرورة يوما

فيوما. نعم لا بأس بدفع الصدقات المندوبة إليهم[١]. فالصدقة المستحبة جائزة من كل إنسان لكل إنسان.

٩- آثار الصدقة:

سماحة الشيخ ما هو الأجر والأثر الذي تتركه الصدقة؟

وردت عندنا روايات كثيرة تتحدث عن آثار فعلية للصدقة في حياة الإنسان، فلا يقتصر الأجر على يوم القيامة إنما يوجد أثر مباشر لها على الفرد، وليس المقصود ما ذكرناه من تحقيق التكافل الاجتماعي وسد الحاجات.. بل هناك فوائد أخرى تتحقق بسبب الصدقة.

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**تصدقوا فإن الصدقة تزيد في المال كثرة وتصدقوا رحمكم الله**»[٢].

وعن أبي الحسن عليه السلام: «**استنزلوا الرزق بالصدقة**»[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**البر وصدقة السر ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء**»[٤].

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٣٤٠.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص:١٠.
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص:٢٧٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**إن الصدقة تقضي الدين وتخلف البركة**»(١).

فالصدقة مورد لزيادة الرزق، والقضاء على الدين، وحلول البركة، وإطالة العمر، ودفع البلاء. ورب سائل: ألم يكتب الله تعالى لنا عمراً محدداً؟ ألم يقدر أرزاقنا؟ ألم يقرر دائرة بلائنا؟

هذا صحيح. لكن من يعلم ماذا كتب الله تعالى له وقدَّر؟ ففي علمه أن فلاناً سيتصدق، وبسبب الصدقة يزيد عمره، فيكون العمر المقدور والمعلوم عند الله تعالى هو العمر المزاد بالصدقة، ولو لم يتصدق لكان رزقه كذا، لكن لعلمه بصدقته ففي رزقه زيادة منذ قسم الله تعالى الرزق، ولو لم يتصدق لكانت بلاءاته وإمتحاناته كثيرة، لكن لعلم الله تعالى إنه سيتصدق فقد حُذف له من هذه البلاءات، وكانت حياته المقدرة ان نجَّاه الله من بعض الابتلاءات بسبب الصدقة. والروايات واضحة بهذا الشأن.

إن التربية على الصدقة مهمة جداً، فكلما أراد الإنسان أن يذهب في رحلة بعيدة، أو يتوقع أخطاراً محتملة، أو يتمنى زيادة في الرزق في عمل ما، أو يرغب من الله تعالى أن يوفقه ويدفع عنه الفقر، فليتصدق ولو بالنزر اليسير، فالعبرة بالنفسية الطيبة والمعطاءة، ويعلم الله تعالى قدرته وإمكاناته واستحقاقه.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص:٩.

إن الصدقة تسقط بيد الله، كما ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**خصلتان لا أحب أن يشاركني فيهما أحد، وضوئي فإنه من صلاتي، وصدقتي فإنها من يدي إلى يد السائل، فإنها تقع في يد الرحمن**»(١)، أي أنك عندما تتصدق يأخذها الله تعالى منك مباشرة، وهذا نوع من التعبير عن قيمة التواصل الذي ينشأ بين الإنسان وربه في عطاء يبتغي من ورائه الأجر عند الله تعالى.

كما أن الصدقة تحمل قابلية الاستمرار لما بعد الموت في بعض الحالات، وذلك عندما تكون صدقة جارية، حيث تبقى آثارها كما في المساجد والمدارس والأوقاف ونشر العلم... ففي الحديث عن الرسول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

المتصدقون تقع صدقاتهم بيد الله تعالى، فإذا كنتم قد علمتم الآن أو كنتم تعلمون بأن الصدقة بيد الله، فاعلموا أنها تصل بالسرعة القصوى، فثابروا عليها وعززوها وزيدوا من عطاءاتكم، يفتح الله تعالى أمامكم العطاءات والرزق وطول العمر ودفع البلاء، فأنتم لا تخسرون عندما تتصدقون، إنه الربح عند العطاء في الدنيا والآخرة، مع تحقيق مرضاة الله تعالى.

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١، ص: ٢٤٤.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص: ٩٥٢.

الحلقة الرابعة

حـــق الهـدي

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأمّا حقُّ الهدي، فأن تُخلِص بها الإرادة إلى ربك، والتعرض لرحمته وقبوله، ولا تُريد عيون الناظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن مُتكلفاً ولا مُتصنعاً، وكنت إنما تقصد إلى الله. واعلم أنَّ الله يُراد باليسير ولا يراد بالعسير، كما أراد بخلقه التيسير ولم يُرد بهم التعسير، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقُن[1]، لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين، فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما، ولا مؤونة عليهما، لأنهما الخِلقة، وهما موجودان في الطبيعة، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله».

* * * * * *

١- الهدي من مناسك الحج:

الـهـدي جـزء مـن مـنـاسـك الـحـج، ومـا أورده الإمـام زيـن العابدين عليه السلام من توجيهات لحق الهدي تنطبق على كل المناسك، وأمّا اختياره له فلرمزيته بما يمثل من التضحية في سبيل الله تعالى،

(١) التسلط، والقوة على التصرف مع حدة.

كأرقى ما تكون التضحية في إعلان الابن النبي إسماعيل عليه السلام قبول الذبح تسليماً للأمر الإلهي، ومباشرة الأب النبي إبراهيم عليه السلام للعمل تنفيذاً للتكليف.

إن الذبح للهدي في أول أيام العيد يعيدنا إلى قصة إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام والفداء بالكبش، حيث رأى النبي إبراهيم عليه السلام في منامه تكليفاً بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، وكانت رؤيته وحياً له، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾. يريد الأب تنفيذ الأمر ويحاول تهيئة الابن، فيأتي الجواب: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. إنهما نموذجان رائدان من موقعين مختلفين، فالأب يسيطر على عاطفته ويلتزم بالتكليف، والابن يتخلى عن مغريات الدنيا وشبابه ويُقبل على التضحية، وقد نجحا في الاختبار لكن الله تعالى أرأف وأرحم: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[2].

قد يكون الاختبار صعباً، ويصل إلى حد الموت والشهادة، فمن تربى على الإسلام الحق، وباع نفسه لله تعالى، فإنَّه على استعداد كامل للتضحية بنفسه عندما يكون تكليفه كذلك، كما

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٧.

يضحي بالذبيحة في اليوم العاشر من ذي الحجة في عيد الأضحى قربة إلى الله تعالى، وفرحاً بهذه التضحية، وبالنجاح للقيام بها.

٢- حق الهدي:

الحج عبادة، والهدي جزء من العبادة، وتشترط القربة إلى الله تعالى فيها، **لأن أداءها مرتبط بالأمر الإلهي وليس مرتبطاً بأي أمر** آخر. من هنا أهمية الإخلاص فيها حتى لا تفقد معناها وتخسر أهدافها، ولا يكون الإخلاص إلاَّ بالإرادة والتصميم. كما أن عليك التعرض لرحمة الله لتشملك، ولقبول العمل فتفوز بدنياك وآخرتك، مما يستلزم الحرص في أن تنفذ التوجيهات المطلوبة منك بهدف الطاعة وليس رياء للناس. انتبه فالعبادة لله وليست للناس، وإن وجدت فيها ما يغريك دنيوياً ويحقق لك الفوائد، حاول أن تهذب نفسك لتكون خالصة لله دون النظر إلى ما يراه الناس وما تحققه من خلالهم، فإن أديتها بهذه الكيفية فتصرفك سليم وقد تحقق قصدك لله تعالى، إذ لم تكن متكلفاً فيما تقوم به ولا متصنعاً لخطواتك أثناء العبادة.

ربما اعتبر البعض أنَّ مشقة الحج كبيرة، وأن أداءه يتطلب بذل جهودٍ استثنائية، ويستلزم إعداداً يتلاءم معه سواء في الصرف المالي أو تهيئة عدة السفر أو مستلزمات العودة! مع العلم أن الأمر سهل ويسير: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. إن البساطة هي الطابع العام للعبادات، وإن التسهيلات الشرعية تتلاءم مع الترغيب بالعبادة وتحقيق أهدافها، فهي لرقي النفس الإنسانية وليس لمعاقبتها. فإذا شعر المرء بصعوبة العبادة وتعقيداتها فلأن المجتمع هو الذي يسبب هذا الضيق أو التعقيدات أو التكاليف المادية المرتفعة أو الممانعة في التخلي عن الملذات، وما التعب المرافق لأداء المناسك إلاَّ جزء من التأهيل النفسي والاختبار للطاعة.

إن سنَّة الله تعالى في الخلق تيسير أمورهم وعدم تعسيرها، وهكذا أمرهم بالطاعة

باليسير وليس بالعسير والشاق. وبما أن السنة الكونية وطبيعة التشريع هي اليسر، فليكن العابد منسجماً معها بالتذلل ليتناغم مع حركة الخلق، فلا حاجة للتسلط والمؤونة الزائدة، لأنه خلاف السنة الكونية الإلهية، ويخرج عن الطبيعة البشرية التي أرادنا الله تعالى عليها. فالتذلل والعجز والضعف والحاجة صفات إنسانية محمودة عندما تكون متجهة إلى الخالق القادر الغني الجبار، وهي مذمومة عندما تكون أمام البشر.

إن حق الهدي يتمثل في عيش آثاره التربوية من الاستعداد للتضحية إلى خلوص النية لله تعالى، إلى العطاء بلا تكلف وتصنع،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

إلى البساطة في الانسياق مع السنة الإلهية، ليتحقق الهدف من الحج كما في غيره من العبادات بتعزيز التقوى.

٣- الاستطاعة والشباب:

الحج واجب مرة واحدة في العمر لمن بلغ سن التكليف الشرعي وكان مستطيعاً: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1]. ولا تتوقف الاستطاعة عند الجانب المالي بل هي شاملة لأمن الطريق وسماح السلطات بذلك... فإذا تحققت الاستطاعة وجب الحج لعام الاستطاعة، وأصبحت الذمة مشغولة فيما لو قصر فيه، وعليه الإتيان به في العام الذي يليه.

ولا أهمية للعمر بعد بلوغ سن التكليف، فقد تتحقق الاستطاعة لابن خمس عشرة سنة، وقد لا تتحقق إلاَّ في سن الستين، وفي كلتا الحالتين يجب المبادرة وإلاَّ كان آثماً. ولا تنفع الذرائع في تأجيل الحج الواجب، من الحرص على التجارة، أو انتظار الأولاد حتى يكبروا، أو ادعاء الرغبة في توفير الإقبال النفسي الكافي، أو صغر السن واحتمال ارتكاب المحرمات بعد العودة من الحج، أو ما شابه من أعذار لا تدخل في الاستطاعة، ولا ترفع المسؤولية الشرعية في وجوب الحج.

لقد ساد انطباع عند الناس لمرحلة من الزمن أن الحج لكبار

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

السن، بعد تأدية كل ما عليهم من تربية للأولاد وتأمين مستقبلهم، وبعد أن وصلوا إلى مرحلة لم يعد لهم فيها أي هم أو باعٍ في هذه الحياة الدنيا، وهي نظرة خاطئة ومخالفة للتكليف. لكننا نجد اليوم حماساً بالغاً عند الشباب من الأخوة والأخوات لتوفير ظروف الاستطاعة رغبة بالحج، نظراً لتحسن الالتزام الديني بشكل عام، ولأنهم لمسوا تلك الآثار الروحية والمعنوية والتربوية التي حصلوا عليها من خلال حجهم، إلى درجة أن البعض يسعى بشكل حثيث ليكرر الحج استحباباً كلما سنحت له الفرصة، بسبب الفائدة الكبرى التي تتحقق به.

وإذا قارنا الفوائد التي يحصل عليها الشاب مع الفوائد التي يحصل عليها كبار السن، لوجدنا أن الاستثمار عند الشباب أكبر بكثير، فالحج يعطيهم دفعاً إلى الأمام، ويصقل شخصيتهم بتعرفهم على معالم الرسالة الأولى في مهدها ومنطلقها، وتبرز معهم حكمة التشريع مرة في العمر، إذ عندما تكون المرة في مقتبل العمر فإنها تعطي الشحنة الروحية الملائمة لتؤسس للحياة، لكن عندما تكون متأخرة فإن مفعولها أقل، إلاَّ إذا لم تتوفر الاستطاعة، فعندها يكون المانع عدم التكليف وهو معذور في ذلك.

إن اطلاعنا على فوائد الحج يبين أهميته في وقت مبكر، ففي جواب كتبه الإمام الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان: «**إنَّ علّة الحج الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما**

اقترف، ليكون تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل. وما فيه: من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرب في العبادة إلى الله عزَّ وجل، والخضوع، والاستكانة، والذل، شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف، دائباً في ذلك دايما، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله سبحانه وتعالى. ومنه ترك: قساوة القلب، وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجا والأمل، وتجديد الحقوق، وخطر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر، ومن يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبايع ومشترٍ وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، كذلك ليشهدوا منافع لهم»(١).

ما أسمى التعبير المختصر الذي ذكرته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها: «**والحج تشييداً للدين**»(٢)، والتشييد بناء وظهور وقيام، يحدد البيرق ويبرز قوة الفرد والأمة في اجتماعها. فقد: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾(٣)، إنه تعبير عن النهوض بكل معانيه، وعن الاستعداد للحركة كنتيجة للقيام، وعن

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص: ٤٠٤.
(٢) الشيخ الأنصاري، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج١، ص: ٢٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

تحديد نقطة الانطلاق الجامعة في الكعبة الشريفة، لتحقق قوة الإسلام والمسلمين.

٤- خلع ثوب الدنيا:

أول خطوة للحاج إلى بيت الله الحرام في أداء الواجب لباس الإحرام، وهو عبارة عن ثوبين غير مخيطين للرجل يأتزر بأحدهما ويضع الآخر على كتفيه، وعبارة عن ثياب تستر جسد المرأة كما هو الستر الشرعي. هذا اللباس مقدمة للتخلي عما عداه، ويرافقه محرمات الإحرام كالطيب ولبس الحلي والنظر في المرآة وتقليم الأظافر، فالمطلوب هو الستر المجرد عن الزينة مما يُسقط كل الاهتمامات التي تركز على الجمال والمظاهر الدنيوية، ليحل محلها الاهتمام بالعبادة والصلة مع الله جلَّ وعلا. إنها بداية خلع الدنيا من نفس الإنسان ليستبدلها بالثوب الأخروي في الإقبال على الله تعالى ليوم الحساب، فكما يترك ملابسه وزينته في الدنيا ويلبس الكفن عند الموت، فإنه يعيش حالة من تربية النفس وتعبئتها، لتكون مهيأة بعد الخطوات الأخرى في الحج، حتى تأخذ الشحنة المعنوية والروحية الكافية للاستفادة من هذه العبادة العظيمة.

٥- الوحدانية:

كل خطوات الحج تتمركز حول الوحدانية لله تعالى، فالطواف حول الكعبة الشريفة دوران حول الأمر الإلهي، والصلاة

خلف مقام إبراهيم عليه السلام تنسيق للصلة بالله تعالى خلف الأنبياء، والسعي بين الصفا والمروة حركة باتجاه الأمر الإلهي، والقص أو الحلاقة تعبير عن لفظ الآثام التي تبعد عن الله تعالى، ورمي الجمرات رمي للشياطين الذين يمنعون الإنسان من التفاني في حب الله وطاعته، والذبح تضحية في دائرة العطاء لله جلَّ وعلا.

والوقوف في عرفة تأكيد للولاء وتسليم للخالق، أنه قصد إلى مكان التجلي الإلهي على عبادة المؤمنين المطيعين بالرحمة والمغفرة، إنه العهد في رفض الشيطان وأحابيله مهما كانت صورته ومهما كانت مغرياته. إنه الوقوف مع الوحدانية في مقابل الشرك، ومع الطاعة في مقابل المعصية. والمبيت في مِنى تخل عن كل ما يؤوي إلاَّ إذا كان استعداداً للعمل في سبيل الله. هذه الأعمال تشحن النفس بعزيمة من الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، وتقوي المؤمن بمساندة الله له، فمن دعاء الإمام الحسين في عرفة: «**يا من عفا عن عظيم الذنوب بحلمه، يا من أسبغ النعماء بفضله، يا من أعطى الجزيل بكرمه، يا عدتي في شدتي، يا صاحبي في وحدتي، يا غياثي في كربتي، يا وليي في نعمتي**»[2].

إنها تعبئة روحية بكل المعاني، فالممنوعات الإضافية أثناء الحج تساهم في تهيئة النفس الإنسانية لتقبل تغيير النمط السائد،

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٢) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٣٣٢.

وتوفير المناخ الملائم للاستعداد للمرحلة الجديدة، بهدف الوصول إلى التقوى وزيادة فعاليتها في واقع الحياة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سُمَّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدَّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبياءه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته**»[2].

٦- التدريب والتأهيل لمواجهة الشياطين:

لكن الشيطان للإنسان بالمرصاد، وهو يبذل جهوداً كبيرة لحرفه عن طاعة الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3]. فلا بدَّ من مواجهته، مما يتطلب استعداداً لذلك.

يأتي التدريب العملي ليساهم في التعبئة، فجمع الحصى(لرمي الشياطين) من المزدلفة أو مكة كاستعداد وتهيؤ، وهي بمواصفات محددة وبأعداد محددة، ليبقى الانتظار إلى الفجر كتحديد لوقت الانطلاق، فلا استعجال ولا حرق للمراحل، كل شيء في وقته

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١، ص٣٢.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

المحدد وضمن خطة مدروسة وإعداد متقن، ثم تُرمي الجمرات أو الشياطين الثلاثة: الكبير والوسط والصغير.

للمعركة مواصفات:

١- يكون الرمي في كل جولة عند استهداف الشيطان بسبع حصيات.

٢- يجب التأكد من الإصابة.

٣- يكون الرمي يوم العيد للجمرة الكبرى فقط، ليكون التركيز على رأس المصائب وكي لا تضيع الأولويات بتفاصيل أخرى.

٤- ترمى الجمرات الثلاثة بالتتابع، من الجمرة الصغرى إلى الوسطى ثم الكبرى في اليومين التاليين، كي لا نغفل التفاصيل في مرحلة تالية، فالرفض للصغائر وللكبائر، لصغار الشياطين ولكبارهم.

إنها مواجهة حقيقية، يرمي الحاج الجمرة من كل قلبه، ويشعر باقتلاع الشيطان من جذوره، ويخرج مرتاحاً لما أنجز من أداء شعائر الله تعالى. إنها خطوة للحياة، لأن المواجهة لن تتوقف أبداً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[1].

٧- الكعبة بيت الله:

القصد في الحج إلى بيت الله الحرام، إلى الكعبة الشريفة. إنه

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

المكان الذي اختاره الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]. فالله هو الذي جعل مكان الكعبة الشريفة مباءة أي مرجعاً للعبادة، ولم يكن الاختيار من إبراهيم عليه السلام، مما يبرز لنا خصوصية المكان وأهميته في اجتذاب القلوب إليه. وهو يحتاج إلى تحصين من الشرك وتطهير للعبادة الخالصة لله الواحد الأحد، فهو بيت الله، لذا خاطب الله إبراهيم بقوله: «وطهر بيتي» فلا وصاية لأحد عليه.

إن البيت للطائفين حوله، والقائمين بالعبادة والدعاء وما يقربهم من خالقهم. . .، والركع السجود الذين يركعون ويسجدون. وقد أقام إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام بنيانه تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

وبما أن المؤمن بحاجة إلى التقرب من الله تعالى، فلا بدَّ من أعمال تحقق هذا التقرب، فكان الاتجاه إلى الكعبة الشريفة في الصلاة من أنحاء الدنيا ومن المسلمين قاطبة، إنه توجيه لمركزة الارتباط حول هذه البقعة من الأرض، لا بهدف التركيز عليها كبناء، ولكن بما تربط بالله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾[3].

هذه العبادة لله تعالى تستوجب اتباع تعاليمه التي وردت في

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٣) سورة قريش، الآية: ٣.

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فلا إمكانية لحسن العبادة مع البدع أو اختيار الطرق الخاصة التي لم يشرعها الإسلام لنا، فالحج خطوات معلومة، والصلاة تفصيل واضح، والصوم أداء بمواصفات محددة. . . وما عبادة المشركين للأصنام التي وضعوها داخل البيت ليقربوهم إلى الله! إلاَّ بسبب اجتهادهم في اختياراتهم وضلالهم في تحديد الطريق الموصل إلى العبادة. من هنا ضرورة التقيد بالتوجيهات العبادية التفصيلية كما وردت في الشريعة المقدسة لضمان العبادة لله تعالى وحده.

٨- شبهة تجسيد العبادة:

لكن الملاحظ أن الحج هو العبادة البارزة في قصد أمكنة متعددة وفي زمان محدد، كقصد البيت الحرام والصفا والمروة وعرفات والمزدلفة ومِنى. . . وفي موسم الحج، مما يوجد شبهة عند البعض في الطواف حول الكعبة وهي مبنية من حجارة، أو الوقوف في عرفات وهو مكان محدد!. .

هنا يجب التمييز بين قصد المكان لأجله أو قصده تنفيذاً للأمر الإلهي، وبين الطواف حول الكعبة لحجارتها أو الطواف لاستحضار الدوران حول الأمر الإلهي، وتعلق القلب بطاعة الله، وتنفيذ الشعائر التي أمرنا الله بها كعبادة نتقرب بها إليه. وهذا ينطبق على أشواط السعي السبعة بين الصفا والمروة، والمبيت في مِنى، والذبح يوم العيد. . . .

إنه المنطلق نفسه لأمر رب العالمين الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(١)، إنه سجود تنفيذاً لأمر الله تعالى مهما كانت دواعي هذا الأمر، وهو اختبار لمن يلتزم ومن لا يلتزم، وتتحقق فيه فوائد أخرى لجهة إبراز دور الإنسان على الأرض، إلاَّ أن المحور المركزي هو السجود طاعة لأمر الله تعالى. لكن إبليس رفض: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(٢). إنَّ المقارنة بين طبيعة خلق إبليس من نار وآدم من طين هي سبب الرفض لأن النار أفضل من الطين! لكن الأمر بالسجود لم يلحظ مادة الخلق، إنما الأمر الإلهي، حيث يعبِّر تنفيذه عن الطاعة للخالق وتحقيق الأهداف التي يريدها، لذا قال تعالى: فقعوا له ساجدين، وهو أمر إلهي، وقال: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، فالقضية مرتبطة بالخالق وما خلق وقدَّر، وهو مطلق الصلاحية في خلقه وأوامره، وهو الذي يرسم معالم عبادته وتصنيف مخلوقاته ورسم خطوات الإنسجام مع إرادته.

إضافة إلى ذلك، فإن الإنسان بحاجة إلى إجراءات عملية يقوم بها لتؤثر في بنيته النفسية والروحية، وفي تحقيق الهدف من العبادة.

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢.
(٢) سورة ص، الآيات: ٧٣ ـ ٧٦.

هذه الإجراءات لا بدَّ أن تكون مادية في مظهرها، ومعنوية في حقيقتها، حيث تؤثر أثرها المعنوي والروحي بحسب المضمون الذي يكون لها. وقد ثبت بما لا مجال فيه للشك، ذلك الارتباط الوثيق بين الجسد والروح، بين المادة والمعنويات في التفاعل الإنساني اليومي. فإذا تألم الجسد، ضعُفت الهمة، وأثرت على الحالة النفسية للإنسان، وبالعكس إذا حزن حزناً شديداً أو انفعل لقضية من القضايا تضررت معدته وتألم، وقد يصاب بالقرحة.

فالإجراءات المادية تنعكس بحسب مضمونها على النفس الإنسانية، فمن قصد الكعبة الشريفة على أنها بيت الله تعالى، وطاف حولها قربة إلى الله تعالى، واستحضاراً لعلاقة الحب والتفاعل والارتباط بالله تعالى، تسمو نفسه وتتعزز صلته بالله تعالى، ويصبح أكثر قابلية لمتابعة الأوامر الإلهية والالتزام بها، مما يحقق هدف الرسالات السماوية في إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة. أمَّا من قصدها كمكان للأصنام-كما كانت تفعل قريش-، وقدم فيها الذبائح، وارتبط بهذه الحجارة، فإن نفسيته ستتفاعل مع الحجارة الصماء التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، وكما قال إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[1]، مما يميت القلب، ويقطع الإنسان عن خالقه، ويضله عن السبيل.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٧٢ ـ ٧٣.

فالمضمون هو المهم. وبدون هذه الإجراءات كيف يتقرب من الله تعالى؟! هل تكفي التوجيهات النظرية؟ هل يكفي الاقتناع بأهمية الطاعة؟ لا تتعزز العلاقة إلاَّ بهذه الإجراءات. فهي تؤدي إلى تفاعل الجسد وحركة الجوارح مع العقل والروح، وهي تساعد في خطوات تراكمية نحو الهدف.

والملاحظ في العبادات هو الاستفادة من أمرين عند الإنسان هما: الحركة والعمل، وأمرين يحيطان به هما: الزمان والمكان. فالصلاة حركة في القيام والركوع والسجود في أزمنة خمسة هي أوقات الصلوات الخمس، والصوم عمل بالامتناع عن الطعام والشراب في شهر رمضان المبارك، والحج حركة باتجاه البيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة، وعمل يتمثل بمحرمات الإحرام، في زمن الحج وفي أمكنة محددة. هذه أمثلة توضيحية وهي لا تبين كامل الصورة لطبيعة كل عبادة، لكنها تُظهر الاستفادة من الإجراءات المادية المليئة بالمضمون اللازم لتهذيب النفس وتطويعها لتسلك سبيل الله تعالى.

٩- الرمزية والأثر:

إن رمزية الأمكنة، وتداعي المعاني في ذهن الحاج عند قيامه بمنسك من المناسك، تشكل عملية تعبوية روحية باتجاه الارتباط بالله تعالى، وتحدث آثاراً تتفاوت بحسب ما يوحيه هذا المنسك من ناحية، وبمقدار التفاعل معه من طرف الحاج من ناحية أخرى.

فالأمر شبيه بمأدبة متنوعة الأطعمة، لتكون العهدة على الآكل ومقدار اهتمامه واستيعابه واستفادته. وتشكل مجموع المناسك حلقة مترابطة الأجزاء ومتكاملة لبناء الشخصية، ولتحقيق هدف العبادة.

فرمزية السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، يذكرنا بهاجر زوجة النبي إبراهيم عليه السلام التي نزلت بوادٍ غير ذي زرع، ومعها طفلها إسماعيل عليه السلام الذي عطش حيث لا يوجد ماء، فلاح لها سراب من بعيد، فاتجهت نحوه من الصفا إلى المروة فلم تجد الماء، ثم تراءى لها الماء باتجاه الصفا فسعت إليه فلم تجد شيئاً، وتكرر سعيها سبع مرات، وإذ بها ترى الماء ينبع من تحت رجل الصبي فزمزمته للاستفادة منه. لقد أدت واجبها بسعيها، أما الماء فهو رزق الله المقسوم لها ولولدها ولاعمار تلك البقعة المباركة. إن السعي بين الصفا والمروة محاكاة لسعي هاجر، وهو سعي لتنفيذ أمر الله تعالى مهما كانت الصعوبات والعقبات، ومهما كان الأمر غامضاً ومجهول النتائج. إن السعي في سبيل الله لجهاد الأعداء، والسعي لإطعام العيال تنفيذاً للمسؤولية الشرعية، والسعي للوصول إلى الأهداف النبيلة، لا يمنعه التعب والمشقة، فهو تكليف إلهي أما التوفيق فمن الله تعالى.

إن لكل منسك رمزيته، وله أثره المباشر فيما يعيشه الحاج لحظة القيام به. فعندما يطوف يتذكر إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وبناء الكعبة، وما حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله في مكة، وكيف طَّهر

الكعبة من الشرك فأصبحت قبلة المسلمين، لكن الأهم هو العبور من الرمزية إلى التفاعل الذاتي في ربط القلب بالله تعالى، والطواف متعلقاً بعظمة الخالق، والدعاء إعترافاً بالعجز والحاجة ورغبة بعطاء القادر الغني... وهكذا يتكرر المشهد، ليتزود الحاج من عبادته، فتغير العبادة في فكره وسلوكه، وتنعكس على حياته اليومية، فتكون بذلك قد أدت المطلوب منها.

«وفي تلبيتكم قولوا: لا لجميع الأوثان، واصرخوا بـ«لا» في وجه جميع الطواغيت وأذنابهم. وبطوافكم بالحرم الإلهي الذي يعبر عن حب الحق، أخلوا قلوبكم من وجود الآخرين، وطهروا أرواحكم من خشيتها لغير الحق. وتزامناً مع حب الله، تبرأوا من الأوثان الكبيرة والصغيرة والطواغيت وأتباعهم، فإن الله تعالى وأولياءه تبرأوا منهم، وإن أحرار العالم كافة بريئون منهم»[١].

وفي بيان آخر للإمام الخميني(قده)لحجاج بيت الله الحرام يقول: «أي مكان أسمى من الكعبة وبيت الأمن والطهارة والناس، نتبرأ فيه قولاً وعملاً من كل اعتداء وظلم واستغلال ودنية ونذالة، ونجدد الميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢]، بتحطيم الآلهة والأرباب المتفرقين، ونحافظ على ذكرى أهم حدث يذكرنا بحركة الرسول ﷺ السياسية: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ

---

(١) الحج في أحاديث وبيانات الإمام الخميني(قده)، ص:٢٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ...﴾[١] ونبقيها حية خالدة، ذلك أن سنة الرسولﷺ وإعلان البراءة لا تبلى، وهي لا تقتصر على مراسيم الحج فحسب، بل ينبغي للمسلمين أن يملأوا أجواء العالم حباً لله ونفوراً عملياً لأعداء الله»[٢].

١٠- الحج ويوم القيامة:

تتحدث الآيات في مطلع سورة الحج عن حالة الناس عند قيام الساعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۞ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[٣]، ثم تتابع الآيات في إثبات أدلة يوم القيامة، لتنتقل إلى ثواب المؤمنين وحالهم، وعذاب الكافرين وحالهم، ليبدأ الحديث عن تشريع الحج وأبعاده.

إن الترابط الإيحائي بين الحج ويوم القيامة موجود، فاجتماع الناس في الحج من كل حدبٍ وصوب من كل أرجاء المعمورة، ولباس إحرامهم الموحد والخالي من الزينة والتمايز، واشتراك الحجاج في المناسك في وقت واحد ومكان واحد دون تمييز بينهم، واختلاط الأعراق والألوان والفقراء والأغنياء، واجتماع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) الحج في أحاديث وبيانات الإمام الخميني(قده)، ص:١٣٦.

(٣) سورة الحج، الآيتان: ١ ـ ٢.

القادة مع الرعية في مواقف الطواف والصلاة والسعي والوقوف بعرفات والرمي. . . كلها مشاهد اجتماع مليونية، تزيل فوارق البشر، وتقارب بينهم في مشهد يوحي بمشهد يوم القيامة.

الكل يناجي، الكل يتطلع إلى الرحمة الإلهية، الكل ترك الأهل والأحبة والمال والاهتمامات الدنيوية، لقد كتبوا وصاياهم تهيئة للموت، وهم يعيشون أياماً من الانقطاع عن عالمهم الخاص ليحيوا أجواء التهيؤ ليوم الحساب. هنا، العبادة هي التي تنفع، والعمل الصالح هو الذي يستقر، وإن خير الزاد التقوى. إنها تجربة التوجيه لباقي أيام الحياة الدنيوية، وهي تمثل طيّاً للتجربة السابقة بتعهد الاستقامة والطاعة والصلاح، إنها فرصة العودة كيوم ولدته أمه بغفران الذنوب. ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «.. **وحج البيت والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر، ويكّفران الذنب، ويوجبان الجنة**»[1].

ليس الحج نزهة أو زيارة عادية، وليس عبئاً عبادياً يقوم المرء به ليرفعه عن كاهله، إنه عمل تربوي هادف يؤثر في شخصية الإنسان، وهو محطة هامة من محطات التهيئة لأسئلة يوم القيامة.

١١- ليشهدوا منافع لهم:

ما أكثر المنافع التي تتحقق في الحج، وما أبلغ الآية القرآنية في التعبير عنها: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ

---

(١) الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ١٤٩.

ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[1].

هذه المنافع تشمل الجوانب الإيمانية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وهي تبرز وحدة المسلمين وعظمة اجتماعهم، وتشعرهم بقوتهم المتنوعة على امتداد العالم، وتزيل غربتهم وتقرب بينهم، وتقيم التفاعل مع بعضهم. هذه المنافع تؤكد على ارتباطهم بالمحور الواحد المرتبط بالله الواحد الأحد، باتجاه الكعبة الشريفة، وبالإقتداء بالقرآن الكريم والنبي الأكرم ﷺ. هذه المنافع تزداد وتقوى بمقدار تنظيم أمور المسلمين لها والالتفات لها ورعاية استثمارها، إنها قوة للفرد وقوة للجماعة، إنها فوائد للجسد وفوائد للروح، إنها خطوات دنيوية في عبادة الله تعالى لسُلَّم الارتقاء في الآخرة.

(١) سورة الحج، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

المصادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي (ع).**

- نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

*** ابن حنبل، أحمد، ت ٢٤١هـ.**

- مسند أحمد دار صادر، بيروت.

*** ابن شهر آشوب، ت ٥٨٨هـ.**

- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١٩٥٦.

*** الاحسائي، ابن أبي جمهور، ٨٨٠هـ.**

- عوالي اللآلي، تحقيق السيد المرعشي والشيخ العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١، ١٩٨٣.

*** الانصاري، الشيخ محمد علي.**

- الموسوعة الفقهية الميسّرة، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٥هـ.

* **البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ.**

- المحاسن، دار الكتب الاسلامية، طهران.

* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، ت ١١٠٤هـ.**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) ، لإحياء التراث، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
- الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، مكتبة المفيد، قم.

* **الحراني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الخميني، الامام روح الله، ت ١٩٨٩م.**

- الآداب المعنوية للصلاة.
- تحرير الوسيلة، دار الكتب العلمية، النجف الاشرف، ط ٢، ١٣٩٠هـ.
- الحج في أحاديث وبيانات الامام الخميني (قده).

* **الريشهري، محمدي.**

- ميزان الحكمة، الدار الاسلامية، بيروت، ١٩٨٥.

* **الشهيد الثاني، زين الدين علي بن الجبعي العاملي، ت ٩٦٥هـ.**

- الرسائل، مكتبة بصيرتي، قم.

* **الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

- الأمالي، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- التوحيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٣٨٧هـ.
- علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦.

- عيون أخبار الرضا (ع)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- فضائل الأشهر الثلاثة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م.
- من لا يحضره الفقيه، منشورات جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

*** الطباطبائي، العلامة محمد حسين، ت ١٤١٢هـ.**

- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم.

*** الطبرسي، احمد بن علي بن أبي طالب، ت ٦٢٠هـ.**

- الاحتجاج، منشورات دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م.

*** الطبرسي، أمين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨هـ.**

- مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

*** الطبرسي، رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل، (ابن أمين الاسلام).**

- مكارم الاخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢م.

*** القمي، الشيخ عباس، ت ١٣٥٩هـ.**

- مفاتيح الجنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

*** الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩ هـ.**

- الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ.

*** المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**

- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **النوري، الحاج ميرزا حسين، ت ١٣٢٠هـ.**

- مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

المحتوى

إهداء ٥
مقدمة ٧
إطلالة ١١

الحلقة الأولى: حـــق الصلاة

١- معنى الصلاة ١٥
٢- غريزة التدين ١٧
٣- قيام المصلي بين يدي ربه ١٩
٤- الخشوع والخضوع ٢٣
٥- آداب الصلاة ٢٥
٦- انعكاس الصلاة على الحياة ٢٩
٧- الصلاة عمود الدين ٣٣

٨- معراج كل تقي ٣٥

٩- محروم النعمة ٣٧

الحلقة الثانية: حـــق الصوم

١- هدف الصوم ٣٩

٢- الصوم عند الآخرين ٤٢

٣- صوم مريم عليها السلام ٤٣

٤- حق الصوم عند الإمام السجاد عليه السلام ٤٤

٥- آداب الصوم ٤٨

٦- صوموا تصحوا ٥٠

٧- الصبر على الطاعة ٥١

٨- التكافل الاجتماعي ٥٢

٩- متى نصوم؟ ٥٤

١٠- الخيم والمسلسلات الرمضانية ٥٥

١١-الموائد الرمضانية ٥٨

١٢- ليلة القدر ٥٨

١٣- علاقة الصائم بالمفطر ٦٠

الحلقة الثالثة: حــق الصدقة

١- مفهوم الصدقة ٦٣
٢- صدقة السر ٦٦
٣- المن يسقطها ٦٨
٤- الاهتمام بالأقارب والجيران ٧٠
٥- طريقة ايصال الصدقة ٧٢
٦- الساعي إلى الخير ٧٣
٧- قوة المجتمع المتكافل ٧٤
٨- صدقة السادة ٧٦
٩- آثار الصدقة ٧٧

الحلقة الرابعة: حــق الهدي

١- الهدي من مناسك الحج ٨١
٢- حق الهدي ٨٣
٣- الاستطاعة والشباب ٨٥
٤- خلع ثوب الدنيا ٨٨
٥- الوحدانية ٨٨
٦- التدريب والتأهيل لمواجهة الشيطان ٩٠

٧- الكعبة بيت الله ٩١
٨- شبهة تجسيد العبادة ٩٣
٩- الرمزية والأثر ٩٦
١٠- الحج ويوم القيامة ٩٩
١١- ليشهدوا منافع لهم ١٠٠
المصادر ١٠٣
المحتوى ١٠٧

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء) :

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سابعة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة سادسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة سادسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة سادسة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة خامسة).
* صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* سبيل الله تعالى.
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

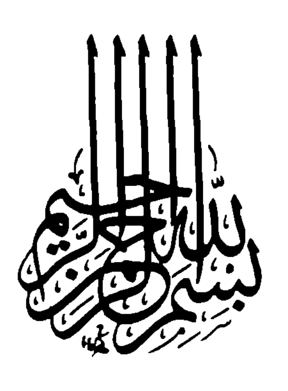
تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠ /٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)

حقوق الزوج والزوجة


بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)

حقوق الزوج والزوجة

دار المحجة البيضاء

الطبعـــة الأولـــى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الطبعـة الثانيـة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الطبعـة الثالثـة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الطبعـة الرابعـة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الخامسة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة السادسة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

الطبعة السابعة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الاهــــــداء

إلى المربِّي الرَّباني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجِّهاً

وللباحثين عن الخلاص معلِّماً.

يا سيدي وإمامي

يا علي بن الحسين عليه السلام،

وعلى وقع توجيهاتك

إلى كل زوجين

لتضيء حياتهما بنهج الإسلام

ويعيشا نعمة الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السابعة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدﷺ قدوة البشرية ومرشد الإنسان إلى سعادته، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام الرابع من أئمة أهل البيت(عم) علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تلك الرسالة القيِّمة المسبوكة بلغةٍ موجزة ومعبِّرة، وبمضمونٍ إسلامي عميق وموضِّح للمسار، وأسلوب إيماني وروحي مؤثِّر، فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي ما يشكِّل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع، وقد تضمَّنت خمسين حقاً مختلفاً شملت بالعنوان العام علاقات الإنسان الثلاث مع ربِّه ونفسه ومجتمعه.

استفدنا من البرنامج التلفزيوني الحواري حول رسالة الحقوق، فاخترنا في هذا الجزء حقوق الزوجة وحقوق الزوج،

والتي عُرضت في أربع حلقات متتالية، ومع أن نصَّ الإمام السجاد عليه السلام مختصر، فقد تجاوز الحوار مفردات النص ليطلَّ على مجمل العلاقات الزوجية وما يرتبط بحقوق المرأة بشكل عام. ومن خلال الأسئلة المتنوعة تمَّت الإجابة عن استفسارات كثيرة، منها: مفهوم الزواج، حدود القوامية للرجل، حقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة، الخدمة المنزلية، النشوز، تعدد الزوجات، وغيرها من المسائل المهمة، آملاً أن تعطي هذه الحلقات صورة متكاملة عن كيفية بناء الحياة الزوجية السعيدة والواقعية.

وقد أبقينا الحوار في الحلقات كما جرى، مع بعض التعديلات والإضافات التي تناسب الكتابة وتحيط بالأسئلة المثارة حول الموضوع، وذلك بأسلوب واضح وسهل، يتلاءم مع التوجيه نحو أداء أفضل، وينفع الأزواج في تلمُّس الخطوات الملائمة لحياة مستقرَّة. وأوردنا مجمل الحقوق قبل تفصيلها كما ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام في الإطلالة التي تلي هذه المقدمة.

لقد سبق الإسلام بأربعة عشر قرناً منظومة حقوق الإنسان التي اخذت حيزاً دعائياً كبيراً في القرن العشرين، وجسَّدت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أروع وأرقى آداب التعامل بين الناس، ما يضفي على الاجتماع الإنساني والعلاقات الاجتماعية صفاءً واستقراراً وبهجة، وهذا ما يؤكد حاجتنا الماسَّة للتعرف على هذا الرصيد الكبير.

اعتمدنا تقسيماً فنياً للأجزاء التي أصدرناها يتناسب مع العنوان الذي ركَّزنا عليه في كل جزء، بحيث تندرج فيها الحقوق الخمسون، لتستقر على سبعة أجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

نجدد طباعة هذا الجزء للمرة السابعة بعد نفاد الطبعات السابقة، وقد تكرر هذا الأمر مع الأجزاء السبعة لـ «شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام»، سائلين المولى تعالى أن يوفقنا للعمل بمضمون هذه التوجيهات التربوية الرائدة.

نعيم قاسم

٢٧ ذو القعدة ١٤٣٠هـ

١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩م

إطلالـــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها: بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف

جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، **وحق رعيتك بالملك من الأزواج** وما ملكت من الأيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي

يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

حق الزوجة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق رعيتك بملك النكاح، فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم، فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدَّ من قضائها وذلك عظيم، ولا قوة إلا بالله».

الحلقة الأولى

الزواج الناجح

تمهيـد

كرَّم الإسلام المرأة وعزَّزها، وحارب الجاهلية وأتباعها فأعاد لها حقوقها المسلوبة، وهي تعيش في كنف الإسلام مرتاحة مطمئنة، أمَّا الأخطاء المرتكبة أثناء التطبيق فيتحمل الأفراد وزرها. وقد رفعت المجتمعات الغربية شعار حقوق المرأة التي تحولت عندهم إلى سلعة للمتاجرة وللإغراق في اللذة. سنناقش في هذه الحلقة حق «الزوجة» كما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، وما يتفرَّع عن هذا الحق من حقوق وواجبات، وسنتعرض لموضوعات هامَّة في حياة الزوجين وطبيعة توزيع الأدوار بينهما، والأسئلة كثيرة: ما هو مفهوم الطاعة للرجل؟ هل يجوز للمرأة أن تعمل في المجال الاقتصادي؟ هل تتغير حقوقها مع قيامها بأعباء إضافية؟ ما هو مفهوم الزواج؟ كيف يتم اختيار الزوجة وكيف يتم اختيار الزوج؟ هل للمرأة جهاد؟ ماذا تعني قوامية الرجل؟ هل يمكن تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة؟ ماذا عن تعدد الزوجات؟ وهل يمكن تجنب الطلاق؟

لقد تجمع عندي أسئلة كثيرة من المشاهدين، نقَّحتها وجمعتها لأطرحها بكاملها، ومن الطبيعي أن يستحوذ هذا الموضوع على الاهتمام الكبير، فالزواج دعامة الحياة الأسرية والمجتمعية، وهو أساس في الحياة اليومية.

* * * * *

١ ـ مفهوم الزواج

بداية أرحب بسماحة الشيخ نعيم قاسم، وأسأله عن مفهوم الزواج في الإسلام؟

الزواج علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، تؤسس لمجموعة من الحقوق والواجبات التي تترتب لكل منهما بناء على عقد الزوجية، وقد رسمها الإسلام بدقة تساعد على تكوين الأسرة الصالحة والمستقرة، وتلبي لكل من الزوجين غرائزه وحاجاته الفردية ومتطلباته الفطرية، وتؤدي إلى التناسل، وتحقِّق اللَّبِنة الأساس في بناء المجتمع ونموِّه.

وقد رسم الله تعالى لنا قاعدة أساسية لمداميك هذه العلاقة بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فإنشاء رابطة الزوجية يحقق السكن والاستقرار بكل معانيه النفسية

(١) سورة الروم الآية ٢١.

والجسدية، ثم يأتي التشريع الإلهي ليتناغم مع مقومات الفطرة البشرية فيثبِّت المودّة والرَّحمة في الحياة الزوجية، أما المودَّة فهي درجة عالية من الحب والحنان والتفاعل، وأما الرَّحمة فهي تمثل التسامح والإحسان والعفو عند الإساءة والأخذ بيد الطرف الآخر لإبقاء الاستقرار والراحة داخل الأسرة. هذه التوجيهات لكل من الرجل والمرأة ، ضمن خطاب موحَّد وبالمستوى والدرجة نفسها، فعلى كل منهما أن يؤَمِّن السَكَن النفسي والجسدي للآخر، وعلى كل منهما أن ينشر المودَّة والرَّحمة في حياة الآخر.

وقد أكد الرسول محمدﷺ على أهمية الزواج فقال: «**النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١]، وقالﷺ: «**من تزوج أحرز نصف دينه**» وفي حديث آخر: «**فليتق الله في النصف الباقي**»[٢]. وقالﷺ: «**ما بُني بناءٌ في الإسلام أحب إلى الله عزَّ وجل من التزويج**»[٣]. فالزواج يساعد العبد ليقطع نصف المسافة إلى الطاعة، لأنَّ الحصانة التي يوفرها الزواج على المستوى الشخصي لمتطلبات الغريزة الجنسية أو الاستقرار النفسي أو البناء الأسري المستقل أو التعبير عن الذات والطموحات والتطلعات... الخ، تضع الإنسان على الطريق الصحيح ، فتبقى عليه خطوات نصف المسافة الأخرى ليتابعها بتقوى الله، أي

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ـ ج١٠٠ ص ٢٢٠.
(٢) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص٣٢٨.
(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ـ ج٢٠ ص ١٤.

بسلوك المنهجية نفسها التي أرشدته إلى الزواج من خلال الالتزام الديني.

وليس الزواج في مقابل العبادة لله تعالى، لأنَّه طريق موصلٌ إلى الطَّاعة، فقد روي أنَّ امرأة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقالت:

«أصلحك الله اني امرأة متبتِّلة.

فقال: وما التبتُّل عندك؟

قالت: لا أتزوج.

قال: ولم؟

قالت: التمس بذلك الفضل.

قال انصرفي، فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك، إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[1].

فالحقوق والواجبات التي شرَّعها الإسلام تحقق متطلِّبات الفطرة البشرية، وتبني مجتمعاً صغيراً في إطار الأسرة كحلقة في بناء المجتمع الأكبر، وتؤدِّي إلى التوازن الفردي والاجتماعي، فلا كبت ولا إباحية، وتحمي خطوات اعمار الكون من خلال التناسل المشروع الذي يُحاط بالرعاية والتربية، وهذه هي خطوات الطاعة العملية لله تعالى.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص٥٠٩.

٢ ـ الإيجابية المتبادلة

سماحة الشيخ، ماذا يقصد الإمام زين العابدين عليه السلام من قوله: «وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها»؟

تحدثنا في الإجابة السابقة عن الآية الكريمة التي توجه الخطاب للطرفين وتعتبرهما متكافئين في ذلك، وها هو الإمام زين العابدين عليه السلام يبيِّن المضمون نفسه بصياغته وأسلوبه، فعلى كل من الرجل والمرأة أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنَّ ذلك نعمة من الله عليه، فالزوجة نعمة على الزوج، والزوج نعمة على الزوجة، والنعمة تفترض مسؤوليات تجاهها حتى تبقى وتستمر ويتم الاستفادة منها، وإلاَّ فإنها تزول وتسقط وتنقلب خيبة أمل في حياة الإنسان. إذاً لا يكفي أن يفرح الإنسان بالنعمة، إنما عليه ان يؤدي حقها من الشكر وحسن الأداء، فإنَّها توفر أسباب الراحة الجسدية والنفسية لمن يحافظ عليها.

إنَّ القيام بمسؤولية النعمة وأداء حقها للمحافظة عليها يتم بالأداء الحسن والإكرام والرفق، فحسن الصحبة يضفي ظلالاً من الأخلاقية المريحة للطرف الآخر، والإكرام يؤدي إلى البذل من دون ابتغاء البدل وهو يعبر عن نفسية معطاءة تريح الحياة الزوجية، والرفق حنان وعطف يعمِّم أجواء إيجابية في رعاية ضعف

ومتطلبات الطرف الآخر، فلا قسوة ولا تسلط ولا شدة، بل تعامل بالحُسنى والرقة والشفافية، إنَّه أداء يرقى بالحياة الزوجية إلى مستوى عالٍ من الجمالية والأخلاقية ويُسعد الطرفين فيها.

أما إذا تغلَّب الطابع القانوني بالوقوف عند الحرفية الدقيقة لِحَق كل منهما، فستكون الحياة الزوجية جامدة وخالية من العاطفة، لذا نلاحظ التركيز في الآية الكريمة وفيما أوضحه الإمام زين العابدين عليه السلام على بث معاني الحب والمودة والاحترام والرحمة، لأن المطلوب هو البذل لا الاكتفاء بالأخذ، والتسامح لا الجمود عند الحدود. فالضوابط إنما شُرِّعت لتحديد مساحة حقوق وواجبات كل طرف، ما يؤسس للمسار الصحيح في العلاقة الزوجية، ثم تأتي التنازلات المتبادلة لإضفاء جو عاطفي خاص، فتكون الضوابط حاكمة عند الاختلاف كي لا تؤثر الأهواء والأمزجة فتحرف الأمور عن مسارها، وكي لا تفشل العلاقة بسبب عدم وجود تلك الضوابط.

٣ ـ لا سلطة في معصية

أود أن أتوقف عند هذه الفقرة: «وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم، فيما أحببت وكرهت ما لم تكن في معصية»؟

الملاحظ عند قراءة هذا الحق من بدايته أنه موجه لحق المرأة عند الرجل بشكل خاص لقوله: «وأما حق رعيتك بملك النكاح» أي حق زوجتك التي أصبحت كذلك بعقد النكاح وهي رعيتك بملك

النكاح، ثم يتابع «فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية» تقيك من المعاصي وتحفظك من الزلات، ثم يتحدث عن النعمة المتبادلة، ليصل إلى هذا القول بطريقة الاستطراد: «وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم» ما يُشعر أنَّ التركيز الأساس على مسؤولية الرجل في حماية ورعاية المرأة وإلفاته إلى ما توفِّره له من سَكَن وأُنس وراحة، على أن لا تغفل المرأة واجباتها في حماية الأسرة بالالتزام بالطاعة وفق ما أمرت به الشريعة المقدسة. ومن الطبيعي أن يكون حق الرجل أغلظ وأصعب، لأنه يعبِّر عن المسؤولية التي يحاسب عليها الرجل، والتي عليه إدراك أبعادها والقيام بها على أحسن وجه، وهي منسجمة مع توزيع الأدوار والطاقة المودعة فيه لإدارة الأسرة، ومن ناحية أخرى فإن الزوجة واقعة تحت سلطة يجب احترامها ومساعدتها وطاعتها في الدائرة المقرَّرة للنجاح، وهذا يستلزم منها أن تكون على قدر المسؤولية. فالحق أغلظ من جهتين: أمَّا من جهة الرجل فيتمثل بالقوامية وأمَّا من جهة المرأة فيتمثل بالطاعة، على تفصيل يأتي في الحلقة الثانية.

لكن الطرفين مقيَّدان بعدم المعصية، فالعامل الذي يتحكم بتكليف كل منهما هو أوامر الله ونواهيه، ولا دخل للرغبات المحببة أو المكروهة في رسم خطوات العلاقة الزوجية إلاَّ إذا كانت منسجمة مع التكليف الشرعي، وعليه فالمعصية مرفوضة ولا تبرير لها، وهي خاضعة للقاعدة العامة «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وليس لأي صفة خصوصية تجيز المعصية.

فلا يستطيع منعها من الحج الواجب عليها، وتستطيع مخالفته وأداء الواجب حتى مع رفضه لذلك، فلو أمرها بالإفطار في شهر رمضان المبارك، فعليها الإمتناع والرفض ولا سلطة له عليها، وهكذا بالنسبة لأي معصية، في المقابل يجب عليها أن تؤدي حقوقه عليها وإلاَّ ارتكبت معصية في عدم تأديتها. ولا تقتصر قيمة الحق على توزيع الصلاحيات، بل تتعداها إلى المسؤولية أمام الله جلَّ وعلا، ما يؤدي إلى تعزيز الوازع الداخلي للإلتزام بالحقوق والواجبات كما شرَّعها الله تعالى.

٤ ـ عناوين السعادة الزوجية

كيف تلخِّص النقاط التي ركَّز عليها الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن حق الزوجة؟

ركَّز الإمام السجَّاد عليه السلام على خمسة عناوين رئيسة، واعتبرها ضوابط الحق التي تسعد الحياة الزوجية، وتجعلها في المسار الصحيح، وهي:

أ ـ الزوجة أُنس وواقية: فهي التي تضفي على الحياة الزوجية حالة الاستقرار والسكن والراحة، وهي التي تقي الرجل من الوقوع في الحرام بسبب متطلبات شهوته، «فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية».

ب ـ كلاهما نعمة الله للآخر: فعطاء الله للطرفين بتوفيقهما

ليجتمعا في الحياة الزوجية، فلا فضل لأحد على الآخر بشكل مميز، فليحمد كل منهما ربَّه على زوجه، «وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أنَّ ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها».

ج ـ القوامية للزوج: وهي عبء ثقيل، لكنَّها مقيَّدة بالاستقامة، وبالتالي فعلى الزوجة الطاعة فيما أوجبه الله تعالى عليها للزوج، «وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم، فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية».

د ـ للزوجة الرحمة والمؤانسة: فعلى الزوج أن يضفي على علاقته مع زوجته طابع الرحمة في سلوكه ومعاملاته، وأن يؤانسها ويريحها فلا يكتفي بما تؤنسه به، فلها حقوق عليه، «فإن لها حق الرحمة والمؤانسة».

هـ ـ أهمية العلاقة الجنسية: فهي أساس في العلاقة الزوجية، وهي مطلب أصلي للرجل، ولا يُستهان بأهميتها فيما تضفيه على حياة الزوجين، فلا بدَّ من ايلاء هذه العلاقة مكانتها والاهتمام بحُسن أدائها، لأنها تؤدي إلى السكون والراحة فهذا أمر عظيم ودعامة كبرى للبناء الزوجي، «وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدَّ من قضائها وذلك عظيم».

٥ ـ نسب الزواج الناجح

من موقعكم الإجتماعي والديني، كم تقدِّر نسبة النجاح في الحياة الزوجية في مجتمعنا؟

لا أستطيع إعطاء جواب دقيق فهو بحاجة إلى إحصاءات لتكون النتيجة علمية، لكن من خلال الإطلاع الإجمالي، وما يتم تداوله بين الناس، ومن خلال العيِّنات التي نتواصل معها والتي تمثِّل شرائح مختلفة، يمكننا القول بأن النسبة الناجحة بالإجمال قد تصل إلى ٧٠٪، والمقصود بذلك تلك الزيجات المستقرة بالإجمال وإن كان للاستقرار عدة مستويات، أمَّا الزيجات النموذجية فهي أقل من ذلك بالطبع، لأنها تتطلب معرفة والتزاماً وتكافؤا، وأمَّا النسبة الباقية وهي ٣٠٪ فبعضها يصل إلى الطلاق وهو الأقل، والبعض الآخر يعاني من أزمات وتجاذبات، ومن مشاكل تزداد حيناً وتخفُّ أحياناً أخرى، وهي تأخذ أشكالاً متعددة ولأسباب متنوعة، منها: عدم التكافؤ، واختلاف البيئة الاجتماعية لكل منهما، وعدم الالتزام بحدود وصلاحيات كل واحد منهما، وسوء التربية، وعدم الالتزام بالأهداف التي تسعد الحياة الزوجية والتي تتطلب تضحيات متبادلة وصبراً على الملمات... الخ فقد ينفرد سبب من هذه الأسباب فيعكِّر الحياة الزوجية وقد يجتمع عدد منها، لكنَّ الواضح بأن التربية والتوجيه وحضور الوازع الديني أساس في دفع هذه المفاسد والأخطار.

لكنَّنا لا نستطيع قياس هذه النسب بما يجري في المجتمعات

الغربية، فالسلوك العام فيها لا يتجه إلى تعزيز الأسرة، ويساعد على ذلك: الاختلاط، والجو الإباحي، وإطلاق العنان لتحقيق رغبات الجسد، والترويج للعلاقة الثنائية خارج دائرة الأسرة، وهذا ما يجعل الزيجات الناجحة هناك محدودة بالمعنى العام.

٦ ـ التباسات النظرية والتطبيق

سماحة الشيخ، معي أربع صفحات وعليها أسئلة كثيرة، وكلها تقول هل يجوز أو لا يجوز؟ بماذا يوحي لك هذا الكم من الأسئلة؟

إنَّ الأسئلة الموجودة على المستوى الإجتماعي في العلاقة بين الزوجين كثيرة جداً، وغالباً ما لا تجد الإجابات الصريحة والصحيحة، أو يحاول كل واحد منهما أن يفسِّر الأمور على طريقته وبما ينسجم مع رغبته، ما يوجِد جواً من التباين والاختلاف الحاد في داخل الأسر، فإذا ما أضفنا ضعف الثقافة الزوجية، فإنَّنا سنصطدم بوعي ضعيف يرتب آثاراً سلبية في عدم فهم حقيقة وطبيعة ومتطلبات العلاقة الزوجية وكيفية التعاطي بين الزوجين.

أمَّا في التطبيق العملي فالمشكلة أكبر، إذ يستخدم كل من الرجل والمرأة سلطته وإمكاناته وطريقته في الأداء ليفرض مسلكه على الطرف الآخر، ويحاول توجيه الأمور إلى حيث يرغب ويريد، لا إلى حيث يجب أن تكون بحسب الأوامر الشرعية. وأرى من الطبيعي أن تكون التساؤلات كثيرة لأنها مسألة حياتية حيوية يومية يبتلى بها كل بيت، فإذا أضفنا الموروثات والعادات والتقاليد التي

تراكمت مع الزمن ولم تستند إلى الشريعة، فإننا نجد أنفسنا أمام عقبات تتطلَّب توضيحاً ومواجهة لتصحيح الخلل وإعادة البوصلة إلى الطريق السليم. ولطالما حصل الالتباس في تحميل النظرية خطأ التطبيق، أو تحميلها خطأ فهمها وتفسيرها، ومع كل المحاولات التوضيحية لأحكام الإسلام في الزواج، فإننا بحاجة إلى الكثير من المؤلفات للإجابة على الأسئلة المعاشة والمستجدة، وهذا أمر طبيعي نتحمل مسؤولية مواكبته ومعالجته.

٧ ـ التأهيل للزواج

هل أن الشاب والفتاة مؤهلان لبناء أسرة في مجتمعنا؟

إنَّ طبيعة الحياة العامة تتطلب وجود التزاوج، ونحن لا نريد تعقيد الأمور، فهل المطلوب أن نُدخل من يريدون الزواج إلى جامعة، ونخضعهم لمناهج خاصة، ونرعى سلوكهم بالمراقبة لفترة طويلة من الزمن، حتى نقرر بعدها إذا كانوا مهيئين للزواج أم لا؟! هذه النتيجة تعني تعطيل الحياة الزوجية واقتصارها على عدد قليل، ما يدخلنا في مشاكل اجتماعية لا حصر لها.

إنَّ الزواج أمر سهل، يتطلب منَّا أن نهيّىء له الشباب والفتيات، وهم يمتلكون القابلية لذلك خاصة مع وصولهم إلى سن البلوغ، فالتغيرات الجسدية والنفسية والعقلية، وكذلك النمو الإجتماعي والثقافي والتعليمي، إضافة إلى التجربة التي يعيشها كل فرد، تؤهلهم للاستعداد للزواج. إنَّ المطلوب هو التوعية على

الأحكام الشرعية وما تتضمنه من حقوق وواجبات، وعلى ما يتميز به كل من الشاب والفتاة من خصائص، وتوجيههم للاستفادة من التجارب، وحسن التطبيق العملي ومواكبة متطلبات وتطورات الحياة.

إن التعقيدات التي تواجه الشاب والفتاة لها علاقة بالموروثات الخاطئة والتربية الخاطئة والتجارب الخاطئة للوالدين وللمجتمع، ونحن نعلم أن العلاج مردُّه إلى التربية، فحبذا لو يلتفت المعنيون من العلماء والمبلغين والمربين والمعلمين والأهل إلى ضرورة تقديم التوجيهات السليمة، ومواكبة هذه التجربة في حياة النشء الجديد، فإذا افتقر الأهل إلى قدرة التوجيه إمَّا لنقص عندهم أو لعدم تقبُّل الأولاد منهم، فليوجهوا أولادهم إلى أصحاب المعرفة والخبرة، الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إثارة هذه القضايا بين الشباب، كي يتكوَّن لديهم المخزون الكافي الذي يساعدهم في حياتهم الزوجية. وأتمنى لو تهتم بعض الجهات أو الجمعيات لإقامة دورات تثقيفية توجيهية، لاطلاع المقبلين على الحياة الزوجية على طبيعة كل من المرأة والرجل، وخصائصهما البيولوجية ومتطلباتهما، وأسرار الحياة الجديدة، ومفاتيح السعادة فيها والعقبات التي تواجهها، والنظام الحقوقي الإسلامي للزوجين، ما يوفر تجاربَ وعقبات كثيرة في حياة الأسرة الناشئة. كما تقع على عاتق كل شاب وفتاة مسؤولية أن يتعرَّف ويسأل ويُكوِّن رصيداً معرفياً يساعده لبناء الحياة الأفضل.

٨ ـ مواصفات الشاب والفتاة عند الزواج

ما هي المواصفات التي يجب توفرها في كل من الشاب والفتاة عند الزواج؟

توجد قواعد إجمالية إذا تمَّت مراعاتها، تكفينا الحديث عن الكثير من التفاصيل المطلوبة في الإنسان مهما كان موقعه، لأنَّها ثمرة طبيعية لتَوفُر هذه القواعد.

أمَّا في الشاب، فقد كتب علي بن أسباط إلى الإمام الباقر عليه السلام في أمر بناته، وأنه لا يجد أحداً مثله، وهو لا يرغب في تزويجهن لاعتقاده عدم كفاءة أحد لهن. فكتب الإمام الباقر عليه السلام: «**فهمت ما ذكرت من أمر بناتك، وأنك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا جاءكم من ترضون خُلُقَه ودينه فزوجوه، إلاَّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[١].

إنَّ توفر صفتي الخُلُق والدين يساعدان على حسن الأداء الزوجي، ولا يكفي العنوان الإجمالي للالتزام الديني، بل التطبيق الذي يعكس سلوكاً وأخلاقاً مؤثرين في إدارة الحياة الزوجية، وهو ما عبَّر عنه الإمام الحسن عليه السلام بالتقوى وآثاره في الحياة الزوجية. فقد جاء رجل إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته، فقال: «**زوِّجها من رجل تقي، فإنه إن أحبَّها أكرمها، وإن**

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص ٣٤٧.

أبغضها لم يظلمها»[١]. فمع توفر القدرة على الإنفاق بالحدود المعقولة وبما ينسجم مع الوضع الإجتماعي السائد والمرتبط بحالها وحالته، فإن هذا الشاب هو الخيار الجيد للزواج، وذلك لدينه وقدرته على الانفاق، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**الكفوء أن يكون عفيفاً وعنده يسار»**[٢]، وليس سليماً أن نضيف أموراً تُعقِّد ولا تسهِّل، وتَحرِف متطلبات الحياة الزوجية عن مسارها وعن إمكانية الزوج.

وأمّا في الفتاة، فعليكم بذات الدين، وكما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**لا يُختار حُسن وجه المرأة على حُسن دينها»**[٣]. إذ مهما كانت المواصفات الذاتية، فمسارها التربوي والأخلاقي هو الأساس، لأنها ستعيش مع الرجل تحت سقف واحد، وستشاركه بل ستؤثِّر أكثر منه في تربية الأولاد، لذا لا يمكن أن نغفل أهمية تربيتها في بيئتها، فقد حذَّرنا رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «**إياكم وخضراء الدّمن. قيل يا رسول الله وما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء»**[٤]. لأن أخلاقيتها وشخصيتها بحسب مسارها وطبيعة تربيتها في البيئة السيئة، ستنعكس سلوكاً سيئاً في بيت الزوجية ما يؤثِّر على استقرارها.

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ـ ص٢٠٤.
(٢) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص٣٤٧.
(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ـ ج١٦ ص٣٠١.
(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ـ ج١٠٠ ص٢٣٢.

ففي رواية جامعة عن رسول الله ﷺ يبيّن لنا فيها نتيجة حسن الإيمان والأخلاق والتربية يقول: «**إنَّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان على غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها**»[١]. أمَّا المقابل لهذه الصفات فمذموم.

٩ ـ النفس الواحدة

تبدأ المشكلة في علاقة الرجل بالمرأة منذ الولادة، لأن النظرة إليهما مختلفة، وتجعل البنت ملجقاً بالصبي، فما حقيقة نظرة الإسلام إلى هذه المسألة؟

خلق الله الإنسان ليكون خليفة على الأرض لاعمارها، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، فخلق الذكر والأنثى ليقوما بهذا الدور، في إطار الصلاحيات والمسؤوليات المتشابهة والمشتركة بشكل عام في حالة الانفراد، وتوزيع لبعض الصلاحيات بينهما عندما يجتمعا في حالة الزوجية، ومن يتابع الآيات القرآنية ابتداءً من خلق الإنسان وانتهاءً بحسابه في يوم القيامة، يلمس بوضوح وجود القواسم المشتركة بين الرجل والمرأة عند الحديث عنهما أو أمرهما أو نهيهما، لذا فإنَّ الخطاب الغالب مشتركٌ بينهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ـ ص ٣٢٤.
(٢) سورة البقرة الآية ٣٠.

ءَامَنُواْ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، ما يؤكّد التساوي في النظرة إلى كل من الرجل والمرأة في دائرة انسانيتهما، والذي يبرز في العناوين الأربعة التالية:

١ ـ التساوي في الخلق: فالخلق واحد من النفس الواحدة، والطينة التي خُلق منها كل من الذكر والأنثى واحدة، فلا نقص في أي منهما، ولا دونية لأحد في مقابل الآخر، ولا مكانة استثنائية مسبقة لجنس على آخر، فهما على حد سواء في أصل الخلق والتكوين إلى درجة لا يمكن تفكيكها لأنهما من نفس واحدة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾[٢].

قد فسَّر الفيض الكاشاني النفس الواحدة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي نفس آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا﴾ من فضل طينتها، ﴿زَوۡجَهَا﴾ حواء»[٣]، ونقل روايات بهذا المعنى قال رسول

---

(١) سورة النساء الآية ١.
(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٩.
(٣) التفسير الصافي للفيض الكاشاني ـ ج٢ ص ٢٥٩.

الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه، وكلتا يديه يمين، فخلق منها آدم، وفضل فضلة من الطين فخلق منها حواء**»[١].

وقال صاحب تفسير الميزان: «والمعنى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ يا معشر بني آدم، ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو أبوكم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ أي من نوعها، ﴿زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ﴾ الرجل الذي هو النفس الواحدة، ﴿إِلَيْهَا﴾ أي إلى الزوج التي هي امرأته»[٢].

٢ ـ التساوي في التكليف: فالأوامر والنواهي مشتركة بشكل عام، فقد أوجب الله عليهما الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ، وأمرهما بحسن الخلق، والإحسان، والصدق، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد... الخ. ونهاهما عن القمار، والغش، والغيبة، والنميمة، والزنا، وشرب الخمر، والسرقة... الخ.

فعبادات الإسلام للذكر والأنثى، ونظام المعاملات في العقود وغيرها لهما أيضاً.

أمَّا ما ورد من اختلاف في بعض التكاليف، فبسبب القدرة التكوينية في الفروقات الطبيعية بين الرجل والمرأة، فقد أوجب الجهاد العسكري على الرجل ولم يوجبه على المرأة، وأسقط عنها

---

(١) التفسير الصافي للفيض الكاشاني ـ ج١ ص ٤١٤.
(٢) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ـ ج٥ ص ١٠٧.

تكليف الصلاة أثناء الحيض فلا قضاء عليها، وأعطى الرجل في الميراث ضعفي الأنثى بسبب تكليفه بالانفاق بناء لقدرته على ذلك ولم يكلفها بذلك... وقد أوضحت الآية القرآنية الضابطة العامة للتكليف: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، فما استُثني يرتبط بالقدرة، وإلاَّ فالبناء العقائدي والتربية السلوكية والتزام المنهج الإسلامي واحد بالنسبة لهما.

وقد خاطبت بعض الآيات الرجل والمرأة بالحديث عنهما جنباً إلى جنب، في مواصفاتهما الإيمانية، كتعبير عن انطباق عنوان الالتزام بالتكليف بهما على حد سواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

٣ ـ التساوي في الحقوق: لا يوجد في الإسلام ما يُميِّز في الحقوق العامة بين الذكر والأنثى، وفيها: حق التعلم، والتملك، والحياة، والرعاية الأسرية، وحسن التربية، وإبداء الرأي، والإرث، والعمل السياسي، والعمل الاجتماعي...

وقد استنكر القرآن ما كان يفعله الناس في الجاهلية من التعبير

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٥.

عن الانزعاج، والابتعاد عن طريق الناس عندما تولد الأنثى، بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[(١)]. فهذا حكم سيىء وخاطئ، في الوقت الذي يجب التعاطي معها كمولود جديد بالبشرى والاستبشار. إنَّ الإسلام قد رفض هذا التمييز رفضاً قاطعاً، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله يحب ان تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل**»، وعن الإمام الرضا عليه السلام عند سؤاله عن التمييز بين البنات والبنين، قال: «**البنات والبنون في ذلك سواء، إنما هو بقدر ما ينزلهم الله عزَّ وجل منه**»[(٢)].

فالتأكيد على تساوي الحقوق يبدأ من الولادة بالاستبشار، ثم بحسن التسمية والتربية والانفاق، ليشمل بعد ذلك كل الحقوق الأخرى في الحياة الإنسانية.

وقد عبَّر الإمام الخميني(قده) عن هذا التساوي بقوله: «**إن حقوق المرأة في النظام الإسلامي هي كحقوق الرجل، فلها حق الدراسة، وحق العمل، وحق التملك، وحق التصويت، وحق كسب الأصوات. وللمرأة حق في جميع المجالات التي للرجل حق فيها، لكن أيضاً ثمة موارد محرَّمة على الرجل لأنها تسبب**

(١) سورة النحل الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) راجع كتاب «حقوق الوالدين والولد» للمؤلف ـ ص٧٨.

ظهور الفساد، كذلك فإنَّ بعض الموارد محرَّمة على المرأة لأنها تسبب الفساد»[١].

٤ ـ التساوي في التقييم: يحمل العمل الصالح قيمة ذاتية بصرف النظر عن جنس العامل، وتتجلى العدالة الإلهية بالمكافأة على العمل الصادر عن الذكر أو الأنثى بما يستحقه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[٢].

وقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٣].

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

فالمنافسة قائمة بين البشر على أساس العمل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥].

نستنتج ممَّا تقدم، أنَّ المساواة الإسلامية تنطلق من التساوي في النظرة الإنسانية للذكر والأنثى، ثم تكرِّس عدالة التشريع،

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية ـ مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني(قده) ـ ص٣٣١.
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩٥.
(٣) سورة إبراهيم الآية ٥١.
(٤) سورة النحل الآية ٩٧.
(٥) سورة الحجرات الآية ١٣.

التكافؤ بين القدرة والتكليف، وعلى أساسهما تكون المسؤولية ويتمُّ التقييم الأخروي.

١٠ ـ الفروقات بين الرجل والمرأة

هل تستدعي الفروقات بين الرجل والمرأة تمايزاً في الحقوق والواجبات في الحياة الزوجية؟

توجد فروقات طبيعية في خلق كل من الرجل والمرأة، وهي قليلة، ولكن لها انعكاسات على حياة وأداء كل منهما:

فالرجل له جسد أقوى ويتحمل الأعمال التي تحتاج إلى جهد عضلي، وهو أكثر عقلانية في مواجهة الأمور بحيث يميل إلى الشدة والحسم والضبط مع قلة تأثر عاطفي، وهو قادر على حماية الأسرة والدفاع عنها.

أما المرأة فجسدها أضعف ، وتمر بحالات جسدية شهرية تؤثر عليها، وكذا عند الولادة وما يصاحبها من مقدِّمات الحمل، وهي أكثر عاطفة وأحاسيسها مرهفة، بحيث تتأثر عند مواجهة الأمور فتكون أحياناً أكثر تسامحاً ولطفاً، وأحياناً أخرى أكثر انفعالاً وتوترا، وهي تشعر بالحاجة إلى من يحميها، لكنَّها الأقدر على التربية وبث المودة والحنان والعاطفة في دائرة الأسرة وفي غيرها، وهي الأنجح في تعليم وتربية الأطفال، والأنجح فيما يتطلَّب سكوناً وهدوءاً ولطافة.

عند الرجل غريزة جنسية أكثر تطلباً ، وهي رغبة جسدية مباشرة، وهو الذي ينشَدُّ عادة إلى الجنس الآخر ويرغب بالاستحواذ عليه.

أما المرأة فأقل تطلباً ابتداءً، وهي تتميز بجاذبية للطرف الآخر، وترغب بإبرازها والاحساس بها تجاهه، وتطلب التعبير العاطفي أكثر من العلاقة الجسدية المباشرة.

ومما ذكره العلاَّمة مرتضى مطهري في هذا المجال:

«فالرجل أسير شهوته، والمرأة أسيرة حب الرجل.

المرأة أقدر في السيطرة على الشهوة من الرجل.

شهوة الرجل بَدوية وهجومية، وشهوة المرأة انفعالية وتدريجية.

الرجل أكثر عدواناً وصخباً، والمرأة أهدأ.

تميل المرأة بشدة إلى الجمال والزينة والأزياء المختلفة على عكس الرجل.

المرأة أكثر حيطة من الرجل، وأكثر تديناً، وألْسَنْ، وأكثر خوفاً، وأكثر تقيداً بالعرف.

عواطف المرأة أمومية، ويظهر هذا الاحساس منذ مرحلة الطفولة، وللمرأة علاقة أكبر بالأسرة، وهي تلتفت بشكل لا شعوري لأهمية محيط الأسرة قبل الرجل.

لا تصل المرأة حدَّ الرجل في العلوم البرهانية والمسائل العقلية الجّافة، إلاَّ أنَّها لا تقل عنه في مجال الأدب والفن وسائر المسائل المرتبطة بالذوق والعاطفة»[١].

هذه أبرز الفروقات وهي مؤثرة على الدور والقدرة، وإن كانت المشتركات كثيرة جداً، من وجود العقل والمشاعر والحاجة إلى الطعام والشراب، وما في التكوين الجسدي من دورة دموية وخلايا وغيرها، والارتباط بين الروح والجسد، والتكوين الفطري في الذكاء والنمو التدريجي للقدرات الكامنة، ومسؤولية الاختيار والرغبة بالحياة الأفضل، . . .الخ، علماً بأنَّ هذه المشتركات تتفاوت بين الأفراد رجالاً كانوا أم نساءً، بصفتهم أفراداً مخلوقين لا لخصوصية جنسهم، ولذا نجد القوي والضعيف، الذكي والعادي، الصحيح والسقيم، الطويل والقصير. . . الخ، وما بين هذه الصفات من تفاوت.

لقد بيَّن رب العالمين سبب التفاوت بين الأفراد في الخلق ومقوماته، الذي يشمل التفاوت في المشتركات، والتفاوت بين الرجل والمرأة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[٢]، وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ

(١) مقتطفات مما ذكره العلاَّمة الشهيد مرتضى المطهري عن الفروقات بين الرجل والمرأة في كتابه «نظام حقوق المرأة في الإسلام» ـ ص ١٩٠ و ١٩١.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1] . فمهمة البشر هي خلافة الأرض ، التي تتم بالعمل وإعمار الأرض، باستمرار الجنس البشري من خلال التناسل، ولا تستقيم الحياة مع التشابه التام في مقومات أفراد البشر، لذا رفع الله البعضَ فوق البعض الآخر درجات، أي ميَّز في خلقهم وأوجد الفروقات الفردية والتفاوت بينهم، ليكونوا بحاجة إلى بعضهم البعض، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾، وهكذا يتحقق التكامل بينهم. ولا سلبية لهذا التمايز، لأنَّه سبب للاختبار والابتلاء الدنيوي الذي ينتج عنه حسابٌ عادل يرتبط بمقدار ما أودع الله في البشر، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ﴾، فيتحمل الإنسان مسؤولية قيامه بواجباته ضمن قدرته، ثم يترتب عليه عقاب مع الانحراف، وغفران وثواب مع الاستقامة. فعِلَّة التمايز ترتكز على قاعدتين: تكامل الطاقات لاعمار الأرض، والابتلاء بحسب القدرة ليوم الحساب.

إنَّ موقف الشريعة المقدسة من حقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة مبني على أساس طبيعة خلقهما، وبما أن الفروقات موجودة فلا بدَّ أن تتمايز بعض الحقوق والواجبات بما ينسجم مع تكوينهما، وبما يؤدي إلى صلاح الحياة الزوجية المشتركة بينهما. كما تتأثر سلامة مسار الأسرة بتوزيع الأدوار التي يجب أن تتناغم

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٢.

مع القدرات المتوفرة، ويأتي في الطليعة تحديد مسؤولية الإدارة، وهذا هو ديدن كل المجتمعات بل كل المواقع العملية، وقد أعطاها الإسلام للرجل، كقاعدة عامة منسجمة مع طبيعة الخلق، فإذا فشل بعض الرجال في القيام بمسؤولياتهم، فالأمر يعود لتقصيرهم، ولكل قاعدة تطبيقات خاطئة لا تضرّ بها، ولا يصح إخضاع التنظيم الأسري للاستنساب أو التجارب أو الحالات الخاصة والاستثنائية في المجتمع.

علماً بأن تمايز بعض الحقوق والواجبات في إطار الحياة الزوجية، لا يعفي أيّاً من الزوجين من الالتزام بالقواعد الإسلامية التي تشمل جميع المكلفين ومنهم الزوجان، فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والأخلاقيات، لتكون الأسرة مجالاً من مجالات تطبيق السلوك الإسلامي العام لكل من الرجل والمرأة.

الحلقة الثانية

توزيع الأدوار

١ ـ حدود القوامية

إذاً ما هو حدود التمايز في الحياة الزوجية؟ وبعبارة أخرى كيف نفهم حدود القوامية للرجل داخل الأسرة؟

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ...﴾[1]. القيِّم هو الذي يقوم بأمر غيره فيتولى الأمر والقيادة، والقوَّام مبالغٌ فيه فهو تشديد على المسؤولية. أما العلَّة لقوامية الرجال على النساء في إطار الأسرة فتتمثل في أمرين:

الأول: ما فضَّل الله به بعضهم على بعض، أي ما فضَّل الله به الرجال على النساء، ومعنى فضَّل هو ما زاد بحسب الخِلقة ومواصفاتها بما يمكِّن من القيام بدور القيمومة. وقد بيَّنا الفروقات الواقعية التي تؤهل الرجل للقيام بمسؤولية رعاية وإدارة وحماية

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

الأسرة، أما ما تميَّزت به المرأة بحسب الخلقة فيمكِّنها من القيام بدور آخر في الحياة الزوجية. هذا التفضيل التكويني لا يرتبط بالتفضيل الإلهي في يوم الحساب، فالتفضيل التكويني في جانب محدد ينعكس تكليفاً ومسؤولية ودوراً، أما التفضيل الإلهي فهو انعكاس لحسن أداء التكليف والقيام بالواجب بصرف النظر عن الجنس، ما يبيِّن بأن التفضيل التكويني ليس تشريفاً ومكانة، بينما التفضيل الإلهي هو التشريف والمكافأة، حيث يتنافس الجميع من داخل دائرة الزوجية ومن خارجها ، ليكون الأداء الزوجي واحداً من الامتحانات والاختبارات، التي ترفع الأفضل منهما بحسب موقعه ودوره ليكون الأتقى، وفي التقوى درجات تتبع مستوى الالتزام بالعمل الصالح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1].

الثاني: ما أنفقوا من أموالهم، فالرجل مسؤول عن الإنفاق مهما كانت قدرة المرأة المالية، ومسؤول عن السعي ليتمكَّن من القيام بهذه المسؤولية، فلا بدَّ أن يحصل على سلطة توازي الإنفاق، وهي الإدارة التي تُمكِّنه من الإشراف على ما ينفق. فلو افترضنا أن المرأة تصدَّت للإنفاق، فإنها تكون بذلك متطوعة لأنه خارج عن مسؤوليتها، ولا بدلية لها في الإدارة. وفي الوقت نفسه لا يمكن للرجل أن يتهرَّب من مسؤوليته في الإنفاق، فلو امتنع عن ذلك يفقد

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

حقه في الإدارة، ويمكن للمرأة أن تطلب طلاقها من الحاكم الشرعي، الذي يُلزم الزوج بالإنفاق أو الطلاق أو يطلقها نيابة عنه.

إن القوَّامية هنا قوامية إدارة الأسرة، ضمن صلاحيات محدَّدة غير مطلقة، وفي دائرة نظام دقيق ومتناسب للحقوق والواجبات، فله إدارة شؤون الأسرة وحسم توجهاتها والقرار فيها فيما يقع في دائرة الأمور المشتركة بين الزوج والزوجة، فالإنفاق يشمل الطعام والطبابة والخدمات المنزلية العامة والسكن وأثاث المنزل واللباس وتأمين مدارس الأولاد وحاجياتهم... الخ، وتكون ضابطته المستوى اللائق بحالها والمنسجم مع إمكاناته، فلو اختلفا على تفاصيل جزئية لا تمس الالتزام العام، وإنما تدخل في دائرة الخيارات المتعددة والاستنساب، فالقوامية تقتضي أن يكون القرار النهائي له. والأمر نفسه يتكرر مع تربية الأولاد وطريقة توجيههم ومتابعة شؤونهم والعمل لصلاحهم، فلا إشكال مع الاتفاق، ويرجح رأيه مع الاختلاف. أمَّا القواعد العامة للإدارة فلها علاقة بالتوجيهات التي ترتبط بالأسرة في محيطها وفي نمط حياتها وعلاقاتها الإجمالية، وهو الذي يرسمها. إنَّ التفاصيل التي ذكرناها توضح معنى قوامية إدارة الأسرة حيث يكون القرار النهائي للرجل، وهو محكوم لإطار الحلال والحرام، والإنصاف في القيام بدوره، ورعاية حقوق الزوجة والأولاد بعدم تجاوزها، والمعاشرة بمعروف وإحسان.

وعندما تُبنى الأسرة على القوامية وتوزيع الأدوار، فإنها تصل

إلى المستوى الأرقى والأفضل، إلى المودة والرحمة من دون أن نغفل مقدمات الوصول إليها، بحيث تتم مناقشة الأمور، ومحاولة الوصول إلى قناعة مشتركة بين الزوج والزوجة في كل قضايا البيت والأولاد وخاصة في طريقة تربيتهم ومتابعتهم، فلا تطغى الأوامر الصادرة من الأعلى من دون تمهيد وتشاور ورعاية لمشاعر الطرف الآخر، وذلك لتأسيس البناء المتناغم والمتماسك، وهذا لا يُنقص شيئاً من حق الحسم للرجل عند الاختلاف. هذا السلوك مطلوب في كل إدارة لمجموعة أو مؤسسة، فكيف إذا كانت الأسرة وما لها من خصوصية، وهو تعبير عن الاستفادة من أخلاقية التعامل الإسلامي لإضفاء الطابع الروحي على العلاقة الزوجية، وعدم اقتصارها على الحدود الدقيقة لحق كل طرف. وقد أكَّدنا على أهمية ملاحظة رغبة الآخر وذلك بالتنازل لمصلحته، طالما أن الأمر لا يمس المبادئ والأسس ، ويدخل في دائرة الاستنساب، لأن التنازلات المتبادلة لها الأثر الكبير في إعطاء الأسرة مضموناً مستقراً ومرتاحاً.

إذاً للرجل إدارة شؤون الأسرة وحسم توجهاتها والقرار فيها، وحق الاستمتاع، وحق الطاعة بما هو واجب على الزوجة تجاهه، وما عدا ذلك ليس له، وعليه واجب أن ينفق ويتحمل مسؤولية متطلبات الأسرة كاملة بما فيها خدمة المنزل والأولاد، وأن يحسن الإدارة فلا يأمر بمعصية، وأن يكون منصفاً فلا يستخدم سلطته أو قوته الجسدية للتسلُّط والتحكُّم، وأن لا يتدخل فيما تملك زوجته، وما تقوم به من

واجبات شرعية، وما يعتبر من خصوصياتها. هذه المواصفات تبني أسرة متوازنة، لكل من الرجل والمرأة حقوقه فيها، أما إذا أُلغيت هذه الضوابط فإنَّ نظام الأسرة يختل، ولا يمكن الاعتماد على التوافق في كل أمر كشرط للقرار، أو على التنافس والمغالبة، أو التوزيع الاستنسابي للأدوار بحسب كل أسرة، فهذه نماذج تختلف عن النموذج الإسلامي، وهي التي ساهمت في تفكيك الأسرة في الغرب.

يمكننا القول بأنَّ التشريع الإسلامي يتجه إلى العدالة في التوزيع للحقوق والواجبات لكل من الرجل والمرأة بما ينسجم مع مقوِّمات الخلق، وهي مساواة حقيقية وفعلية لأنها تؤدي إلى التكافؤ بين القدرة والتكليف، لكنَّها مختلفة عن المساواة المدَّعاة في الغرب ومخالفة لها. فالمساواة الغربية شعار غير واقعي إذ لا يمكن تحميل المرأة ما يحمله الرجل، فلا يمكن أن تعمل ويعمل، تنفق وينفق، تدير ويدير، تأمر الأولاد ويأمرهم، تقرر في المنزل ويقرر، فالنتيجة أسرة مفكَّكة أو أفكار غير مطبقة. أما المساواة الإسلامية فهي عادلة ومنسجمة مع الواقع، والنتيجة أسرة مطمئنة وتعاليم مطبقة. بل نلاحظ فيما أوجبه الإسلام على المرأة، بأنَّه يوفر لها سبل الراحة الكاملة تعزيزاً وتكريماً لمكانتها، ومراعاة لرقَّتها ودورها ، لتشكل حقوقها مصدر قوة لها وحصانة تحميها.

ثم يساهم عامل الإيمان، والأوامر الإسلامية العامة المرتبطة به، في التوجيه الأخلاقي والانضباط في الحقوق والواجبات

والتفاعل مع رقابة الله تعالى، ليضفي تنافساً نحو الخير وحسن الأداء والتنازلات والتقديمات المتبادلة، فتتظلّل الحياة الزوجية بتعاليم الإسلام لتنتج المودَّة والرَّحمة. أمَّا ما نراه من إساءة للتطبيق فهو مرتبط بسوء تحمُّل المسؤولية وتجاوز الصلاحيات، وهذا ينطبق على الرجل في موقعه وعلى المرأة في موقعها. فإذا برز استخدام الرجل لقوته الجسدية وللإعتبارات الاجتماعية ليظلم امرأته، فهذا خروج عن دائرة التكليف وارتكاب لحرام شرعي، ولا علاقة للصلاحيات المعطاة له إسلامياً ولو ادعى تطبيقها فقد تجاوزها وانحرف عنها، ومن كان ظالماً في أسرته فظلمه لا يحتاج إلى أي غطاء، وهذا ما ينطبق على أي رجل لا يلتزم الحدود. لذا نرى أن العنف وقهر المرأة موجود في كل العالم بما فيه الغرب، لأنه يعتمد على بنية الجسد ولا يعتمد على التعاليم، ونحن نعتبر أن المسؤولية التي يتربى عليها المسلم، تجعله أمام حاكم يرى ويسمع ويثيب ويعاقب، ما يلجم اندفاعه نحو التسلط والظلم والاعتداء واستغلال بنيته الجسدية.

وإذا استخدمت المرأة جاذبيتها وجمالها لتجعلها محل المنافسة في المجتمع، وانصرفت عن زوجها وأسرتها، واعتبرت نفسها خارج دائرة المساءلة، أو إذا تعاملت مع الرجل بطريقة ندية تنافسية، فإن الحياة الزوجية ستتجه حكماً نحو الفوضى والتفكُّك، ما يعني ضرورة توجيه طاقة المرأة في الاتجاه الصحيح الذي يراعي الرقابة الإلهية على الأفعال والسلوك العام.

إنَّ النظرة الإسلامية للمرأة داخل الأسرة غير منفصلة عن توجيه إمكاناتها في الإطار السليم، فجسد المرأة لا يمكن أن يكون مشاعاً ، وجمالها وجاذبيتها لا يصح أن تكون مباحة، فهذه المواصفات يستفاد منها في إطار الزوجية فقط، أما مواصفاتها الأخرى فهي مسخَّرة بالأولوية لإضفاء حنانها ورقتها على الحياة الزوجية لإسعادها، ولتربية الأولاد[1] من الناحية السلوكية كمسؤولية مشتركة مع الرجل، وهذا لا يتعارض أبداً مع موقعها ودورها الاجتماعي كجزء من الفعاليات التي تتكامل لبناء عناصر القوة في الأمة، وهي أيضاً تشترك في هذا الأمر مع الرجل، وإن اختلف ما يقدمه كل منهما بحسب إمكاناته، كما يختلف ما يقدِّمه كل فرد عن الآخر في المجتمع بحسب إمكاناته.

٢ ـ واجب الزوجة تجاه زوجها

ما هي حدود وواجب المرأة تجاه زوجها؟

يمكننا تبسيط الإجابة بحصر واجب المرأة تجاه زوجها أو حق الطاعة له في أمرين:

١ ـ أن تؤدي له حق الاستمتاع، فتجيبه إلى رغبته الجنسية مع عدم وجود المانع القهري كالمرض، أو الشرعي كالحيض.

٢ ـ أن لا تخرج من بيته إلاَّ بإذنه.

أما الأمر الأول وهو حق الاستمتاع فواضح، إذ عليها أن

---

(١) راجع كتابنا «حقوق الوالدين والولد» وفيه شرح تفصيلي عن واجبات الوالدين ودور كل من الزوج والزوجة كأب وأم تجاه أولادهما.

تزيل المنفِّرات وتتطيَّب وتتجمَّل وأن تستجيب له عند رغبته بذلك، وهذا يؤدي إلى «**قضاء اللذة التي لا بدَّ من قضائها وذلك عظيم**» كما قال إمامنا السجادعليه السلام، نظراً لأهمية هذا الحق في إضفاء السكينة على الحياة الزوجية، وهو مطلب فطري غريزي يؤثر تأثيراً كبيراً في تمتين العلاقة بين الزوجين، ومن الخطأ النظر إليه باستهتار خاصة بالنسبة للمرأة التي قد لا تشعر بأهميته الجسدية كالرجل، لكنَّ انعكاسه النفسي على حياتهما كبير جداً، وهو مطلب الرجل ابتداءً أكثر منه عند المرأة، وهو مطلب جسدي بامتياز عند الرجل تصاحبه العاطفة، لكنه مطلب عاطفي بامتياز عند المرأة يعبر عنه الجسد. ولطالما لاحظت انتقادات من نساء على أزواجهن يصفنهم بالأنانية لتركيزهم على المطلب الجسدي بينما لا ينطبق الأمر عليهن، وهذه نظرة خاطئة لاختلاف الطبيعة التكوينية لكل منهما، فالمرأة محل الجذِب والرجل هو المنجذب إليها، وتختلف متطلبات الجسد لكل منهما، وما يطلبه الرجل منسجم مع طبيعته، وقد أعطاه الله هذا الحق، وجعل واجبها أن تستجيب له ما لم يكن لديها مانع شرعي أو قهري.

أما الأمر الثاني فهو أن لا تخرج من بيته إلاَّ بإذنه وهو رأي المشهور من الفقهاء، فالإمام الخميني (قده) يقول: «**ومن حقه عليها... أن لا تخرج من بيتها إلاَّ بإذنه**»[1]، بل يعتبر شرطها في

---

(١) تحرير الوسيلة ـ ج٢ ـ ص ٣٠٣.

عقد الزواج بأن تخرج من غير إذنه باطل، حيث يقول: «**إذا شرط في عقد النكاح ما يخالف المشروع مثل أن لا يمنعها من الخروج من المنزل متى شاءت وإلى أين شاءت... بطل الشرط وصح العقد**»[١]. ويقول الإمام الخامنئي حفظه الله: «**وخروجها من المنزل من دون إذن زوجها حرام أيضاً في نفسه وموجب للنشوز وحرمانها من استحقاق النفقة**»[٢]. إنَّ هذا الحق ينسجم مع حقه في الاستمتاع، فله أن يمنعها من الخروج إذا تعارض مع حق الاستمتاع على رأي بعض الفقهاء، ولكن له أن يمنعها من الخروج مطلقاً كما عن المشهور.

وهنا تثار المسألة من جهة إمكانية تسلُّط الرجل على المرأة عندما يمنعها من الخروج بغير وجه حق مستخدماً لصلاحياته الشرعية، فلو تم حصر المسألة بحق الاستمتاع لكان التحكُّم أضيق؟ لكنَّنا لو دققنا النظر في التساؤل لوجدناه متجهاً إلى الحديث عن التسلُّط، فلو كان الرجل متسلطاً، ولا يراعي رقابة الله تعالى، ولا يأخذ بعين الاعتبار متطلبات المرأة الإنسانية، فإنه سيستغل حق الاستمتاع ليستخدمه في محله وفي غير محله، فيكون بذلك قد وسَّع دائرة منع زوجته من الخروج من المنزل في كل لحظة بحجة حق الاستمتاع، بل لو لم يكن له هذا الحق، لتجاوز من دون حاجة إلى تغطية شرعية بحكم تسلطه الجسدي واستخدامه للقوة

(١) تحرير الوسيلة ـ ج٢ ـ ص ٣٠٢ مسألة ١.
(٢) أجوبة الاستفتاءات ـ ج٢ ـ ص ٣٣.

والقهر بعدم إعطاء المرأة أي فرصة للخروج أو منعها من حقوقها الأخرى. فالحق ضابطة عامَّة تستلزم إيماناً وأخلاقاً وتربية لاستخدامها في المحل الصحيح.

كما لا يمكن إطلاق العنان للمرأة لتخرج ساعة تشاء من دون رعاية إدارة الرجل للأسرة، وإلاَّ أصبحنا أمام بيت بلا رعاية ولا حدود. إنَّ هذا الحق كغيره من الحقوق ، يمكن الإساءة في استخدامه كما يمكن الإحسان في استخدامه ، فالأمر يعود للإيمان وحسن الرقابة لله تعالى ، لكنَّه يشكل ضبطاً لإدارة الأسرة، وهو جزء من صلاحيات الرجل في إطار توزيع المهمات.

٣ ـ الخدمة المنزلية ليست واجبة

ما هو واجبها في الخدمة المنزلية لبيت الزوجية؟

أمَّا خدمة المنزل فليست جزءاً من الواجبات ، إذ ليس من واجبها أن تخدم أو تكنس أو تطبخ أو أن تخدم الأولاد وترضعهم، فهذه الأمور من مسؤولية الرجل. إنه مسؤول عن الإنفاق الذي يتضمن تهيئة الطعام والشراب والسكن واللباس وغسل الثياب والخدمة المنزلية وغيرها لها وللأولاد وله أيضاً ، سواء أدى ذلك إلى استئجار من يقوم بهذه المهمة، أو إلى تأمين أي سبيل يوفرها، لكنَّها ليست مسؤولة وليس واجباً عليها أن تقوم بها. يقول الإمام الخميني(قده) عند الحديث عن النشوز: «**ولا يتحقق النشوز بترك طاعته فيما ليست بواجبة عليها، فلو امتنعت من خدمات البيت**

وحوائجه التي لا تتعلق بالاستمتاع من الكنس أو الخياطة أو الطبخ أو غير ذلك حتى سقي الماء وتمهيد الفراش لم يتحقق النشوز»[١].

وللرجل أن يشترط في عقد الزواج مسؤولية المرأة في الخدمة المنزلية، فعندها تصبح ملزمة بهذا الشرط إذا وافقت على ذلك، لأنه جزء من الشروط الشرعية الجائزة في عقد الزواج. وفي بعض الحالات يسود في المجتمع عرف مسيطر ومتبنى بأن تتحمَّل المرأة مسؤولية الخدمة المنزلية، فعندما يقرِّر الطرفان إجراء عقد الزواج ويكونا مقتنعين وملتزمين ـ ولو لم يصرحا بذلك ـ بمسؤولية المرأة في الخدمة المنزلية، فهذا شرط ضمني لازم، وإن كان الأفضل التصريح أو التوافق قبل ذلك على هذا الفهم وهذا التفسير، وإلاَّ فمع الالتباس والاختلاف في التفسير فعقد الزواج لا يلزم الزوجة بالخدمة المنزلية.

ورُبَّ سائل: كيف يمكن للرجل تحمُّل هذه الأعباء؟

إنَّ رسم خارطة الصلاحيات لكل من الرجل والمرأة يوضِّح نظرة الإسلام إلى شكل البناء الأسري وضوابط حمايته، فللرجل حق الطاعة بما هو واجب عليها، وللمرأة حق النفقة ولا تتحمل مسؤولية خدمة المنزل والأولاد، وهذا ما يوجد تكافؤاً بين الطرفين في امتلاك القدرة للقيام بالمهام الملقاة على عاتقهما، بتوازن يحقِّق مصلحة الأسرة، وعلى الرجل أن لا يستحضر صورة الأسرة بهذه الأعباء بمعزل عن

---

(١) تحرير الوسيلة ـ ج٢ـ ص ٣٠٥.

الصلاحيات المعطاة له، فالمسؤوليات الملقاة على عاتقه منسجمة مع صلاحياته.

لقد كرَّم الإسلام المرأة، ولم يحمِّلها أعباءً تتعبها، مراعياً بذلك قدرتها الجسدية، ودورها في الحياة الزوجية، فلم يترك الأمر استنسابياً بين الزوجين، كي لا يتحول ضعف بنيتها الجسدية بالمقارنة مع الرجل إلى سبب لتسلُّطه عليها وهضم حقوقها، وترك لها الحرية في المبادرة إلى المساعدة والخدمة بحدود رغبتها وطاقتها، ما يجعلها تُقدِم على عمل طوعي غير واجب، فتكون بذلك باذلة بإرادتها للرجل وللأولاد، وهذا ما يدفع الرجل إلى عدم التوقف عند صلاحياته بدقَّة متناهية، فيتنازل ويعطي ويتساهل في حقوقه في إطار أداء طوعي أيضاً، بما يحقق بعض رغبات زوجته مما يخالف رغبته، من دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في المسار العام للحياة الزوجية. وهكذا تنشأ علاقة تبادلية بين الزوجين يغلب عليها العطاء والبذل بدل الجمود في دائرة الحدود والقانون، فيستجلب عطف الرجل ورحمته حنان المرأة وتضحيتها وبالعكس، ما يولّد خطوات المودَّة والرَّحمة بينهما.

والفرق كبير بين أن تكون مسؤولة عن خدمته وخدمة أسرته، وبين أن لا تكون كذلك. ففي الحالة الأولى له حق عليها، ويستطيع محاسبتها على التقصير، وعليها تأدية متطلباته البيتية، وهو لا يتحمل شيئاً سوى الإنفاق الإجمالي على المواد الخام

للطعام والضروريات، فتبقى المرأة غارقة في الخدمة، وهي مطالبة أيضاً بحقه في الاستمتاع الذي يتعارض أحياناً مع هذا العبء الكبير، في الوقت الذي لا يُلزمه أي شيء في تلبيته أيٍ من رغباتها، وهذا ما يحوِّل حياة المرأة إلى جحيم. لكن مع عدم إلزامها بخدمة المنزل، فبإمكانها القيام بالواجبات الملقاة على عاتقها بكل قدرة وراحة، وتعيش دورها وخصوصيتها ومكانتها، مستفيدة مما تملكه من إمكانات لتعزيز الحالة التبادلية والتعاونية مع الزوج.

٤ ـ بين البيت والعمل الإسلامي

سأل سائل: زوجتي تخرج من البيت بحجة العمل والنشاط الإسلامي، وعندما أعود لا أجد الطعام والراحة وغير ذلك، وعندما أناقشها تحدثني عن أهمية دورها، ماذا أفعل؟

بيَّنا في الإجابات السابقة حدود تكليف المرأة داخل الأسرة، وقلنا بأن خروجها من المنزل مرتبط بموافقة زوجها، فلا إشكال مع موافقته وعدم التعارض مع حقوقه، بل نشجِّع على قيامها بنشاطات إسلامية واجتماعية وغيرها ما يساعد على تنمية قدرات المجتمع وتعميم التربية الإسلامية فيه.

فللمرأة دور مهم في النشاطات العامة، وقد ذكر الإمام الخميني(قده) هذه الخصوصية قائلاً: «**نحن نفخر بمشاركة نسائنا من عجائز وفتيات وصغار وكبار إلى جانب الرجال، أو بحضور**

أفضل، في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية من أجل رفعة الإسلام، وتحقيق أهداف القرآن الكريم»[١].

وقال الإمام الخامنئي(حفظه الله): «**يمكن القول إنَّه لولا مشاركة النساء لكان من المحتمل أن لا يُكتب النصر(للثورة) بتلك الكيفية أو لا تنتصر أساساً، أو تعترضها مشاكل أخرى. وعلى هذا الأساس أدَّى حضور النساء إلى تهافت المعوقات أمام طريق الثورة، وهكذا كان موقفها أيضاً طوال فترة الحرب، وفي قضايا الثورة الأخرى كافة منذ انطلاقتها وحتى الآن»**[٢].

أمَّا الحديث عن الطعام فهو خارج عن مسؤوليتها، وإن كنَّا نشجِّع على المبادرة لتأمينه ورعاية شؤون المنزل كعمل طوعي، فهذا يساعد على المودَّة وراحة الأسرة.

وإذا أردنا تبيان الحدود المناسبة بين اهتمام المرأة بأسرتها واهتمامها بالعمل الإسلامي والنشاط العام، فإنَّ القاعدة إعطاء الأولوية للحياة الزوجية بحسب الضوابط الشرعية ثم للمجتمع، وعلى أساس هذه القاعدة فإن مساحة الاهتمام تختلف من امرأة لأخرى بحسب طبيعة واقعها وظروفها، ولا يصح أن نقلب القاعدة بإعطاء الأولوية للمجتمع وبعدها للزوج والأسرة، فهذا مخالف

(١) منهجية الثورة الإسلامية ـ ص ٣٣٨.
(٢) فكر الإمام الخامنئي في القضايا السياسية والاجتماعية ـ أحمد حسين يعقوب ـ ص٤٤٨.

للبنيان الأساس الذي انطلق منه الإسلام في دور كل من الرجل والمرأة داخل الأسرة بما ينعكس على بنية المجتمع. وعندما تكون المشاكل والعقبات قائمة في المنزل، فمن الصعب تقديم إنتاج فعلي ومؤثر في المجتمع، وهل ينفع الاهتمام بالمجتمع مع خراب ما يحيط بالمرأة من أمور متعلقة بها ومتلازمة معها خلال حياتها؟.

إن التوازن الذي يتناسب مع القدرة واحتياجات الحياة الزوجية مطلوب، وذلك بالتفاهم بين الرجل والمرأة، وعندما تنشأ ضرورة فعلية لنشاط ما يتوقف على هذه المرأة ، فإنَّ المناسب من الزوج إعطاء الفرصة المعقولة لقيامها بهذا النشاط كتضحية ومساهمة في المسؤولية العامة.

مع ذلك نقول للزوج: إحرص على عدم استعمال الحق القانوني بحذافيره، وادرس خيارات المصلحة العامة وأهميتها، وتحمَّل متعاوناً مع الزوجة ما يحقق هدفاً مهماً في المجتمع ، واستفد من صلاحيتك باستخدامها بما يؤدي إلى الراحة النفسية للزوجة، وبما ينعكس على الأسرة من إيجابيات. وخذ بعين الاعتبار بأنَّ تنمية قدرات الزوجة العملية والثقافية والاجتماعية، والاستفادة من طاقاتها المختلفة، لها نتائج إيجابية خاصة وعامة، فمع رعاية التوازن يمكن الوصول إلى النتيجة الأفضل.

ونقول للزوجة: انتبهي للتوازن المطلوب بين الحياة الزوجية كأولوية ومتطلبات المجتمع، ولا تكوني مندفعة أكثر من الحاجة

الفعلية لك، وقدِّمي التفاهم والاقناع للزوج على الضغط النفسي، وكوني مهيأة لأي حل، واعلمي أنَّ الأجر كبيرٌ عندما تتصرفين بحسب ما سمح لك الشرع به، فإذا تمَّ التفاهم على حل فاستفيدي منه بدقة وإتقان كي لا تقعي في السلبيات.

٥ ـ أجر العمل المنزلي

ولكن ألا يعتبر العمل المنزلي مضيعة لطاقات المرأة وخسارة للأجر الذي يمكن أن تحصل عليه من النشاط الاجتماعي؟

تحمل بعض الأخوات نظرة خاطئة عن العمل المنزلي مفادها: إنَّ العمل العام في الحقل الاجتماعي والثقافي ومع الناس يُكسِب المرأة أجراً كبيراً نظراً للآثار التي تترتب عليه، أمَّا العمل المنزلي فهو مضيعة للوقت وإرهاق للجسد، وليس فيه أي أجر عند الله تعالى! إذ أنَّ آثاره محدودة في دائرة الأسرة، ولا يعطي أبعاداً تغييرية في المجتمع!.

هذه النظرة ناتجة عن تربية غربية تحرص على إخراج المرأة من بيتها ومن أي التزام لها في داخله، ولها علاقة بالمنهجية التي تقيِّم المرأة بأنها شريك في الإنتاج الاقتصادي في المجتمع، وهي بالتالي شريك في الإنفاق والمسؤولية داخل الأسرة.

وقد قلنا بأن المرأة غير مسؤولة عن العمل المنزلي، ولكنها ليست مطلقة الصلاحية لتخرج من البيت متى شاءت وإلى أي نشاط

رغبت به. أما الأجر فهو على كل عمل فيه واجب أو مستحب، أو امتناع عن محرم أو مكروه، ولا شك بأنَّ العمل في الحقل العام، مع توفر الشروط الشرعية الملائمة يُكسِب أجراً عند الله تعالى، ولا يتنافى مع كون العمل المنزلي يُكسِبُ أجراً أيضاً، ففي الحديث الشريف: «**أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام، أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت**»[1]، فالأجر كبير ولا تضيع الجهود سدى، فإذا كانت الذريعة هي الأجر فهو موجود أيضاً، وإذا كانت شيئاً آخر فلا بدّ من تحديده والمناقشة فيه. علماً بأن الأولوية بين العمل المنزلي والعمل العام يختلف من امرأة لأخرى بحسب طاقاتها وإمكاناتها والظروف العملية التي تحيط بها، وبالتالي فإنَّ الأجر على قدر الأهمية وحُسن الأداء.

أما الأهمية للتطوع للعمل المنزلي، فتكمن في انعكاسه إيجاباً على الحياة الزوجية، إذ عندما تقوم المرأة بالعمل المنزلي، فهي تقدِّم للأسرة ما يُفترض بالرجل أن يقدِّره لها فيسهِّل لها أمورها ويقدِّم لها بالمقابل، سواء بالخروج للنشاط الاجتماعي العام، أو بتحقيق رغباتها. ومهما كانت الأنشطة لكل منهما خارج الأسرة، فإنَّ الاستقرار في البنية الخلفية التي تمثلها الأسرة يعطي شحنة إيجابية لهذه الأنشطة.

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي ـ ج٢٠ ـ ص ١٧٢.

ولنا في السيدة الزهراء عليها السلام أسوة حسنة، ففي تفسير العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمَّ البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام**»[1]، هذا الاهتمام بمنزلها لم يمنعها من التدريس والمشاركة الاجتماعية بحسب ما تدعو إليه الحاجة، فقد كانت تجيب على أسئلة نساء المهاجرين والأنصار، ووقفت خطيبة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته في جمع من المسلمين لتبيِّن الحق وتفصِّل أسس أحكام الدين في خطبة شاملة وجامعة، وطالبت بفدك في إطار تبيانها لحجتها من الأدلة الشرعية، وغيرها من المواقف، ما يؤكِّد أنَّ على المرأة المسلمة أن تمتلك مخزوناً ثقافياً وعملياً للقيام بدورها في المجتمع، وهذا لا يتعارض مع اهتماماتها في رعاية شؤون الحياة الزوجية.

٦ ـ جهاد المرأة

وماذا لو أبدت المرأة استعدادها للجهاد والقتال في سبيل الله تعالى؟ فإذا كانت قدرتها الجسدية تساعد على ذلك ألا يمكن تجاوز الموانع الشرعية لجهاد المرأة؟

ليس على المرأة جهاد وقتال في ساحة المعركة، إنما تقع المسؤولية على الرجل، وتكون مساهمتها في التعبئة والدعم وغيرهما من دون النزول المباشر إلى الميدان إلاَّ في حالات

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ـ ج١٣ ـ ص ٢٥.

استثنائية. والواضح أنَّ القدرة الجسدية عند الرجل هي الأساس في هذا التشريع، فهو يتحمَّل الصعاب ويقسو في محاربة الأعداء، وهذا ما لا ينسجم مع رقة ولطافة المرأة وضعف بنيتها الجسدية التي لا تتحمل أوزار القتال. إنَّه موقف موجَّه لعامة النساء حتى لو وُجد منهن من يتميزن ببنية جسدية قوية، فالتشريع قد لحظ الخطَّ العام لتكليف المرأة.

ولا داعي لأن تعيش المرأة حسرة عدم المشاركة في القتال، فالمقام الرفيع مرتبط بالتكليف بحسب القدرة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1]، ومن قام بتكليفه المقرَّر وصل إلى الدرجات الرفيعة وربح الأجر العظيم.

وفي الدر المنثور أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبيﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: «**بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، واعلم ـ نفسي لك الفداء ـ أنَّه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي. إنَّ الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنَّا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنَّكم معشر الرجال فُضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في**

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

سبيل الله، وإنَّ الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟

فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أنَّ امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

التفت النبي صلى الله عليه وآله إليها، ثم قال: «انصرفي أيتها المرأة وأَعلِمي مَنْ خلفك من النساء: أنَّ حُسن تبعل احداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته، واتِّباعها موافقته، يعدل ذلك كله»[1]، فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً.

وقد ورد عن الباقر عليه السلام قوله: «**لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها، ولما ماتت فاطمة عليها السلام، قال علي عليه السلام :اللهم إني راض عن ابنة نبيك ، اللهم إنها قد أوحشت فآنسها**»[2].

إنَّه الاتجاه العام ليقوم الرجل بدور الحامي للعائلة داخلياً وخارجياً، ولتقوم المرأة بدور المدعِّم لهذا البناء بروحيتها وتربيتها من الداخل، من دون أن تتحمَّل مسؤولية المواجهة الخارجية إلاَّ بمقدار ما ينسجم مع ظروفها وبما يؤمِّن حماية المجتمع والبلد.

---

(١) تفسير الميزان ـ ج٤ ـ ص ٣٥٠.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ـ ص ٥٨٨.

٧ ـ عناية الزوج بزوجته

زوجي لا يهتم بي ، ويغيب كثيراً عن البيت، وإذا حضر فإنَّه يسأل عن الأولاد وأوضاعهم، ويوجه الملاحظات ولا يشعر بوجودي ، هل هو مُحقٌّ فيما يفعل؟

يتحمَّل الزوج المسؤولية المباشرة عن إدارة الأسرة ومن ضمنها تربية أولاده، ويشرف على الخط العام لهذه التربية، ولا يحقُّ له أن يتخلى عن مهمته ويترك العبء الكامل للتربية على الزوجة. كما أنَّ التربية لا تتم من خلال إصدار الأوامر والنواهي، بل بالمشاركة اليومية والرعاية لواقع الأولاد والتعاون بين الزوجين، ضمن توزيع للأدوار يساهم في التنشئة الصحيحة للأولاد. وعندما يتخلَّى أحد الطرفين عن دوره الفعلي في التربية ، فإنَّ الثغرات ستبرز بشكل مباشر في واقع الأسرة.

إنَّ لغياب الزوج عن البيت لمدة طويلة حالتين:

الأولى: الغياب المبرر بسبب الأعباء المعيشية، أو بسبب دوره الجهادي والعملي الذي يستلزم منه هذا الجهد الكبير، وفي مثل هذه الحالة لا بدَّ للزوجين أن يتفاهما ، وأن تُقدِّر الزوجة ظروفه الخاصة، كما على الزوج أن يقدِّر تضحيتها وعطاءها، فيُبدي الاهتمام بها، ويعطيها بعضاً من مساحة التصرف وخاصة مع الأولاد بما ينسجم مع غيابه وضرورات إدارتها. فإذا حضر في الوقت القليل، فليخصص القسم الأكبر من وقته للاهتمام بالأسرة

وخاصة بزوجته، لتشعر بتعويض الغياب الطويل. ولا ندعوه إلى التقصير في عمله، لكن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار ما تتوقعه زوجته منه من اهتمامه بها بشكل خاص، وهذا ينعكس على الأسرة بشكل عام.

الثانية: الغياب غير المبرر، حيث يبحث الزوج عن مشاريع ترفيهية له ولأصدقائه، ويقوم بزيارات فردية للعائلة أو للأصدقاء، ويروِّح عن نفسه ببعض اللقاءات أو النزهات، غير آبه بزوجته وأولاده. إنَّ عليه الالتفات إلى تضحيات زوجته، وما تخففه عنه من أعباء، وما يقع عليه من مسؤولية تجاهها في تربية أولادهما فهي تحتاج إلى رعايته واهتمامه وتقديره للجهود المبذولة، ولتكن بعض مشاريع الزيارات والنزهات وقضاء بعض الأوقات مشتركة، وليُعنها على أعبائها التي تحمَّلت قسماً كبيراً منها بشكل طوعي.

ربما يستخفُّ البعض بهذا الاهتمام بالزوجة، ويتعامل معها كخادمة في البيت أو مربية للأولاد، من دون أن يراعي مشاعرها ومتطلباتها، وهذا مخالف للتوجيهات الإسلامية التي تحث على التعامل الرقيق والأخلاقي بروحية الإحسان والرحمة. فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهنا إلى القاعدة العامة في التعامل مع النساء: «**ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي**»[1]. ويدعونا الإمام الصادق عليه السلام إلى الإحسان الناتج عن المسؤولية: «**رحم الله عبداً**

(١) وسائل الشيعة ـ للحر العاملي ـ ج٢٠ ـ ص ١٧١.

أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عزَّ وجل قد ملَّكه ناصيتها وجعله القيِّم عليها»[١]. وهو أداء له مكافأته الدنيوية بزيادة العمر، فعن الإمام الصادقعليه السلام: «**من حسن بره بأهله زاد الله في عمره**»[٢].

بل أكثر من هذا ، فإنَّ خدمة الزوج لزوجته ، ومساعدتها على أعبائها، **فيه أجر وثواب**،فعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**لا يخدم العيال إلا صِدِّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة**»[٣]، وعنه أيضاً : «**إذا سقى الرجل امرأته أجر**»[٤].

٨ ـ عناية الزوجة بزوجها

سماحة الشيخ، زوجتي لا تعطيني اهتماماً كافياً ، ويكون أكثر شغلها مع الأولاد وفي الخدمة المنزلية، حتى شعرت أني مصدر مالي للإنفاق فقط، ولست مرتاحاً لهذه العلاقة الزوجية، ما الحل؟

نسأل الزوج: ماذا فعلتَ مع زوجتك حتى وصلتَ إلى هذا الوضع المزعج في العلاقة الزوجية؟ فإذا افترضنا أنها كانت مهتمة بالشؤون المنزلية وتربية الأولاد ما يستهلك وقتها، فهل أنَّ أعباءها كثيرة إلى درجة انعدام وقت الفراغ ؟ وهل يمنعها تعبها من إظهار الاهتمام بك؟ ألا يمكن أن تكون الأعباء الكثيرة سبباً لهذا الواقع؟

---

(١) وسائل الشيعة ـ للحر العاملي ـ ج٢٠ ـ ص ١٧٠.
(٢) الكافي للكليني ـ ج٨ ـ ص٢١٩.
(٣) بحار الأنوار ـ ج ١٠٤ ص ١٣٢.
(٤) كنز العمال ٤٤٤٣٥.

وما هي مسؤوليتك في مساعدتها لتخفيف أعبائها؟ إنَّ عليك أن تجلس معها وتناقشا وضعكما ، وتدرسا الأسباب المانعة من الراحة الزوجية، وتحددا كيفية العلاج. قد تحتاجان إلى التعاون، أو إلى تخفيف بعض الأعباء عنها، أو إلى تعديل في أولويات اهتماماتكما، فلا يمكنك تحميلها كل العبء، ثم بعد ذلك تطالبها بما لا تطيق، فالأولى أن تساعدها للتخفيف من عبئها كي لا تحصل انعكاسات سلبية أخرى على حياتكما الزوجية.

ونقول للزوجة: انتبهي إلى متطلبات الزوج فيما يرتبط بحق الاستمتاع، فإنها مسألة أساسية بالنسبة إليه. وازني بين التزاماتك المنزلية واهتماماتك بها واهتمامك بالأولاد، وبين اهتمامك بزوجك، اعملي لتكوني عنصر أمان له وراحة وجذب واستئناس، فقد أكَّد فقهاؤنا على المرأة بأن تزيل المنفرات التي تزعج الرجل في علاقته معها، اهتمِّي بمظهرك داخل البيت كما تهتمين به عند استقبالك للزوار أو عند زياراتك للآخرين، وليكن اهتمامك بمظهرك لزوجك أفضل. لا تتوقعي أن يتحمَّل رؤيتك ليل نهار في ثياب المنزل الممزَّقة البالية، بدِّلي لباسك عند الانتهاء من العمل، واحرصي على الاهتمام بوقت عودته إلى البيت، فالتزيُّن مشروع، وإذا لم تقم به الزوجة لزوجها فلمن تقوم به؟ وهل يصح أن تخرج النساء بأبهى حلة أمام الرجال وتكون في أسوأ حلة وصورة أمام الأزواج؟! لا تقولي بأن زوجك يقدِّر لك هذا؟ فقد يفاجئك يوماً بأنه لم يعد يتحمَّل هذه الحالة.

هنا يحضرني وصف الشاعر لبعض النساء اللواتي تهتممن بمظهرهن خارج بيوتهن قائلاً:

ماذا يضرك لو سترت جمالا وحجبت عنا رقَّة ودلالا
يا من تعرَّت للرجال غواية ليس الجمالُ مع الحياء محالا
في البيت أنت بحالة لا تُرتجى وإذا خرجت أتيتنا تمثالا

إنها دعوة لعدم التزين المحرَّم أمام الرجال، مع الالتفات إلى أهميَّة التَّزين في البيت.

إنَّ تصوير الحياة الزوجية بأنها إنفاق وعائلة وأعباء منزلية فقط أمرٌ خاطئ، فالحياةُ الزوجية جمالٌ وأنسٌ وتفاعل، وكلٌّ من الزوجين مسؤول لتوفير هذه النتائج الجميلة، ولعلَّ مسؤولية الزوجة أكبر. فكما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «**وأما حق رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أنَّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية**»، وقد ذكرنا في الحلقة السابقة أنَّ السكن والمستراح والأنس لا تكون من دون مقدمات وعوامل مساعدة وتصرفات تُوصِل إليها، ثم تكون الواقية التي تقي الإنسان من المحرَّمات. وقد بيَّن الله تعالى هدف الزوجية بتحقيق السكن والاستقرار النفسي الذي يؤدي إلى المودة والرحمة، وهي السعادة الزوجية في طاعة الله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

(١) سورة الروم الآية ٢١.

إنَّ على الزوجين أن يعملا لتوفير المودَّة والرحمة بينهما، لأنَّه طريق مرضاة الله تعالى، فإذا قصَّر أحدهما فليغفر له الآخر، وليرشده إلى طريق الحل، وليساعده عليه، وعندما تستحكم عقبة كأداء لا حلَّ لها، فالصَّبر أَولى، تمهيداً لبذل الجهود من أجل التفاهم للمحافظة على الحياة الزوجية كأساس.

٩ ـ شريكة الجهاد

تزوجت دون أن أُعلِمَ زوجتي عن طبيعة عملي بدقة، وبعد الزواج لاحظتْ غيابي المتكرر عن المنزل وذلك بسبب عملي الجهادي مع المقاومة، ما يضطرني للتقصير تجاه منزلي وأولادي، وأنا أشعر بأنَّ حياتي مهدَّدة بالتفكك، فما هي نصيحتكم؟

إنَّ المجاهدين في سبيل الله هم خيرة خلق الله تعالى، وبرُّهُم لا يعادله بر فهم يسيرون على درب الشهادة، ويقدمون التضحيات الكثيرة من أجل أهلهم ووطنهم ومستقبلهم ودينهم، ولولاهم لما تحققت العزة للأمة، ولما تحقق الانتصار الكبير على أعداء الله الصهاينة. ومن المعلوم أن طبيعة عملهم تتطلب غياباً متكرراً وطويلاً عن المنزل، ما يجعل حياتهم الزوجية غير منتظمة، ويزيد من الأعباء على الزوجة بسبب هذه الخصوصية.

نقول للزوجة: أنت شريكة معه في جهاده، لأنك تُسهِّلين له القيام بواجبه في قتال أعداء الله وتحرير الأرض، ولولا ما تؤمِّنينه له من ظروف إيجابية لما استطاع القيام بما عليه براحة بال

وانصراف كامل للعمل والجهاد. أنت مدعوَّة إلى التحمُّل، فلولا قيامه وقيام أمثاله بهذا العمل الجهادي لحلَّت الكارثة على الجميع، وعندما يتميز زوجك بهذا الدور فهذه مفخرة وثواب إلهي لكما. عليكِ أن تتحمَّلي وتتعاوني معه، فهذا جزء من مسؤوليتك في الأمة، وهل يعقل أن تتحمَّل الزوجة التي يسافر زوجها لسنوات وهي تشجعه على ذلك، من أجل تأمين المعاش وزيادة رأس المال، وهو متاع زائل، ولا تتحمَّل الزوجة هذا الأداء الجهادي الذي ينعكس خيره في الدنيا والآخرة؟! إنها ضريبة الجهاد، لكنَّ نتيجتها نصرٌ دنيوي ومكافأةٌ أخروية في جنَّة عرضها السماوات والأرض أعدَّت للمتقين.

كما أنصح الزوج بأن يستبق الأمر قبل الزواج لتعرف الزوجة مسبقاً وضعه الجهادي وظروفه العملية بالإجمال كي لا تُفاجأ، فتكون مسؤولة عن خيارها، ما يسهِّل التعاون بينهما وتقدير انشغال الزوج في مهمته الجهادية.

الحلقة الثالثة

المسؤولية والصلاحيات

١ ـ العمل المعيشي

في مجتمعنا يوجد نساء يعملن في العمل المعاشي، فهل تؤيد عمل المرأة؟

لا أشجع على عمل المرأة في الحقل الاقتصادي العام، لكن أقدِّر الظروف الموضوعية التي تضطر المرأة للعمل، وبما أنَّ الإسلام أباح حرية العمل للمرأة، فعلى الزوجة أن تُنَسِّق الأمر مع زوجها وتتفاهم معه كي لا يتعارض مع حقوقه، ويعود للزوجين تقدير الظروف الموضوعية وما يناسب حياتهما.

أمَّا لماذا لا أشجع بشكل عام على ذلك؟فلأنَّ المرأة العاملة تتحمَّل أعباء إضافية، مع أعباء الأسرة ومشاكلها، إضافة إلى عبء المجتمع ومتطلباته الرَّحمية والاجتماعية، ما يحمِّلها أكثر من طاقتها، وينعكس عليها توتراً وضغطاً وانعكاسات سلبية على المستوى الجسدي والنفسي.

وعندما وزَّع الإسلام الأدوار، فحمَّل الرجل مسؤولية الإنفاق ولم يحمِّل المرأة أي مسؤولية في هذا الشأن، فقد أخذ بعين الاعتبار حسن التوزيع في المسؤوليات بما له علاقة بتهيئة ظروف السَّكن النفسي والاستقرار والرحمة والمودَّة بين الزوجين.

٢ ـ الشراكة في القرار

عندما تعمل المرأة وتكون شريكاً في الإنتاج فهل يمكن أن تكون شريكاً في القرار؟

قد يرفض الرجل الأموال التي تحصِّلها زوجته، فلا يأخذ منها شيئاً، ويستخدم صلاحياته كاملة في القوامية داخل الأسرة، ويتخذ القرارات التي يراها مناسبة إستناداً إلى حقه، فلا تستطيع رفض منطقه بسبب شرعيته. كما يمكن أن يقبل مشاركتها في الانفاق مقابل تحمُّلها لبعض المسؤوليات، وإعطائها بعض الصلاحيات كتفاهم بينها وبينه، وذلك على قاعدة رضاه لأنَّ الأمر يعود إليه. فالزوج بين أن يقبل مشاركتها في الانفاق ويتفاهم معها، أو أن لا يقبل ويرفض مشاركتها نهائياً، وهو أمر يرتبط بخصوصية كل رجل وامرأة وما يتفقان عليه، لكنَّ هذا لا يمنعه في أي لحظة من استعادة كامل حقوقه وصلاحياته، لأنَّ القوَّامية له في أصل البنيان الزوجي، وثابتة لا تلغيها الاتفاقات، مهما كانت شخصية كل من الرجل والمرأة، ومهما كانت الظروف التي تحيط بهما.

هنا أودُّ التعليق على أمر أهم من هذا، فالبعض يطرح نظرية

تقول: إنَّ المرأة إذا استقلَّت بالإنتاج وكان لديها مصدر مالي، فباستطاعتها أن تفرض ما تشاء على زوجها، وأن تعبِّر عن شخصيتها، وتمتلك حرية اتخاذ الكثير من القرارات داخل الأسرة، **بل يصبح قرارها ذا قيمة ومسموع لدى الزوج، أو يكون الهدف أن تستنقذ الزوجة الصلاحيات من الزوج، وأن تصبح رجلاً ثانياً، ما يؤدي إلى إيجاد حالة من النِّدية، في بيت يعيش فيه رجلان يتنازعان،** بدل أن يتأسس لحياة زوجية مبنية على المودَّة والرَّحمة وتوزيع الأدوار، وفي النتيجة فالحياة لا تستمر ولا تستقر برأسين. فالمحصِّلة الواقعية كالتالي: إذا تميَّز الرجل بأداء أخلاقي وتصرَّف برحمة وتعرَّف على تكليفه وطبَّق تعاليم الله عزَّ وجلَّ جيداً، فسيتعامل مع زوجته بإنسانية راقية، سواء دفعت أموالاً أم لم تدفع شيئاً، أمَّا إذا كانت نظرته خاطئة وسلوكه سيئاً، وكان متسلطاً وأراد أن يضغط عليها، ويتصرف معها بطريقة غير شرعية، فلو جاءته بكنوز الدنيا، فإنها لن تمنع أذاه وضرره. فالأساس أن يفهم كل منهما دوره وحقوقه، وأن يعيش رقابة الله تعالى في حياته، ليرتدع ويكون على مستوى المسؤولية.

٣ ـ الاستقلال المالي

ما رأيكم لو كانت فكرة الاستقلال المالي تنطلق من رغبة عيش الشراكة بالنمط الغربي؟

الزواج تحصين للزوجين وتحصين للمجتمع، وهو يعالج الكثير من الأزمات النفسية والشخصية والاجتماعية والتربوية ولا

يوجد أي حل آخر يُغني عنه. ومن خلال نظرة إجمالية للعالم الإسلامي، فإنَّ حفظ الأجيال، والنمط التربوي والأخلاقي السائد في المجتمع، والابتعاد عن كثير من المنكرات، يعود أساسه إلى التقيُّد بالزواج، وهنا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**من تزوج أحرز نصف دينه**»، وفي حديث آخر: «**فليتق الله في النصف الباقي**»(١).

ولا يخفى أن جهوداً كبرى بُذلت لإفساد هذا النمط من الحياة الزوجية، من أجل التأسيس لمنهجية مختلفة تماماً عمَّا هو سائد في مجتمعنا. فالعنوان الأساس لتغيير الكثير من العادات والأفكار والسلوك في الغرب، يعود إلى إباحة علاقة الرجل والمرأة من دون قيود أو ضوابط، ما أدى إلى الإضرار بالأسرة، وإنشاء أنماط من العلاقات غير الشرعية، تركت بصماتها بشكل واضح على كل الواقع في المجتمع الغربي.

إنهم يقتحمون واقعنا من خلال العناوين البرَّاقة: استقلال الزوجة المالي!، مساواة المرأة بالرجل في كل شيء من دون أي توزيع للأدوار!، الحرية التي تطلق العنان للتصرفات والعلاقات غير الشرعية قبل الزواج لاكتساب الخبرة والاستفادة منها لمصلحة الحياة الزوجية!، الحرية في التجربة والمصاحبة حتى يتم الاستقرار على خيار محدَّد بدل الوقوع في الاختيار الأُحادي أو انعدام الخيارات الواسعة لحياة أفضل!، إنها عناوين للتفلُّت من ضوابط

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ـ ج٣ ص٣٨٣.

الزواج والأسرة، وإيجاد منظومة ثقافية تربوية دينية حضارية مختلفة عن رؤية الإسلام، فالمسألة لا تتعلق بمعالجة بعض المشاكل التي تعيشها المرأة بسوء التطبيق، أو بسبب عدم الالتزام بضوابط الشريعة المقدسة، **بل إنَّها دعوة حقيقية لاختيار منهج آخر.**

وما هو المقصود من الشراكة التي تنتج عن البذل المالي؟ هل المقصود إبطال القوَّامية؟ هل المطلوب إيجاد التوافق في كل شيء؟ وكيف يكون الحل عند الاختلاف؟ هل من الأفضل أن تحل العلاقة المادية التجارية محل علاقة المودَّة والرحمة؟ إنها أسئلة كبيرة لمسار له علاقة بكل البنية الاجتماعية، ولا تقتصر على أمر محدود يختلف عليه الزوجان.

٤ ـ مساعدة الزوج

إذا كان جهاد المرأة حسن التبعل، ألا يعتبر عملها لمساعدة زوجها مالياً نوع من أنواع الجهاد؟

تحدَّث الرسول ﷺ عن جهاد المرأة فقال: «**جهاد المرأة حُسن التبعل**»[١]، وهذا يلخِّص ويختصر المهمة الأساس للزوجة مع زوجها في طاعته بما أمر الله تعالى وحُسن العشرة معه. إنَّ عليها توفير السكن النفسي والجسدي، وتأمين مناخ الاستقرار داخل المنزل، وهذا ما يتطلب حُسن المعاملة، والالتزام بواجباتها

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص٩.

كزوجة في إطار إضفاء حالة المودَّة والرحمة، كما أن المطلوب من الزوج أن يمارس صلاحياته داخل الأسرة في مناخ المودة والرحمة أيضاً.

فإذا وجدتْ أن وضع زوجها المالي صعب، وقرَّرت مساعدته في ذلك، وكانت قادرة على العمل، وبادرت بطيب خاطرها، وقَبِل الزوج عرضها، تكون قد قدَّمت وضحَّت وجاهدت لمصلحة الحياة الزوجية، لأنها قامت بأمر غير مطلوب منها، وخارج دائرة تكليفها، وهي مأجورة بسبب هذا العمل.

٥ ـ أداء الزوجة التي تعمل

هل يوجد فارق تربوي بين أداء الزوجة التي تعمل والزوجة التي لا تعمل؟

لا أعتقد أنَّ هذا الموضوع بحاجة إلى نقاش، فعندما تكون الأم مع أولادها ترعاهم وتربيهم منذ الطفولة، فهذا أفضل بكثير من أي طريقة رعائية أخرى. تؤكد الدراسات بأنَّه مهما كانت إيجابيات الحاضنة والخادمة أو دُور الحضانة فلها سلبيات أكيدة، ولا مجال لمقارنتها بالإيجابيات التي تحقِّقها تربية الأم ورعايتها. ثم ما هو مستوى الخادمة التي تتولى رعاية وتربية الولد في المنزل؟ وقد انقطعت أمامها السبل، وهي لا تحمل أي ثقافة أو قدرة تربوية، كيف تربِّيه؟ ستربِّيه انسجاماً مع مستواها ووفق قدراتها، ولا داعي لأن يتفاجأ الوالدان بعد فترة من الزمن باكتساب الولد لعادات وتصرفات

وأفكار خاطئة أو مخالفة لنمطهما، مع أنهما يوجِّهانها في كل يوم نصف ساعة أو أكثر، لأنَّ الخادمة التي شبَّت على تربية معينة لسنوات لا تغيرها بعض النصائح، ولأنَّ حضانتها للولد ساعات طويلة في كل يوم ستؤثر في شخصيته بناءً لنمطها وشخصيتها. المهم أن تلتفت الأم، بأن حضانتها ومتابعتها التربوية أساس، فإذا استعانت بالآخرين فكجزء من إشرافها ورعايتها المباشرة، التي تتطلب منها مواكبة تفصيلية ومكثَّفة، فالتربية ليست أفكاراً ونصائح تُطلق وتُلقَى، إنها ممارسة تؤثر فيها القدوة والحنان والأخلاق والثقافة والتعليم... الخ بشكل مباشر. لذا كان على الأب أن ينفق ليهيّيء المناخ الملائم لتتفرغ الأم للعملية التربوية، وهي تختلف طبعاً عن خدمة المنزل التي تحدَّثنا عنها في حلقة سابقة.

فإلى المرأة العاملة من أجل التحصيل المالي نقول: إذا استطعت أن ترتاحي من العمل للقيام بأعباء التربية فهذا أفضل، وإذا كنت مضطرة أو مقتنعة في دائرة الحياة الزوجية المتفق عليها بينك وبين زوجك، فمهمتك شاقَّة لترتيب التوازن المطلوب داخل الأسرة، والتأثير على تربية الأولاد، فاحرصي على دراسة تفصيلية دقيقة لوضعك، لتقومي بالإجراءات المناسبة، حتى لا تخسري الداخل بربح شيء من الخارج، فالأولوية لإعمار داخل البيت، الذي يتطلب محطات مناقشة وجرأة ومتابعة لاتخاذ القرار المناسب في اللحظة المناسبة مهما كان صعباً، وفي كل الحالات لا بدَّ من المواكبة التربوية لأنَّها الأصل، وفيها الأجر الكبير عند الله تعالى.

٦ ـ خصوصيات عمل الزوج

سماحة الشيخ، هل يجب على الزوج أن يُطلع زوجته على خصوصيات عمله وأسراره؟ وما تعليقكم على الخصومة التي تنشأ دائماً لهذا السبب؟

لا تلغي الحياة الزوجية خصوصيات الزوج في عمله، سواء أكان عملاً معيشياً أو جهادياً أو اجتماعياً. وليس المطلوب من الزوج أن يقدِّم تقريراً لزوجته عن خصوصيات عمله، فالأفضل لها أن لا تُشغل بالها بأموره الخاصة، ولا تطَّلع على تفاصيلها وأسرارها ومشاكلها وأعبائها، فمسؤوليته أن يحتفظ بما يراه مناسباً لمتابعاته وإدارته، ولا علاقة لهذه التفاصيل بالحياة الزوجية كما أنها ليست جزءاً منها. وليست مكرُمة في أن يكشف الرجل أسرار عمله ومن يعمل معهم وخصوصياتهم لزوجته، فحفظ خصوصيات العمل والآخرين قاعدة ضرورية في المجتمع، وعلى الزوجين مراعاة هذه القاعدة أيضاً.

أمَّا أن تتوتَّر العلاقة بسبب هذا الأمر، فلا مبرِّر شرعياً لهذا التصرف، بل فيه إثمٌ شرعي، يتحمل مسؤوليته البادئ بتأزيم العلاقة. ومن المهم أن يعتاد الزوجان على إطلاع بعضهما فيما من شأنه أن يكون مشتركاً وخاصاً بالحياة الزوجية، أو في متابعاتهما المشتركة مع محيطهما، أو فيما يرتبط باهتماماتهما المشتركة، وأن يبتعدا عن التدخل في كل الخصوصيات التي لا شأن للآخر بها،

فلا يحق للزوج أيضاً أن يتدخل لمعرفة الأسرار الخاصة بالنساء لو اطَّلعت زوجته على خصوصيات جارتها أو قريبتها أو صديقتها.

٧ ـ التهديد بالطلاق

يحرمني زوجي من المال ويحرم أولادي، ويصرف على نفسه بسخاء، ويتذرَّع بالحالة الاقتصادية، فإذا طالبته هددني بالطلاق، ماذا أفعل؟

الإنفاق على الزوجة والأولاد واجب على الزوج، ويقدِّر العرف حدود الإنفاق في تأمين المسكن والطبابة والملبس والمأكل والحاجات المختلفة، بما ينسجم مع الحالة الاجتماعية التي اعتادت عليها الزوجة، وبما يتوافق مع قدرة الزوج على الإنفاق، فلكل أسرة قواعد تختص بها بحسب التقدير العرفي لواقعها الاجتماعي. فإذا لم يلتزم الزوج بهذه الضوابط فهو مقصِّر، أمَّا إذا التزم بها فلا يكون مقصراً معها، عندها قد ينطبق عليه عنوان آخر له علاقة بالإسراف، لكن لا يمكنه التذرع بالحالة الاقتصادية ثم يسخى على نفسه ويقصِّر مع عائلته، إذ عليه أن يوازن في هذا الأمر بما ينسجم مع قدرته.

أما التهديد بالطلاق فهو إجراء لإخافة الزوجة كأسلوب من أساليب الضغط عليها، فإذا كان جاداً في موضوع الطلاق، فهو لا يحتاج إلى مبرر ليبحث عنه، وقد يحتج بالإنفاق ليتهرَّب من ذكر السبب الحقيقي، لأن بإمكانه أن يطلق في أي وقت فهذه صلاحيته

في عقد الزواج، وعلى الزوجة أن تلتفت إلى مدى اهتمام زوجها باستمرار حياتهما الزوجية أو عدمها، فإذا لم يكن مكترثاً بها فلا يمنعه من الطلاق شيء، ومن المفيد نصيحته بعدم إبقاء الحياة الزوجية في حالة قلق دائم وفي تهديدات مستمرة فهذا ما لا ينسجم مع المودَّة والرَّحمة. أمَّا إذا لم يكن جاداً فالآثار السلبية لكثرة التهديد بالطلاق كثيرة، وليس لائقاً أن يستخدم هذا السيف المسلط لأنَّه يُفقِد الحياة الزوجية الثقة والاطمئنان، فالمعالجات بغير التهديد بالطلاق أفضل.

٨ ـ فكِّر بمن حولك

تقول: زوجي يأتي بأصحابه يومياً إلى المنزل، ويقضي معهم الساعات الطوال، ويحبسنا في غرفة واحدة بسبب ضيق المنزل، هل يجوز له ذلك؟

يتصرف الزوج في مضمون السؤال وكأنَّ من حقه أن يكون مستأنساً ومؤدياً لرغباته وحبِّه للقاء زملائه، وينسى أنَّ لزوجته وأولاده حقوقاً عليه، وأنَّ عليه مراعاة مشاعرهم، ومواساتهم ومشاركتهم في فرحه وسروره. لا نقول للزوج بأن يمتنع عن زملائه ، لكن لزوجتك عليك حقاً ولأولادك عليك حقاً، فأعطهم ما لهم وخذ لنفسك ما لها، ووازن في علاقاتك بين أسرتك وزملائك، فإذا كان بيتك صغيراً فلا تضيِّق على عائلتك ، واحرص على أن تكون متفاهماً مع زوجتك فهذا هو الأفضل، وفكِّر دائماً بالآخرين

من حولك، كي تكون ناجحاً في إدارتك للأسرة، وإلاَّ عقَّدت حياتك بأمور ثانوية يمكنك الاستغناء عنها.

٩ ـ نشوز الزوجة

أعطى الإسلام حقاً للرجل أن يضرب زوجته، فهل هذا منصف بحق الزوجة؟

الأفضل أن ننطلق من الآية الكريمة التي تحدثت عن ضرب الزوجة، لنتعرَّف على الصورة الكاملة، ولنفهم السِّياق في إطار الرؤية الإسلامية للمحافظة على الحياة الزوجية. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(١).

شرحنا سابقاً معنى القوامية، وقد أتبعها الله في الآية الكريمة بالحديث عن النساء الصالحات، فهنَّ القانتات أي المطيعات لأزواجهن بالضوابط التي تكلمنا فيها عن الطاعة وما يحفظ حق الاستمتاع للرجل، والحافظات لأموال وحقوق أزواجهن أثناء غيابهم. لكن قد تتصرف بعض النساء الصالحات بما يُخشى معه أن تصل إلى النشوز، أي العصيان والاستكبار عن الطاعة، وهذا

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، وقد عرَّف الإمام الخميني(قده) النشوز بقوله: «**وهو في الزوجة خروجها عن طاعة الزوج الواجبة عليها، من عدم تمكين نفسها وعدم إزالة المنفرات المضادة للتمتع والالتذاذ بها، بل وترك التنظيف والتزيين مع اقتضاء الزوج لها، وكذا خروجها من بيته من دون إذنه وغير ذلك**»[1].

فإذا بدت علامات النشوز عند المرأة بالتمرد على الواجبات ضمن الحقوق الشرعية للرجل، عندها يعظها بتليين قلبها وتذكيرها بواجباتها أنها تأثم على تصرفها وتُعاقب عليه عند مليك مقتدر، فإن لم تنفع الموعظة يهجرها في المضجع، وكما في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: «**يحوِّل ظهره إليها**»[2] أو يعتزل عن فراشها، وهو تعبير عن استيائه منها وتحميلها للمسؤولية، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تُقبل منها صلاة حتى يرضى عنها**»[3]، وفي هذا حثٌّ على رعاية الرقابة الإلهية قبل أن تتفاقم الأمور وتتأزم، فإن لم ينفع الهجر في المضجع، فهذا يعني أن التَّمرد وصل إلى مرحلة معقَّدة، فقد يساهم الضرب بإنهاء المشكلة ليكون آخر خطوة ضغط داخلية للمعالجة. أمَّا المقصود بالضرب فكما رُوي عن أبي جعفر عليه السلام:

---

(١) تحرير الوسيلة للإمام الخميني(قده) ـ ج٢ ص ٣٠٥.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ـ ج٣ ص ٨٠.

(٣) الكافي للكليني ـ ج٥ ص٥٠٧.

«إنَّه الضرب بالسواك»[1]، وهو الذي لا يؤدي إلى الاحمرار أو الاخضرار أو الاسوداد، ولا يؤدي إلى الجرح أو الكسر، **«واللازم أن يكون ذلك بقصد الإصلاح لا التشفي والانتقام، ولو حصل الضرب جناية وجب الغرم»**[2]، عدا عن الإثم الشرعي في تجاوز حده.

لقد ركَّز الإسلام على المعالجة داخل إطار الزوجية، فلا يمكن الوصول إلى الضرب الذي هو أشبه بالدفع والتأنيب إلاَّ بعد اليأس من كل المحاولات الأخرى، وهذا لا يعني تشريع الضرب في كل حال وبأيِّ طريقة، فالأمر محصور في دائرة الطاعة لحقوقه. ويُفترض أن يكون هذا الأسلوب حالة استثنائية وليس حالة دائمة، مع بعض الزوجات وليس مع الجميع. ولا صحة لما يُقال بأنَّ التشريع يعطي فرصة للرجل كي يضغط بهذا الأسلوب، لأنَّ قوَّته الجسدية وعنفوانه وتربيته تدفعه إلى استخدامها بشكل عادي في كثير من الحالات وبطريقة ظالمة، وقد عمل الإسلام على ضبط اندفاعة الزوج بتوجيهه وتخفيف ردَّة فعله إلى الحد الأقصى الممكن والمؤثر. أمَّا ما نسمع عنه من حالات ضرب مبرح وإيذاء وجرح وكسر فمخالف للحق الشرعي وعليه الإثم والدِّية، كما أنَّ أولئك الذين يستخدمون قوتهم الجسدية بقسوة لا يستندون إلى التعاليم

(١) مجمع البيان للطبرسي ـ ج٣ ص ٤٤.
(٢) تحرير الوسيلة ـ ج٢ ص ٣٠٥ مسألة ٢.

الإلهية، وهم من كل طائفة وجماعة على امتداد العالم[١] بقاراته وعلى امتداد البشرية بأزمانها .

إنَّ مسؤولية الزوجة أن تبذل ما في وسعها للقيام بواجباتها كي لا تصل إلى النشوز، بل تستدركه في بداياته إن أخطأت. وإنَّ مسؤولية الزوج أن يصبر في كل مرحلة إلى أقصى الدرجات، وأن يتدرَّج في المعالجة برفق، وأن لا يصل إلى الضرب إلا استثناء، بل لو كان باستطاعته أن لا يصل إلى هذه المرحلة فهو أفضل، فهذا يتبع حسن تقديره لاستخدام صلاحيته في الظروف المناسبة. ويجب الاستفادة من أي فرصة سانحة للعودة إلى العلاقة الطبيعية ، فالتصميم على متابعة الضغط مع عودة الزوجة عن نشوزها غير جائز، وكما ذكر الإمام الخميني (قده) في تحرير الوسيلة: «**ويقتصر على ما يؤمل معه رجوعها فلا يجوز الزيادة عليه مع حصول الغرض**»[٢]، وقد أوضح رب العالمين في نهاية الآية حدود التعامل : ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾، وإلاَّ تحوَّل التصرف إلى ظلم، والله تعالى مع المظلوم، فهو الأعلى والأقدر على الاقتصاص والحساب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ .

---

(١) أعلنت الحكومة البريطانية «أنها تنوي تشديد قوانين العنف المنزلي وإدخال تحسينات على الحلول والإجراءات المدنية والجزائية المتوفرة حالياً لإفساح المجال أمام ضحايا هذه الظاهرة لطلب الحماية التي يستحقونها»، ويشكل العنف المنزلي ربع المجموع الكلي لجرائم العنف في بريطانيا ويودي بحياة امرأتين كل أسبوع. كما أن نصف معدلات الجرائم التي تطال النساء ينفذها أزواج أو أصحاب حاليون أو سابقون ضد زوجاتهم أو صديقاتهم ـ صحيفة السفير ١٥/١١/٢٠٠٢م.

(٢) تحرير الوسيلة ـ ج٢ ص ٣٠٥ مسألة ٢.

إن على الرجل أن لا يعتدَّ بقوته فقوة الله أكبر، وعليه أن لا يتمسَّك بمسؤوليته عن الأسرة ليتصرف بطريقة مطلقة ومن دون ضوابط أو حدود، فهو مسؤول عن أسرته وليس مُستعبِداً لها . ومن الأفضل بذل أقصى الجهد لعدم الوصول إلى الضرب، فالحياة الزوجية التي يتكرر فيها الضرب قلقة، وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال عليه السلام: «**يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها**»، وقال أبو عبد الله: «**كانت امرأة عند أبي تؤذيه فيغفر لها**»[1]. وقد استنكر رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تُعانَق المرأة بيد ضربت بها، ففي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها**»[2].

١٠ ـ نشوز الزوج

ماذا لو تجاوز الرجل حدَّه فأصبح ناشزاً، هل تستطيع الزوجة الدفاع عن نفسها ؟ وهل يحق لها استخدام القوة ابتداءً لو كانت مستطيعة لذلك؟

كما تكون الزوجة ناشزاً ، يكون الزوج ناشزاً عندما لا يعطي الزوجة حقها في الإنفاق والسكن وما يترتب لها عليه، أو عندما يتسلَّط عليها ويضربها ويسلبها أموالها. . . لكنَّ الإسلام لم يعطها

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص ٥١١.
(٢) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص ٥٠٩.

حق المبادرة باستخدام القوة ولو كانت مستطيعة لذلك، وإلاَّ تحوَّلت الحياة الزوجية إلى مسرح ملاكمة. فمع استفزاز الرجل فهذا يعني حصول معركة طاحنة بين الطرفين تخرج عن كل الضوابط، إذ أنَّ استفزاز الرجل في قوته يحوِّله إلى إنسان عنيف، عندها تكون الأضرار كبيرة وتضع الحياة الزوجية أمام المأزق.

عندما يكون الزوج ناشزاً، على الزوجة أن تنصحه وتعظه وتصبر عليه، «**وليس لها هجره ولا ضربه**»[١]، وفي أقصى الحالات تشكوه إلى الحاكم الشرعي الذي يستدعيه ويعرِّفه على واجباته، ويقوم بالإجراءات اللازمة لمساعدة الزوجة في مثل هذه الحالات، ليكون الحل بالإصلاح، أو بوضع حدٍّ للتمادي الزوجي، أو بإنهاء العلاقة بالطلاق إذا وصلت الأمور إلى الطريق المسدود مع رغبة الزوجة بذلك، فيما لو امتنع الزوج عن أداء واجباته.

إنَّ من مصلحة الزوجة أن تتصرف برقة ولطف، فهذا أفضل لنجاحها في دورها وتكليفها، فهي ريحانة وليست قهرمانة، ففي رسالة أمير المؤمنين علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قال: «**لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها، وأرخى لبالها، وأدوم لجمالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة**»[٢].

أمَّا إذا كان يضربها ضرباً مبرحاً، فليس المطلوب أن تستسلم

(١) تحرير الوسيلة للإمام الخميني (قده) ـ ج٢ ص ٣٠٦.
(٢) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥ ص ٥١٠.

له حتى يُجهز عليها، فإن كان باستطاعتها أن تردَّ عن نفسها كدفاع عن النفس، فمقداره في هذا الإطار، من دون أن تصل إلى حالة من التعارك والمقاتلة.

فإذا دقَّقنا النظر نجد أن العلاقة الحسنة مطلوبة من الزوجين، ويتحمل كل منهما مسؤولية الإساءة إليها، فعن النبي محمدﷺ أنَّه قال: **«من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها، ولا حسنة من عملها، حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر وقامت وأَعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله، وكانت أول من ترد النار. ثم قال: وعلى الرجل مثل ذلك من الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه، أعطاه الله (بكل مرة) يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه..»**[١].

١١ ـ إسكات الزوجة

هل يجوز للزوج إسكات زوجته عندما تتحدث في لقاء يضمهما؟

تدخل هذه المسألة ضمن اللياقات الاجتماعية والأخلاقية الإسلامية في تعاطي الإنسان مع أخيه الإنسان، وهذا ينطبق على الزوج مع زوجته. فإذا تكلم أحدهما فمن آداب المجلس أن تُترك له فرصة التعبير عن رأيه، من دون ممارسة أسلوب القمع ومنعه عن الكلام. فلو افترضنا وجود ثغرات في الحديث، عندها يمكن

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ـ ج٢٠ ص ١٦٣.

التدخل بلباقة غير جارحة، ويمكن أن يتمَّ النصح والوعظ فيما بينهما، ففي الحديث: «**من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه جهراً فقد شانه**»[١]. إنَّ بإمكان الزوج أن يعطي فكرة لزوجته عن طبيعة اللقاء قبل حصوله، فيمكنه استدراك السلبيات مع اطِّلاعه على بعض الخصوصيات، وليس مناسباً أن تُمنع الزوجة عن الكلام أو التعبير عن رأيها، فقد يكون الأنسب عدم اجتماعهما بالأصل في اللقاء نفسه، وإلاَّ يجب مراعاة أحدهما للآخر كي لا يحصل توتر أو إهانة في داخل الاجتماع. لكن عندما يكون الحديث بين الزوج ورجل آخر لمعالجة مشكلة ما، فقد يكون إسكات الزوجة مرتبطاً برغبة الزوج في عدم تدخُّل أحد بينهما كي لا يسيء إلى الحل، أو يضعف من موقف الزوج في المعالجة، وقد ينطبق هذا الإسكات على الزوجة وعلى أي شخص آخر، فمن المفيد أن تؤخذ بعين الاعتبار خصوصية اللقاء ومشاعر الطرف الآخر، كما أنَّه من المفيد عدم التدخل في اللحظة غير المناسبة.

١٢ ـ مكان السكن

زوجها يفرض عليها السكن في الجنوب وهي ترغب السكن في بيروت وبإمكانه تلبية رغبتها، فهل تستطيع رفض الذهاب معه إلى الجنوب؟

إنَّ اختيار مكان السكن من صلاحية الزوج ضمن موقعه كمدير

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ـ ص ٤٨٩.

للأسرة، الذي يهتم بتأمين السكن للأسرة بما يتلاءم وظروفه، وبما يحقق المستوى الاجتماعي العرفي اللائق بحال زوجته وأولاده. لكن إذا اشترطت الزوجة في عقد الزواج أن يكون سكنها في بلد معين، فالشرط لازم، وعلى الزوج إسكانها بحسب الشرط بينهما.

١٣ ـ نصيحة

في ختام هذه الحلقة أوجه هذه الكلمة :

إنَّ أهم شيء في الحياة الزوجية هو روحية التنازل من الطرفين لمصلحة الاستقرار والسكن والمودة والرحمة التي أرادها الإسلام، وعندما يتعامل الزوج مع زوجته بأنَّه سيد مطلق الصلاحية ومتسلِّط، أو عندما تتعامل الزوجة مع زوجها على أساس رغباتها ومزاجها بعيداً عن حقها، تتحوَّل الحياة الزوجية إلى بؤرة توتر. إنَّ المطلوب معرفة الحقوق والواجبات الشرعية لكل منهما، على أنَّ الأفضل بينهما من يُضحي ويتنازل ويعفو لمصلحة إسعاد الحياة الزوجية، وله الأجر الكبير عند الله جلَّ وعلا.

الحلقة الرابعة

مشاكل وحلول

١ ـ تعدّد الزوجات

قالوا بأن تعدّد الزوجات هو كالثلج على قلوب الرجال وكالنار على قلوب النساء، فما رأيكم في ذلك؟

عندما نتحدث عن صلاحية وحق، علينا أن نعرف منشأ هذا الحق، فإذا كانت له مبررات موضوعية نسلِّم به ونتعاطى معه بشكل طبيعي وواقعي. والسؤال هو: لماذا سمح الإسلام للرجل بتعدد الزوجات؟

تختلف طبيعة الرجل عن طبيعة المرأة، كما تختلف متطلبات كل واحد منهما، وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في حلقة سابقة، وتتداخل العوامل والظروف الموضوعية لتجعل التَّعدد حلاً للمشاكل التي يواجهها الإنسان، وعندما يرتبط التَّعدد بالطبيعة من ناحية وبالعوامل والظروف من ناحية أخرى، يصبح الأمر مستساغاً لأنَّه يحقِّق علاجاً لمستلزمات الحياة الإنسانية.

أما طبيعة الرجل وفطرته فهي أكثر تطلُّباً من جهة الغريزة الجنسية، وقد تكون دافعاً للتَّعدد عندما لا ترتوي هذه الرغبة بواحدة لأي سبب من الأسباب. وبما أنَّ كبتَ الغريزة يؤدي إلى أزمات نفسية واجتماعية، وأنَّ إطلاقها يؤدي إلى الانحراف عندما لا يفسح المجال لتصريفها عن طريق الحلال، كان الحل الإسلامي بالتعدد وفق الضوابط الشرعية منفذاً لمتطلبات هذه الغريزة، كي لا تقع أسيرة الكبت ولا تتفلَّت باتجاه الانحراف.

وأما العوامل والظروف التي تدفع إلى التعدد فهي كثيرة نذكر منها:

١ ـ رغبة الرجل بالأولاد مع عقم المرأة أو محدودية قدرتها على الإنجاب، وفي الوقت نفسه استعداده للبقاء مع زوجته.

٢ ـ مرض الزوجة المانع لها من القيام بواجباتها الزوجية.

٣ ـ عدم اكتفاء الرجل بإرواء غريزته الجنسية مع زوجته.

٤ ـ الحروب التي تحدث خللاً في قلة عدد الرجال بالنسبة لعدد النساء ما يتطلب إجراءات تحمي النساء وتحفظهن، فيكون التَّعدد سبيلاً لتحصين المجتمع، بتوزيع هذه المسؤولية على أفراده.

إنَّ التعدّد يفسح في المجال لتقديم حلول عملية لقضايا واقعية، وهو اختياري مباح وليس واجباً، إذ أنَّه يرتبط بتقدير الرجل لإمكاناته ومتطلباته، في إطار مؤسسة الزواج التي تُعتبر حصانة

للرجل والمرأة، علماً بأن الضرورات والحاجات تختلف باختلاف الأشخاص، كما يختلف تقييمها من شخص لآخر. لقد حفظ التعدد المجتمع الإسلامي من الفساد الأخلاقي لأنَّه عالج مصالح أكيدة ومشاكل واقعية.

أمَّا رفض تعدد الرجال للمرأة فمصلحته واضحة، تتركز في منع اختلاط المياه الذي يؤدي إلى ضياع الأنساب، لأنها الأم والحاضنة للولد. وفي العلل بإسناده عن محمد بن سنان: «إنَّ الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله علَّة تزويج الرجل أربع نسوة وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد، لأن الرجل إذا تزوج أربع نسوة، كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يُعرف الولد لمن هو؟ إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف»[1].

وربَّ قائلٍ: ماذا لو كانت المرأة عقيمة؟

فبالإضافة إلى ما ذُكر من منع اختلاط المياه كسبب رئيس، يُعتبر نظام تكوين الأسرة في الإسلام، والذي يجعل القوَّامية للرجل، مبنياً على اعتبار المرأة جزءاً من هذا التكوين للأسرة، وهي ترتبط بجملة حقوق وواجبات تستلزم منها أن تكون مع رجل واحد، كما يساهم تكوينها الفطري في هذا الاتجاه، ولا يمكن المحافظة على استقرار وبناء الأسرة بغير هذا السبيل.

---

(١) تفسير الميزان ـ ج٤ ص ١٧٥.

لكن لماذا يعتبر التعدُّد كالنار بالنسبة للمرأة؟ فلهذا الاعتبار سببان:

الأول: تربوي، فمع تركيز التوجيه والتربية على ضرورة أن تستقلّ المرأة ببيتها وزوجها، بحيث لا ينافسها أحد، وأن تكون لها خصوصية لا تشاركها فيها أخرى، يصبح التعدد مرفوضاً بسبب هذه التربية التي تتحول إلى موقف عام ونمط سائد وما يؤكد الأثر التربوي وجود بعض البلدان التي تتعاطى حالياً مع التعدد بشكل طبيعي ومألوف، كما كان كذلك في حقبات عديدة من التاريخ وفي مجتمعات متفاوتة.

الثاني: نفسي، بسبب الرغبة بالاستقلال والاستئثار، فهذا أكثر راحة وأهدأ بالاً.

أما الثلج على قلب الرجال، فمن منطلق الصلاحية الموجودة للتعدد، والتي تعالج لهم بعض المتطلبات أو المشاكل التي يواجهونها. لكنَّ الكثيرين لا يرغبون بالتعدد ولا يُقدمون عليه لألف سبب وسبب، إذ يعتبرون أنفسهم مكتفين وغير محتاجين أو مضطرين إلى التعدد، وأنَّ خسائر التعدد بالنسبة لهم أكثر من أرباحه، فلا مشاكل لديهم أو مطالب تستدعي التَّعدد. والفرق واضح بين وجود الصلاحية واستخدامها، فالتَّعدد يُرتِّب عملياً مسؤولية على الرجل.

لنتعامل مع التعدد بشكل موضوعي، وليكن السؤال واضحاً

ومحدداً: هل يلجأ الرجل إلى التعدد إذا لم تكن لديه مبررات لذلك؟ إنَّه في غالب الأحيان يحل مشكلته الخاصة بالتعدد، أمَّا الحالات التي يكون الحل فيها بناءً لتوجيه عام أو حل لمشكلة اجتماعية فقليلة بل نادرة. وعلى هذا الأساس فلن يتوقَّف الرجل عند ما يقوله الآخرون عنه لأنها مشكلته، ويريد حلَّها، ويعتبر أن التعدد حلٌ شرعي يحصِّنه ويريحه. أمَّا ما تراه المرأة فمن زاوية مختلفة عمَّا يراه الرجل، ومع ذلك فمع التثقيف والتوجيه والتربية السليمة تصبح الصورة أوضح. وليس مطلوباً من الرجل أن يشرح للناس أسباب إقدامه على التعدد، فهي صلاحية معطاة له، وقد يتندَّر الآخرون من حوله عن الأسباب التي دفعته لذلك، أو لا يوافقونه عليها، وقد لا يعرفونها، وهذا كله لا يقدِّم ولا يؤخر شيئاً، فلا علاقة لأحد بما يقرره، يعلنه أو يضمره، إنها حياته وحياة من اختارها، فالميزان الأساس موافقة العمل للشريعة المقدسة التي أباحت التعدد كحل للمعالجة.

٢ ـ التعدد وحقوق المرأة

لكن البعض يعتبر التعدد مضراً بحقوق المرأة؟

من يحق له أن يعمِّم أي حكم!؟ أو أن يقول بأنَّ النساء يعشن حالة انتقاص من حقوقهن!؟ فهناك حالات تعدد يغلب عليها التفاهم والاستقرار، كما توجد حالات انفراد معقَّدة وغير مستقرة وتنتهي إلى الطلاق، ويوجد النقيض والعكس لكل منهما. فالعبرة

بالتطبيق وحسن الاختيار وسلامة التربية وتفهُّم الوضع الآخر وملاحظة الخصوصيات عند كل من الرجل والمرأة عند الزواج.

ولماذا تقبل الثانية أو الثالثة أو الرابعة أن تتزوج من رجل متزوج؟ فلو لم يكن الزواج حلاً لها لما قبلت به. فالزواج المتعدد حلٌّ لعدد من النساء في المجتمع كما هو حلٌّ لعدد من الرجال فيه، ولا يصح أن يُقال بأنَّه ظلم للمرأة، لأنَّه حلٌّ لشريحة منهن لا يجدن الحل من دونه.

كما يجب الالتفات إلى الآثار المجتمعية السلبية التي تولَّدت في المجتمعات الغربية بسبب شعار رفض التعدد. فانتشار الزنا والخيانة الزوجية وتعبئة المرأة باتجاه حقها في حريتها بأن تحقق رغباتها من دون ضوابط الزواج... الخ، كلها نتائج مرتبطة بطريقة معالجة العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل عام والنظرة إلى دورهما وخصوصياتهما. فلا قيمة للتقديس الشكلي للزوجية، عندما تنهار عملياً بسبب الرؤية والممارسات اليومية، ولا يمكن عزل نتائج النظرة إلى الزوجية والأسرة عمَّا يجري في المجتمع بشكل عام.

فإذا اعتبرت المرأة نفسها مظلومة بنظام التعدد، أو أنها لا تتحمل مشاركة زوجها لأحد معها، فبإمكانها الاشتراط في عقد الزواج بأن تكون وكيلة عن زوجها في طلاق نفسها إذا تزوج عليها من دون موافقتها، وبذلك تكون قد تحلَّلت من هذا الارتباط عندما يُشكِّل إزعاجاً لها، فرغبتها محترمة مع الاشتراط، وحقها محفوظ

ضمن الضوابط الشرعية، وليس لها أن تُوجد أزمة مع عدم الاشتراط، إذ ليس من حقها المنع.

لقد أكَّد الإسلام على حق الزوج في التعدد، واعتبره غير قابل للإلغاء، إذ لا يمكن الاشتراط في عقد الزواج على إلغاء حق الزوج في ذلك،ولو تم الإشتراط فالشرط باطل وعقد الزواج صحيح، إنما يمكنها اشتراط أن تكون وكيلة عنه في طلاق نفسها لحل عقد الزوجية بينها وبينه أو أي شرط آخر محلل ربطاً بالتعدد أو بغيره. أمَّا السبب الأساس لثبات هذا الحق في التعدد، فله علاقة بمنظومة بناء الأسرة وبالتالي بناء المجتمع الإسلامي وتوفير سبُل قوته وحمايته من أخطار الانحراف والفساد والخلل.

إنَّ ما شرَّعه الإسلام يشكل الحلول الحقيقية لمجتمعنا، وعلى المجتمع أن يتعاطى مع الموضوع من زاوية شرعيته وضرورته في بعض الحالات، فلا يتعاطى معه بطريقة سلبية حتى لا يمنع شرع الله تعالى من التطبيق، وهو الأصوب من عواطفنا ومشاعرنا.

٣ ـ تحقيق العدل

ألا يمكننا أن نفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ بأنَّه إلغاء لفكرة التعدد إلاَّ في حالات قاهرة؟ وهل يمكن أن يتحقق العدل عملياً؟

الآية الكريمة التي تتحدث عن التعدد تقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[1]. أمَّا مطلعها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فالمقصود به في الزواج، وذلك بعد الحديث في الآية التي سبقتها عن إيتاء اليتامى أموالهم وعدم التفريط بها، فإذا خفتم أن ينطبق هذا العنوان على الزواج من اليتامى، يمكنكم الزواج من غيرهن مثنى وثلاث ورباع، وهذا يعني أنَّ سقف الجمع في الزواج الدائم من الحرائر أربعة. فإن خفتم في دائرة التوقع استناداً إلى معرفتكم بإمكاناتكم أن لا تعدلوا في النفقة بين الزوجات والقسمة في المبيت فواحدة، أو ما ملكت أيمانكم من النساء والمملوكات بنظام الرق الذي كان سائداً وألغاه الإسلام عملياً، فالاكتفاء بالواحدة لا يوقعكم في العَول أي عدم العدل. فالزواج المتعدد جائز وشرطه العدل في قيام الزوج بواجباته تجاه زوجاته، ويتحمَّل مسؤوليته الشرعية في دراسة وضعه وقدرته قبل الإقدام على هذه الخطوة.

أما الآية التي ذُكرت في السؤال، فقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]، فهي تتحدث عن عدم الاستطاعة في العدل في الميلان

(١) سورة النساء الآية ٣.
(٢) سورة النساء الآية ١٢٩.

القلبي، إذ أنَّ المؤثرات العاطفية التي تزيد من التعلق بواحدة دون أخرى لا تخضع لدائرة التحكم المسيطر عليه في حياة الإنسان، وهذا ما يتكرر مع الأولاد والأصدقاء ومع كل ما يحيط بالإنسان. من هنا أكَّد على عدم إبراز السلوك العملي المنعكس من هذا الميلان القلبي، وعدم تحول شدة الميل إلى ما يُشبه تعليق الحياة الزوجية لإحداهن بسبب الأخرى، إذ يتحمل الزوج مسؤولية تصرفاته الظاهرية في الإنفاق والقسمة وطريقة التعاطي ولا تشمل المشاعر والعواطف الذاتية.

وقد روي عن أبي جعفر الأحول أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الآيتين فقال: «**أمَّا قوله** ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ **فإنما عنى به النفقة، وقوله** ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ **فإنما عنى به المودَّة، فإنَّه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودَّة**»[1].

لكنَّ أخطاء التطبيق واردة كما في كل الميادين، فإذا أقدم رجل على زواج متعدد وهو غير قادر عليه ويعلم ذلك مسبقاً، فقد خالف تكليفه، وإذا كان قادراً لكنَّه أساء المعاملة وميَّز عن عمد، فهو سلوك بعيد عن الالتزام بأوامر الله تعالى. لكنَّ هذا لا يعني سلبية التعدد، وإنَّما يشجع على ضرورة الاهتمام بالتربية الفعَّالة ليكون الحل متناسباً مع حاجات المجتمع البشري على مستوى التطبيق.

(١) تفسير القمي للآية ٣ من سورة النساء.

٤ ـ عقبة العامل الاقتصادي

ذَكَرَت الاحصاءات أنَّ عدد النساء في لبنان أكثر من عدد الرجال، ألا ترون سماحة الشيخ ضرورة الدعوة إلى التعدد لمعالجة هذه المشكلة؟

ذكرت الإحصاءات أن عدد النساء أكثر بقليل من عدد الرجال، فنسبة عدد النساء ٥٢٪ تقريباً ونسبة عدد الرجال ٤٨٪ تقريباً، ومعدل العزوبة مرتفع فمن بين كل مائة رجل في عمر ٣٥ ـ ٣٩ سنة يوجد ١٩ عازباً، بينما من بين كل مائة أنثى من العمر نفسه يوجد ٢١ عازبة[١]. وفي تقرير آخر أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عن التنمية البشرية في لبنان للعام ١٩٩٨، ذكر أن معدل سن الزواج ٣١ عاماً للذكر و ٢٧,٥ عاماً للأنثى، ويعود ارتفاع سن الزواج إلى عوامل عديدة تأتي في مقدمتها الحالة الاقتصادية[٢]. فإذا كانت العدالة في النفقة دعامة التعدد، ومع صعوبة الزواج من واحدة بسبب العامل الاقتصادي، عندها لا يمكننا القيام بحملة في هذا الاتجاه.

وطالما أن التعدُّد حل لمشاكل معينة، على مستوى الأفراد، فلنترك المسألة بشكل طبيعي، مع غياب المعالجة الاجتماعية العامة، كي لا تكون الدعوة إلى التعدد سبيلاً لمشكلة في التطبيق.

---

(١) تحقيق عن العزوبية ـ صحيفة النهار البيروتية ـ ١٨ تشرين الأول.

(٢) تقرير الشباب والتنمية ـ صحيفة السفير البيروتية ـ ١١/٣/٩٩.

إنَّ مجتمعاتنا تفتقر ـ للأسف ـ إلى خطط وبرامج لمعالجة مشكلة العزوبية وما تسبِّبه الأزمة الاقتصادية من وقوع الشباب في الانحراف، وهذا ما يستدعي بذل جهود رسمية وأهلية لتأمين تزويج الشباب أولاً.

٥ ـ يغنهم الله من فضله

لكنَّنا نلاحظ الحث على الزواج في الآيات والروايات بصرف النظر عن الوضع الاقتصادي، فما تفسير ذلك؟

يحث الإسلام على الزواج ويشجع عليه بالدعوة إلى تخفيف شروطه وتسهيل معاملاته، كما يطلب من المرء أن لا يكثر من حساباته المادية، وأن لا يعقّد أموره كي لا تكثر العقبات فيعدل عن فكرة الزواج. فلتكن الحسابات معقولة وعادية، ولتكن المقدمات منطقية، ثم يكون التوكل على الله تعالى، فالرزق مقسوم. وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)]، فقد حثَّ على تزويج الأيامى أي غير المتزوجين، عندما يكونوا صالحين[(٢)] ومهيئين للزواج، بتوفير المقدمات العادية، والله يرزقهم ويغنيهم

(١) سورة النور الآية ٣٢.

(٢) ورد في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ـ ج١٥ ص ١١٣: الأيامى جمع أيم بفتح الهمزة وكسر الياء المشدَّدة، وهو الذي لا أنثى معه والأنثى التي لا ذكر معها، وقد يُقال في المرأة أيمة. والمراد بالصالحين: الصالحون للتزويج لا الصالحون في الأعمال.

من فضله بعد ذلك، فأمور الحياة مبنية على التيسير. لكن إذا لم تتوفر المقدمات الضرورية فالاستعفاف والصبر هو الأساس، والامتناع عن الحرام هو السبيل، بانتظار أن تتوفر الظروف الملائمة، وفي هذا يقول تعالى في الآية التي تليها: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾[1]، فعدم وجدان النكاح هو عدم توفر المهر والنفقة.

إنَّ القاعدة العامة هي السعي للتزويج من دون الإكثار في الحسابات، فقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾، وقال الرسول ﷺ: «**من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله عزَّ وجل**»[2]، وقال أيضاً: «**من سرَّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة، ومن ترك التزويج مخافة من العيلة فقد أساء الظن بالله عزَّ وجل**»[3]. فالآيات تلحظ الوضع الاقتصادي فتدعو إلى الصبر من خلال آية الاستعفاف، لكنَّها تستنكر ترك التزويج لكثرة الحسابات المادية والتخوف من المستقبل.

٦ ـ التكامل بين الحقوق والواجبات

قرأت كتاباً لكاتب انكليزي يتهجم على الإسلام ويشكك بكل منظومة الأحوال الشخصية، مركِّزاً بشكل خاص على هذه «الثغرة» التي اسمها التعدد، والتي تهضم المرأة حقوقها، فما تعليقكم؟

---

(١) سورة النور الآية ٣٣.
(٢) الكافي للكليني ـ ج٥ ص ٣٣١.
(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق ـ ج٣ ص ٣٨٥ ح ٤٣٥٤.

إنَّ النقاش في أي موضوع على مستوى حقوق المرأة أو حقوق الرجل بطريقة تجزيئية نقاش خاطئ، ولا يمكن أن نرى جميع الحقوق منحصرة في التعدُّد أو عدمه، بل علينا أن ندرس واقع المرأة وفطرتها ومتطلباتها وكذلك الرجل، ثم ندرس توزيع الصلاحيات بينهما، **لنناقشها ككل متكامل، يعطينا الصورة الحقيقية للبنيان الإسلامي للعلاقة بين الرجل والمرأة في إطار الحياة** الزوجية.

قلنا بأن الإسلام أعطى كلاً من الرجل والمرأة حقوقاً وواجبات تنسجم مع قدرتيهما التكوينيتين، وميَّز كلاً منهما بخصوصيات تنعكس على دوره المتوافق مع القدرة، وجعلهما متساويين في كل الأمور الحياتية الأخرى، فالقاعدة هي: **العدل في أعباء الحياة الزوجية، والمساواة في أعباء الحياة الإنسانية ومسؤولياتها، وهي التي نسميها: المساواة الإسلامية.**

لقد نظر الكاتب إلى جانب واحد وأغفل الجوانب الأخرى وكيفية التكامل بينها، وقد قرأت لكاتب إسلامي قوله: «عندما اطَّلعت على حقوق المرأة شعرت بأن الرجل منقوص الحقوق»، هو تعبير مجازي عن أهمية ما أخذته المرأة في الإسلام بالمقارنة مع الأنظمة الاجتماعية الأخرى. وقال الإمام الخميني(قده): «يريد الإسلام التكامل للمرأة والرجل. لقد أنقذ الإسلام المرأة من تلك الأمور التي كانت في الجاهلية، وإنَّ الخدمات التي قدَّمها للمرأة

لم يقدِّمها للرجل. إنَّكم لا تدرون كيف كانت المرأة في الجاهلية، وكيف أصبحت في الإسلام... يريد الإسلام من المرأة أن تقوم بجميع الأعمال الأساسية كالرجل، ولكن بشرط أن لا تصبح سلعة، فتتزين كما يريد الرجل، وتنزل إلى المجتمع، وتختلط مع الناس، وتختلط مع الشباب، فالإسلام يريد منع هذا. يريد الإسلام أن يحافظ على حيثيتها وكرامتها، وأن يعطيها شخصية بحيث تخرج من هذه الشيئية. هؤلاء يريدون بيعها، وأن تتلقفها الأيدي من يد لأخرى، بينما يعارض الإسلام ذلك. فالإسلام خدم المرأة بشكل لم يكن له سابقة في التاريخ أبداً، إذ أنَّه أنقذ المرأة من تلك المستنقعات، وأوجد لها شخصيتها»[1].

على كل حال فبعض الكتّاب المغرضين تناولوا بالنقد نظرة الإسلام إلى المرأة من خلال الحديث عن التعدد أو الإرث أو الطلاق، لكنَّ الإجابة على هذه الاتهامات تسهل عندما نبدأ من النظرة الشمولية للإسلام، وتبقى قاصرة عندما تؤخذ الأمور بطريقة تجزيئية غير مترابطة.

وضع الإسلام منظومته بتشجيع الزواج موزعاً الأدوار في داخل الحياة الزوجية، لتكون الأسرة هي اللبنة الأساس، وهي الحضن المربي للأولاد، وهي النموذج للمودة والرحمة في العلاقات الإنسانية لتنعكس على بنية المجتمع وصلاحه واستقامته وتوزيع الأدوار فيه.

(١) منهجية الثورة الإسلامية ـ ص٣٣٢.

فالرجل هو القوّام والمدير في مقابل مسؤوليته عن الإنفاق والحماية، والمرأة لا تتحمل أي مسؤولية مادية في الإنفاق على نفسها أو عيالها في مقابل تهيئة السكن النفسي وحق الاستمتاع بما ينسجم مع طبيعتها وجاذبيتها. وكلاهما مسؤول عن رعاية وتربية الأولاد كمسؤولية إسلامية عمّا أنجباه. وبما أن الرجل ينفق ويدفع المهر فحظه في الإرث مثل حظ الأنثيين ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[١]، وبما أنَّه أقوى جسدياً فعليه الجهاد العسكري وقتال الأعداء وحماية الأوطان، وبما أنَّه أكثر عقلانية وأكثر حسماً فشهادته كشهادة امرأتين، وبما أنَّ شهوته أكثر تطلباً ويتحمل مسؤولية الإنفاق يمكنه التعدد من أجل استقرار حياته. أمَّا المرأة فلا أعباء مالية عليها، ويتطلب ضعف جسدها مع حالاتها الخاصة شهرياً وعند الولادة مهمات مريحة وغير قاسية، وتُعتبر عاطفتها أساسية للتربية وحفظ الحياة الزوجية فهي مصدر قوة عندها، ولا يُقاس مقامها بشهادتها عند القاضي فهذا أمر عرضي في الحياة، ولا يسمح تكوينها بالتعدد كما أنها ليست بحاجة له أصلاً.

إنَّها الصورة المشرقة لحقوق المرأة في الإسلام، التي يقابلها بعض الخلل في التطبيق، وهذه مسؤولية المسلمين وليست مسؤولية الإسلام، إنها مسؤوليتهم في عدم الالتزام بما أمر الله تعالى.

أما الصورة الأخرى فهي الموجودة في الغرب بشكل عام،

---

(١) سورة النساء الآية ١١.

فالزواج ممنوع إلاَّ من واحدة، أمَّا ما قبل الزواج وما بعده من علاقات غير مشروعة فمباح ولا يخضع لمعاقبة القانون، فالمعاشرة قبل الزواج والتي تؤدي إلى الزنا عاديةٌ عندما تكون برضا الطرفين، والمعاشرة بعد الزواج لامرأة أخرى أو لرجل آخر أي الخيانة الزوجية ترتبط بالحرية الشخصية، لقد بدّلوا التعدد المشروع بالإباحية والزنا والخيانة الزوجية والشذوذ بين مثليي الجنس. وأمَّا التفاصيل الأخرى في الحياة الزوجية فأكثر تعقيداً، فالرئاسة والإدارة التوافقية تخل ببنيان الأسرة، وسلطة الأولاد تدفعهم لتتدخل الشرطة في حياة الوالدين، وبيت الزوجية مكان التقاء الزوجين والأولاد ضمن شبكة مصالح تجمعهم وهي مقننة في نظام مادي للحقوق والواجبات فلا مودة ولا رحمة، وتكفي النتائج الواضحة لما عليه الأسرة في الغرب، وما عليه المجتمع من فساد وانحراف، للتدليل على خطر هذا الاتجاه وسلبيته.

إنَّ المنظومة الإسلامية للحياة الزوجية قد حفظت الاستقامة على امتداد عالمنا الإسلامي على الرغم من التخلف والقهر والاستعمار والظلم، وأبقت التماسك في إطار الأحوال الشخصية التي ثَبَّتت بنيان العائلة وحافظت على نمطيتها، ما أعطى فرصة التوجيه والتربية والاهتمام بالقيم الأخلاقية والحرص على حماية المرأة كإنسانة تبني لا كأنثى تهدم بجاذبيتها واغوائها.

لقد اعتمد الإسلام على نظام الزواج كأصل، بما يشمل

الزواج المتعدد والزواج المنقطع أيضاً، ورفض أي شكل آخر خارج العلاقة الزوجية، ولم يفسخ بالمجال أمام أي مقدمات لعلاقة بين ذكر وأنثى لا تؤدي إلى الزواج.

٧ ـ لياقة التطبيق

في جواب سابق، انتقدتم التوقف عند الوضع القانوني الشرعي، فهل يمكننا تجاوزه وعدم التقيد به؟

يجب أن نتعلم الحقوق والواجبات من الآيات والروايات والمسائل الشرعية للمرجع الذي نقلده، فعلى الشاب أن يعرف ما له وما عليه، وعلى الفتاة أن تعرف ما لها وما عليها، لكن في التعامل اليومي، على كل منهما أن يتقيَّد بحقه وأن يؤدي واجبه بأليق طريقة ممكنة وبأسلوب لا يؤذي الطرف الآخر. فإذا تعسَّر التطبيق لعدم استجابة الطرف الآخر، ولم يشكِّل التجاوز عن هذا الحق عقبة، فإن التضحية والتجاوز من مقتضيات الرحمة وحسن المعاشرة، بدل الوقوف عند دقائق الأمور وبطريقة أنانية أحياناً. أمَّا إذا أردنا العودة إلى باب النكاح في الرسالة العملية للمرجع، وبدأنا نفتح الصفحات، ليواجه كل زوج قرينه برقم المسألة التي تعطيه حقاً في مقابل الآخر، فعندها تفقد العلاقة مقومات المودَّة والرَّحمة تدريجياً. قد نضطر إلى هذه العودة لأن التشريع يشكِّل الحماية الحقيقية لحياتنا ولا بدّ منه لاستقامتها، لكن ليس مناسباً بأن نجعلها نمطاً عاماً في حياتنا، فالمطلوب هو اليسر وعدم التكلُّف في ترسيخ الحياة الزوجية.

٨ ـ زواج المتعة

ما هو الفرق بين زواج المتعة والزواج الدائم؟ وما رأيكم بمن يعتبره مخلاً بأهداف الزواج؟

زواج المتعة أو الزواج المنقطع أو المؤقت علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، تنشأ بعقد يُذكر فيه المهر والمدة، وينتهي هذا الزواج بانقضاء المدَّة أو هبة الزوج المدَّة الباقية للزوجة فلا طلاق فيه. ويتميَّز عن الزواج الدائم بالإضافة إلى الأجل المحدَّد بعدم وجوب النفقة على الزوج، وعدم ثبوت التوارث بين الزوجين، أمَّا عدة الزوجة بعد المباينة مع الدخول فقرأين إذا كانت ممن تحيض، وإلاَّ فخمسة وأربعون يوماً[١]. وشأن المولود من هذا الزواج شأن المولود من الزواج الدائم في جميع أحكامه.

وقد استند الفقهاء في مشروعية هذا الزواج إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢]. وإلى تطبيق هذا الزواج في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن جابر وسلمة بن عمرو الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله، فقال: إنَّ رسول الله قد أذن لكم أن تستمتعوا. وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: فعلناها على عهد النبي صلى الله عليه وآله[٣].

---

(١) لمن لا تحيض وهي في سن من تحيض، وتراجع التفاصيل الأخرى في تحرير الوسيلة للإمام الخميني (قده) ج٢ ص ٣٣٧.

(٢) سورة النساء الآية ٢٤.

(٣) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري ـ ج٢ فصل متعة النساء ص ٢٥٢.

يشكِّل زواج المتعة حلاً للمشكلة الجنسية، فعندما لا يكون الشاب قادراً على إنشاء الأسرة نظراً لأعبائها المادية ومتطلباتها، أو لا يكون المتزوج مكتفياً بواحدة ولا تساعده ظروفه أو لا يرغب بالتعدد، أو يكون مسافراً سفراً طويلاً لا استقرار فيه، أو غير ذلك من الأسباب، تكون المتعة حلاً في إطار العفة، حيث تضبط العلاقة بين الرجل والمرأة في إطارٍ مشروع له حدوده ومترتباته، وبهذا تكون المشاكل الناشئة عن بعض المتطلبات الإنسانية قد وجدت لها الحلول المناسبة في الزواج المؤقت، فلا مبرِّر للتفلت من المسؤولية والانضباط أو اللجوء إلى الإباحية والفوضى بحجة الغريزة، ولا كبت في مواجهة فطرة الإنسان، وهذا ما يؤدي إلى تجنُّب السلبيات الناشئة عن مخالفة الحاجات الواقعية. وهذا الأمر ينطبق على المرأة أيضاً في دائرة متطلباتها وظروفها، ويشكِّل حلاً لها في بعض الحالات.

ولا يسبب الزواج المؤقت أي خلل في تحقيق أهداف الزواج الدائم، لأنَّه ليس بديلاً عنه، ولأنَّ الطبيعة البشرية تتوق إلى الاستقرار النفسي والجسدي والأسري الذي لا يتحقق إلاَّ بالدائم، لكن لا يمكن التغاضي عن الظروف المانعة من الزواج الدائم مع وجود الرغبة الجنسية التي تنمو طبيعياً في الإنسان، والتي يحتاج إلى تصريفها، فطريق الحلال المشروع أولى من تجاوز المشكلة وعدم حلِّها.

فإذا اعترض البعض بسبب إساءة تطبيق هذا الزواج، فالمعالجة بالتوجيه لحسن التطبيق لا بإلغاء المشروع.

وإذا اعتبره البعض الآخر موجهاً ضد حقوق المرأة، فجوابه جواب التعدد في كونه حلاً لمطلب إنساني عند الرجل وعند المرأة أيضاً، فهو عقد بين طرفين يحقق لكل منهما مطلبه منه.

وإذا كان الإشكال من العادات السائدة والأجواء العامة التي لا تتقبَّل هذا النوع من الزواج، فشريعة الله تعالى لا تخضع لأمزجة الناس، ولا بدَّ من تبيانها وتوضيحها ليتعرف الناس على الحلال الذي يحصِّنهم من الحرام.

أمَّا سلبية عدم الاستقرار فمنتفية لأنَّه زواج مؤقت لا يلحظ معالجة الاستقرار.

وأمَّا نتيجته على المرأة فواضحة من أول الطريق، وعليها أن تدرس الإيجابيات والسلبيات بدقَّة لترجح ما ينسجم مع وضعها وظروفها.

وأمَّا مشكلة الأولاد لو نشأت فهي شبيهة بمشكلتهم عند الطلاق أو موت أحد الأبوين، وهي جزء من الابتلاء الذي يتطلَّب حسن التعامل معه واختيار الأفضل لمصلحة الأولاد، علماً بأن بعض الحالات قد أدَّت إلى الزواج الدائم.

إنَّ النظرة الإنسانية الشاملة تمكننا من التحليل الموضوعي

لحاجات كل من الرجل والمرأة في هذه الحياة، ثم تأتي الحلول لتعالجها من جوانبها كافة، بحيث يكون بعضها أساسياً وثابتاً ويقوم عليه البناء الإنساني كالزواج الدائم، ويكون البعض الآخر استثنائياً أو حلاً لمشاكل محدَّدة كالزواج المتعدد أو المؤقت، وبهذا نكون قد تعاطينا مع الحياة بواقعية تساعد على الاستقامة والفضيلة وتقديم أنجع الحلول لبني البشر. وبما أنَّ الزواج عقد بين طرفين، فالمسؤولية يتحملها الطرفان، وعليهما حسن الاختيار الذي يؤدي إلى تحقيق الإيجابيات الأفضل التي يتوقان إليها.

٩ ـ أبغض الحلال

هل توافقني الرأي بأن قلة نسبة الطلاق ناشئ عن مجتمعنا الإسلامي المحافظ وتقاليدنا الشرقية؟

عندما تتراكم المشاكل بين الزوجين وتصل إلى المدى الذي لا معالجة معه، فإن الطلاق هو الحل الأخير. وعندما يتم رفض هذا الحل فهذا يعني أن تبقى الأزمات وتتفاقم، أو أن يلجأ كل منهما إلى حلول منحرفة لحل مشاكلهما المعقدة. ولا بدَّ أن نكون واقعيين، فبعض الزيجات تفشل لعدم الانسجام أو اختلاف الطبائع والتربية أو وجود عقبات تعيق حياة الطرفين مع بعضهما، ومهما وضعنا من حلول للحياة الزوجية الناجحة، فمن المستحيل افتراض خلوها من الإشكالات الواقعية والتطبيقية.

لقد تشدد الإسلام في مواجهة فكرة الطلاق، فعن

الرسول صلى الله عليه وآله: «**ما أحلَّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق**»[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء ممَّا أحلَّه الله عزَّ وجل أبغض إليه من الطلاق، وإن الله يبغض المطلاق الذوَّاق**»[٢]، وهذا ما يشجع على استنفاد كل الوسائل قبل الوصول إلى الطلاق. كما شجع الإسلام على عدم تسرُّع الزوجين بالانفصال عندما تصل المشكلة بينهما إلى مرحلة لا يقبل معها كل واحد منهما رأي الآخر، ويفقد الحوار مقوماته، وذلك بالتحكيم من خلال طرف ثالث يكون موثوقاً ومقبولاً من الطرفين أو يمثلهما، كي يتم البحث في تفاصيل المشكلة وسبل معالجتها، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[٣].

فالأصل هو المحافظة على الحياة الزوجية، باتباع كل الأساليب التي تساعد على بقائها، وتشجيع كلا الطرفين للتنازل والتحمل لمصلحة استمرارها، على قاعدة العلاقة الإيجابية ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ﴾[٤]، وإلاَّ فالطلاق هو البديل المشرف والمحلل ﴿أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾، لأن العلاقة الزوجية ليست علاقة قهرية بل علاقة مودة

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ـ ج٥ ص ٦٦١.
(٢) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٦ ص٥٤.
(٣) سورة النساء الآية ٣٥.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٩.

ومعروف، فإمَّا أن تستمر كذلك وإمَّا أن يتم فصلها وإنهاؤها بإحسان وأخلاقية في التعامل الإنساني.

ولَّدت هذه النظرة الإسلامية تشدداً اجتماعياً في عدم تقبل الطلاق بسهولة، فالمعنويات العائلية والاعتبارات الاجتماعية تؤدي إلى ضغوطات للمحافظة على الحياة الزوجية، ثم يزداد الأمر صعوبة مع وجود الأولاد الذين يشكلون رابطاً مؤثراً وضاغطاً على الزوجين خوفاً من ضياعهم وعدم استقرارهم. كما ساهمت هذه النظرة في معالجة العديد من المشاكل التي تؤدي إلى الطلاق، بإعطاء الفرص للتجربة والمعالجة، وكذلك يساهم الطلاق الرجعي في تخفيف حدة إجراء الطلاق، حيث يعيش الزوجان تحت سقف واحد خلال عدة المرأة، حيث يمكن العودة خلالها إلى الزوجية من دون عقد زواج، وهذا جزء من مشجعات الإبقاء على هذه الرابطة. مع كل هذا فإن الطريق غير مسدود عند تعسر الحل بأبغض الحلال وهو الطلاق.

١٠ ـ الشروط في عقد الزواج

هل يمكن اشتراط بعض الأمور في عقد الزواج لمعالجة الحالات التي تشعر معها المرأة بالقلق أو الخوف من المستقبل؟

عقد الزواج اتفاق بين طرفين، وهو مبني على قواعد عامة وشروط خاصة. أمَّا القواعد العامة فتثبت بمجرد إجراء العقد، وهي تحدد حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة، كقوامية

الزوج، وواجبه في الإنفاق، وحقه في إيقاع الطلاق، أو التعدد، وحقه في الاستمتاع. . . الخ، وكحق الزوجة في النفقة، وحرية التصرف بما تملكه، وعدم وجوب خدمة المنزل. . .الخ. فإذا لم يشترطا شيئاً في عقد الزواج تُطبَّق القواعد العامة عليهما، وتكون المعيار لتحديد حق كل منهما وواجبه عند الاختلاف.

أمَّا الشروط الخاصة فهي التي يمكن إيرادها أثناء عقد الزواج، والتي تعطي صلاحيات إضافية للزوج أو الزوجة بشرط عدم مخالفتها للمشروع، فكل شرط مخالف للمشروع باطل ولا قيمة له ولو وافق عليه الطرفان، إذ بإمكان أحدهما عدم تطبيقه ولا شيء عليه.

وتشكِّل الحقوق والواجبات الشرعية الثابتة ضوابط قانون الزواج، بحيث يقوم بنيان الزوجية عليها، ومنها: للزوج القوامية فلا يمكن سلبها منه بالشرط، وله حق التعدد فلا يمكن اشتراط عدمه. وللزوجة حق النفقة فلا يمكن اشتراط عدمها، ولها العدل في المضاجعة مع تعدد الزوجات فلا قيمة لشرط عدمه. فمع عدم مخالفة الشروط الشرعية الثابتة، يمكن الاتفاق على الشروط التي يريدها الزوجان في عقد الزواج وتكون مُلزمة لهما، كما يمكنهما الاتفاق على الشروط التي يرغبانها في عقد لازم[1] مستقل عن عقد الزوجية ولو أبرماه بعد الزواج.

---

(١) العقد اللازم هو الذي يُلزم الطرفين بما ورد فيه، فمن العقود اللازمة: عقد البيع، الاجارة، الصلح. . . الخ، ويمكن إيراد الشروط المشروعة في أي عقد لازم.

فإذا تبيَّن وجود مشاكل معينة، أو قلق من نتائج سلبية محتملة قد تطرأ بسبب الزواج، أو رغبة في الحصول على بعض المكتسبات والضمانات لحياة زوجية أفضل، فبالإمكان معالجة كل هذه الاحتمالات بإيراد الشروط الملائمة التي يتفق عليها الزوجان.

ومع تسليمنا بأنَّ بعض الأزواج قد يسيء أحياناً إلى الحياة الزوجية بسبب رغباتهم وسوء سلوكهم واستخدامهم للقوة الجسدية لممارسة العنف بمعزل عن الصلاحيات القانونية المعطاة لهم، فإنَّ استخدام الصلاحيات القانونية قد يشكّل ذريعة للتسلُّط والتضييق على الزوجة، فلا يُحسن معاشرتها ولا يخلي سبيلها، ثم يتمسك بحقه في الطلاق فيمتنع عن طلاقها رغم استحالة الحياة بينهما، ويتصرف بكامل هامش المناورة والضغط، من دون التوقف عن النفقة أو تشكيل الخطر على حياتها، كي لا يعطي ذريعة للحاكم الشرعي ليطلقها نيابة عنه. وبإمكان الزوجة أيضاً أن تسيء في مجال صلاحياتها، لكنَّ الحلول متوفرة بالإجمال لدى الزوج.

هنا تفتح الشروط آفاقاً لمعالجة مثل هذه الحالة أو الحالات الأخرى، لتعطي عقد الزوجية مساحة من المرونة تتلاءم مع المستجدات والمتطلبات الخاصة. لكنَّ السائد عندنا إجراء عقد الزواج من دون شروط إلاَّ في حالات نادرة، بل يعتبر البعض الحديث عن الشروط منقصة وإساءة، وذلك بسبب ما اعتاد عليه الناس وما ساد من مناخ تربوي في هذا الاتجاه.

إنَّ بإمكاننا الاستفادة من تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا الشأن، فهي تعتمد على دفتر شروط يطَّلع عليه الزوجان قبل إجراء العقد، ويتولى مجري العقد في المحكمة شرح الشروط وتوضيحها للطرفين، فيوقعان على كل شرط يتفقان عليه، ثم يتم إجراء عقد الزواج متضمناً للشروط المتفق عليها. وهذا لا يمنع من إجراء العقد من دون شروط، لكنَّ المحكمة لا تجريه ولا تسجله قبل إطلاع الطرفين على دفتر الشروط.

ويتضمن عقد الزواج حوالى خمسة عشر شرطاً، منها:

١ ـ من ضمن عقد النكاح أو من ضمن عقد لازم، اشترطت الزوجة أنَّه إذا لم يكن الطلاق بناء لطلبها، أو لم يكن مبنياً على تخلف الزوجة عن أداء واجباتها الزوجية، أو سوء خلقها، يجب على الزوج أن يدفع لها نصف ما يملكه من الأموال التي حصل عليها في أيام الزوجية، أو يدفع ما يعادلها بلا عوض. وللمحكمة الحق في تنفيذ هذا الشرط إذا حصل هذا النوع من الطلاق.

٢ ـ من ضمن عقد النكاح أو من ضمن عقد لازم، يوكل الزوج زوجته توكيلاً غير قابل للعزل، مع حق التوكيل للغير، أن تطلق نفسها، وذلك بأن ترجع إلى المحكمة وتطلب منها إجراء الطلاق في الموارد التالية:

أ ـ إذا لم يؤمِّن نفقة الزوجة في مدة أقصاها ستة أشهر ولم

يكن بالإمكان إلزامه بذلك، أو في ظروف لا يستطيع القيام فيها بواجباته الزوجية ولا يمكن إجباره على القيام بهذا الواجب.

ب ـ في حالة سوء خلق الزوج بحيث يستحيل العيش معه تحت سقف واحد.

ج ـ ابتلاء الزوج بأمراض يصعب علاجها بحيث تتعرَّض الزوجة للمخاطر بسبب هذه الأمراض.

د ـ جنون الزوج في الموارد التي لا يفسخ فيها العقد على المستوى الشرعي.

هـ ـ إذا حُكم على الزوج بالسجن لمدة خمس سنوات أو أكثر حكماً قطعياً، أو حُكم بغرامة مالية يعجز عن دفعها فسجن بدلاً عنها خمس سنوات أو أكثر.

و ـ ابتلاء الزوج بأنواع من العادات المضرَّة التي تسيء إلى التعايش الأسري أو يستحيل على الزوجة العيش مع زوجها بوجودها، وذلك بحسب تشخيص المحكمة بعد رفع الأمر إليها.

ز ـ إذا ترك الزوج الأسرة من دون عذر وجيه(تشخصه المحكمة) لمدة ستة أشهر متتالية.

ح ـ إذا مرَّ على حياتهما الزوجية خمس سنوات وتبين أن الزوج عقيم، فبإمكانها أن تذهب إلى المحكمة لإجراء الطلاق.

ط ـ إذا افتُقِدَ الزوج ولم تعرف الزوجة مكانه، وراجعت

المحكمة وسجلت هذه الحالة، ومرَّ على هذا التسجيل ستة أشهر، فبإمكانها أن تطلب الطلاق.

ي ـ إذا تزوج الزوج مرَّة ثانية من دون رضاها، أو شخَّصت المحكمة بأنه لا يُجري العدالة بين زوجاته.

هذه بعض الشروط، وقد تُركت فسحة في آخر العقد للاتفاق على شروط أخرى لو رغب الزوجان بذلك.

المصادر

* **القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

* **الحرَّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

* **الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

- أجوبة الاستفتاءات، مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية، لبنان، ط٦، ٢٠٠٤م.

* **الخميني، الامام روح الله، ت ١٩٨٩م.**

- تحرير الوسيلة، دار الكتب العلمية، قم.
- منهجية الثورة الاسلامية، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(قده)، ط١، ١٩٩٦م.

* **شمس الدين، الشيخ محمد مهدي.**

- مسائل حرجة في فقه المرأة، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

*** الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.

*** الطبرسي، الشيخ أمين السلام أبو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٦٠هـ.**

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

*** الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت ٥٤٨ هـ**

ـ مكارم الاخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢م.

*** الطباطبائي، العلامة محمد حسين.**

ـ الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١.

*** العسكري، السيد مرتضى.**

ـ معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٠م.

*** فضل الله، السيد محمد حسين.**

ـ دنيا المرأة، دار الملاك، بيروت، ط٥، ٢٠٠٦م.

*** قاسم، الشيخ نعيم.**

ـ حقوق الوالدين والولد، دار الهادي، بيروت، ط٦، ٢٠٠٧م.

*** القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم.**

ـ تفسير القمي، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.

*** الكاشاني، محمد محسن الفيض...**

ـ التفسير الصافي، مكتبة الصدر، طهران، ط٢، ١٤١٦هـ.

*** الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

ـ الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

*** المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**

ـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

ـ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **المطهري، الشيخ مرتضى.**

ـ حقوق المرأة في النظام الاسلامي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.

* **النوري، الحاج ميرزا حسين.**

ـ مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

* **يعقوب أحمد حسين.**

ـ فكر الإمام الخميني في القضايا السياسية والاجتماعية، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠١م.

المحتوى

إهداء ٥
مقدمة الطبعة السابعة ٧
إطلالة ١١
حق الزوجة ١٥

الحلقة الأولى: الزواج الناجح

تمهيد ١٧
١ ـ مفهوم الزواج ١٨
٢ ـ الايجابية المتبادلة ٢١
٣ ـ لا سلطة في معصية ٢٢
٤ ـ عناوين السعادة الزوجية ٢٤
٥ ـ نسب الزواج الناجح ٢٦
٦ ـ التباسات النظرية والتطبيق ٢٧

٧ ـ التأهيل للزواج ٢٨
٨ ـ مواصفات الشاب والفتاة عند الزواج ٣٠
٩ ـ النفس الواحدة ٣٢
١٠ ـ الفروقات بين الرجل والمرأة ٣٨

الحلقة الثانية: توزيع الأدوار

١ ـ حدود القوامية ٤٣
٢ ـ واجب الزوجة تجاه زوجها ٤٩
٣ ـ الخدمة المنزلية ليست واجبة ٥٢
٤ ـ بين البيت والعمل الإسلامي ٥٥
٥ ـ أجر العمل المنزلي ٥٨
٦ ـ جهاد المرأة ٦٠
٧ ـ عناية الزوج بزوجته ٦٣
٨ ـ عناية الزوجة بزوجها ٦٥
٩ ـ شريكة الجهاد ٦٨

الحلقة الثالثة:المسؤولية والصلاحيات

١ ـ العمل المعيشي ٧١
٢ ـ الشراكة في القرار ٧٢
٣ ـ الاستقلال المالي ٧٣

٤ ـ مساعدة الزوج ٧٥
٥ ـ أداء الزوجة التي تعمل ٧٦
٦ ـ خصوصيات عمل الزوج ٧٨
٧ ـ التهديد بالطلاق ٧٩
٨ ـ فكِّر بمن حولك ٨٠
٩ ـ نشوز الزوجة ٨١
١٠ ـ نشوز الزوج ٨٥
١١ ـ إسكات الزوجة ٨٧
١٢ ـ مكان السكن ٨٨
١٢ ـ نصيحة ٨٩

الحلقة الرابعة: مشاكل وحلول

١ ـ تعدد الزوجات ٩١
٢ ـ التعدد وحقوق المرأة ٩٥
٣ ـ تحقيق العدل ٩٧
٤ ـ عقبة العامل الاقتصادي ١٠٠
٥ ـ يغنهم الله من فضله ١٠١
٦ ـ التكامل بين الحقوق والواجبات ١٠٢
٧ ـ لياقة التطبيق ١٠٧
٨ ـ زواج المتعة ١٠٨

٩ ـ أبغض الحلال ١١١
١٠ ـ الشروط في عقد الزواج ١١٣
المصادر ١١٩
المحتوى ١٢٣
صدر للمؤلف ١٢٧

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء) :

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سادسة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة سابعة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة خامسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة خامسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة رابعة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة رابعة).

* رسالة الحقوق بأجزائها السبعة مجموعة في علبة فنية.
* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق المعلم والمتعلم

الطبعـــة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

الطبعة الثانيـــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

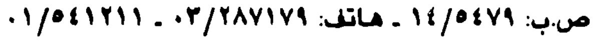
الطبعة الثالثــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الطبعة السادسة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م





ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

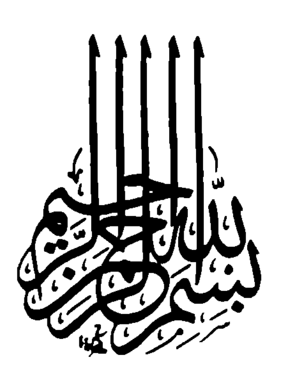
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق المعلم والمتعلم

دار المحجة البيضاء



الاهـــــداء

إلى المربِّي الرَّباني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجِّهاً

وللباحثين عن الخلاص معلماً

يا سيدي وإمامي

يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك

إلى كل معلم ومتعلم

لتضيء حياتهما بنهج الإسلام

ويتجها نحو أداءٍ تربوي أفضل.



مقدمة الطبعة السادسة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد الرسل محمدﷺ قدوة الإنسانية ومرشدها إلى سعادتها، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء الخامس من سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تلك الرسالة القيِّمة، التي فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي، ما يشكِّل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع، وقد تضمَّنت خمسين حقاً مختلفاً، شملت بالعنوان العام علاقات الإنسان الثلاث، مع ربه ونفسه ومجتمعه.

يتضمن الجزء حقين: حق المعلِّم وحق المتعلِّم، حيث يعرضهما الإمام زين العابدين عليه السلام باختصار، مبرزاً للخصوصيات المطلوبة لكلٍ منهما، وقد تناولتهما بالشرح والتفصيل، والإضافة

من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، لإعطاء صورة إجمالية عن العلم وأهميته، وعلاقة المعلم بالمتعلم، وأثر التربية على الفكر والسلوك، وتمايزها في المراحل العمرية المختلفة، واستمراريتها طوال حياة الإنسان، وضوابط الثواب والعقاب، والتمييز بين العلم الديني والعصري، والنافع وغير النافع، وارتباط العلم بالعمل. . . كما أضفتُ أفكاراً مهمة من علم النفس التربوي الحديث، وربطتُ بين دعوة الإسلام وأسس التربية الحديثة، ليتبيَّن للقارئ تأثير الأسس الدينية في طرح الحلول التربوية المعاصرة، وليستفيد من الأفكار والتوجيهات المطروحة في التعاطي مع المراحل العمرية المختلفة.

يساعد الكتاب المعلمين لتحديد المواصفات المحورية لدورهم البنَّاء، ولفهم أفضل لمهمتهم التربوية وربطها بالعملية التعليمية، وللتعرف على حدود آثار التربية على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويرسم لهم الخطوات الفعَّالة لإنجاز تعليمي تربوي متكامل وناجح، كما يرشد المتعلمين لأخلاقيات التعلُّم وكيفية الاستفادة من الفرص المتاحة لهم علماً وعملاً.

لقد سبق الإسلام بأربعة عشر قرناً شرعة حقوق الإنسان العالمية، التي اخذت حيزاً دعائياً كبيراً في القرن العشرين، فجسَّدت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أروع وأرقى آداب التعامل بين الناس، ما يضفي على الاجتماع الإنساني والعلاقات

الاجتماعية صفاءً واستقراراً وبهجة، وهذا ما يؤكد حاجتنا الماسَّة للتعرف على هذا الرصيد الكبير.

اعتمدنا تقسيماً فنياً للأجزاء التي أصدرناها يتناسب مع العنوان الذي ركَّزنا عليه في كل جزء، بحيث تندرج فيها الحقوق الخمسون، لتستقر على سبعة أجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

نجدد طباعة هذا الجزء للمرة السادسة بعد نفاد الطبعات السابقة، وقد تكرر هذا الأمر مع الأجزاء السبعة لـ «شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام»، سائلين المولى تعالى أن يوفقنا للعمل بمضمون هذه التوجيهات التربوية الرائدة.

١٣ ربيع الأول ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

٢٨ شباط ٢٠١٠م

إطلالــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه

تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، **وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك** حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، **ثم سائسك بالعلم**، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، **ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم**، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الأيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك،

ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

حقّ المعلّم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق سائسك بالعلم: فالتعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تفرِّغ له عقلك، وتُحضر له فهمك، وتزكي له قلبك، وتجلي له بصرك، بترك اللذات ونقص الشهوات. وأن تعلم أنّك فيما ألقى إليك، رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل، فلزمك حسن التأدية عنه إليهم، ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

١ ـــ لِمَ حق المعلم؟

تعرَّضت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام لكل الحقوق التي يتفاعل الإنسان معها بشكل يومي، ولا يخفى أنَّ العلم ركن أساس في حياة الإنسان، فهو يصاحبه من الطفولة إلى آخر يوم من حياته، وذلك من خلال معلمين كثر بحسب مرحلته العمرية والأمور التي يرغب تعلمها، وأي حق أعظم من حق معلم الهداية إلى طريق الاستقامة. فإذا لم يعطِ المرء معلّمه حقه، ولم يحسن الأدب معه والاحترام له، فسيخسر الفائدة المرجوَّة من العلم، لارتباط الفائدة والتأثير بثقة واحترام المتعلِّم للمعلِّم. وفي كل الأحوال فإن تسليط الضوء على حق المعلم يساعد في تحقيق المستوى الأفضل من الفائدة، وينفع المتعلم في تعليمه كيفية اقتناص الفرص في حياة تمر فيها التجارب، ويُطوى فيها الزمن، حيث يصعب الاستدراك مع تقدم العمر.

٢ ـــ أهمية العلم

قبل تفسير كلام الإمام زين العابدين عليه السلام، نطل إطلالة سريعة على أهمية العلم، لمعرفة مكانته ونظرة الإسلام إليه، وهو العلم

الذي يؤدي إلى معرفة أسرار الكون والحياة، للنفاذ منها إلى الإيمان بالله تعالى كنتيجة طبيعية للفطرة السليمة. وعندها يترتب على هذا العلم والإيمان ما ينعكس على كل حياة الإنسان الخاصة والعامة، في الفكر والسلوك والسياسة والاقتصاد والاجتماع وعلاقات الدول والأفراد... الخ. إنه العلم الديني الذي يسلك بنا سبل الهداية.

أمَّا العلوم الأخرى، في الطب والفلك والإدارة والهندسة والسياسة وغيرها، فهي علوم إدارة ومواكبة الحياة الإنسانية بطريقة أفضل نحو تحديث المجتمعات ورُقيها المدني، ويحث الإسلام عليها ويشجعها، كجزء من إتقان الأداء في الحياة الدنيا، وترتبط نتيجتها بالمنهجية التي يختارها الإنسان في حياته، فإذا اختار طريق الدين أحسن الاستفادة من علوم الدنيا في طريق الخير والصلاح، وإذا اختار طريق الهوى أساء الاستفادة منها، فالتركيز على العلم الديني ينطلق من اعتباره قاعدة للهداية.

إنَّ العلم يرقى بالإنسان إلى درجة الخشية من الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

ويرفع من مقام الذين أوتوا العلم درجات عمن سواهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2].

(١) سورة فاطر، من الآية: ٢٨.
(٢) سورة المجادلة، من الآية: ١١.

ويضع أولي العلم في مصاف الذين آمنوا بالتوحيد في شهادة أعلنها الله وملائكته، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

ونظراً لأهميته، **فطلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، مهما** كانت المشقة، ومهما كان المكان بعيداً، قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين، فإنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٢].

وهو عبادة حقيقية تعادل الصلاة والصيام، وتفوق آثار ما ينفقه الإنسان من ماله مهما بلغت قيمته، قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم فهو كالصائم نهاره، القائم ليله، وإنَّ باباً من العلم يتعلمه الرجل، خيرٌ له من أن يكون أبو قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله**»[٣].

وللعلم آثار في كل حياة الإنسان، تشمل دنياه وآخرته، وتنعكس على سعادته وراحته معاً، فبالإسناد الصحيح إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من أهله، فإن تعلُّمه لله تعالى حسنة، وطلبه عبادة،**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص:١٣٨./الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص:٢٧.

(٣) الشهيد الثاني، منية المريد، ص:١٠٠. (أبو قبيس = جبل قرب الكعبة الشريفة في مكة المكرمة).

والمذاكرة به تسبيح، والعلم به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى، لأنَّه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل في السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخِلاَّء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُقتدى بفعالهم، ويُنتهى إلى آرائهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم. ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه. إنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العُلا في الآخرة والأولى. الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يُطاع الرب ويُعبد، وبه تُوصل الأرحام، ويُعرف الحلال والحرام. والعلم إمام، والعمل تابعه، يُلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظِّه»[1].

إنَّه النجاة في الدنيا، فمن سلك طريق العلم تعلَّق به، وفُتحت له أبواب الخير والنجاة، في مقابل طالب الدنيا في غير حلِّها، الذي يؤدي به طريقه إلى الهلاك، روى أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلَّ الله سَلِم، ومن تناولها في**

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص:١٠٨.

غير حلّها هَلَك، إلاَّ أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظُّه»[١].

وحيث يتراخى الناس عن طلب العلم، ولا يقدّرون أهميته، وتمر أعمارهم فلا يستفيدون منها، ويكتفون بالنزر اليسير منه، الذي لا يكفيهم لاستمرار صلاحهم ونمو إيمانهم، فإنَّ حثَّهم على طلبه ضروري ليذوقوا طعمه ويلمسوا آثاره، فعن الرسولﷺ: «**إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم**»[٢]، فالعلم يرقى بالعقل والسلوك، وكلما انفتح باب من العلم، زاد إشعاع أنوار الهداية في الحياة، وقد اعتبر إمامنا الصادق عليه السلام أنَّ ملاحقة الأصحاب للتفقه في مسائل الحلال والحرام مهمٌّ ولو صاحبته شدة، قال عليه السلام: «**ليت السِّياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقَّهوا في الحلال والحرام**»[٣].

في المقابل فإنَّ عمل العلماء والدعاة إلى الله تعالى في نشر تعاليم الإسلام يكتسب أهمية كبرى، نظراً لآثاره في نشر الدين وتعميم الهداية بين البشر، عدا عمَّا لهم من أجر كبير عند الله تعالى، قال رسول اللهﷺ: «**ما تصدَّق الناس بصدقة أفضل من علم يُنشر**»[٤].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٤٦.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص:١٣٦.
(٣) البرقي، المحاسن، ج١، ص:٢٢٩.
(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص:١٥٧.

٣ ــ العلم الديني والعلم العصري

ورد في الحديث الشريف: «**العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان**»[١].

أمَّا علم الأديان أو العلم الديني، فهو الذي يُعرِّف الإنسان على حقيقة حياته وما يحيط بها، ويجيب عن أسئلة بداية الخلق والمعاد وصفات الخالق ودور المخلوق، ويتكفَّل بتحديد المنهج الأفضل لكمال الحياة على مستوى الوعي وتربية النفس والسلوك، ويحدِّد علاقات الإنسان الثلاثة بشكل نموذجي، مع ربه، ومع نفسه، ومع مجتمعه بما يشمل فئاته المختلفة.

أمَّا علم الأبدان أو العلم المادي المعاصر، فهو الذي يبحث في المحسوسات التي ترتبط بجسد الإنسان، وما يحيط به في الأرض والسماء وما بينهما، فيما خلق الله تعالى من حيوان ونبات وجماد، ليتعرَّف الإنسان على أسرارها وخصائصها وقوانينها، فيستفيد منها في حياته وحاجاته اليومية ورغباته المستقبلية.

فالعلم الديني يُبيِّن منهج الحياة وطريق الهداية، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢]، والعلم المادي يكشف أسرار الطبيعة، التي تُعين الإنسان على التحكم بمقدراتها لمصلحته، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص: ٢٢٠.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ولا يمكن الاستغناء بالعلم المادي ـ أو العصري كما يسمونه ـ عن العلم الديني، فالعلم المادي يفتح آفاق التعاطي مع الحياة المادية، في مسائل الفيزياء والكيمياء وإدارة الأعمال والمحاسبة والكمبيوتر والتجارة وأنظمة السير واستخراج الثروات الطبيعية. . . ، ويعرِّفنا على متطلبات الإنسان وحاجاته الجسدية والصحية والنفسية، وقدراته العقلية وخصائص النمو لديه، كلُّ ذلك بطريقة تجريبية غالبة في التوصل إلى النتائج العلمية الدقيقة. لكنَّه لا يعطينا المنهج الأكمل لإدارة حياة الإنسان في علاقاته الثلاث مع ربه ونفسه ومجتمعه، بل يُخضعها للتجارب والاحتمالات التي تتغير وتتبدل دائماً، بعنوان التطور والحداثة، ما أوقع ويوقع البشرية في حقل تجارب متكررة وغير نهائية وقاسية في نتائجها، كما هي النظريات المتنقلة بين الاستبداد والديمقراطية، والنمط الأخلاقي الأفضل وتنظيم الأسرة ومدى حرية الجسد، وسيطرة العامل الجنسي أو كبته أو تنظيمه، ودور الروح مع الجسد. . . وما أنتجته هذه النظريات من ارباكات في التربية، وخواء روحي في المجتمعات الغربية، وضياع في تلمُّس بوصلة الهداية المستقرة. لذا تكون الحاجة ملحَّة للعلم الديني الصادر عن الخالق العالم بشؤون

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ١٢ و ١٣.

خلقه وما يصلحهم، والذي يتعرض لثوابت الهداية التي توازن بين الروح والجسد، الدنيا والآخرة، العقل والعاطفة، كما هو الإسلام الشامل الكامل: **﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾**[1].

إننا ندعو إلى الجمع بين العلم الديني والعلم العصري، فيتعلم المرء من دينه ما يساعده على الهداية، وعلى توضيح تكاليفه ومسؤوليته، ثم يزيد بمقدار رغبته في التوسع والرقي، أو ربما للاختصاص في بعض الحالات. ويتعلم من العلوم العصرية، ما يساعده على معيشته وترتيب شؤونه، ثم يزيد بمقدار طموحاته وقدراته، لينتفع وينفع مجتمعه، على ان يحافظ على الحد الأدنى الضروري من العلم الديني.

بعض الأشخاص يغرقون في دراساتهم واهتماماتهم العلمية، ويحصرون أنفسهم بها، ومع أن الغالبية منهم تعيش حالة إيمان وذهول أمام عظمة الخالق، فيما يكتشفونه من أسرار ودقة وتنظيم، إلاَّ أن الأقلية تنحرف في معتقداتها لأحد سببين:

الأول: إنهم ينظرون إلى المادة التي يكتشفون خصائصها بمعزل عن خالقها، بل يجرِّدونها عن الخالق، ويتعاملون معها كوجود قائم بذاته، ثم يعيشون الزهو فيما يتعرَّفون عليه، فيصابون بمرض العظمة، وينسون عجزهم وعطاءات الله تعالى من نِعَمِهِ

---

(١) سورة المائدة من، الآية: ٣.

لهم، فيكفرون، ويسخِّرون نتائج دراساتهم للابتعاد عن الدين، وما استنتجوه لا يغيِّر من حقيقة ارتباط الكون والحياة والإنسان بالخالق العلي القدير. **فالنتيجة الخاطئة التي وصلوا إليها ثمرة المقدمات والمنطلقات الخاطئة.**

الثاني: انهم يعزلون أنفسهم عن كل شيء في الحياة، وينمُّون آفاقهم العلمية المادية على حساب متطلبات الجسد والروح والفطرة الإنسانية، فيعيشون انعدام التوازن، ويصابون بعقدٍ نفسية واستنتاجات خاطئة، لأنَّ علمهم في الجانب المادي لا يجعلهم قادرين على فهم الجانب الإنساني من جوانبه المختلفة، ولا يُمكِّنهم من فهم الواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، فيكون نظرهم قاصراً في هذه الأمور، وتكون أحكامهم خاطئة لأنها غير مبنية على مقدمات كافية وصحيحة.

أمَّا العلم الديني، فيسمو بمن تابعه إلى أعلى مراتب الهدى والتقوى والطمأنينة والاستقرار، ريحقق له تفاعلاً دائماً ورُقياً مستمراً، وقد ارتقى أئمتنا عليهم السلام بما امتلكوا من العلم الرباني، وانفتح لأمير المؤمنين علي عليه السلام ألف باب من كل باب، قال عليه السلام: «**علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب، يفتح كل باب إلى ألف باب**»[1].

ووصل علماء كبار إلى درجات عالية، كالشيخ المفيد، وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي، والعلامة الحلي، والشهيدين الأول

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص: ٣١٥.

والثاني، والإمام الخميني(قده) وغيرهم، وتركوا آثاراً عظيمة من علمهم وسلوكهم، جعلتهم في المصاف الأرفع في خشية الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١).

فإذا وجدنا انحرافاً عند البعض ممن سلكوا طريق العلم الديني، فلأنهم أخطأوا المسار، وذلك بأسباب ثلاثة:

أولها: وأبرزها حب الدنيا والإقبال عليها، فالدنيا رأس كل خطيئة، وملذاتها متاع زائل يسقط فيه من أغرته زينتها، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾(٢)، وأخطر ما فيها اتباع السلطان، ليكون من وعاظ السلاطين، والمروجين لانحرافاته السياسية والمالية، والمنظرين له بتحريف معاني الآيات والروايات بما يخدم عرشه، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وآله:

«الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا.

قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟

قال: اتباع السلطان، فإن فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»(٣).

---

(١) سورة فاطر من، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٤٦.

ثانيها: أن يعتمد على نفسه في الفهم الديني، من دون العودة إلى معلم يرشده إلى الأصول والقواعد، فتتشوش أفكاره من الفكر الالتقاطي، ويقع أسير الدسائس والتأويلات الخاطئة والمنحرفة، ويسلك في التفسير والفهم الديني مسالك خاطئة تؤدي به إلى استنتاجات خاطئة وضالة. وقد رأينا بعض من اعتمد على فهمه اللغوي، وساق التفسير للقواعد والآيات القرآنية على أساسه، من دون الاتكاء على الأصول التي اعتمدها العلماء، فتوصَّل إلى نتائج مغايرة تماماً لما أجمع وتسالم عليه علماء الإسلام. ورأينا من جمع أحداثاً معينة، أضفى عليها تفسيره وفهمه، من دون ملاحظة الظروف والأسباب وارتباط هذه الأحداث بما قبلها وما يحيط بها، فتوصَّل إلى استنتاجات بعيدة عن حقيقة الإسلام.

ثالثها: نزع الشمولية عن الإسلام، والاعتماد على جانب واحد فيه، وتركيز الفهم والسلوك والموقف على أساس هذا الجانب، بشكل معزول عن الجوانب الأخرى. فالتعاطي مع الإسلام كعبادات فقط يعزله عن الحياة الجهادية والسياسية، والتعاطي معه كسياسة فقط يعزله عن الجانب التربوي والروحي، والتعاطي معه كالتزام تقليدي يُبعده عن التأثير في تطوير المجتمع، وكذلك الجمود على تفسير معين من دون الاجتهاد والإجابة على الأسئلة المعاصرة، يحاصره عن تلبية مستلزمات وحاجات الإنسان.

ولا يُؤتي العلم الديني أو العلم المادي ثماره ما لم يصاحبه

تزكية للنفس، لأنَّ الدافع الداخلي يحكم مسار الحياة نحو الهدى أو الضلال، فلا تكفي ظواهر الأمور، فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، لكنَّ قيمته الفعلية بالإيمان والعمل الصالح: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**[١]، وما لم يزكِ نفسه، لن يصلح قلبه ونفسه، بما ينعكس على حياته. قال تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**[٢].

فالعلم والتزكية متلازمان، ولا نفع للعلم من دون التزكية، كما يقول الإمام الخميني(قده): «إنَّ العلم يصبح مفيداً حينما توجد التزكية والتربية الروحية والأخلاقية، في الجامعات وسائر المراكز التعليمية، سواء تلك التي تخرِّج علماء الدين أو علماء العلوم الأخرى. يجب أن يكون في هذه المراكز جميعها أفراد يعملون على تربية الطلاب أخلاقياً وتزكيتهم روحياً»[٣].

يجب أن تواكب تزكية النفس كل مراحل حياتنا، لأننا بحاجة دائماً إلى مَدَدٍ روحي يعيننا على تقلبات الحياة، ويُحدث التوازن في داخلنا، ويقوي بصيرتنا، وبذلك نقوى على حسن الأداء لما فيه سعادة الدارين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**العلم علمان: علم على**

---

(١) سورة التين، الآيات: ٤ ـ ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) قبسات من الفكر التربوي للإمام الخميني(قده)، التعبئة التربوية، ص: ٢٠.

اللسان فذلك حجة على ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع»[١].

٤ ـــ حق المعلم

لا يمكن تحقيق تعليم فاعل ونافع إن لم يكن المتعلم مُقبلاً على معلِّمه، معترفاً بفضله، ومقدِّراً لعطائه، إذ مع النظرة السلبية للمعلم وعدم الاحترام المناسب له، يخسر المتعلم الكثير من إمكانات المعلم على خدمته. وقد ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام بعض الآداب التي تُعتبر حقاً للسائس بالعلم أي المعلِّم، منها:

«التعظيم له» من خلال طريقة التصرف معه، بإبراز الاحترام له، واستخدام العبارات المناسبة لمقامه أثناء مخاطبته، والوقوف له عند حضوره، والإفساح له في المكان لجلوسه، وحسن ذكره بصفاته الحميدة في غيابه، والقيام بكل سلوك من شأنه توقيره وتبجيله.

«والتوقير لمجلسه» بما يحيط فيه من هدوء وسكون، سواء أكان اللقاء ثنائياً أو مع مجموعة من التلامذة، وذلك لتوفير الجو الملائم للاستفادة من علمه، فالمجلس الذي يغلب عليه الوقار تتحقق فيه الفوائد الكثيرة، وتتنزل عليه بركات السماء. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ حق المعلم أن لا تُكثر عليه السؤال، ولا**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص:٣٣.

تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً وخصَّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تُشر بيدك، ولا تُكثر من القول: قال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فإنما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»[١].

إنَّ كثرة السؤال تضيِّع على الحاضرين في المجلس نصيبهم من الاستفسار والتساؤل، وقد تُعبِّر كثرة التساؤلات عن رغبة في المماحكة من السائل، فالمجلس يحتمل عموماً عدداً محدوداً من الأسئلة، واللياقة تقتضي ذلك، فمع الحاجة للمزيد لا بدَّ من لقاءات جانبية مع المعلم.

ومن التوقير للمعلم تخصيصه بالتحية بالتوجّه إليه بشكل خاص بالسلام أو المصافحة أو التحية، والانتباه إلى طريقة التصرف في حركات الوجه والجسد واليدين، فربَّ حركة بالعين بغمز بعض الحاضرين لكلمة أو جملة منه أو تصرُّف تؤدي إلى الإخلال بوقار المجلس، وربَّ حركة باليد تخل بالاحترام، ولا يناسب مقام العالم المعلم أن تسوق له آراء الآخرين لتحرجه في ذمهم أو نقدهم أو كشف اختلافه معهم، فقد يكفيك إشارة معبِّرة من دون نقاش مطوَّل في هذا الشأن.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٣٧.

فالقاعدة الأساس أنَّك أمام ثروة ومخزون مفيد لا تعلم ما سينالك منه، وفي أي محطة من الدرس تحصل منه على فوائد جمَّة، فمحافظتك على وقار المجلس من منطلق رغبتك بكسب الأجر وتحقيق الفائدة، يمنحك فرصاً عدة لجني الثمار من مصدرها الوفير.

«وحسن الاستماع إليه»، لأن عدم الإنصات، واللهو أثناء الدرس، وشرود التفكير في مسائل أخرى، يضيِّع الاستفادة من مضمون الدرس، فضلاً عن زهد المعلم به عند ملاحظته لعدم الإصغاء والاهتمام بالدرس. ومن لوازم حسن الاستماع، عدم الكلام أو المقاطعة أثناء إلقاء المعلم، وقد قال إمامنا الباقر عليه السلام: «**إذا جلست إلى عالم، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه**»[1].

«والإقبال عليه» بالتفاعل مع الدرس والنقاش، والإجابة على أسئلة المعلم، وأداء الفروض التي يطلبها، والتركيز على النقاط التي يلفتُ إليها.

«والمعونة له على نفسك، فيما لا غنى بك عنه من العلم»، لأن المعلم إنما يُلقي إليك بمخزونه، وعليك أن تكون متلقياً جيداً، ومتفاعلاً مع درسه كي لا يذهب جهده هدراً، فأعنه على نفسك

---

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص: ٢٤٥.

ببذل الجهد لاستيعاب درسه، والتحضير له قبل وقت الدرس التالي، وهذا لمصلحتك، لأنك المحتاج إلى علمه، ولا غنى بك عن المعلم لتدريسك هذا العلم.

وإنما تكون المعونة له على نفسك: «بأن تفرغ له عقلك»، فلا تكون منشغلاً أثناء الدرس، بل متجهاً باهتمام واستعداد للتلقي. «وتحضر له فهمك»، بالتفاعل والتفكير فيما يقوله لك، لتفهم المقصود منه.

«وتزكي له قلبك»، فطهارة القلب بما فيها من سلامة النية، وحسن الإقبال، ورغبة الأجر والطاعة، تساعد في تنمية العلم وتحقيق آثاره على صفحة النفس وفي الحياة العملية.

«وتجلي له بصرك» لترى الأمور على حقيقتها بوضوح كامل. وأمَّا دعامة هذه الأمور فتتمثل «بترك اللذات ونقص الشهوات»، فاللذات صارفة عن العلم ومُضيِّعة للعمر وزائلة المتاع، والشهوات جاذبة إلى الحرام، ومُغرقة في العادات السيئة، ومُبعدة عن طريق الهداية، فترك اللذات ونقص الشهوات اللذان يؤديان إلى ترك الحرام، بل تخفيف الإقبال على الملذات المحلَّلة يخفف من استهلاك حياة الإنسان وحرمانه من الاستفادة من العلم. فالحاجة قائمة لتخصيص جزء من الوقت في حياتنا للتعلم بإقبال واهتمام وفهم وتفاعل، حتى ولو كان ذلك على حساب الملذات المحللة، لأنَّ عماد طريق الهداية: المعرفة والتزكية، ولا مجال لهما من دون

مواكبة المعلم الناجح الذي نحتاجه في هذا المجال، والذي علينا إعانته على أنفسنا لتحقيق الفائدة.

كما تعينه على نفسك بحسن أدائك في مجلسه، وأن لا تؤذيه بتصرفاتك، ولا تشوِّش عليه، ولا تقوم ببعض الأعمال الفوضوية والمربكة للصف، ولا تقلل من احترامك له، وقد يعتقد البعض بأن إرباك المعلم والقيام بأعمال مهينة ومسيئة في حصة درسه من التصرفات الطبيعية والعادية عند التلامذة، لكنَّه خطأ تربوي فادح، ولا يجوز التشجيع عليه، بل يجب توجيه التلامذة لتقدير معلميهم، فهذا ما يساعدهم على الاستفادة منهم بشكل أفضل. وفي إجابة الإمام الخامنئي(حفظه المولى) على سؤال: «ليس للطالب المقابلة والإجابة بما لا يليق بمقام الأستاذ والمعلم، بل يجب عليه حفظ حرمة المعلم، والمحافظة على النظام في الصف»[١].

٥ ــ التعلم طريق للتبليغ

إلى أي مدى يستمر المتعلم في التلقي للعلم؟

وهل يتحمل مسؤولية أخرى غير الاستفادة الشخصية منه؟

يعتبر الإمام زين العابدين عليه السلام في الفقرة الأخيرة من كلامه، أن المتعلم مسؤول عن حمل ما تعلمه ليبلِّغه إلى الآخرين، ويدعوهم إليه، وهذا ديدن الرسالة الإسلامية التي تحوِّل جميع

(١) الإمام الخامنئي(قده)، أجوبة الإستفتاءات، ج٢، ص: ٩٠.

المؤمنين إلى دعاة لها ومبلغين لمضمونها، كمبشرين ومنذرين، في سياق دورهم المتواصل مع دور الأنبياء والأئمة عليهم السلام، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. **فلا تقتصر المسؤولية على علماء الدين وإن تميزوا بحملها لسعة اطلاعهم وعظيم دورهم، وإنما تشمل المؤمنين كافة.**

فالتوجه للاستفادة من العلم، إضافة إلى ما يؤثره في هدايتك وصلاحك، «أن تعلم أنك فيما ألقى إليك» معلمك من العلم، «رسوله إلى من لقيك» من الناس الذين تتواصل معهم في حياتك، «من أهل الجهل» حيث يكونون كذلك لعدم علمهم بما تعلمت، وكل نقص عند الإنسان في أي مجال جهلٌ فيه. وبما أنَّك تنقل العلم من أستاذك إلى الآخرين، وكأن العلم رسول معلمك إليهم، «فلزمك حسن التأدية عنه إليهم»، ما يقتضي استيعابك وتفاعلك مع ما تعلمت، لتتمكن من نقله إلى الآخرين بأمانة، «ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها»، ما يجعلك أمام مسؤولية كبرى في أن تكون معلماً بقدر استطاعتك، وهي سبيل إلى مرضاة الله إن أحسنت القيام بها عند تحمُّلها، ولا بدَّ لك منها، فربحها كبير، وخيرها جزيل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي... وأيم الله**

---

(١) سورة آل عمران من، الآية: ١١٠.

لئن يهدي الله على يديك رجلاً، خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[١].

إنَّ الدقة في التعاطي مع حق المعلم، تؤدي إلى حصول المتعلم على رصيد علمي وأخلاقي يساعده في تكوين شخصيته، ليكون بريء الذمة في قيامه بواجباته الإيمانية كفرد مؤمن ملتزم بشريعة الله تعالى، وإلى تمكينه من دعوة الناس إلى الإيمان في حركة تبليغية عمادها المعرفة وحسن الأداء، ليكون معلماً بفكره وسلوكه، عاكساً لما اقتبسه من أستاذه ومربيه.

٦ ـــ الاختلاف وأدب المخاطبة

لقد دأب علماؤنا الأعلام في مخاطبتهم لأساتذتهم، والتعاطي معهم في مجالسهم، بل ومناقشتهم في المسائل الخلافية، على استخدام تعابير الاحترام والتقدير، ما يُبرز أخلاقاً عالية في تعاطي هؤلاء العظماء بأدب رفيع مع أساتذتهم، ومع السابقين من العلماء الأعلام في الأمة.

فإمامنا الخميني(قده) كان يتحدث عن أستاذه قائلاً: «كان الشيخ العارف شاه آبادي يقول»[٢]، ويخاطبه في أكثر كلماته «بالشيخ العارف الكامل روحي فداه»[٣]. وعندما يذكر إنجازات

---

(١) العلامة الحلي، مختلف الشيعة، ج٤، ص: ٣٩٤.

(٢) الإمام الخميني(قده)، الآداب المعنوية للصلاة، ص: ٢٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٦٦.

بعض العلماء القدامى وأثرهم في تبيان المعارف الإسلامية يقول: «مثل الفيلسوف العظيم الشأن الإسلامي صدر المتألهين(قدس سره)، تلميذ الجليل الفيض الكاشاني(قدس سره)»[(١)]، وعند حديثه عن السيد ابن طاوس يصفه «بالسيد العابد الزاهد رضي الله عنه»[(٢)]، و«العارف بالله السيد ابن طاوس»[(٣)]. فإذا تحدث عن الشيخ البهائي قال عنه: «الشيخ الجليل البهائي(قدس سره)»، وإذا اختلف معه في فكرة كتقسيم النعم الإلهية إلى ثمانية أقسام، قال عنه: «وهذه التقسيمات للشيخ وإن كانت لطيفة، ولكنَّ الأهم من النعم الإلهية وأعظم مقصد، الكتاب الإلهي، قد سقط من قلم الشيخ الجليل...»[(٤)]. معللاً الزيادة التي يراها مناسبة بأنها سقطت من قلمه، وهذه قمة في أدب التعاطي مع العلماء الأجلاء.

وفي شرح الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قده) للعروة الوثقى للسيد اليزدي، ناقش آراء أستاذه السيد أبو القاسم الخوئي(قده)، وقد ذكر اسم أستاذه بما يزيد عن ١٨٤ مرة، وفي كل مرة كان يذكره باسم «السيد الأستاذ»، وعند الاختلاف معه في الرأي، كان يذكر ذلك بعبارة لائقة، كقوله في أحد المواضع: «والصحيح عدم جريان الاستصحاب، لا لما أفاده السيد الأستاذ دام ظله»[(٥)]، وفي

---

(١) الإمام الخميني(قده)، الآداب المعنوية للصلاة، ص: ٤٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٠١.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٤٩.
(٥) الشهيد السيد محمد باقر الصدر، شرح العروة الوثقى، ج١، ص: ١٤٦.

موضع آخر: «إنَّ ما تمسك به السيد الأستاذ... لا يلائم أيضاً ما بنى عليه ـ دام ظله ـ»[١].

فاختلاف آراء العلماء فيما بينهم أمر طبيعي، حتى بين التلميذ وأستاذه، **وهذا جزء من حركة الاجتهاد وقدرة فهم الشريعة المقدسة بحسب مستوى كل عالم ومعطياته، فالاختلاف يبقى في حدود مناقشة الفكرة بلياقة كاملة، مع احترام العالم الرباني، لجهده** المبذول، وموقعه العلمي، وخدماته الجليلة، ومكانته عند الله تعالى.

٧ ــ السؤال للمعرفة

يحصل المرء على العلم بالطلب والسهر والسؤال، وعليه ان يسعى لتوسعة مداركه، وأن يسأل لإزالة الغموض عما خفي عنه، ما يساعده على المعرفة وتصحيح معلوماته واستنتاجاته. ولا مبرر للاستنكاف عن السؤال أو الخجل منه، خاصة إذا توجَّه للعالم الورع، بل في السؤال أجر لما له من فائدة، ولما يؤديه من نتائج. فعن رسول الله ﷺ: «**العلم خزائن ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فإنَّه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحب لهم**»[٢] وعنه ﷺ: «**حسن السؤال نصف العلم**»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص: ١٥٢.

(٢) الحرَّاني، تحف العقول، ص: ٤١.

(٣) الكراجكي، كنز الفوائد، ص: ٢٨٧.

وحيث يتحمل المكلَّف مسؤولية شرعية في معرفة مسائل الابتلاء، يجب أن يتعلم الأحكام الشرعية محل الحاجة بالأخص، ويجب أن يسأل عمَّا ابتلي به، **فلا عذر للمقصِّر عن التعلم والسؤال.** قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**سل عما لا بدَّ لك من علمه، ولا تعذر في جهله**»[1].

فالسؤال طريق للمعرفة، ومقدمة للطاعة، فإذا تحوَّل إلى مماحكة أو إلى محاولة للالتفاف على التكليف الشرعي، فَقَدَ فائدته وأجرَه، وأوقع المكلف في تعقيدات وأعباء تُخرجه عن بساطة التكليف والالتزام. إذ نرى البعض يُكثر من الأسئلة التي تهدف إلى التملص من القيام بواجبه ليجد العذر لنفسه ولو بحجة عدم الاقتناع أو الفهم من أجل التخلص من المسؤولية، بينما المطلوب أن يسلك طريق الطاعة، ويتعرف على أوامر الله تعالى ونواهيه، وينفِّذها بحذافيرها لتبرأ ذمته أمام الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[2]. وهذا لا يمنع من السؤال الاستفهامي، ولا يمنع أيضاً من الاستفسار للتأكد والاطمئنان.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجاً عن كثرة الأسئلة التي

---

(١) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٨٤.
(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص: ١٠٢.

استهدفت التقاعس عن تنفيذ الأمر الإلهي، والتي أوقعت اليهود في تكليف أشد وأصعب، فعندما أمرهم الله بذبح بقرة، لكشف جريمة قتل حصلت، بضرب بعض البقرة بالمقتول، ليحيا ويشير إلى القاتل الحقيقي بدل المتهم البريء، كان تكليفهم ذبح أي بقرة بمعزل عن التفاصيل والمواصفات الأخرى فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(١)]، وكأنهم باستنكارهم هذا يريدون إبراز اهتمامهم بالقيام بما عليهم لكنهم بحاجة لمعرفة مواصفاتها، فأبلغهم موسى عليه السلام بأنها بقرة لا فارض أي مسنة قد انقطعت ولادتها، ولا بكر لم تلد بعد، بل عوان بين المسنة والبكر في عمر وسطي: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾[(٢)]. وعلى الرغم من أمرهم بالتنفيذ، سألوا عن لونها: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[(٣)]. ثم لم يكتفوا ولم يتوقفوا عند هذا الحد فسألوا عن ماهيتها، فأخبرهم موسى عليه السلام للمرة الرابعة بتفاصيل إضافية لم تكن واردة لولا سؤالهم، بأنها بقرة غير مذللة بحرث الأرض ولا تدير النواعير لسقي الحرث، مسلمةٌ بمشيئة الله تعالى من كل عيب، ولا

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٩.

شيء فيها غير اللون الأصفر بالكامل، عندها سلموا بالأمر الواقع، وبحثوا عنها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل رفض بيعها إلا بسعر مرتفع، فاشتروها وذبحوها بعد تردد: **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾**[١].

في المقابل فإن المعلم مسؤول عن إعطاء الإجابة الصحيحة، فإنْ جهلها اعتذر عنها، أو أقرَّ بعدم معرفته بها، أو استمهل للإطلاع والتأكد، وله اختيار الأسلوب المناسب الذي يغنيه عن الإجابة الخاطئة، ولن ينقص منه شيء إذا اعتذر عن الإجابة، فمن الطبيعي أن تغيب بعض المعلومات عنه، بل يُقدَّر عندما لا يخطئ في التصدي لإجابة يجهلها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**قول ـ لا أعلم ـ، نصف العلم**»[٢]. وتشتد المسؤولية مع الإفتاء وتحديد الحكم الشرعي للمكلف بطريقة خاطئة بسبب جهله، فالأفضل عدم تحمل هذه المسؤولية وإلاَّ فالتجرؤ على الفتوى من غير علم يجرُّ إلى النار، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أبا ذر، إذا سئلت عن علم لا تعلمه، فقل: لا أعلمه تنج من تبعته، ولا تفت بما لا علم لك به، تنج من عذاب يوم القيامة**»[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٧٠ و٧١.
(٢) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٣٧٢.
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٥٢٧.

٨ ــ فضل العالم

العلماء ورثة الأنبياء في تأدية الرسالة وهداية البشر، وهي مُهمَّة جليلة وعظيمة، لأنَّها تنقذ من الجهل والضلالة، وتهدي إلى الصراط المستقيم. وإذا أجرينا مقارنة بين أصناف البشر، لتفوَّق العلماء ـ وعلى رأس سلسلتهم الأنبياءعليهم السلام والأئمةعليهم السلام ـ عليهم جميعاً بالفضل.

فالعالم أفضل من العابد، لأن العالم يُعلِّم الإنسان كيف يكون عابداً، ويرشده إلى ما يزيده قرباً من الله تعالى، ويساعده على تزكية نفسه، ويأخذ بيده نحو الفلاح. ولا يكون عالماً بهذا المستوى والعطاء إلاَّ ويكون عابداً أيضاً، فهو يجمع بين العلم والعبادة في مقابل عبادة العابد، وهو يدرك أسرار العبادة التي تسمو معها النفس إلى أعلى المراتب، وهو الذي يعيش حالة العشق لله تعالى كخبير أدرك سلوك الطريق الأسرع إلى الملكوت الأعلى.

عن أبي عبد اللهعليه السلام: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى به، وإنَّه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورَّثوا العلم،**

فمن أخذ منه أخذ بحظٍ وافر»[(١)]. وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»**[(٢)].

والعالم أفضل من المجاهد، فحبر كتابته وتعليمه أفضل من دم الشهيد، لأنَّه علَّم المجاهد كيف يسلك طريق الجهاد ويعشق درب الشهادة، وعرَّفه على مكانته في الدنيا والآخرة، وربط مساره بخير المجاهدين محمد صلى الله عليه وآله وآله الأطهار، وجعل قدوته الإمام الحسين عليه السلام في نهضته وعطاءاته، ولا يكون عالماً بهذا المستوى أيضاً، إلاَّ إذا كان مجاهداً يعيش روحية الجهاد، ويبذل حياته في سبيل الله تعالى، في مواقع الدعوة إلى الله، والتصدي للكفر والانحراف، والاستعداد لتحمل التضحيات والشهادة في طريق ذات الشوكة التي اختارها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»**[(٣)].

وصلاة العالم أفضل من صلاة العابد، فإذا صلَّى عاش الصلاة بكل معانيها وخصوصياتها، وكانت سُلَّم عروجه إلى السماء في مسالكها الربَّانية. أمَّا العابد فمعرفته محدودة، ويكون عروجه بقدر النور الذي شعَّ عليه. وهكذا الصوم والحج والخمس والزكاة وكل عبادة للعالم تكون مشبعة بالمعرفة والتزكية والطهر وتحديد الهدف الإلهي بدقة وخشوع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ركعتان**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١ص٣٤.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص: ١٥٤.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص: ١٤١.

يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد»[1]. وفي هذا تشجيع للناس على طلب العلم للتَّرقي في سُلَّم المعرفة والقبول للعبادة.

العالم معلمُ الخير، والعلم بكل أنواعه خير يكشف الحقائق للإنسان ويُبصِّره طريقه، وكل سلوك لطريق الخير يفتح آفاق الصلاح والاستقامة والسعادة، وكل معلم للخير له أجره عند الله تعالى. إنَّ إيمان الإنسان بربِّه يمكِّنه من حسن الاختيار، وتمييز الخير من الشر، ولا يأتي الانحراف من العلم وإنما من طريقة تعاطي الإنسان معه، فالعلم حقائق مجرَّدة ترتبط بتوجيه الإنسان لها، فإذا سخَّر البعض العلم للمصالح الذاتية والأهواء والأنانيات أبعده عن أهدافه وفوائده، وإذا سلك به طريقاً موضوعياً باتجاه الحقيقة عمَّم الخير وأنجز المكتسبات للإنسانية. فالتمييز بين معلم الخير وغيره، تمييزٌ بين اختيارٍ ملتزمٍ هادف وموضوعي، واختيارٍ منحرفٍ ذاتي وبعيد عن الحقيقة، فمعلم الخير قد أحسن صنعاً، وأدَّى واجباً، ونفع الأمة، وهو يستحق المكانة والمكافأة، ولا يستخف بحقه إلاَّ المنافق.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله وملائكته، حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلّون على معلم الناس الخير**»[2].

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٣٦٧.
(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص: ١٥٤.

وقال صلى الله عليه وآله: «**ثلاثة لا يستخف بحقهم إلاَّ منافق: ذو شيبة في الإسلام، وإمام مقسط، ومعلم الخير**»(١).

والنظر إلى وجه العالم عبادة، فهو يذكِّر بالله، ووجهه نور من نور الله، والجلوس معه يحقق نفعاً في طاعة الله، فإذا تكلَّم عرَّف عن دين الله، وإذا ارتاح لقول أو فِعْل عبَّر ذلك عن انسجامه مع شرع الله تعالى، وإذا غضب واستنكر فللنهي عن المنكر والانحراف عن خط الله، ولا يخلو مجلسه من خير، ولا تخلو صحبته وكلامه من فائدة، ولا تقود إشاراته وملاحظاته وأداؤه إلاَّ إلى مرضاة الله جلَّ وعلا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**النظر إلى العالم عبادة، والنظر إلى الإمام المقسط عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر إلى الأخ تودُّه في الله عزَّ وجل عبادة**»(٢).

وأي فضل أعظم من عطاء الله تعالى للكرامات التي لا تحصى ولا تعد، على قدر إرشاد العباد إلى علوم محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام. ونورد حادثة لطيفة معبِّرة، جرت مع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام العالمة المعلمة، عندما أتتها مسلمة قد أكثرت أسئلتها عليها، فأجابتها السيدة الزهراء عليها السلام عن فضل عطاءات العلماء في تعليمهم لاتباع محمد صلى الله عليه وآله.

حضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام، فقالت: إنَّ لي والدة

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص:٢٠٧٦ عن تنبيه الخواطر ج٢، ص:٢١٢.
(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص:٤٥٤.

ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها عن ذلك، ثم ثنَّت فأجابت، ثم ثلثت، إلى أن عشَّرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، وقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله.

قالت فاطمة عليها السلام: «**هاتي سلي عما بدا لك، أرأيت من أكتُري**[1] **يصعد يوماً إلى سطحٍ بحملٍ ثقيل، وكراه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟**

قالت: لا.

قالت عليها السلام: **أكريت أنا لكل مسألةٍ بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي** صلى الله عليه وآله **يقول: «إنَّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم**[2] **من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلَعَ على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزَّ وجلَّ: أيُّها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم! هؤلاء تلامذتكم، والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذ عنهم من العلوم، حتى أنَّ فيهم ـ يعني في الأيتام ـ لمن يخلع عليه مائة**

---

(١) كرى الدار: أجّره إياه، اكتُري: استُؤجر لعمل ما.
(٢) خَلَعَ عليه: أعطاه منحة.

ألف حلة، وكذلك يخلع على هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعّفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك مرتبتهم ممن خلع عليهم على مرتبتهم».

ثم قالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله، إنَّ سِلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضل ما طلعت عليه الشمس؟ فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»[1].

ولا يقتصر الفضل على منح الله لمعلم الخير بقدر ما أعطى، ولا بمضاعفة حسناته على ما أعطى، بل يُضاف إليه أجر من تعلم منه وعمل بما تعلَّم، ثم لا تتوقف هذه الإضافة على فترة التعليم وحياة المعلم، بل تستمر إلى يوم القيامة، وتتضاعف باستمرار مع كل من استفاد عبر الأجيال، ليتراكم الأجر بشكل متصاعد.

فعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**من علَّم خيراً فله أجر من عمل به.**

قلت: فإن علَّمه غيره يجري ذلك له.

قال عليه السلام: إن علَّمه الناس كلهم جرى له.

قلت: فإن مات.

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص:١١٥، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص: ٣٤٠.

قال عليه السلام: **وإن مات»**[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**من علَّم باب هدى، فله أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علَّم باب ضلال كان له مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً**»[٢].

إنَّ الفقيه العالم في موقع الخير الإلهي، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقَّهه في الدين**»[٣]، وفي موقع دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالرحمة، قال صلى الله عليه وآله: «**رحم الله خلفائي. فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال** صلى الله عليه وآله: **الذين يحيون سنتي ويعلِّمونها عباد الله**»[٤]. فأي فضل أعظم من دور الهداية وهي وظيفة الأنبياء؟ وأي أجر أعظم من عطاءات الله تعالى ورضوانه؟.

رُوي عن أحد العارفين قوله: من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه فله سبع كرامات بهذه الجلسة:

١ ـ ينال فضل المتعلمين.

٢ ـ ويحبس عنه الذنوب ما دام عنده.

٣ ـ وتنزل الرحمة عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم.

٤ ـ وإذا جلس في حلقة العالم، نزلت الرحمة عليه، فحصل له منها نصيب.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص: ٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص: ٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص: ٣٢.
(٤) الشهيد الثاني، منية المريد، ص: ١٠١.

٥ ـ وما دام في الاستماع، تُكتب له طاعة.

٦ ـ وإذا استمع ولم يفهم، ضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم، فيصير بذلك الغم وسيلة إلى حضرة الله تعالى، كقوله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**».

٧ ـ ويرى إعزاز المسلمين للعالِمْ وإذلالهم للفساق، فيرد قلبه عن الفسق وتميل طبيعته إلى العالم.

٩ ـــ من نجالس؟

يتأثر الإنسان بكل ما يجري حوله بنسب متفاوتة، بحسب شخصيته وتربيته وما يحيط به من ظروف ومؤثرات، ويتربى بما يتلقاه من علم وتوجيهات، وتساهم تصرفات الآخرين في الاستفادة وأخذ العبر أو تقليدهم في ممارساتهم. فالتربية نتاج عوامل كثيرة في الأسرة والمدرسة والصحبة ووسائل الإعلام والعلاقات الاجتماعية والمجتمع بشكل عام، من هنا يكتسب اختيار الصحبة والمجالس التي تنعقد لاجتماع عدد من الناس واللقاءات أهمية كبرى، وكذلك تحديد الصالح منها والمفيد، وبناء العلاقة المناسبة مع الآخرين.

ومهما كانت قدرة الإنسان، فإنَّ المجالس تؤثر فيه، خاصة إذا كان في طور النشأة والشباب ولم تكتمل شخصيته بعد، وبما أنها تؤدي إلى الصلاح أو الفساد، النفع أو الضرر، العلم أو الجهل، فلا بدَّ من التدقيق وحسن الاختيار. قال لقمان لابنه وهو يعظه: «**يا**

بني، اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزَّ وجل فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علَّموك، ولعلَّ الله أن يظلَّهم برحمته فيعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلَّ الله أن يظلَّهم بعقوبة فيعمّك معهم»[١].

فاختيار مجالس الذكر والخير ينعكس على الوعي والسلوك، ويؤدي إلى ثواب الآخرة، فالكسب دنيوي وأخروي. عن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«قالت الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغِبكم في الآخرة عمله»**[٢].

وإذا بحثنا في الأسباب الرئيسة لانحراف الشباب، وجدناها تتمثل في مجالس اللهو وارتياد أماكن الفساد، والاستماع إلى شخصيات منحرفة أسست حياتها على الملذات، والإعجاب بنماذج روَّج لها الإعلام وأحاطها بهالة كبرى للجذب إليها.

وحيث يوجد لدى الشباب أوقات فراغ كثيرة، فالعناية باختيار المجالس المناسبة لهم تساعدهم على بناء شخصيتهم بشكل سليم، فارتياد المساجد وسهرات الأدعية واللقاءات بين المؤمنين،

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص:٣٩.

والرحلات المشتركة، والأنشطة الرياضية والكشفية الهادفة، والنوادي المدرسية العلمية والثقافية والفنية والترفيهية وغيرها، والاجتماعات العائلية التي تظللها أجواء الاستقامة، وأي نوع من أنواع المجالس التي لا يُعصى الله فيها، تشكِّل متنفساً إيجابياً لصرف الوقت، وعاملاً مساعداً للاستفادة في دائرة الحلال والطاعة لله تعالى.

١٠ ـــ المكانة والمسؤولية

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]، فالعلم طريق النور، ومسار نحو العبادة والطاعة، ورقابة تحجب عن الآثام، ولا يستوي الذين أوتوا العلم مع الذين لا يعلمون هذه الحقائق.

وبما أنَّ طريق طالب العلم التضحيةُ بكل شيء في سبيل الله تعالى، وبذل الجهد ليتقدم إلى الأمام، فهو شهيد لو مات على هذه الحال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا جاء الموت طالب العلم، وهو على هذه الحال، مات شهيداً**»[٣]. وكيف لا يكون كذلك وهو

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) الشهيد الثاني، منية المريد، ص: ١٢٢./ المجموع للنووي، ج١، ص: ٢١.

العقبة الكؤود للشيطان، فالشيطان يستخدم إغراءاته ووسوساته ويؤثر على الجاهلين، أمَّا العلماء فالطريق واضحة أمامهم ويعلمونها للناس ليتحصنوا في مواجهة الإغواء، لذا مهما بلغت مكانة العابد فإنَّ مكانة العالم أكبر بكثير، فالعابد يحمي نفسه بعبادته، والعالم يحمي الآخرين بتعليمهم وتربيتهم، قال رسول الله ﷺ: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**»(١)، وقال: «**نوم مع علم خير من صلاة مع جهل**»(٢).

وترتبط مكانة العالم أيضاً بموقعه المؤثر في الناس، وقدرته على توجيههم نحو الصلاح، فهو خير الخلق بعد الأنبياء والأئمة عليهم السلام. لكنَّه لا يأخذ هذه المكانة لمجرد علمه الوافر، بل يأخذها بعد تسخيره لهذا العلم في خط الاستقامة، فلو استخدم علمه لمنافعه الشخصية أو انحرف في سلوكه فكان قدوة سيئة، أو أخفى الحقائق وقدم استنتاجات خاطئة ومضلِّلة، عندها يكون علمه وبالاً عليه وعلى الإنسانية، لأنَّه لم يسلك فيه الدرب الصحيح، واستخدمه في طريق الشر.

ولـمَّا سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن خير الخلق بعد الأئمة عليهم السلام قال:

«**العلماء إذا صلحوا.**

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٩، ص:٤٨٥./ القزويني، سنن ابن ماجة، ج١، ص: ٨١.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص:١٨٥.

قيل: فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون والنمرود، وبعد المتسمين بأسمائكم، والمتلقبين بألقابكم، والآخذين لأمكنتكم، والمتآمرين في ممالككم؟

قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، والكاتمون للحقائق، وفيهم قال عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ...﴾، ثم قال الله عزَّ وجل: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾[1].

فالعالم المربي يتبوأ الموقع الريادي بعلمه وصلاحه لدوره في الهداية، وقيامه بوظيفة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وتأثيره في صلاح المجتمع، لذا قدَّم بعض الحكماء حقه على حق الآباء والأمهات، فقال: «حق المعلم الرباني والمربي الروحاني على المتعلم، أعظم وأولى من حق أبيه الجسماني.

وقال بعض الأكابر: العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وآله من آبائهم وأمهاتهم. قيل: فكيف ذلك؟ قال: لأنَّ آباءهم وأماتهم يحفظونهم من نار الدنيا، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة.

وقيل للاسكندر: ما بالك تحب معلمك أكثر مما تحب أبيك؟

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص: ٢٦٥.

فقال: لأنَّ معلمي سبب حياتي الروحانية الأخروية، وأبي وسيلة حياتي الجسمانية الدنيوية»[١].

تتحدث هذه الأقوال عن الحق المعنوي، ولا تتدخَّل في الحق المادي الذي يتمثَّل إحساناً بالوالدين وطاعة لهما في حدود التكليف وغير ذلك، ولكلٍ حُبُّه ومكانته، لكنَّ الطاعة والاقتداء للعلماء الربانيين ولا طاعة للأبوين في المعاصي، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]، فمكانة العلماء الهداة أعلى من مكانة أي مخلوق مهما كانت عطاءاته المادية.

وبما أنَّ مكانة العالم مرتبطة بجسامة المسؤولية والتكليف، وحيث تكون مكافأته وثوابه عظيمين لحسن قيامه بواجباته، فإنَّ العقاب والمحاسبة أيضاً على قدر المهمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قوله لأحد أصحابه: «**يا حفص، يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد**»[٣]. ذلك أن ذنب الجاهل مقتصر على نفسه، بينما قد يسبب ذنب العالم انعكاسات على الآخرين، إضافة إلى ما يتميز به من علم يستدعي منه أن يكون صاحب بصيرة وأن يحصِّن نفسه من الذنوب.

---

(١) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٢، ص:٦٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٤٧.

حقّ المتعلّم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق رعيتك بالعلم، فأن تعلم أنَّ الله قد جعلك لهم، فيما آتاك من العلم، وولاَّك من خزائن الحكمة، فإن أحسنت فيما ولاَّك الله من ذلك، وقُمت به لهم، مقام الخازن الشفيق، الناصح لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب، الذي إذا رأى ذا حاجة، أخرج له من الأموال التي في يديه، كنتَ راشداً، وكنت لذلك آملاً معتقداً، وإلاَّ كنت له خائناً، ولخلقه ظالماً، ولسلبه وعزِّه متعرضاً».

١ ـــ حق المتعلم

كما للمعلم حقوق على المتعلم، فإنَّ للمتعلم حقوقاً على المعلم. فالعلم نعمة من النعم التي أفاضها الله تعالى على عبده، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ومن خلالها تُفتح آفاق الحكمة، ليسير الإنسان في حياته على بصيرة من أمره. ولا قيمة لتراكم العلم وازدياده إذا احتفظ المرء به، بل قيمة ما آتاه الله من العلم، وولاّه من خزائن الحكمة، أن يستخدمها لفائدة المتعلمين، وهذا ما يدل عليه قول السجاد عليه السلام: «فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم»، تعطيهم من علمك، وتنمّي معرفتهم، وتساعدهم للوصول إلى حقائق الأمور، وفي الوقت نفسه، فـ«**العلم يزكو على الإنفاق**»[1] كما ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

لا يتساوى المعلمون في الإحسان أو الإساءة، فالعبرة بأعمالهم وليس بألقابهم، إلاَّ أنَّ مسؤولية المعلم أن يَجهد ليُحسن فيما ولاَّه الله تعالى وأعطاه، وذلك في أمور:

---

(١) نهج البلاغة، حكم ومواعظ ١٤٧، ص: ٧٧٠.

أ ـ «قُمتَ به لهم»، فتعليمك من أجل المتعلمين، وهذا يستدعي دراسة معمَّقة لواقع من تريد تعليمهم:

فما هي أعمارهم؟ وذلك لمعرفة قابلياتهم الإجمالية بحسب النمو التكويني الطبيعي، فالقدرات تتباين بتباين العمر.

ما هي مستوياتهم؟ وما هي قدراتهم على الاستيعاب؟ وهل يعانون من ثغرات او مشاكل خاصة أو تعليمية؟ وهل هناك عوامل بيئية واجتماعية تجعلهم متميّزين ببعض الصفات وفاقدين لبعض المقوّمات؟ وما هي حاجاتهم الفعلية؟...

* حدِّد أهدافك التعليمية، لتكون النتيجة المبتغاة واضحة بالنسبة إليك من أجلهم.

* ضع خطتك السنوية والفصلية والشهرية، لتنسجم المتابعة المنظمة مع تحقيق الأهداف.

* حضِّر درسك جيداً، واحشد له من المصادر المناسبة، واسأل عمَّا غاب عنك أو خفي عليك، ودوِّن ملاحظاتك على دفترك للاستعانة بها، وضبط تذكرها، وإراحة ذهنك من الإنشغال الدائم بها، والاستفادة منها لما يأتي، وتقييمها مجدداً عند اللزوم.

* ركِّز على المعلومات والمفاهيم والسلوكيات الأساسية التي تنفع وتنمي المتعلم.

* اختر الأساليب التعليمية والتربوية الملائمة للمستوى العمري المستهدف.

* قوِّم عملك بمراجعة ذاتية مستمرة، لتحسين الأداء باتجاه الأفضل لمصلحتهم.

* قوِّم تلامذتك بما يكشف استيعابهم ومدى استفادتهم.

ب ـ «مقام الخازن الشفيق»، حيث تملك خزانة المعرفة بقدر ما، وتتوجَّه بمحتواها إلى المتعلم، الذي يتقلَّب كثيراً في مراحله العمرية، وتتغير ظروفه الشخصية والاجتماعية، ويحمل انطباعات متفاوتة عن أساتذته، فهو يُقبل تارة ويُدبر أخرى، يتجاوب مع معلم وينفر من آخر، فلا تتعاطى معه أيها المعلم بالحكم المبرم عليه واتخاذ موقف منه، بل ضع في حسابك الشفقة عليه.

اعطه من نفسك ما يجعلك معذوراً قائماً بواجبك تجاهه، ولا تتوقف عند هفواته وأخطائه إلاَّ لإصلاحها بما لا يؤثر على عطائك، وتعامل معه كقاصر عن إدراك مصلحته بسبب جهله ومستواه وقلة خبرته في الحياة، واعلم أنه قابلٌ للتغيير والتفاعل من خلال مواكبته من دون أن تستعجل النتيجة. ولا تتخذه خصماً لك، كندٍ ومنافس، فهو الأضعف الجاهل وأنت الأقوى العالم، ولا محل للمنافسة ولا للمقارنة، فلا قدرة له على مواجهتك، وليس مدركاً لنتائج عمله لو فكَّر في ذلك، ولا يناسبك أن تضعه في هذا الموقع، فربما حطَّمت شخصيته بخصومتك له، وأثَّرت على

مستقبله وخياراته، فلا تجعل نفسك حاجزاً أمام مستقبله، بل كن شفيقاً رحيماً، قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(١)، كما تشفق على ولدك وتعطيه، واحمله على الأحسن أو راعِ قصوره وعجزه.

إنَّه محتاج إلى علمك، فقدِّمَه إليه باختيار الأساليب الناجحة معه، على قاعدة ان تشفق عليه، وتعطيه من عواطفك ومشاعرك ليستفيد منك، فخطابك له على قدر نموه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم**»(٢)، فكيف إذا كنت مسؤولاً عن اختيار شكل الخطاب الذي يتناسب مع مهمتك التعليمية؟، وقال صلى الله عليه وآله: «**أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**»(٣)، وهي تشمل جميع الناس، فكيف إذا كان تلميذك القاصر الضعيف؟.

ج ـ «الناصح لمولاه في عبيده»، فمع تولية الله لك، بالإنعام عليك بالعلم، عليك أن تكون ناصحاً موجهاً لعبيد الله تعالى، قربة إليه، وشكراً لنعمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدين النصيحة**»(٤)، فالنصيحة تساعد المتعلم على حُسن الاختيار، وتوجهه في دراسته وسلوكه

(١) سورة آل عمران من، الآية: ١٥٩.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص:١١٧.
(٤) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص:٣٢٧./ومسند أحمد، ج١، ص:٣٥١.

وتصرفاته، ولا تنسَ إرشاده إلى الطريقة الأمثل للدراسة والمذاكرة والحفظ والفهم، وما يتناسب معه في لياقة التعاطي مع معلمه وزملائه، وكأنك تأخذ بيده في كل الجوانب.

لا غنى للمتعلم عن التوجيه التربوي والتعليمي، بل لا يستقيم مساره من دونه، ولا يمكن للمعلم أن يستقيل من هذه المهمة أثناء تعليمه، فهو الأقدر على النصح والتوجيه، وليستفد من استعدادات القبول عند التلميذ وتقديره لمعلمه، أو فليعمل على زرع هذه الثقة بالأساليب المناسبة للقيام بهذا الدور الأساس، وكم من نصيحة حجبت أخطاراً وكوارث وانحرافات وخسائر، فإذا لم تأت من الشخص المناسب أتت من زميله في الدراسة أو من أصدقائه وأقربائه من جيله، وهم يفتقرون إلى المعرفة والخبرة، ما يؤدي إلى أضرار كبيرة.

د ـ «الصابر المحتسب»، فالتعليم يتطلب صبراً كبيراً، ولا أجر مادياً يعادله في التقييم البشري، فليحتسب المعلم أجره على الله تعالى، فهذا أغنى له في الدنيا والآخرة، وليكن عنوان العطاء والبذل أصلاً في تعليمه، وإلاَّ إذا احتسب تقييم ما يعلمه بمقدار ما يناله من أجر مادي، فأحسن عند الرضا وأساء عند السخط، كان بذلك خائناً للأمانة. وبما أنَّه تصدَّى لمهمة التعليم، فلينجزها على أحسن وجه محتسباً أجره على الله تعالى، وهذا ما يعوِّضه النقص البشري في التقييم والمبادلة.

ولا يُنتظر من التلامذة أن ينصفوه، فقد يبتلي ببعض المسيئين والجهلة الذين لا يقدِّرون معلمهم، ولا يعترفون بجميله، ولا يشكرونه على تعليمهم، فليحتسب أيضاً أجره عند الله تعالى لقيامه بمهمته على أكمل وجه.

ولا يخفى ما يحتاجه التعليم من صبر في الإعداد والتقديم والتعاطي مع التلامذة، فالفروقات الفردية في الاستيعاب تتطلب جهداً استثنائياً لمساعدة المتخلفين، والظروف الطارئة التي تؤدي إلى الإهمال والتقصير واللامبالاة تتطلب حنكة في المتابعة لاجتياز الأزمة وتشويقاً للتلامذة للاهتمام من جديد، ويؤثّر النمو الجسدي والخصوصيات العائلية والوضع الصحي... على مستوى التجاوب المتفاوت، ما يستدعي جهداً للمعالجة.

* اصبر أيها المعلم على تصرفاتهم، فهي في أغلب الأحيان طيش طفولة أو مراهقة.

* اصبر على تعليمهم، فقد تنقص بعضهم مقدمات أساسية، فعالجها بأسلوب الدعم، أو أصاب البعض الملل، فاختر الأساليب الأكثر تشويقاً، أو كانت المادة صعبة ومعقدة فاحرص على تبسيطها، أو كنت سبباً لكرههم للمادة فراجع طريقة أدائك.

* اصبر على تربيتهم، فمسؤوليتك أن تتابعهم ليتحسنوا ويُغيِّروا، ولا يتوقف مسار التربية طوال حياة الإنسان، فالتربية عملية مستمرة، وعليك مواكبتها بكل معاناتها وصعوباتها، ولا

تظهر آثارها بسرعة، فهي مرهونة بتفاعل الطرف الآخر، وهذا ما يحصل بشكل تدريجي وبطيء، وقد لا يحصل على يديك.

* اصبر لمصلحة إعطائهم الفرص المتتالية، فهم بحاجة إليها، وقد يكون لك الفضل الكبير في استقامة سلوكهم وحسن تعليمهم، ولا تكتف بفرص محدودة، فالتلميذ عجينة بين يديك، حاول أن تكيِّفها باتجاه الهدف، ولعلَّ الزمن يساعد فيما لم تتوفق له اليوم، فالمتغيرات في شخصية الولد وظروفه تساعد أيضاً في تطوير الاستجابة لك.

* اصبر فأنت المسؤول، وهذا يدخل في صلب مهمتك، ولا تُفاجأ إذا لم تنجح في بعض الحالات، على الرغم من التزامك بكل الضوابط الصحيحة وبَذْلك لكل الجهد المناسب، فربما كانت العلة من الطرف الآخر، الذي يحتاج إلى غيرك لمعالجتها، أو إلى تغيير نمط الاختيار للصف أو المادة أو الاتجاه، أو يكون عصيّاً عليك وعلى غيرك لغلبة ما تربى عليه واعتاده.

* اصبر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

هـ ـ «الذي إذا رأى ذا حاجة، أخرج له من الأموال التي في يديه»، فقد تمنع الحاجة تلميذاً من التعلم بسبب الكلفة، فإذا استطاع المعلم تأمين حاجته مما بين يديه من الأموال بسبب سلطته

(١) سورة الزمر، من الآية: ١٠.

وموقعه فهذا أمر جيد، ولعلَّ انطباق هذا الأمر على طلبة العلوم الدينية أكبر بسبب قدرة العلماء المتصدين على تأمين الحقوق الشرعية والمساعدات، التي يُعتبر التعليم من أهم وجوه الصرف فيها. وبما أنَّ التعليم عموماً ينقل الأولاد إلى المستوى الأفضل من الوعي والإدراك والسلوك، فهو مطلوب بشكل عام، وقد صُرفت أموال شرعية على تأسيس المدارس العصرية لهذه الغاية، واهتم بعض المراجع بمدارس تعليم البنات بسبب التقصير في هذا الجانب.

ومع أن فكرة مجانية التعليم قد طرحت في هذا الزمن، ويقصد بها تأمين التعليم لجميع الأولاد ذكوراً وإناثاً، فإنَّ إشارة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى تأمين حاجة المتعلم المادية، تبيِّن بأن الأصل هو التعليم لكل فرد، فإذا أثَّرت الحاجة سعى المعلم والمسؤول إلى تأمينها لضمان استمرارية التعليم. وقد قايض الرسول صلى الله عليه وآله أسرى الحرب، بأن يعلِّم الواحد منهم عشرة من المسلمين، مقابل إطلاق سراحه، كأجر مدفوع من بيت مال المسلمين لتأمين تعليم المسلمين. فالحواجز المادية مرفوضة بين المعلم والمتعلم، ويجب أن تتضافر الجهود لتأمينها تسهيلاً لشرف وعظمة ومكانة العلم.

أمَّا نتيجة أداء حق الرعية بالعلم، «فإن أحسنت كنت راشداً، وكنت لذلك آملاً معتقداً»، حيث يعبِّر حسن أدائك لحق المتعلم عن

رشدك ووعيك، ويدلُّ على املك بعطاء الله، واعتقادك بفضله عليك فيما منحك إياه، ورجاء ثوابه في الآخرة على إخلاصك وجهدك في عملك.

«وإلاَّ كنت له خائناً»، فمقتضى الأمانة أن تعطي مما أعطاك الله لعباده. ولا حق لك بحجز العلم عندك، ولا يجوز لك الإساءة في تقديمه، وإلاَّ كنت «لخلقه ظالماً» فيما حرمتهم منه، وبذلك تكون قد عرَّضت نفسك لسلب العلم منك، فهو ينقص على عدم الإنفاق، وتسقط قيمته مع عدم أداء حقِّه، فلا يكون لك عزٌّ معه، لأنَّ العلم يُعز ويرفع من يستفيد منه وينفع الآخرين به.

٢ ـــ مواصفات المعلم

يجب توفر بعض المواصفات الشخصية في المعلم، فهي علامات أهليته، ومفتاح تأثيره، وأهمها:

أ ـ العلم: بالمادة والموضوعات التي يعلِّمها، وكلَّما كان متقناً لها، ومُلمّاً بجوانبها، استطاع تقديم مورد الحاجة للمتعلمين، وانسجم مع دوره التعليمي. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم**»[1].

ب ـ التفاعل: كيف يمكن للمعلم أن يجذب انتباه التلميذ إليه

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص:٣٧.

ويجعله متفاعلاً معه؟ إنَّها المهمة المحورية التي توصل الفكرة إلى عقل التلميذ، وتحقق له الانسجام النفسي معها. وهذا ما يتطلب براعة في أسلوب العرض الذي ينسجم مع الموضوع المقصود ويحاكي استعدادات وحاجات المتعلم. فدرس الرياضيات يستلزم تثبيت القاعدة حفظاً وفهماً ثم يتم التركيز على حل المسائل وفق القاعدة، حيث يفقد الدرس جاذبيته إذا اقتصر على تلقين القواعد والمسائل، وينحسر تفاعل التلميذ مع هذا الأسلوب الخاطئ. ودرس الدين يُعرض فيه النص أو المفهوم، ثم يُوضَّح معناه، ثم يُربط بأمثلة واقعية من الحياة وتطبيقات عملية في الصف، ليعيش التلميذ المضمون كجزء من حياته، ضمن أداء شمولي يحقق تفاعل العقل والنفس.

يمكننا الاستفادة من وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام للمتقين الذي يشكل أفقاً صالحاً كهدف أسمى للتفاعل، قال: «**فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم. وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أنَّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم**»[١].

ج ـ القدوة: لا يكفي أن يتقن المعلم إيصال الفكرة لتلامذته، فموقعه التوجيهي والتربوي يقتضي أن يعلِّمهم بسلوكه

(١) نهج البلاغة، في وصف المتقين، الخطبة ١٩٣، ص: ٤٧٠.

قبل كلامه، وبتصرفاته قبل أفكاره، بحيث لا يعيش ازدواجية في الشخصية بين الفكر والسلوك، ولا يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، إنـمـا يـطـبّـق على نفسه ما يقوله للآخرين، وعندها يكون تأثيره فعّالاً لكونه قدوة فيما يقول.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من نصَّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسه ومؤدبها أحقُّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم**»[2].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**اللهم صل على محمد وآله، وحلِّني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة[3]، وضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة، وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضل، وترك التعيير، والافضال على غير المستحق، والقول بالحق وإن عز، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي، واستكثار الشر وإن قل من قولي وفعلي، وأكمل ذلك**

---

(١) سورة الصف، الآية: ٣.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، الحكم والمواعظ ٧٣، ص: ٧٤٧.

(٣) النائرة = العداوة، سكون الريح = كناية عن الوقار والرزانة، المخالقة = المعاشرة بخلق حسن.

لي بدوام الطاعة، ولزوم الجماعة، ورفض أهل البدع، ومستعمل الرأي المخترع»[١].

وعن أبي الأسود الدؤلي هذا الشعر المعبِّر:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كيما يصح به، وأنت سقيمُ
لا تنهَ عن خُلُق وتأتيَ مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما وعظتَ ويُقتدى	بالعلم منك وينفع التعليم

وعن ذي القرنين عليه السلام في وصيته: «**لا تتعلم العلم ممن لم ينتفع به، فإنَّ من لم ينفعه علمه لا ينفعك**»[٢].

د ـ **أسلوب الخطاب**: تترك الكلمة أثراً في النفس، ولا يمكن إطلاق العبارات والتوصيفات من دون الالتفات إلى أثرها على التلامذة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[٣].

فالكلمة مسؤولة، إذ يمكنها أن ترفع معنويات التلميذ عندما

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام (تحقيق أبطحي)، ص: ١١٢ من دعاء مكارم الأخلاق.

(٢) قطب الدين الراوندي، الدعوات، ص: ٦٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

تكون لائقة ومشجِّعة وناصحة، كما يمكنها أن تحطِّم شخصيته عندما تكون جارحة ومُذلَّة وقبيحة، وقد نهى الله تعالى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1].

والمعلم مسؤول في رعاية خصوصيات التلميذ وانعكاس خطابه عليه، قال الإمام الخامنئي(دام حفظه): «تجب على المعلم رعاية حرمة الطالب أمام زملائه، ومراعاة آداب التعليم الإسلامية»[2].

ه ـ **حسن الخلق**: يختصر وصف الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآله، النموذج الحي للشخصية الرسالية، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، فالخلق العظيم يشمل كل السلوك الإنساني في الكلمة والابتسامة والحركة والأداء... وهو يختزن السماحة واللطافة والعفو وطيب اللقاء والمعشر وحسن الظن وحسن المعاملة... وفي الحديث: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خُلُقٍ حسن**»[4].

إنَّ الأخلاق تُعبِّر عن صاحبها، وبقدر أهميتها في تقييم

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) الإمام الخامنئي(قده)، أجوبة الإستفتاءات، ج٢، ص:٨٦.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) مسند أحمد، ج٦، ص:٤٤٦ ومستدرك الوسائل، ج٨، ص:٤٤٧.

المعلم الذي يحمل الصفات الخلقية الجيدة، فإنَّ انعكاسها على التلامذة أبلغ بكثير، في جذبهم إلى الفضائل، والتأثير عليهم أثناء العملية التربوية، والتعبير العملي أمامهم عن آثار الإسلام كنموذج تطبيقي صالحٍ للاحتذاء في سلوك المعلم.

و ـ الدعوة إلى الصلاح: ليس كل من تصدى للتعليم كان مؤهلاً له، ولو امتلك معلومات كثيرة، إذ المهم أن يستخدم علمه لنفع المتعلم على مستوى إعطائه المعلومات الصحيحة، وتوجيهه نحو التربية السليمة، ومساعدته في منهجية حياته. فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تجلسوا عند كل داعٍ مدعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشك، ومن الإخلاص إلى الرياء، ومن التواضع إلى الكبر، ومن النصيحة إلى العداوة، ومن الزهد إلى الرغبة. وتقربوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن العداوة إلى النصيحة. ولا يصلح لموعظة الخلق إلاَّ من جاوز هذه الآفات بصدقه، وأشرف على عيوب الكلام، وعرف الصحيح من السقيم وعلل الخواطر وفتن النفس والهوى**»[(١)].

ز ـ الحلم: بكظم الغيظ، والصبر على المتعلمين، وتحمُّل أسئلتهم، ومعالجة تقصيرهم، فإنَّ الحلم سلوك فعَّال في مواكبة تقلبات التلامذة لمساعدتهم في استمرارية اهتمامهم بما

---

(١) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص:٢١.

يدرسون، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إن للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت**»[١]. فمع العلم والحلم يأتي الصمت عندما لا تكون هناك حاجة أو فائدة للكلام لمجرد ملء الوقت به.

وغالباً ما يتسبب تعنيف المعلم لتلامذته وتصرفه العصبي المتوتر معهم بكرههم للمادة، وعدم اكتراثهم لها، فضلاً عن سلبية نظرتهم إلى المعلِّم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**على العالم إذا علَّم أن لا يعنِّف، وإذا علَّم أن لا يأنف**»[٢].

ح ـ العــدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[٣]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤].

اعدل أيها المعلم في توزيع اهتمامك بين تلامذتك، اعدل في تطبيق النظام عليهم من دون تحيز، اعدل في المكافأة والعقوبة وابتعد عن الطريقة الاستنسابية، اعدل في متابعتك لهم فلا تتسلط على بعضهم وترهقهم بملاحقتك، اعدل في إعطاء العلامة على الجهد ونتائج الاختبارات ولا تعتمد على الانطباع، اعدل في مودتهم فلا تُبرز محبتك وتمييزك للبعض منهم، وانتبه إلى الله

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص: ١٨٣.
(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص: ٢٠٩٢.
(٣) سورة النحل من، الآية: ٩٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨.

الحسيب الرقيب عليك، «فإنَّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولَّاك»[١].

ط ـ التوازن: الإفراط مهلكة والتفريط مهتكة والتوازن مرحمة. فالتوازن مطلوب في توزيع الدروس على أيام السنة بشكل مقبول، وبما ينسجم مع قدرة التلامذة على الاستيعاب، إذ لا معنى لإنجاز البرنامج المقرر مع عدم فهم المتعلمين له. والتوازن بين الشدة واللين يكون حزماً في لين، فلا تغلب القسوة المنفِّرة ولا اللين المؤدي إلى الفوضى والاستهتار. علِّمهم كيفية أداء حق معلمهم، واعطهم الحق فيما لهم، فلا تبالغ فيما لك وتُهمل ما لهم. وتابع معهم بجدية تضبطهم، ثم افسح لهم المجال بين الحين والآخر للترويح عن أنفسهم، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم**»[٢]. أدِّ عملك باعتدال لتساعدهم على النجاح، فالتوازن سمة النجاح في الحياة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٢، عهد الأمير لمالك الأشتر، ص: ٦٧٣.
(٢) نهج البلاغة، حكم ومواعظ، رقم ٩١، ص: ٧٥٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

لا تيئسهم منك ولا تطمِّعهم فيك وضع الأمور في نصابها، فإن أعطيت كل شيء حقه كنت جديراً ولائقاً بهذه المهمة. فطريقك طريق الأنبياءﷺ والصلحاء الذين يؤدون مهمتهم بتوازن واعتدال وبما يناسب المقام. عن أمير المؤمنين عليعليه السلام: «**ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره. ألا لا خير في علم ليس فيه تفهُّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبُّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكُّر**»[١].

ي ـ التواضع: قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وقال الإمام الصادق: «**اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم**»[٣]. فالعلم توفيق إلهي لنعمة يكتسبها المرء، وحق النعمة أن تبذل في محلها الصحيح بتواضع الشاكر لله، ولا ينفع الادعاء والتكبر فهو يبرز الصورة السلبية لغرور المعلم الذي يخسر قدرته على التأثير، فيذهب الغرور بقيمة ومضمون علمه.

هذا التواضع ينسجم مع خدمة الناس لإيصالهم إلى طريق الهداية، فالعلم ليس ترفاً وتجميعاً للمعارف، إنما هو خير يقتضي

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٣٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٣٦.

نشره وتعميمه وتحبيب الناس به. وقد روي عن السيد المسيح عليه السلام قوله: «**يا معشر الحواريين، لي إليكم حاجة اقضوها لي؟**

قالوا: قُضيت حاجتك يا روح الله. فقام فغسل أقدامهم.

فقالوا: كنا نحن أحقُّ بهذا يا روح الله.

فقال: إنَّ أحقَّ الناس بالخدمة العالم، إنَّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم»[(١)].

٣ ــ التربية والتعليم متلازمان

«وأمَّا حق سائسك بالعلم»: السائس هو المؤدِّب، من فعل ساس أي تولى أمر القوم ودبَّرهم، فالسائس بالعلم هو المعلِّم الذي يتولى أمر تلامذته بتعليمهم وتأديبهم. إذاً لا يقتصر دور المعلم على التعليم والتلقين للمعلومات التي يدرِّسها لتلامذته، بل يشمل تربيتهم وتأديبهم بمضامين العلم ومفاهيمه وبسلوكه وتصرفاته وتوجيهاته.

فالتعليم والتربية متلازمان، وعلى المعلم أن يكون مربياً ملتفتاً إلى الأهداف التي يريد الوصول إليها مع تلامذته، فلا يمكنه الاستقالة من هذه المهمة التربوية، لأنَّ انعكاس شخصيته وتصرفاته وطريقته وأهدافه ستبرز بشكل طبيعي أثناء تعليمه، وستترك آثارها على تلامذته من دون إرادته، بصرف النظر عن مستوى التأثير وفعاليته.

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص: ١٨٣.

إنَّنا لا نتحدث عن تأثيرٍ كامل لمعلم واحد، بل عن تأثير ما لكل معلم، بتفاوتٍ بين المعلمين، فالمعلم بين خيارين: أن يكون مربياً باختياره من ضمن أهدافه وخطته لذلك، فيكون تأثيره أكبر إذا أحسن الأداء، أو أن يكون مربياً من غير اختيار، فتتحقق بعض النتائج التي يريدها أو لا يريدها، فهي غير داخلة في أهدافه وخطته، لكنَّه يتحمَّل مسؤوليتها لأنها من إنتاجه، فالمعلم مربٍ شاء أم أبى.

وما يدَّعيه البعض من وجود تعليم مجرد عن التربية، قد ينطلق في بعض الأحيان من الرغبة بإعطاء صفة موضوعية لتعليم المعلم، ليسهل عليه النفاذ إلى المسألة التربوية التي يريدها، من دون إثارة المتعلم أو أولياء أمره حول الأهداف التي يريدها، والتي تخفي حقيقتها أغلب المؤسسات التعليمية من خلال العناوين البرَّاقة التي تطرحها، وتأكيدها الدائم على موضوعية التعليم لديها بطريقة مجرَّدة، لتلقين التلميذ المادة الدراسية المقررة بمعزل عن أي هدف تربوي خاص. وهذا ما تدحضه الوقائع والدراسات التربوية، وذلك في كل العلوم التي يتلقاها المتعلم. فالطفل يتأثر بمعلمته في المدرسة، سواءً علمته اللغة العربية أو العلوم أو الدين أو اللغة الأجنبية... الخ، فإذا أحبَّها أطاعها وأحبَّ مادتها وقلَّد تصرفاتها، وانطبعت شخصيته بما تريده من أهداف. وإذا نفر منها تجنَّب ضغطها، وقد ينفر من مادتها فلا يتفاعل معها، أو يحفظها

خوفاً منها، كما تتأثر نفسيته بأدائها، فيتصرف بردة فعل، أو بتسليم المتصنّع الخائف، بحسب شخصيته وما أثَّر في بنائها من ظروف وأجواء تربوية مختلفة، في البيت والمدرسة والمجتمع.

ويمكننا نقل صورة انفعالات الطفل نفسها على كل المراحل العمرية للمتعلم مع معلمه، باختلاف أساليب التعبير عنها شدة وضعفاً بحسب الأفراد وأعمارهم وتقديرهم للأمور، فكيف إذا كان التعليم للدِّين، ذي الصلة الوثيقة بالعملية التربوية باتجاه الإقناع والهداية وتزكية النفس وتقويم الأعمال نحو الصلاح والفضيلة؟

فالمعلم المربي محور أساس في العملية التربوية، وعليه التحلي بأفضل صفات القدوة، وكلما نشأت علاقة من المودة والمحبة مع تلامذته، وتعززت الثقة المتبادلة معهم، استطاع توجيههم والتأثير في سلوكهم، فالمحبة تولد الحافز للطاعة والتقليد لإرضاء المحبوب.

عندها يمتلك المربي زمام المبادرة، فيتوجب عليه مواكبة حاجات التلميذ وتقلباته، وأن يعمل لتقديم الحلول المناسبة لها، فهو بمثابة معالج نفسي شاء أم أبى، وهو أكثر تأثيراً من البيت، وليس حيادياً في العملية التربوية، كل هذا يستلزم الأمانة والمسؤولية في تقديم النصح للتلميذ، وأن لا يعكس مشاكله وقلقه في حياته الخاصة أو المدرسية عليه، وأن لا يصدمه بتصرفات مخالفة للانطباع المتكوّن عنده، كي لا ينعكس سلباً في سقوط

القدوة في نظره. فالتصدي لهذه المهمة تستلزم دقة وانتباهاً شديدين في التعامل مع صفحة النفس البيضاء عند التلميذ، وفي رعاية حساسيتها من سلوك المعلم.

فالمعلم سائس بالعلم، يتولى أمر تلامذته بتعليمهم وتربيتهم، ويجب أن يكون كذلك، وله حقوق عند المتعلم لتتحقق الفائدة المرجوَّة من التعليم.

٤ ـــ الفطرة والتربية

تتحدَّد شخصية الإنسان بناء لعاملين: الفطرة والتربية.

الفطرة هي مجموع المقوِّمات التي تُميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، والتي تصاحبه منذ ولادته، من دون تدخل لأحد فيها، كالعقل والذاكرة وامتلاك المعلومات البديهية وشكل الجسد وطريقة نموه وفترة البلوغ وطريقة التناسل والإرادة وقدرة بناء الحضارة والمدنية... ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١].

لكنَّها مقوماتٌ متفاوتة وليست متساوية بين بني البشر، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[٢]، وهي التي تُنسب إلى العوامل الوراثية، للإشارة إلى مؤثرات التكوين الإنساني التي تؤدي إلى تفاوت في الدرجات في إطار الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.
(٢) سورة الانعام، الآية: ١٦٥.

ولكل واحدة من مقومات الفطرة حدٌ أدنى وحدٌ أقصى في القدرة بالنسبة للفرد، فالذكاء له حدٌ أدنى وحدٌ أقصى، والإدراك له حدٌ أدنى وحدٌ أقصى، وهكذا... وهنا يتفاوت الأفراد في القدرات بحسب الحد الأدنى والأقصى لديهم.

ولا تبرز مقومات الفطرة دفعة واحدة، بل ترتبط بالنضج الجسدي الذي ينمو تدريجياً من الولادة إلى الطفولة فالمراهقة فالشباب... فبعض تغيرات السلوك عند الولد لا تكون نتيجة التعلم، وإنما تتعلق بالنضج الجسدي، فالقدرة على الإمساك بالقلم للكتابة مرتبطة بنمو عضلات الأصابع، وبداية الرغبة الجنسية مرتبطة بالبلوغ وما يصاحبه من تغيرات جسدية، وعدم استجابة الطفل للقواعد التي يرسمها الوالدان ناتجة عن عدم استيعابه لها في مرحلته العمرية.

فالفطرة مقومات خلقها الله تعالى في البشر، تتفاوت فيما بينهم، ولها حدٌ أدنى وحدٌ أقصى مختلفان باختلاف الأفراد، تبرز مواصفاتها الإجمالية في السلوك بشكل متدرِّج يصاحب النضج الجسدي.

إنَّ المعلم الناجح هو الذي يفهم مقوِّمات الفطرة، ثم يخطو تعليمياً خطوات تنسجم مع النضج الجسدي، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، فيعمل تربوياً على تغيير وتطوير سلوك التلميذ،

---

(١) سورة البقرة من، الآية: ٢٨٦.

مستفيداً من مروحة الخيارات بين الحدَّين الأدنى والأقصى، على أن يكون واقعياً في توقعاته، إذ ترتبط النتائج بالقدرة التكوينية وقابلية التفاعل(الحافز) من ناحية، وما يوفِّره المربي من تعليم وتوجيه بالطرق والأساليب المناسبة من ناحية أخرى.

ولا تتعارض المهمة التعليمية مع المهمة التربوية أبداً، فهما متداخلتان، **فعلى المعلم أثناء إشرافه التعليمي أن يهتم بجميع** تلامذته، ويقدم لهم الخبرات التربوية ليفهموا أنفسهم، ويعرفوا قدراتهم بشكل أفضل، ويثقوا بإمكاناتهم بحسن الاختيار وفي التقدم العلمي والسلوكي، بما يساعدهم على بناء الثقة بالنفس (تقدير الذات عندهم)، وهذا ما يُسهِّل استجابتهم له، حيث تصبح الخيارات والبدائل متوفرة لديهم، ويكونون مستعدين لتحمل مسؤولياتهم، وقادرين على حسم الموقف بطريقة أفضل، خاصة أنَّ المعلم قد أوجد لديهم الحافز للتفاعل، وهذا ما يساهم في إنجاح مهمته.

وينطلق التركيز على المعلم من دوره المحوري المباشر في التعليم والتربية، وموقعه المؤثر في العملية التربوية، بسبب الفترة الزمنية الطويلة التي يقضيها المتعلم مع معلميه، لكن لا ننس دور المنزل والمجتمع والأصدقاء والأجواء المحيطة والإعلام... فقد تؤثر هذه الأمور بطريقة معاكسة، كما قد تساهم في رفد الولد بعوامل الصلاح. وهنا تكمن أهمية التقييم الدوري لنتائج العملية التربوية،

لدراسة مكامن القوة والضعف منها، وما يواجهها من عقبات، لتصويب المسار، والقيام بالخطوات اللازمة لتحقيق الأهداف المرسومة، وذلك للوصول إلى النجاح المحتمل بحسب الظروف الموضوعية، فإذا لم نتوفق نكون معذورين في بذلنا لأقصى الجهد الممكن.

٥ ـــ التربية في المراحل العمرية

أسَّس الرسول محمد صلى الله عليه وآله لقاعدة استراتيجية في التعاطي التربوي مع النمو البشري، بما يتلاءم مع القدرة والاستعدادات، عندما أطلق تحديده للمراحل العمرية للولد منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، ولم يكن في دائرة النصيحة التوجيهية العابرة، بل لتعليمنا سراً من أسرار الخلق، ليوفِّر علينا تجارب الاستكشاف، ويسهِّل طريق تنمية معارفنا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[(١)]. وها نحن نرى اليوم دعائم علم النفس التربوي الحديث، تقوم على التقسيمات العمرية التي تتلاءم مع التكوين الفطري والتوجيه التربوي، والتي تشابه تقسيمات الإسلام في مضمونها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلاّ فاضرب على جنبه فقد أُعذرت إلى الله**»[(٢)].

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ و٤.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٢٢.

عن الأئمةِ عليهم السلام، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**يُرخى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً، ويُستخدم سبعاً، وينتهي طوله في ثلاث وعشرين، وعقله في خمس وثلاثين، وما كان بعد ذلك فالتجارب**»[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلاَّ فلا خير فيه**»[2].

فالمراحل العمرية ثلاثة[3]:

الأولى ـ من ١ ـ ٧ سنوات: الولد سيد، فلا تنفع القسوة معه، ولا تُعدِّل بعض تصرفاته لاعتبارات تكوينية، فجسده محدود القدرة، ورغباته لا تخضع لمعايير عقلية، ولا يفهم ضوابط المجتمع الذي حوله، ولا يمكننا فهم بعض اختياراته، ولا نعرف انطباعاته ومسبباتها في كثير من الحالات، فتعامل معه بقناعة عدم قدرتك على إدارته بالكامل كما تريد، فهو سيد في اختياراته.

يُترك الصبي سبعاً، فهو بحاجة ليعيش طفولته وينمو فيها، لأنَّه بهذا الأسلوب يعيش التوازن والنمو الطبيعي، على قاعدة التقليل

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٢.
(٣) راجع فقرة «التعامل مع المرحلة العمرية للولد» وما بعدها من كتاب «حقوق الوالدين والولد» للمؤلف، ص: ٨٧.

من التوجيهات والضوابط، والاكتفاء بزرع بعض القيم الضرورية لهذا العمر.

دع ابنك يلعب سبع سنين، لتنمو عضلاته، ويكتسب جسده المرونة والنمو والصحة، وليشعر بلذة الطفولة، كي ينشأ فيها وقد أخذ حقَّه منها. كما ينعكس اللعب على نضجه العقلي واستقراره النفسي.

الثانية ـ من ٧ ـ ١٤ سنة: الولد عبد، وهو التعبير عن مرحلة التوجيه الرئيسة في متابعة الولد بأدق التفاصيل، ومواكبته جسدياً ونفسياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً، فهنا مسموحات وممنوعات، أوامر ونواهي، ثواب وعقاب، وهنا التربية والمواكبة بكل زخمها.

وهذا ما تعنيه عبارة «ويؤدب سبعاً»، فهي المرحلة العمرية الأدق في حياة الإنسان، التي تحتاج إلى رعايتها لصقل الشخصية، وتعبئتها بالقيم والمفاهيم، وإرشادها نحو الطريق الأفضل في الوعي والسلوك. وتخضع شخصية الولد لتقلبات كثيرة في هذه المرحلة، ويتأثَّر بكل ما يحيط به في البيت والمدرسة والمجتمع والأصدقاء، ما يتطلب رقابة دقيقة، ومتابعة تعليمية تربوية تأديبية غير منفِّرة، ففي نهايتها الخطوة الانتقالية إلى المراهقة، إلى مرحلة جديدة بخصائصها ومواصفاتها.

الثالثة ـ من ١٤ ـ ٢١ سنة: الولد وزير، فقد بدأت خياراته بالنضوج، وبدأ يتمسك بآرائه وتجربته، فصاحبه مصاحبة الوزير

المشاور، بطريقة تربوية تستهدف الحوار والإقناع والتفاعل، وتبتعد عن الفرض والقوة وسلب الشخصية.

إنَّه يشعر بشخصيته المستقلة، ويحاكي الكبار في تصرفاته، فالأفضل أن تستخدمه، بأن تُشعره بقدرته على القيام ببعض الأعمال لإنجازها كما يُنجزها الكبار، وأن تُشعِره بالثقة به على المستوى العملي، ولا تقف عند بعض الأخطاء والثغرات، فهي عادية في إطار تجربته الجديدة التي لا تستقيم من دون عثرات.

والزمه نفسك كصاحب لك، تستشيره وتسامره وتصحبه في السفر، تسمع مقترحاته ولا تسخِّفها، تخفف من املاءاتك عليه وتسعى لتحفيزه على الاختيار الطوعي للدرس او العمل أو الرياضة أو الزيارة أو ما شابه ذلك. وانتبه لمشاعره، فهو يعتقد باكتمال شخصيته، ويرى نضجه الجسدي والعقلي والنفسي قد تجاوز المرحلة السابقة، ويزداد نمواً وقدرة باستمرار، وهذا ما ينطبق على الشاب والشابة، فاحرص على حسن التعامل مع هذه المرحلة الأخيرة في التعليم والتربية المباشرين.

فالتربية أساس في تكوين الشخصية، وعلى المعنيين اختيار التوقيت والأساليب الملائمة بما ينسجم مع مراحل النمو، وقد بادر الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام بالتربية بما يحقق الهدف في الهداية والاستقامة، قال الأمير عليه السلام: «**وإنما قلب الحدث كالأرض**

الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبك»[١].

أمَّا علم النفس التربوي الحديث فقد قسَّم المراحل العمرية لتربية الولد بحسب اختلاف مكوناتها إلى ثلاثة[٢] أيضاً، وهي:

أولاً ـ مرحلة الطفولة المبكرة: من ٢ ـ ٦ سنوات، وتسبقها الرضاعة التي يقطع الطفل شوطاً لا بأس به في النمو الجسدي والحركي والعقلي والانفعالي، حيث تُسمى المرحلتان بالسنين التكوينية. أمَّا في الطفولة المبكرة فتكتمل لدى الطفل قدرات جسمية جيدة كالمشي، وقدرات عقلية كالكلام والإدراك الحسي، ونمو حركي واضح. وفي هذه المرحلة تُغرس في نفوس الأطفال كثير من القيم والاتجاهات الأخلاقية والاجتماعية، وفيها تُحدد مفاهيم الصواب والخطأ، والخير والشر، ويمكن القول بأنها مرحلة وضع البذور الأولى لشخصية الطفل المستقبلية[٣].

ثانياً ـ مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة: من ٦ ـ ١٢ سنة، وهي المرحلة الابتدائية في التعليم، وفي نهايتها يشرف الطفل على مرحلة المراهقة، وتتكون في هذه المرحلة اتجاهاته حول الذات، ويتعلم القراءة والكتابة، والمهارات الحركية، وتتكوَّن مدركاته

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص: ٦١٧.
(٢) د. خليل معوض، سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، ص: ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٠.

ومفاهيمه، ويتشكل لديه الوازع الداخلي(الضمير) الذي يحاسبه على الخير والشر والخطأ والصواب، وتنمو لديه الرغبة بالعمل الاجتماعي واتخاذ الأصدقاء، ويستطيع التعبير عن انفعالاته، وتتطور قدراته العقلية بشكل متراكم، وتنشأ لديه أسئلة كثيرة عن الموت والحياة والولادة وكل ما يحيط به، فهي مرحلة النضج المفاهيمي وغرس القيم[١].

ثالثاً ـ مرحلة المراهقة: من ١٣ ـ ٢١ سنة، وهي قسمان:

أ ـ المراهقة المبكرة من ١٣ ـ ١٦ سنة، وهي تمتد منذ بدء النمو السريع الذي يصاحب البلوغ، حتى بعد البلوغ بسنة تقريباً، عند استقرار التغيرات البيولوجية عند الفرد. وفي هذه المرحلة يسعى المراهق إلى الاستقلال، ويرغب دائماً في التخلص من القيود والسلطات التي تحيط به، ويستيقظ لدى الفرد إحساسه بذاته وكيانه، ويميل إلى الاندماج مع جماعة من الأصدقاء(الشِّلة)، وتشتد منافسته مع أترابه واخوته، ويحاول أن يجذب إليه انتباه الجنس الآخر.

ب ـ المراهقة المتأخرة من ١٧ ـ ٢١ سنة، وفيها يتجه الفرد محاولاً تكييف نفسه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ويوائم بين تلك المشاعر الجديدة وظروف البيئة ليحدد موقفه من القضايا المختلفة، محاولاً التعود على ضبط النفس، والابتعاد عن العزلة، والانضواء

---

(١) الدكتور خليل معوض، سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، ص: ١٥٢.

تحت لواء الجماعة، فتقل نزعاته الفردية، ولكن في هذه المرحلة تتبلور مشكلته في تحديد موقفه بين عالم الكبار، وتتحدد اتجاهاته إزاء الشؤون السياسية والاجتماعية وإزاء العمل الذي يسعى إليه[1].

ولا يعني تقسيم المراحل وجود حدِّية في مواصفات كل عمر عند انطباقه التام، فمراحل النمو متَّصلة ومتداخلة، ولا يوجد بينها فواصل، ويتم الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل متدرج من دون طفرات بينها. كما تتأثر حدود كل مرحلة بالبيئة الاجتماعية والظروف المعيشية والظروف المناخية، فتزداد أو تنقص أشهراً أو سنة أو أقل أو أكثر، وإنما ينفع هذا التحديد لمعرفة الفروقات الإجمالية بين هذه المراحل، وبناء عليه فزيادة سنة أو نقصانها لا يُخل بفهمها، وضبط إيقاعها، والعمل فيها، حيث تُحدِّد مراقبة تصرفات الأولاد بوضوح عملية الانتقال، من مرحلة إلى أخرى.

إنَّ المعلم بحاجة إلى المزيد من المعرفة في علم نفس الطفل، وعلم النفس العام وعلم النفس التربوي، والتوجيهات التربوية والسلوكية في الإسلام، لتتكوَّن لديه القدرة على التعامل مع الولد في مراحل نموه المختلفة، كي لا يتصرف معه عشوائياً، فيحصد نتيجة معاكسة للأهداف التي يريد الوصول إليها.

ويتطلب النجاح في العملية التربوية عدة أمور:

---

(١) الدكتور خليل معوض، سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، ص:٢٨٩.

١ ـ تحصيل ثقافة عامة عن التربية وأسسها، مستمدة من الدين، ومن الدراسات المعاصرة التي سبرت أغوار التكوين البشري عقلياً ونفسياً وجسدياً بما يسمى «علم النفس التكويني».

٢ ـ اكتساب المعرفة في الطرق والأساليب التربوية الملائمة.

٣ ـ اكتساب المعرفة في طرائق تدريس المواد المختلفة.

٤ ـ الإلمام الإجمالي بالأوجه المرضية للنمو، والمشاكل النفسية والاجتماعية التي تحيط بالولد.

٥ ـ دراسة الواقع الاجتماعي المحيط بالتلامذة الذين نريد تعليمهم وتربيتهم، لتحديد الأداء الملائم لهم.

٦ ـ تحديد الأهداف التي نريد تحقيقها، ووضع الآليات المناسبة لها، مع تقييم دائم ومستمر لكل خطواتنا من أجل الاستدراك والمعالجة والتصويب.

والأهم من ذلك، أن نُوجد الحافز عند التلميذ للتفاعل مع المعلم، أكان بالمكافأة أو تحقيق الطموح أو إرضاء المحيط العائلي أو القدوة أو المحبة أو غير ذلك من الأمور التي يمكن أن تجتمع مع بعضها البعض لذلك، فلا يمكن للمربي أن يؤثِّر ما لم يكن المتلقي(التلميذ) قابلاً ومتفاعلاً، وهنا تكمن المهمة الكبرى في توفير عوامل الجذب والتحفيز، ليتمكن المعلم من مساعدة

التلميذ في تهيئة المناخات التعليمية والتربوية الملائمة والمؤثرة. وهنا يحتاج المعلم إلى عاملين أساسيين:

١ ـ أن يمتلك المواصفات الشخصية المناسبة في العلم والأخلاق وحسن التعاطي مع الولد.

٢ ـ أن يهتم بالطرق والأساليب والتقنيات التعليمية والتربوية الحديثة الفاعلة والناجحة.

٦ ـ التربية عملية مستمرة

التربية عملية مستمرة، تمتد عبر المراحل العمرية المختلفة، لتشمل حياة الإنسان بأكملها، وهي محاولات متكررة للنفاذ إلى العقل والقلب، لإيجاد القناعة والتفاعل، والتأثير على المفاهيم والسلوك. إنها مسار تصاعدي باتجاه منظومة القيم التي يُراد تثبيتها انطلاقاً من الأهداف المرسومة، وعندما تختلف أساليب وطرق الأداء في العملية التربوية بين مرحلة عمرية وأخرى، أو بين بيئة وأخرى، فذلك للوصول إلى الأهداف، بما يتلاءم مع الخصوصيات والظروف.

التربية تأمين لمتطلبات فطرية في حياة الإنسان، الذي لا يمكنه العيش بفراغ في الاختيار، ولا تخلو حياته من المؤثرات الرحمانية أو الشيطانية، حيث يتأثر اختياره بحسب التربية، صلاحاً أو فساداً خيراً أو شراً، وكذلك في تحديد الاتجاه. فوعاء العقل

وتفاعل القلب بحاجة إلى تعبئة، تتحكَّم في مسارها طبيعة تغذيتهما. ولذا يتأثر الطفل بتوجيهات وتقاليد وأعراف والديه، ففي الحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة، إلاَّ أنَّ أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١]، **فيصعب بعد ذلك تغيير اتجاهه، إذ غالباً ما يكون التأثير في الاتجاه نفسه، قوة أو ضعفاً، زيادة أو نقصاناً، وفي المساحات الأخرى التي لم يملأها الأهل، وإذا أدَّت بعض** الحالات إلى تغيير جذري في أصل ما تأسس عليه الطفل، **فلأنَّ** المؤثرات التربوية المقابلة أقوى.

التربية عملية تشكيل وتعديل وتغيير للسلوك البشري، لأنَّها تتمحور حول طبيعة الإنسان ونمط تفكيره وسلوكه، وكلَّما أدرك المعلِّم علم نفس المتعلم، استطاع التأثير في صياغة حياته. أمَّا تشكيل السلوك فيكون سهلاً في البداية قبل ترسيخ المفاهيم والعادات، حيث يكون المتلقي مستعداً لكل شيء، ومتفاعلاً مع أي شيء. وأمَّا التعديل فيحصل باستبدال سلوك بآخر، ويكون سهلاً أحياناً وصعباً في أحيان أخرى، وذلك بحسب أُلفة بعض التصرفات وغلبة العادات والضغوطات العرفية التي تحيط به، وكلَّما كان التشجيع من الأهل والمدرسة والمحيط والأصحاب... باتجاه التعديل، ساهم ذلك في سرعة الاستجابة، وهنا تتبيَّن أهمية اختيار المدرسة، واختيار الأصدقاء كما يؤثر أيضاً نمط الأداء عند المعلم

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص:١٧٦.

في الترغيب والتحفيز لإنجاز التعديل في السلوك بسرعة اكبر. وأمَّا **التغيير فيتم بتراكم مكثَّف للمؤثرات التي تكشف خطأ المفاهيم** والسلوك السابق، وينتج عن صراع داخلي مع الذات، **في انقلاب يحتاج إلى جرأة لمواجهة السائد في محيط المتعلم.**

التربية توجيه نحو القيم التي نريد تثبيتها، **وأي قيم أعظم** وأرقى من القيم الدينية؟ **التي تحث على الفضائل والاستقامة** والأخلاق والتقوى والعدل والصلاح... **إنَّك لا تجد مكرمة** إنسانية إلاَّ ودعا إليها الإسلام، ولا تجد مضرة للبشرية إلاَّ ونهى عنها. وتُترجم القيم في السلوك اليومي، في أبسط التصرفات وأعقدها، فالصدق قيمة مطلوبة في الحديث العادي، وفي تعاطي التلميذ مع معلمه وزملائه وأهله، والعلاقات مع الناس، والمعاملة التجارية، وخطاب القائد لشعبه، وفي كل مفردات السلوك، ويتم تثبيتها بالتربية لتتحول إلى أداء عملي طبيعي بعيد عن التَّكلف.

التربية نتيجة لجهود كبيرة مبذولة، وخطوات كثيرة متراكمة، خلال مرحلة متواصلة من العمل التربوي الهادف، الذي يساهم فيه جميع المربين في إطار التنسيق والتعاون، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، ما يستلزم لقاءات مع الأهل لتعريفهم على الأهداف وكيفية تكامل الدور معهم، ولقاءات بين المربين لتحديد المسؤوليات ومواكبة الإجراءات وتنسيق الجهود وتوحيد الأداء

(١) سورة المائدة من، الآية: ٢.

وتحسينه، وإقامة دورات ومحاضرات لتبيان القيم المستهدفة والأساليب والطرق الناجعة لتحقيقها، ودراسة الثغرات والعقبات والحالات التي تستدعي المعالجة والتطوير.

التربية إعطاء فرص عديدة في أوقات مختلفة وبأساليب متنوعة، فما يكون صعباً اليوم يمكن أن يكون سهلاً في الغد، فلا يأس من إمكانية التأثير، خاصة عندما يتم التعاطي مع كل عمر بالأساليب المناسبة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. ولا يصح التعويل على بعض الجهد فقط، فتقلبات الولد في مراحله العمرية المختلفة، وبحسب ظروفه الخاصة، تجعل الاستفادة من الفرص الإضافية للتأثير عليه محتملة جداً. وكثيراً ما نلاحظ ولداً لا يستجيب لتوجيهات سلوكية في زمن ما، ثم يستجيب لها في زمن آخر، ولا يستجيب في التعاطي مع أحد المربين، لكنَّه يستجيب لآخر، ولا يهتم بصلاته في مرحلة ثم يقبل عليها باهتمام وخشوع في مرحلة أخرى... إنَّ مهمتنا الأساسية كمربين أن نقتنص الفرص الأفضل.

التربية مسؤولية، فالمعلم يقوم بواجبه ويبذل جهده بصرف النظر عن النتائج، وبما أن ثمار الزرع متفاوتة بتفاوت المتعلمين فستكون آثار تربيته متفاوتة، وحيث لا يعلم مدى التأثير وزمانه فعليه المتابعة والصبر، وعندما يرتبط تقييمه عند الله تعالى بمدى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٠.

سعيه وجهده وإتقانه لعمله، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[1]، فلا معنى لاستعجال النتائج. لقد تصدَّى لمهمة يتحمل مسؤولية القيام بها على أكمل وجه.

التربية تغذية دائمة للعقل والقلب، فكما يحتاج الجسد إلى غذاء يومي لمرات عدة، كذلك تحتاج النفس إلى غذاء معنوي يومي لمرات عدة، فعلى المعلم أن ينمي الجوانب المعنوية عند التلميذ، بأسلوب التعاطي معه، والبرامج اللاصفية التي تساعد في هذا المجال. لقد شرَّع الله عزَّ وجل خمس صلوات واجبة في اليوم، لنتواصل معه في محطات عدة في اليوم الواحد، ونتزوَّد من علاقتنا به، وهو تواصل لا ينقطع أبد الدهر، فالصلاة واجبة إلى حين الوفاة، وعلى كل حالٍ في الصحة والمرض، والحضر والسفر، بالشكل الملائم لهذه الحالات، ضمن المحافظة على قاعدة الصلة بالله تعالى. فما لم نتغذ بغذاء الصلاة، سيحل مكانه غذاء آخر قد يودي بنا إلى الهلاك. ورُبَّ سائل: ألا توصل الصلاة إلى أهدافها فتنتفي الحاجة إليها؟ إنَّ الصلاة تعطي دائماً، وترتقي بالمرء إلى المراتب التي يستحقها، فيأخذ منها بحسب قابليته، فهي تارة ترفع التكليف بإسقاط الواجب فقط، وأخرى ترقى بالروح إلى درجات في التقوى، وثالثة تُعبِّر عن التفاني بعبادة الشكر لله تعالى على نعمه وعطاءاته.

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ و٤٠.

عن أبي جعفر عليه السلام، كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند زوجته عائشة ليلتها، فقالت: **«يا رسول الله، لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً»**[1].

التربية تغذية متنوعة، فكما تتنوع أغذية الجسد لترغيب الطعام وتسهيل الهضم، كذلك تتنوع أغذية النفس لتحاكي الرغبة والقابلية وتسهِّل التفاعل وتتحول إلى سلوك. إنَّ تنوع العبادات كالصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة... ينسجم مع متطلبات النفس الإنسانية، وكذلك تنوع الأساليب كالموعظة الحسنة والقدوة والنشاط الجماعي وإحياء الشعائر والإلقاء والحوار والتوجيه الفردي والتوجيه العام... فتقديم سلة الأساليب والسلوكيات الجيدة، واختيار أفضل الأساليب التربوية والحديثة، يساعد على تحقيق الأهداف المنشودة من التربية.

٧ ـــ الثواب والعقاب

الثواب والعقاب سنة إلهية وعد الله بها البشر بعد نهاية حياتهم في يوم الحساب، فالثواب مكافأة على الإيمان والعمل الصالح بدخول الجنة، والعقاب عذاب بسبب الكفر والانحراف بدخول جهنم، وهي تعبير عن العدل الإلهي في إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، وتشكل الدافع الأساس لتنمية الوازع الداخلي

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٩٥.

عند الإنسان لتحفيزه على الاستقامة شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، **ثم ليتحول السلوك المستقيم إلى نمط في حياته بصرف** النظر عن الثواب والعقاب.

وتعتبر هذه القاعدة من أهم الأساليب التربوية التي تنمي الدافع الداخلي والوازع النفسي عند التلميذ، **الذي يرغب الثواب** والمكافأة، ويخشى العقاب والحرمان، **حيث يمكن النفاذ منها** لتحفيزه على التعلم والصبر عليه، وتقويم سلوكه، **وتوجيه أدائه**، وضبط تصرفاته. على أن يعرف المعلم الضوابط المناسبة لكل عمر، ومروحة الاختيار بين الأدنى والأعلى بحسب الفرد وطبيعة التصرف والظروف المحيطة به. أمَّا أبرز الضوابط فهي:

١ ـ الثواب أولى من العقاب، بأن يستحوذ الثواب بمراتبه المختلفة على اهتمام المعلم، لإعطاء الدفع لتلامذته باتجاه التنافس والرضا والتشجيع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1]. وأن لا يبادر إلى العقاب لأي سبب، بل أن يبحث عن معذِّرات تعفيه من إجراء العقوبة، «**ولا تندمنَّ على عفو**»[2]، إلاَّ أن تكون ضرورية بحسب تشخيصه للمصلحة. ولو كان لكل خطأ عقوبة، ولاحَقَ المعلم تلامذته على كل صغيرة وكبيرة ليجازيهم عليها، لعمَّ العقاب واختلَّت نتائج التربية وحصلت ردات فعل عكسية عند المتعلمين.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٢) من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر ـ نهج البلاغة الكتاب ٥٣، ص:٦٧٣.

ولنا في إمهال الله تعالى للبشرية على ظلمهم وانحرافهم عبرة وموعظة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[1].

٢ ـ أن يكون مستوى الثواب أجزل من مستوى العقاب، فيتسامح في المكافأة ويتشدد ويدقق بحدود العقوبة، فقد يزيد من عطائه على الأعمال الحسنة، لكن عليه أن يحصر الحرمان في دائرة ضيقة وبطريقة لا تتجاوز حجم واستحقاق العقوبة. قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

٣ ـ التوازن بين الثواب والعقاب، فالاكتفاء بالثواب يُزهِّد به، ويُضعف من قدرة المعلم على الضبط والتأثير، وقد يزيد الإطراء الكثير والعطاءات المتكررة والمتنوعة من غرور البعض، فتتضرر نفوسهم ويتأثر سلوكهم بذلك. كما أن الاكتفاء بالعقاب، يُوجد حالة من الكراهية للمعلم، فإذا أوجد خوفاً عند البعض بفعل الضغط الخارجي، فإنَّه لا يتحول إلى سلوك ووازع داخلي، ثم

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٤.
(٣) سورة الانعام، الآية: ١٦٠.

تحدث الانتكاسة وردة الفعل عند أول ضمور لهذه السلطة القمعية، **بل قد يتحول العقاب بسبب الاكتفاء به إلى حالة عبثية، ويسبِّب الإحباط النفسي والانهيار المعنوي عند التلامذة.**

كما أن التعامل مع المحسن والمسيء بدرجة واحدة يسبِّب خللاً في العملية التربوية.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[1]. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ولا يكونَنَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة»**[2].

٤ ـ التدرج في الثواب بما ينسجم مع التحسن المطَّرد والإنجاز المستمر، واختيار الأساليب الملائمة للثواب بالكلمة، والمدح الخاص، والمدح العام أمام التلامذة، وكتابة الاسم على لوحة الصف، ثم على لوحة الطابق، ثم على لوحة المدرسة، وبطاقة التقدير بمستوياتها المختلفة، وإعطاء الهدية، والمكافأة برحلة أو نشاط رياضي، والمنحة المدرسية بمستوياتها المختلفة... ولو بحثنا في الحوافز المادية والمعنوية بشكل مفصَّل لوجدناها كثيرة جداً ومتيسرة للجميع، ويَسهُل الاستفادة منها

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٥٣، عهد الأمير لمالك الأشتر، ص:٦٧٧.

وتحقيق الأهداف المنشودة،إذا تمَّ وضع مواصفات استحقاقها وإعطائها ضمن جدول مدروس.

٥ ـ التدرج في العقاب بحسب المخالفة والإهمال والخطأ والتقصير، ويختلف الأمر بحسب من صدرت منه المخالفة للمرة الأولى أو لمرات متعددة، وبحسب طبيعتها العادية أو الكبيرة أو الخطرة، وبمستوى تأثيرها على الفرد أو الصف أو المدرسة. وللعقاب أساليب متعددة: كالتأنيب والتوبيخ والتوجيه الخاص والتحذير، والتوجيه العام، والحرمان من نشاط، والإرسال لمراجعة الأهل، والدوام الإضافي... مع الالتفات إلى حساسية العقاب، فلا يكون اكثر من المطلوب، ولا يجوز أن يصاحبه الانتقام والتشفي، «**ولا تبجحنَّ بعقوبة**»[١]، وليكن العقاب على كل عمل بخصوصه من دون تجميع للعقوبات دفعة واحدة أو العقاب على عمل واحد نيابة عنها جميعاً، وعرِّف التلميذ على ذنبه وأَشْعِره باستحقاقه للعقوبة، واسمع دفاعه ومقولته قبل أن تحكم عليه، ودقق بالمعلومات قبل أن تتخذ الإجراءات، وضع في حسابك هدف العقوبة التربوي. وقد يُقلع المسيء عن إساءته بحسن تصرفك معه وبذلك يكفيك مؤونة العقاب، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أصْلِح المسيء بحسن فعالك، ودلَّ على الخير بجميل مقالك**»[٢]. وقد تؤثر فيه مكافأتك لمن أحسن فيطمع

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣ من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر، ص٦٧٣.
(٢) غرر الحكم، ٢٣٠٤.

بمثلها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أزجُر المسيء بثواب المحسن**»(١).

٦ ـ **الحذر من العقاب الجماعي على خطأ ارتكبه أحد الأفراد، فهو ظلم واضح يشعر به التلامذة، ويُوجد حاجزاً بينهم** وبين المعلم، **فليبحث المعلم عن الطريقة المناسبة لمعرفة** المذنب، أو **فليتجاوز عن المشكلة، ولا داعي لحشر نفسه في** معالجتها أو **إيقاف التدريس، فليتابع درسه على قاعدة المحاسبة** لاحقاً، ولا يتأمل كثيراً بأن يَشِيَ بعض التلامذة على البعض الآخر، فصداقتهم مع بعضهم تمنعهم من ذلك، وليس صحيحاً أن يتَّكل على هذه الطريقة الخاطئة في تحريض التلامذة على بعضهم البعض، فقد يصل إلى الاستنتاج الملائم والمعرفة الدقيقة بطرق أخرى.

إنَّ صفة العدل في المعاملة والثواب والعقوبة والتقييم... أساسية في شخصية المعلم، ليكون قدوة فاعلة ونموذجاً يُحتذى. فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ أعظم المثوبة، مثوبة الإنصاف**»(٢).

٧ ـ تجنب الضرب، فآثاره السلبية أكثر من آثاره الإيجابية، وقد أثبتت الدراسات التربوية فشل الاعتماد على هذا الأسلوب،

(١) نهج البلاغة، حكم ومواعظ ١٧٧، ص: ٧٧٨.
(٢) غرر الحكم، ٣٣٨٧.

علماً بأنَّه حلٌّ في آخر المطاف لبعض الحالات، بعد استنفاذ الحلول الأخرى، **شرط مراعاة الضوابط الشرعية، بأن لا يؤدي الضرب إلى الجرح أو الكسر، وأن لا يُحدِثَ في البدن آثاراً** سوداء أو **خضراء أو حمراء**[١]**، ما يعني بأن الضرب تعبير عن الانزعاج، ووصول المشكلة إلى مستوى متقدِّم، والأفضل حصره عند الضرورة بمسؤول محدَّد. فمن الخطأ اعتماده كخيار لكل الحالات ولو** حصل فيها التدرج، فرب عقوبة معنوية أو حرمان من رغبة أبلغ أثراً في تحقيق الهدف التربوي، كما أنَّ التركيز على أسلوب الضرب يُسقط فاعليته بعد حين، باعتياد التلميذ عليه، أو فقدان حيائه من الإهانة التي يُسببها له.

٨ ــــ فوائد العلم

للعلم فوائد كثيرة، فردية وجماعية، دنيوية وأخروية، معرفية وسلوكية، فالعلم يفتح طريق المعرفة، والمعرفة توصل إلى الهداية، والهداية ترتقي بالإنسان إلى اليقين. العلم يزداد بالعطاء، ويترسَّخ في الذاكرة، ويوسِّع أفق الوعي والإدراك، وينمو كالنور الذي يبدد الظلام تدريجياً إلى ما لا نهاية. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**كل وعاء يضيق بما جعل فيه، إلاَّ وعاء العلم، فإنَّه يتسع به**»[٢].

---

(١) راجع كتاب حقوق «الوالدين والولد» للمؤلف، فقرة أسلوب الضرب، ص: ٧٠.
(٢) نهج البلاغة، حكم ومواعظ ٢٠٥، ص: ٧٨٤.

وفي المقارنه بينه وبين المال بعدٌ شاسع، ونتائج معاكسة، فالمال إلى خسران، والعلم إلى ازدياد. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**يا كميل! العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله**»(١).

ولأن العلم طريق الخلاص، وهو الذي يدلنا على العبادات وطريق الاستقامة، ويبصرنا بفلاحنا وصلاحنا، ويضفي على العبادة حالة الخشوع والتسامي، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾(٢)، كان القليل منه أفضل من كثير العبادة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قليل العلم خير من كثير العبادة**»(٣).

ولا داعي للعجلة في البحث عن الرزق، فهو مقسوم من عند الله تعالى، ويضاف عليه لطالب العلم بركة من عند الله تعالى، فلتكن الأولوية لطلب العلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من غدا في طلب العلم، أظلَّت عليه الملائكة، وبورك له في معيشته، ولم ينقص من رزقه**»(٤).

تتجاوز فوائد العلم حياة الإنسان إلى موته، فيستمر تراكم العمل الصالح بعد الموت، ما دام الناس ينتفعون بعلم العالم، من

(١) نهج البلاغة، حكم ومواعظ ١٤٧، ص: ٧٧٠.
(٢) سورة فاطر من، الآية: ٢٨.
(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج١، ص: ١٢٠./ومنية المريد، الشهيد الثاني، ص:١٠٥.
(٤) الشهيد الثاني، منية المريد، ص:١٠٣.

دعاة ومبلغين درسوا على يديه ونقلوا العلم للناس، أو كتاب تتناقله الأجيال، أو مدرسة ساهم في تأسيسها لتعليم الأجيال، أو غير ذلك مما يُنسب من العلم إليه.

فعن رسول الله ﷺ: **«إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له»**[١].

ثم يجد يوم القيامة زيادة في حسناته، فعن رسول الله ﷺ: **«يجيء الرجل يوم القيامة، وله من الحسنات كالسحاب الركام أو الجبال الرواسي، فيقول: يا رب، أنَّى لي هذا ولم أعملها؟ فيقول: هذا علمك الذي علَّمته للناس، يُعمل به من بعدك»**[٢].

٩ ـــ العلم النافع

العلم النافع يؤدي إلى الإيمان بالله تعالى، ويهدي إلى الصراط المستقيم، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٣].

ويحقق مجموعة كبيرة من الأهداف، شرط مواكبته بسلوك فردي، يشترك فيه القلب والجوارح، بسمو أخلاقي يستثمر العلم في أرقى معانيه. فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

---

(١) النيسابوري، روضة الواعظين، ص: ١١. ومسند أحمد، ج٢، ص: ٣٧٢.
(٢) الصفار، بصائر الدرجات، ص: ٢٥.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٦.

يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**يا طالب العلم إنَّ العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار**»[١].

وقد لخص الإمام الصادق عليه السلام العلم الذي يُستفاد منه، ضمن أسس أربعة، فقال: **وجدت علم الناس في أربع**:

أولها: **أن تعرف ربك**، لأنك إذا عرفت ربك، عرفت البداية والمنطلق، وما لم يعرف الإنسان خالقه فسيكون ضائعاً في هذه الحياة، وإنما استقامت الأمم أو انحرفت بحسب إجابتها على هذا السؤال؟ فالأمة التي قالت ربي الله، انطلقت بخطوات إيجابية نحو الخطوات الأخرى، والأمة التي لم تؤمن بالله، ابتعدت تماماً عن الاتجاه الصحيح ودمَّرت مسار حياتها، لأن معرفتها الأولى لم تتم بالشكل الصحيح. فالمنطلق الأساس أن تعرف ربك، من هو؟ وما هي صفاته؟ وأن تعيش هذه الصفات بشكل واقعي،فهو الرازق

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٤٨.

الذي تثق بحصتك عنده، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وإليه يرجع الأمر كله، **بتسليم يجعلك راضياً بقضائه، متأملاً بفضله وثوابه.**

الثاني: أن تعرف ما صنع بك، فهو الذي خلقك في أحسن تقويم، وفضَّلك على مخلوقاته، وأعطاك النعم الكثيرة، وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، وسخر لك الشمس والقمر والنجوم، والأرض والسماء وما فيهما، وجعلك مسؤولاً عن أعمالك مخيراً فيها، ووضعك في حالة اختبار في كل ما أعطاك لتكون دنياك معبراً لآخرتك، فلا حساب عاجلاً، وإنما إمهال لحساب آجل بعد الموت.

الثالث: أن تعرف ما أراد منك، ولماذا خلقك؟ لتعبد الله وتتعرف على عظمة خلقه، ولتحسن في دنياك باتجاه الفضائل، ولتستقيم في حياتك على طريق الهداية، ولتتحدى الشيطان ومنكراته، وتتغلب على ملذاتك وشهواتك، وتلتزم بتكاليفك الشرعية التي أمرك الله بها. فإن لم تعرف عشت الضياع والجهل والانحراف، وإذا سألت عرفت ووصلت، فاجهد لتعرف وتسلك سبيل الهداية، فما أراده الله منك خير لك في الدنيا والآخرة، وسعادة لك في الدارين.

الرابع: أن تعرف ما يخرجك من دينك، فتبتعد عن الأمور التي تؤدي بك إلى الانحراف، وهي كثيرة جداً، وستطاردك دائماً،

بوسوسات الشياطين من الإنس والجن، فحصّن نفسك بالطاعة والعبادة والقرب من الله تعالى، لتمنع الشيطان من التأثير عليك، فقد حدثنا الله تعالى عن قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(١)]. فانتبه من المحرمات والفحشاء والمنكر، وابتعد عنها يسلم دينك وتستقيم حياتك.

أكرر قول الإمام الصادق عليه السلام: **«وجدت علم الناس في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك»**[(٢)].

وفي تعريف آخر للعلم النافع، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«العلم أربع كلمات: أن تعبد الله بقدر حاجتك إليه، وأن تعصيه بقدر صبرك على النار، وأن تعمل لدنياك بقدر عمرك فيها، وأن تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»**[(٣)].

وهل يمكن للمرء أن يستغني عن الله عزَّ وجلَّ في شيء؟ وكما في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ※ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ※ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ※ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ※ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ※ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ※

---

(١) سورة، ص، الآيتان: ٨٢ و٨٣.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص: ٥٠.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة عن تنبيه الخواطر، ج٢، ص: ٣٧.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[١].

فإذا لم يستطع المرء الصبر على نار بسيطة في الدنيا، فكيف يصبر على نار الانتقام والعذاب في جهنم الآخرة؟ وكما ورد في دعاء كميل بن زياد: «فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وقوع **المكاره فيها، وهو بلاء تطول مدته، ويدوم مقامه، ولا يخفف عن أهله، لأنَّه لا يكون إلاَّ عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما** لا تقوم له السماوات والأرض».

وما قدر عمر الإنسان في الحياة الدنيا ليعمل لها، فهي متاع زائل لعشرات السنين، يمر بسرعة البرق، أمَّا الآخرة فهي البقاء والاستمرارية، ومحل ثمار العمل الصالح، فالعمل لها من أجل البقاء.

إنَّ العلم نافع وضار، فالنافع ما أوصلك إلى الإيمان والطاعة، والضار ما أوصلك إلى الكفر والانحراف. النافع ما أسعدك في الدنيا والآخرة، والضار ما أضاع عليك الدنيا وخسَّرك الآخرة. وعن رسول اللهﷺ: «**خير العلم ما نفع**»[٢].

وفي الدعاء المأثور بعد صلاة العصر: «**اللهم إني أعوذ بك**

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٨٢.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص:٨٤٤.

من نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن علم لا ينفع، ومن صلاة لا تُرفع، ومن دعاء لا يُسمع»(١).

لا ينفع العلم إذا اقتصر صاحبه على جمع المعلومات، ولم يحوله إلى مفاهيم وسلوك، ولم يؤثر في استقامة حياته عملياً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم، فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعجاله، واستفهم الله يفهمك**»(٢).

إنَّه مقرون بالحلم ليحقق الفائدة القصوى، فـ«**لن يثمر العلم حتى يقارنه الحلم**»(٣)، كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وحذار من المرض الخطير الذي يصاحب العلم فيسقطه ويدمِّر آثاره، حذار من حب الدنيا التي تزين الحرام، وتذل المرء للسلطان، وتجعله عبد شهوته، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الفقهاء أمناء الرسل، ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ فقال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك، فاحذروهم على دينكم**»(٤).

---

(١) الشيخ البهائي العاملي، مفتاح الفلاح، ص: ١٥٤.
(٢) الشيخ علي الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص: ٥٦٣.
(٣) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٠٧.
(٤) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص: ٤٦.

وعـن الإمـام الـصـادق عليه السلام: **«مـن ازداد فـي الـلـه عـلـمـاً، وازداد لـلـدنـيـا حـبـاً، ازداد مـن الـلـه بـعـداً، وازداد الـلـه عـلـيـه غضباً»**[١].

وعن الامام الباقر عليه السلام: **«فأنزِل الدنيا كمنزل نزلتَه ثم ارتحلت عنه، أو كمالٍ وجدته في منامك واستيقظت وليس معك منه شيء، إني ضربتُ لك هذا مثلاً، لأنَّها عند أهل اللبّ والعلم باللَّه كفيء الظلال»**[٢].

١٠ ـــ العلم والعمل

العلم سبيل للعمل، والقيمة الفعلية للعمل، ويُسأل المرء يوم القيامة عن عمله، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]. ولا ينفع إيمانٌ لا يصاحبه عمل صالح، وهل الإيمان إلاَّ مقدمة للعمل الصالح؟ ومهما ادَّعى الإنسان عن تأثير الإيمان في مشاعره فهو خاسر ما لم يترجمه أعمالاً صالحة في حياته الدنيا، قال تـعـالـى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[٤].

---

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص:٢٤٣.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص:٣٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

فالتلازم قائم بين العلم والعمل، فلا نفع لعلم من دون عمل، ولا نفع لعمل من دون علم، وإنْ كان العلم أسبق من العمل، فهو الكاشف للحقائق، والموضِّح للصراط المستقيم، ليترجمه المؤمن الذي علم، سلوكاً فعالاً في حياته. قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعمل يهتف بالعلم فإنْ أجابه وإلاَّ ارتحل عنه»**[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاَّ ارتحل عنه**»[3].

أمَّا العمل فيترجم التوجيهات النظرية للعلم، ويبين آثاره الإيجابية بشكل ملموس، ما يجعل العلم تجربة وواقعاً عملياً، وهو بحد ذاته ما يؤصِّله، ويكشف مصداقيته، وهنا يندمج العلم بالعمل، والنظرية بالتطبيق، فمن عمل عَلِمَ علماً حقيقياً نافعاً وواقعياً، بينما من عمل بخلاف العلم الصحيح، كان علمه في جانب وعمله في جانب آخر، فلا نفع لعلمه لأنَّه نظري، ولا

(١) سورة الحج، الآية: ٥٤.
(٢) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، ٣٦٦، ص: ٨٢٤.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص: ٤٤.

فائدة من عمله لأنّه يشير إلى الجهل بالحقائق لمخالفته للعلم الصحيح، فعندها يذهب العلم والعمل.

ولا يوجد أي مبرر لافتراق العلم عن العمل، إلاً الجهل الفعلي وغلبة الهوى وضعف الإرادة وسوء التوفيق، ولا قيمة للعلم من دون عمل، بل هو جهل حقيقي لأنّه لم يُثمر ولم يتحول إلى واقع عملي.

ولمّا سئل رسول الله ﷺ عن العلم، قال: «الإنصات.

قال: ثم مه؟ قال: الاستماع له.

قال: ثم مه. قال: الحفظ عليه.

قال: ثم مه؟ قال: العمل به.

قال: ثم مه؟ قال: ثم نشره»[1].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكّاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا**»[2].

ولا يُعذر من استخدم علمه للوعظ والإرشاد ولم يتعظ، ولا يوجد اختصاص علمي في الدين بمعزل عن المسؤولية في الالتزام به، فليس الدين ثقافة مجرَّدة بل هو منهج للحياة وللتطبيق العملي، فويلٌ لمن خالف قوله عمله، وتصدى للتوجيه والتعليم من موقع

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٢٨٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، ٢٧٤، ص:٨٠٤.

الإطلاع والمعرفة من دون ترجمة شخصية في حياته لما يعلِّمه للناس. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رآه ليلة الإسراء والمعراج، قوله: «**مررت ليلة أُسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت لجبريل: من هؤلاء؟ قال: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»[2].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**علم المنافق في لسانه**»[3]. وقال عليه السلام: «**علم المؤمن في عمله**»[4].

فالعلم للتفاعل معه لا لنقله إلى الآخرين فقط، وحذار من الوقوع في المرض الشائع في كثرة الذين يتحدثون عن علمهم، ويبحثون فيه مع الآخرين، وينافسونهم في مستوى إدراكهم له، لكنهم لا يتفاعلون معه، فهو بالنسبة إليهم معلومات تُنقل لا مفاهيم تُعاش، وأفكارٌ للنقاش لا للحياة. وقد وجَّهنا أمير المؤمنين علي عليه السلام لنعيش الرواية التي نسمعها ونتفاعل معها، فقال: «**اعقلوا**

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢و٣.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص:٢٠٩.
(٣) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٣٤١.
(٤) المصدر نفسه، ص:٣٤١.

الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل»(١).

لكنْ انتبه لعملك، فقد يكون رياءً أمام الناس ولا ينطلق من إيمان وقناعة صادقة، وقد يكون تقليداً للأعراف الاجتماعية من دون أي تفاعل نفسي، فالنيَّة حاكمة على العمل. وهذا ما يتطلب الانتباه إلى المنطلقات، فالعمل غير مطلوب لذاته وإنما لنتائجه، **ولا تستقيم نتائجه إلاَّ بالإخلاص والنية الصادقة. فاسأل نفسك لماذا تعمل؟ ولمن تعمل؟ وراقب تصرفاتك في سلوكك لتحديد هدفك. فإذا كنت تعمل طاعة لله تعالى وإخلاصاً له بسبب إيمانك** والتزامك فقد أصبت، وإذا كنت تعمل من غير رعاية الأمر الإلهي لأي سبب من الأسباب، ولا تنتظر رضوان الله وثوابه، فقد خسرت كل شيء، إذ قد يكون عملك لأهداف دنيوية وقد حققتها، قد تعمل حسناً للسمعة فتحصل عليها، أو تعمل خيراً لراحتك النفسية من وخز الضمير من غير طاعة لله تعالى فتحصل عليها، فتكون أهدافك متحققة في دنياك ولا شيء لك عند الله تعالى. فحذار من الفصل بين العلم والعمل والإخلاص حتى لا تخسر التكامل بينها.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٢).

---

(١) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، ٩٨، ص:٧٥٣.
(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من عرف نفسه عرف ربَّه، ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلاَّ به، وهو الإخلاص»**[١].

وقال عليه السلام: **«نعوذ بالله من علم لا ينفع، وهو العلم الذي يضاد العمل بالإخلاص، واعلم أنَّ قليل العلم يحتاج إلى كثير العمل، لأنَّ علم الساعة يلزم صاحبه استعماله طول دهره»**[٢].

١١ ـــ صبر المتعلم وتواضعه

يكتفي بعض المتعلمين بالمستوى المحدود الذي وصلوا إليه، ويعتبرون أنَّ هذا المستوى يؤهلهم لمتابعة حياتهم، من غير أن يتعلموا ويثابروا ويتثقفوا باستمرار. وهذا البلاء يُصاب به أغلب الناس، ويُصاب به أيضاً بعض أصحاب المواقع والاختصاصات في شتى المجالات..

فبعض الأشخاص، وانطلاقاً من غرور ذاتي، أو من التكاسل في بذل الجهد للمزيد من التعلُّم، يقولون، نحن نعرف أحكامنا الشرعية، ونعرف كيفية الصلاة والصوم، وهذا كافٍ للوصول إلى مرضاة الله، فلماذا تحثُّونا دائماً على مواظبة استماع المحاضرات، أو الاستمرار في حضور الجلسات، أو التردد الدائم على المساجد، فقد اكتفينا بما حصلنا عليه من علم، ولا حاجة للاستزادة! والبعض الآخر ممن تسلَّم مواقع اجتماعية معينة

---

(١) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص: ١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣.

وشكّل فئة اجتماعية خاصة، كالأطباء والمهندسين والموظفين الكبار وما شاكلهم، يأنفون عن ارتياد المساجد ومراكز التعليم والتثقيف، معتبرين أنَّ اختصاصاتهم أو شهاداتهم تغنيهم عن معرفة أحكام الله، وإن كان البعض ممن يقوم بجزء من الواجبات الدينية كالصلاة والصوم، لا يتردد أن يقول: إذا أردنا أن نتعلم أو نتثقف، فمن هو بمستوانا ليستطيع أن يوضِّح الطريق أمامنا؟! إنَّ **حصولنا على شهادة دكتوراه في الطب أو الاقتصاد أو القانون أو أيٍّ اختصاص من الاختصاصات، يمنع الواحد منّا أن يتعلم الأحكام الشرعية من عالمٍ أو مثقفٍ في مقتبل العمر وإن حصل** على درجة معينة من العلم، فهذا لا يتناسب ولا يليق مع المستوى الاجتماعي الذي نحن فيه، وبالتالي يكفينا ما حصَّلناه واطلعنا عليه!.

إنَّها أمراض تعيش في عقول البعض، وهي محكومة بالتربية الخاطئة والشعور بالرفعة والنظرة الدونية للآخرين، وهذا ما يعطِّل على هؤلاء فرصة الخير بالاستفادة من العلم، كيف ينسجم هؤلاء مع قول رسول الله ﷺ: «**أطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)،وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة**»(٢)، فإذا أجابوا بأنَّهم يقرأون الكتب، نقول لهم: لا بدَّ من قاعدة أساسية تنطلقون منها، لأنَّ

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص: ٢٧.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص: ٧١٠.

الكتب في أغلب الأحيان، وفي النواحي الشرعية، كالفقه مثلاً، تحتاج إلى معلّم، فإذا أجابوا بشروطهم للقبول بالمعلِّم، كأن يكون مفكراً على قدرٍ عالٍ من المعرفة، ومن الرموز الأساسية والأسماء الكبيرة في المجتمع، فإنهم يعطلون على أنفسهم الاستفادة من الوقت المناسب للتَّعلم، وقد لا تتوفر المواصفات العالية التي يطلبونها في معلمهم، فيخسرون بذلك معرفة أحكام دينهم وعظمة الآفاق التي تفتحها الشريعة المقدسة لهم.

إنَّ التعلم أساس في معرفة المناحي المختلفة للعبادة، وإذا عرف الإنسان كيف يعبد ربه، أدرك السبيل لكسب الأجر منه سبحانه وتعالى وعرف الطريق إلى رضوان الله.

ليست المعرفة محصورة في الدعاء أو الصلاة أو الصوم أو في بعض العبادات التي نعرفها، بل أمامنا مسؤوليات كبرى، في فهم مضمون الإسلام، ورسم المنهج الذي ينبغي أن تكون عليه حياتنا الخاصة والعامة على الصُعد الفردية والعائلية والمجتمعية، ودور كل واحد منّا في الدعوة إلى الله، والتدقيق الكامل في ممارسة تكاليفنا الشرعية ومعرفة هذه التكاليف كي لا نخلط الحق بالباطل، وتزكية أنفسنا، وإزالة الحجب عن أعيننا لإدراك معالم الطريق التي أمرنا المولى سبحانه وتعالى بالسير عليها. ومهما بلغ مستوى الإنسان، فهو بحاجة دائمة لينهل من علم الله تعالى الذي لا ينضب ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ

كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[١]. ولا يترسَّخ العلم إلاَّ بالجهد المتواصل، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا يحرز العلم إلاَّ من يطيل درسه**»[٢]. وهذا ما يحتاج إلى صبر كبير، وقال عليه السلام: «**على المتعلم أن يدأب نفسه في طلب العلم، ولا يمل من تعلمه، ولا يستكثر ما علم**»[٣].

إلى الذين يظنون خطأً أنهم اكتفوا بالقدر اليسير الذي تعلموه، **تعالوا إلى سيرة نبي الله موسى عليه السلام، لأخذ العبر في التعلم والتواضع والصبر والمثابرة والسمو الروحي... فنبيُّ الله** موسى عليه السلام نبيٌّ من الأنبياء أولي العزم عليه السلام، سار قاصداً مجمع البحرين بهدف اللقاء بالعبد الصالح الخضر عليه السلام ليأخذ منه علماً، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[٤]، ومع أنَّ موسى عليه السلام أرقى درجة وأوسع فضلاً في المكانة والمرتبة والدور والتكليف، فقد كان حريصاً على أداء هذا العمل، قال سبحانه: «فَوَجَدَا» والمقصود موسى عليه السلام وفتاه ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٥]، وهو الخضر عليه السلام الذي علَّمه الله علماً يَختص به أولياءه، ولا يُكتسب بشكل ذاتي.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٢) غرر الحكم: ١٠٧٥٨.
(٣) المصدر نفسه: ٦١٩٧.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٠.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ فعلى الرغم من علم موسى عليه السلام وما زوَّده الله سبحانه به من المعارف الإلهية، فإنه يطلب من الخضر عليه السلام أن يعلمه مما آتاه الله من علم، وبكلِّ التواضع جاء ليطلب هذا الأمر، ولم يستكبر عليه بما خصّه الله من النبوة والقرب، فكان جواب الخضر عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾، لاحظوا الجواب الجازم، ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ أنت لم تُحط بما خصني الله به، وليس في دائرة اطلاعك، **فلم يمنع هذا القول موسى عليه السلام من المتابعة، ويُصرُّ** موسى عليه السلام ويعده ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾، إنَّه الأدب الرفيع في أعلى درجاته..

يشرط الخضر عليه السلام على موسى عليه السلام، ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[1]، «فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء تشاهده من أمري، تشقُّ عليك مشاهدته، حتى ابتدئ أنا بذكر منه، وفيه إشارة إلى أنَّه سيشاهد منه أموراً تشق عليه مشاهدتها، وهو سيبيِّنها له، لكن لا ينبغي لموسى عليه السلام أن يبتدئه بالسؤال والاستخبار، بل ينبغي أن يصبر حتى يبتدئه هو بالإخبار. وقد أتى موسى عليه السلام من الخلق والأدب البارع الحري بالمتعلم المستفيد قبال الخضر عليه السلام ـ على ما تحكيه هذه الآيات ـ بأمر عجيب، وهو كليم الله موسى بن عمران، الرسول النبي،

---

(١) الآيات المذكورة من سورة الكهف: ٦٦ ـ ٧٠.

أحد أولي العزم، صاحب التوراة»[1]، لقد قبل موسى عليه السلام ليصل إلى الهدف الأسمى، إلى العلم في أسمى تجلياته، إلى العلم في مكنوناته الإلهية، إلى ما أمره الله تعالى أن يتابعه، وهكذا كان. . .

أين نحن من النبي موسى عليه السلام؟! فإنَّ البعض إذا ما سألته عن سبب عدم ذهابه إلى المسجد للصلاة وقراءة الدعاء بروحانية، أو إلى الحسينية والمركز الثقافي للتعلم. . فإنه يجيبك بأنه صاحب **اختصاص أو مركز اجتماعي مرموق، فلا يليق به أن يذهب إلى** المسجد ويصلي بجانب شاب أو إنسان عادي، أو بائع خضار أو مزارع أو فلاح. . هذه أول ثغرة قد تُخرِج عن طاعة الله، وهذا الخروج عنوانه التكبر والتعالي على خَلقِ الله، وفقدان ميزة أخلاقية عالية بأن يكون الإنسان متواضعاً أمام ضَعَفَةِ الناس، حيث الأجر والثواب والمكاسب العظيمة في سلوك خطوات الهداية من تعلم وعمل وتعاون.

هذا جانب، والجانب الآخر فالتعلم لا يعني أبداً أن نفتح كتاباً ما ونقرأ فيه، التعلم هو كلُّ المنهجية الإسلامية التي تبدأ من ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وتنتهي بالسلوك الإسلامي المتشعِّب في كلِّ حياة الإنسان.

من هنا، يجب أن نتواضع، وأن نبحث عمن يعلمنا العلم

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٣، ص: ٣٤٣.

ويربينا بالسلوك الحسن، وأن نبحث ونسأل لنصل إلى مبتغانا، وليس من عذر لأحد في إهمال ذلك، بما يشمل جميع أفراد المجتمع. كم يكابد الأب والأم لتأمين مدرسة جيدة لولدهما؟ كم يدفعان من أقساط بهدف الحصول على التعليم العصري الجيد؟ ثم تضطر الأم أحياناً، ولو بلغت الأربعين من عمرها، أن تنتسب إلى معهد لتعليم اللغات، لتساعد ولدها في استيعاب اللغة الأجنبية ليصل إلى النتيجة الأفضل؟ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإذا ما كان الولد ضعيفاً في تحصيل دروسه، فالأهل يبحثون له عن مدرِّس خصوصي، ويسعون باهتمام بالغ إلى أن يجدوا المدرس الناجح. فلماذا لا نبحث عمن يعلِّمنا أحكام ديننا ويفتح أمام عيوننا الطريق إلى الله؟

أيها الإنسان، إبحث وفتّش عمن يأخذ بيدك، فإذا لم تجد في هذا الحيّ فابحث في الحيّ الآخر والمنطقة الأخرى، فتّش في المساجد، وفي البيوت، فتّش عن العلماء، فتّش عن الناس الأطهار الأتقياء ولو لم يلبسوا الزيَّ الديني، وتأكد أن «**العلم يُؤتى ولا يأتي**» فمتى كان العلم يأتي إلى خدمتك أيُّها الإنسان؟ إذاً، تواضع وتعلّم وفتّش على يد من تتعلّم، وكيف تتعلَّم، وتواضع لمن تتعلّم عنده، ولا تنظر إلى مستواه الاجتماعي، فقيراً كان أو غنياً، بل أنظر إلى علمه وتقواه. . أنظر إلى مستقبلك أنت مع الله كيف سيكون، وإلى المرتبة العليا التي تريدها عند الله يوم القيامة. .

ولا يقتصر الصبر في التعلم على العلم الديني ـ وإن ركَّزنا عليه لأهميته وأولويته ـ بل يشمل العلم العصري، وما يحتاج الإنسان تعلمه في حياته المهنية أو الاجتماعية أو السياسية أو غير ذلك. فالملل والرغبة السريعة بالحصول على النتائج والاكتفاء بالمستوى المحدود من الكفاءة، من الأمراض التي تنتج عن قلة الصبر والاعتداد بالنفس، ما يوصل إلى الجمود والجهل. لذا يجب الحث على التعلم الدائم والمستمر، فهو ثروة تفتح الآفاق أمام حياة أفضل وأسلم.

١٢ ـــ الأسرار والمصالح الخفيَّة

نعود إلى قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾[1]، لقد فعلت أمراً مستهجناً وعظيماً، فكان جواب الخضر عليه السلام ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، إذ يُوجد هدف معين، فخرق السفينة ليس من أجل إغراق الناس، ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.

واستمرت الرحلة، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾، وتجدد الجواب على مسامع موسى عليه السلام، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، أنت رافقتني بشرط عدم طرح الأسئلة، حيث ستأتيك الأجوبة

(١) سورة الكهف، الآية: ٧١.

الضرورية والمهمة لاحقاً، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

ثم بدأت المرحلة الثالثة والأخيرة في رحلة المعرفة، ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وقد كانا جائعين، فطلبا طعاماً من أهل هذه القرية الذين لم يتجاوبوا مع طلبهما ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، فأهل هذه القرية لم يقدموا لنا طعاماً، إذاً كيف تقيم **لهم جداراً يكاد أن يسقط وهم لا يستحقون ذلك، فلو أخذت منهم** أجراً ثمناً للطعام، ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

لا شك بأن القارئ الكريم يريد معرفة الهدف والمصالح من وراء الأعمال الثلاثة التي قام بها الخضر عليه السلام، من خرق السفينة، إلى قتل الصبي، ثم إقامة الجدار. وستُبرز هذه القضية بأنَّ هناك أسراراً في خلق الله وأوامره تعالى لا نعلمها، إلاَّ إذا كشفها الله تعالى لنا.

السِّر الأوَّل في خرق السفينة: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، فالخضر عليه السلام أراد أن يُوجد عيباً في هذه السفينة، كي لا يطمع الملك الظالم بها ويأخذها من أصحابها، فكان العيب في السفينة

لصالح أهلها الفقراء الذين يعتاشون منها، فلا يأخذها الملك وبذلك يستمر عملهم ومعاشهم.

وأما السِّر الثاني في قتل الغلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾. فإذا بقي هذا الغلام حياً، سيدمر حياة الأبوين المؤمنين بكفره وطغيانه وفساده وانحرافه، لذا فإنّ موته أفضل من حياته، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، فكان قَتل الغلام رحمة بوالديه، وما أقدم عليه **الخضر عليه السلام، كان بأمر إلهي وفيه مصلحة للأبوين بإبعاد شر ولدهما** عنهما.

وأما السِّر الثالث بإقامة الجدار: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾، يتيمان فقيران لا يملكان ما يُكملان به مسيرة الحياة، وكان لهما كنز تحت هذا الجدار، لا يعلمان عنه في طفولتهما شيئاً، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، فإقامة الجدار تحفظ لهما هذا الكنز، حتى إذا ما بلغا رشدهما، فإنهما سيجدان الثروة بتصرفهما، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، فهذا أمر الله في أن أحفظ كنز هذين اليتيمين: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

«إنَّ الذي ذكره الخضر عليه السلام للوقائع الثلاث وأعماله فيها، هو

---

(١) الآيات المذكورة من سورة الكهف: ٧٢ ـ ٨٢.

السبب الحقيقي لها، لا ما حسبه موسى عليه السلام من الأعمال المترائية من أعماله، كالسبب إلى هلاك الناس في خرق السفينة، والقتل من غير سبب موجب في قتل الغلام، وسوء تدبير المعاش في إقامة الجدار»[١].

هكذا نفهم أيضاً ما خفي عنّا من المصلحة التي تختزنها بعض أوامر الله تعالى التي أخبرنا عنها سبحانه بالمجمل من دون أن يعرِّفنا خلفياتها، فنحن عندما ننفذ أمر الله سبحانه، وحتى من دون **أن نعرف مكنون الأمر وأسراره، إنما نطيع الله جلَّ وعلا، وهذه** هي النتيجة الصحيحة والنافعة. فعندما يأمرنا أن نصلي صلاة الصبح ركعتين فقط، أو نمتنع عن أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر، أو يأمر الفتيات بالحجاب ـ فبصرف النظر عن الأسباب والمبررات والدواعي للأوامر والنواهي التي قد نعلم بعضها ونجهل بعضها الآخر ـ ثم نلتزم بكل ذلك، نكون قد نفَّذنا الأمر الإلهي، وهذه غاية سامية بحد ذاتها وهي لمصلحتنا. ولسنا مضطرين أن نبحث عن سبب وتبرير لكل حكم شرعي إذا لم يبيِّنه الله تعالى لنا، وليس مُلزماً سبحانه وتعالى بتبرير كل فعل يطلبه منّا ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٢]، ولا تدرك عقولنا كل شيء.

إذا ذهب المريض إلى الطبيب لعلاج مرضٍ ما، فإنَّ الطبيب

---

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٣، ص:٣٤٩.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

يصف الدواء المناسب للمريض فيقبله وإن كان مُرّاً، ثم يتناوله المريض ويتقيَّد بإرشادات الطبيب من دون نقاش أو جدال لثقته بعلمه وصلاح أمره، فكيف إذا كانت الأوامر من الله تعالى، وفيها شفاء حياتنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة؟ إنَّها دعوة للتعلم بما ننتفع به، وللقبول بما عرّفنا الله أسراره وما أخفاه منها عنَّا، على قاعدة التسليم اليقيني بعلمه وعدله وحاكميته.

المصـادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي (ع).**

ـ نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** ابن شهرآشوب، ت ٥٨٨ هـ.**

ـ مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١٩٥٦.

*** ابن حنبل، الامام احمد، ت ٢٤١هـ.**

ـ مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

*** البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ.**

ـ المحاسن، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط١.

*** البهائي، الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، ت ١٠٣١هـ.**

ـ مفتاح الفلاح، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.

*** الترمذي، محمد بن عيسى، ت ٢٧٩هـ.**

ـ سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** التعبئة التربوية في حزب الله.**

ـ قبسات من الفكر التربوي للإمام الخميني (قده).

*** الجبعي العاملي، الشهيد الثاني زين الدين بن علي، ت ٩٦٥هـ.**

ـ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

*** الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

ـ تحف العقول عن آل الرسول (ع)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

*** الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**

ـ وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

*** الحلّي، العلامة الحسن بن يوسف، ت ٧٢٦ هـ.**

ـ مختلف الشيعة، مؤسسة النشر الاسلامي، جامعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

*** الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

ـ أجوبة الاستفتاءات، مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية، لبنان، ط٦، ٢٠٠٤م.

*** الخميني، الامام روح الله، ت ١٩٨٩م.**

ـ الآداب المعنوية للصلاة.

*** الدويش، محمد بن عبد الله.**

ـ المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

*** الراوندي، قطب الدين، ت ٥٧٣هـ.**

ـ الدعوات، مدرسة الامام المهدي (عج)، قم، ط١، ١٤٠٧هـ.

*** الريشهري، الشيخ محمدي.**

ـ ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

*** زين العابدين، الإمام الرابع علي بن الحسين (ع).**

ـ الصحيفة السجادية الكاملة، إشراف محمد الأبطحي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

* **شحيمي، د. محمد أيوب.**

ـ الإرشاد النفسي، التربوي، الاجتماعي لدى الأطفال، مكتبة الطفل النفسية والتربوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

* **الصادق(ع)، الامام جعفر بن محمد (ع).**

ـ مصباح الشريعة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

* **الصدر، الشهيد السيد محمد باقر.**

ـ شرح العروة الوثقى، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط١، ١٩٧١م.

* **الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

ـ من لا يحضره الفقيه، جماعة من المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الصفّار، محمد بن الحسن، ت ٢٩٠هـ.**

ـ بصائر الدرجات، مؤسسة الاعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

* **الطباطبائي، العلامة محمد حسين.**

ـ الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١.

* **الطبرسي، أبو الفضل علي، من أعلام القرن السابع الهجري.**

ـ مشكاة الأنوار، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٦٥م.

* **الطبرسي، الشيخ أحمد بن علي، ت ٥٦٠هـ.**

ـ الاحتجاج، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م.

* **الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت ٥٤٨ هـ.**

ـ مكارم الاخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢م.

* **الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠هـ.**

ـ الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

* **غانييه، روبير.**

ـ المعلم والمتعلم، دار الكرام، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ.

*** الفنيش، د. أحمد.**

ـ استراتيجيات التدريس، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩١م.

*** الفنيش وزيدان، د. أحمد ومحمد.**

ـ التوجيه الفني التربوي، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الغرب، ج.ع.ل.ش، ط١، ١٩٧٩م.

*** قاسم، الشيخ نعيم.**

ـ حقوق الوالدين والولد، دار الهادي، بيروت، ط٦، ٢٠٠٧م.

*** القزويني، محمد بن يزيد، ت ٢٧٥هـ.**

ـ سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت.

*** كبريت، سمير محمد.**

ـ منهاج المعلم والإدارة التربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

*** الكراجكي، ابن الفتح محمد بن علي، ت ٤٤٩هـ.**

ـ كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، قم، ط٢، ١٤١٠هـ.

*** الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

ـ الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

*** كوراني، الشيخ علي.**

ـ برنامج المعجم الكمبيوتري، الاصدار الثالث، ٢٠٠١م.

*** الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**

ـ عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

*** المازندراني، محمد صالح، ت ١٠٨١هـ.**

ـ شرح أصول الكافي.

* **المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**
- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**
- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **مظاهري، الاستاذ حسين.**
- خصائص المعلم الناجح، دار النبلاء، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٤هـ.

* **معوض، د. خليل.**
- سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ط٢، ١٩٨٣.

* **المفيد، الشيخ ابو عبد الله محمد بن النعمان، ت ٤١٣هـ.**
- الاختصاص، منشورات جماعة المدسين، قم.

* **ميالاريه، غاستون.**
- اعداد المعلمين، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

* **النوري، الحاج ميرزا حسين.**
- مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

* **النيسابوري، مسلم ابن الحجاج، ت ٢٦١هـ.**
- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

* **النيسابوري، العلامة محمد بن الفتال، ت ٥٠٨هـ.**
- روضة الواعظين، منشورات الرضي، قم.

* **الهيثمي، نور الدين، ت ٨٠٧هـ.**
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

* **وهبة، نخلة.**
- إعداد المعلم الأداة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

المحتـوى

إهداء ٥

مقدمة ٧

إطلالة ١١

حق المعلم

حق المعلم ١٥

١ ـ لِمَ حق المعلم؟ ١٧

٢ ـ أهمية العلم ١٧

٣ ـ العلم الديني والعلم العصري ٢٢

٤ ـ حق المعلم ٢٩

٥ ـ التعلم طريق للتبليغ ٣٣

٦ ـ الاختلاف وأدب المخاطبة ٣٥

٧ ـ السؤال للمعرفة ٣٧
٨ ـ فضل العالم ٤١
٩ ـ من نجالس؟ ٤٨
١٠ ـ المكانة والمسؤولية ٥٠

حق المتعلم

١ ـ حق المتعلم ٥٥
٢ ـ مواصفات المعلم ٦٥
٣ ـ التربية والتعليم متلازمان ٧٤
٤ ـ الفطرة والتربية ٧٧
٥ ـ التربية في المراحل العمرية ٨٠
٦ ـ التربية عملية مستمرة ٨٨
٧ ـ الثواب والعقاب ٩٣
٨ ـ فوائد العلم ٩٩
٩ ـ العلم النافع ١٠١
١٠ ـ العلم والعمل ١٠٧
١١ ـ صبر المتعلم وتواضعه ١١٢

١٢ ـ الأسرار والمصالح الخفية ١١٩
المصادر ١٢٥
المحتوى ١٣١
صدر للمؤلف ١٣٥

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سابعة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة سادسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة سادسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة سادسة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة خامسة).
* صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* سبيل الله تعالى (طبعة ثالثة).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

الحقوق الثلاثة

حق الله - حق النفس - حقوق الناس

الطبعــــة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

الطبعة الثانيـــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

الطبعة الثالثـــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

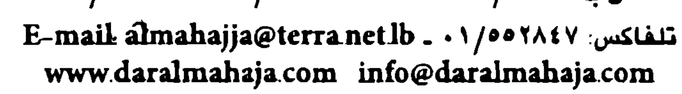
الطبعة الرابعـــة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الطبعة الخامسة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

الطبعة السادسة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال



ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

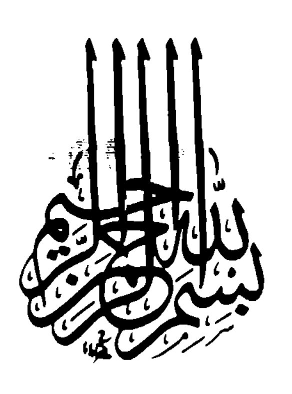
الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

الحقوق الثلاثة

حق الله - حق النفس - حقوق الناس

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــــداء

إلى المربّي الرّباني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيّداً

وللسالكين موجّهاً

وللباحثين عن الخلاص معلماً

يا سيدي وإمامي

يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك

إلى كل إنسان

لتضيء حياته بنهج الإسلام

ويعيش الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السادسة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدﷺ قدوة البشرية ومرشد الإنسان إلى سعادته، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء السادس من سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تلك الرسالة القيِّمة، التي فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي، ما يشكِّل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع، وقد تضمَّنت خمسين حقاً مختلفاً، شملت بالعنوان العام علاقات الإنسان الثلاث، مع ربِّه ونفسه ومجتمعه.

يبدأ كل شيء من حق الله تعالى كما بدأت الحياة من خلق الله، فهو محور النجاح عند حسن أدائه، ويتركز على العبادة

بإخلاص، التي تنعكس خيراً على سلوكنا، فنحن المحتاجون لأداء هذا الحق بتعزيز الصلة بالله تعالى لأخذ العون منه، والمدد والهداية والتسديد، فهو ليس بحاجة لنا لأنه غنيٌ عن العالمين، لكنَّ صلتنا به بدايةُ الطريق نحو الكمال الإنساني على خطى التشريع السماوي.

الخطوة الثانية أن نتعرَّف على النفس التي بين جنبينا، لنعرف مكوِّناتهاوحاجاتها، ولنلبي متطلباتها الفطرية بما يرويها ويُسعدها، فنميِّز بين الزينة والحقيقة، بين الإغواء والواقع، بين المتاع الزائل والمتاع الدائم، وما يتطلب من تزكية لهذه النفس، بسلسلة من الخطوات العبادية والتربوية، ضمن توجيهات عملية في السلوك، تساعد الإنسان ليملك زمامها فيقودها إلى صلاحها.

إننا نعيش بين الناس، ولا فصل بين الحقوق، فالعلاقة مع الله والنفس لخدمة العلاقة مع المجتمع، فالشخصية واحدة، تنهل من السماء لتفيض خيراتها على الأرض، وينعكس ذلك على السلوك والمعاملات، بحيث نتلمس آثار الآداب الإسلامية في رعاية حقوق الآخرين، ما يُنتج مجتمعاً صالحاً ومستقراً.

لقد سبق الإسلام بأربعة عشر قرناً شرعة حقوق الإنسان العالمية التي أخذت حيِّزاً دعائياً كبيراً في القرن العشرين، فجسَّدت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أروع وأرقى آداب التعامل بين الناس، ما يضفي على الاجتماع الإنساني والعلاقات

الاجتماعية صفاءً واستقراراً وبهجة، وهذا ما يؤكد حاجتنا الماسَّة للتعرف على هذا الرصيد الكبير. آمل أن تحقق هذه السلسلة من شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام خطوة على الطريق.

يتضمن هذا الجزء «الحقوق الثلاثة»: حق الله وحق النفس وحقوق الناس، وهي تشمل علاقات الإنسان الثلاث مع ربه ونفسه ومجتمعه، علماً بأن العلاقات الثلاث تستوعب الحقوق بأكملها، وليس ما ورد في هذا الجزء حصراً. لكنَّنا اعتمدنا تقسيماً فنياً للأجزاء التي أصدرناها يتناسب مع العنوان الذي ركَّزنا عليه في كل جزء، بحيث تندرج فيها الحقوق الخمسون، لتستقر على سبعة اجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

وقد اعتمدنا في تنظيم هذا الجزء التسلسل الطبيعي، فكان الحق الأول: حق الله، والحق الثاني: حق النفس، والحق

الثالث: حقوق الناس، التي اخترنا منها اثني عشر حقاً، ثم أكملنا الباقي وعددها ثمانية عشر حقاً في الجزء السابع الذي عنوناه بـ«حقوق الناس». فحقوق الناس في هذا الجزء: حق السلطان، والرعية، والمالك، وملك اليمين، والمنعم بالولاء، والعبد، وذي المعروف، والمؤذن، وإمام الجماعة، والجليس، والجار، والصاحب.

سيلاحظ القارئ بأن بعض الحقوق صيغت بطريقة السؤال والجواب، فهي التي عُرضت على شاشة تلفزيون المنار منذ سنوات ضمن برنامج خُصِّص لرسالة الحقوق، وقد أجرينا عليها التعديلات والتطوير المناسب بما يتلاءم مع الكتابة وزمانها، أمَّا البعض الآخر فقد كتبناه حديثاً، فلم نجد حاجة لترتيبه على نسق الحلقات المتلفزة، ولذا اكتفينا بالعنونة الفرعية والتبويب الملائم معها.

نجدد طباعة هذا الجزء للمرة السادسة بعد نفاد الطبعات السابقة، وقد تكرر هذا الأمر مع الأجزاء السبعة لـ «شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام»، سائلين المولى تعالى أن يوفقنا للعمل بمضمون هذه التوجيهات التربوية الرائدة.

١٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

٢٥ شباط ٢٠١٠م

إطـلالـــــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـــ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض، **وأكبر حقوق الله عليك ما**

أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك **حق سائسك بالسلطان**، ثم سائسك بالعلم، **ثم حق سائسك بالملك**، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: **حق رعيتك بالسلطان**، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج **وما ملكت من الأيمان**، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، **ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك**،

ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

الحق الأول

حــق اللـــه

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«فأمّا حقُّ الله الأكبر، فإنك تعبده لا تشرك به شيئا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منها».

الوحدانية العملية

كمدخل الى الحلقة لا بد من التعريف بمفهوم التوحيد؟

إنَّ أعظم وأكبر حق هو حق الله تعالى، وإن كان حديث إمامنا السجادعليه السلام عنه لم يتجاوز السطرين، لأنَّ هدفه رسم القاعدة الكلية الكبرى في التوحيد والإخلاص، فالرسالة موجَّهة للحديث عن الحقوق لا لشرح تفاصيل التوحيد، وبما أنَّ أساس علاقات الإنسان الثلاث مع الله والنفس والناس مبنية على طبيعة العلاقة مع الله تعالى، تصدَّر حق الله تعالى رسالة الحقوق فكان أولها. فعندما تكون العلاقة صحيحة مع الله، تتحقق الطمأنينة مع النفس، وتتعزَّز وشائج العلاقة السليمة في المجتمع، ولو اتبعنا هذه العلاقة كما رسمها الإمام زين العابدينعليه السلام وآباؤه وأبناؤهعليهم السلام، لما أصاب البشر ما أصابهم من فساد وانحراف ويأس ودمار، مردُّه أولاً وأخيراً الى خلل العلاقة بين الله والإنسان، والى التقصير في تأدية حق الله تعالى.

نحن نعلم بأننا مخلوقون في هذه الحياة الدنيا، وهذا الخلق

قد تم من قبل خالق واحد مدبر هو الله جلَّ وعلا، الذي خلق الأرض وما عليها، وخلق السماء وكل الكائنات وما في الكون وخلق الإنسان. إذاً نحن أمام علاقة مع واحدٍ أحد، مع ربٍ أشرف على كل الكون وأوجده وأوجد ما فيه ومن فيه، ومن الطبيعي أن ينشأ ارتباط ما بين الإنسان وخالقه. وليس صحيحاً انحصار خلق الله تعالى للإنسان بأنه أوجده وانتهى الأمر، بل هناك علاقة دائمة ومستمرة، فالفيض الإلهي لا ينقطع لحظة واحدة عن الإنسان والحياة. ومن مصلحتنا مراعاة هذه العلاقة، لمعرفة دورنا، ولننسجم مع النظام العام الذي أوجده الله جل وعلا. فالتوحيد أساسٌ في حياتنا، لأننا إذا وحَّدنا الله واعتبرناه واحداً أحداً في خلقه وفي علاقتنا به، فستتأثر منهجية حياتنا بهذا التوحيد، وإذا جعلنا آلهة في حياتنا سواء على المستوى الفكري أو على المستوى العملي بحيث نرتبط بمصادر توجيهية وعملية مختلفة، فسنكون مشتتين ضائعين ولا نسير على طريق الهدى.

إنَّ التناسق الموجود في الكون في ارتباط الأشياء بعضها ببعض، وانسجامها بطريقة منظَّمة، تضعنا في دائرة التناغم مع هذا التناسق في إطار الوحدانية وإلا فقدنا طمأنينتنا وسعادتنا. إنَّ العجب كل العجب من أولئك الذين ناقشوا في مسألة وجود الخالق، وتحدثوا عن أصل هذا الموضوع، وركَّزوا على الصدفة وعشوائية خلق الكون، مع أن الحقائق والأدلة تثبت عكس ذلك! إذ كيف لا يجد الإنسان مدرسة منتظمة، أو معملاً منظماً من دون

مشرف ومدير، ويمكن أن يقبل بقوانين تحكم مسار الكون بدقة **بالغة تبلغ أعشار الثانية بل أدق من ذلك بكثير عن طريق الصدفة؟ كل الأدلة العقلية والعملية تشير إلى الخالق الواحد الذي نعرف وحدانيته من الوجدان ومن هذا التناسق الكبير الموجود في** الكون.

وهنا أريد أن أنتقل من الوحدانية النظرية الى الوحدانية العملية، لأننا في حديث تربوي مع رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام، ولسنا في دائرة النقاش الفكري المعمَّق، إنما في انعكاس هذه الوحدانية على حياة الإنسان. نحن بحاجة لترجمة الإطار النظري لوحدانية العلاقة بالخالق الى وحدانية في العمل والسلوك، بحيث نعيش وحدانية الله في تصرفاتنا وسلوكنا اليومي. إنَّ كل تصرُّف من تصرفات الإنسان يعكس طريقة تفكيره، وما يحمله من قناعات، ويعبر عن رأي ما ووجهة نظر ما، فإذا كان الإنسان مشتتاً في آرائه وأفكاره كان كذلك في تصرفاته، لأنَّ منهجيته غير موحدة وغير مترابطة، أما إذا كانت منهجيته مرتبطة بأوامر الله ونواهيه، فهذا يعني أنه موحِّد على المستوى العملي، وما نريده هو الوحدانية العملية التي تخرج من إطار الفكر لتترجم في إطار الواقع، وهذه هي المشكلة الحقيقية. فلو أجرينا إحصاءً على المستوى العالمي لنرى من يؤمن بوحدانية الله على المستوى النظري، سنجد الأغلبية الساحقة يقولون بوحدانية الله، ولكن نرى القلة في العالم

يترجمونها في حياتهم و ممارستهم العملية، فالعبرة الحقيقية في تطبيق الوحدانية على المستوى العملي.

قصة واقعية

سمعت عبر إحدى الإذاعات عن دراسة تقول بأنَّ العديد من علماء العلوم الحديثة لا يؤمنون بالله، ألا يفترض أن يعزِّز الاتجاه العلمي الاعتراف بالله؟

ذكَّرتني بحوار جرى بيني وبين أحد الأساتذة عندما كنت طالباً في الجامعة. أراد هذا الأستاذ أن يسوِّق لقناعته بعدم وجود الله من الباب العلمي، وبطريقة ملتبسة تفتقر إلى المقدمات الصحيحة. فقال للطلاب: هل رأيتم في المختبرات التي نجري فيها الأبحاث بأن الله موجود؟! هذا أمر لم يثبت على المستوى العلمي! ألا تدل كل الأبحاث التي نجريها على علاقات محددة وواضحة بالأرقام والتفاعلات وهي خصائص الأشياء بمعزل عن أي خالق؟!.

هنا لاحظت بأنه يلعب على الألفاظ، مستخدماً كلمة علم كفزاعة ونقيض للدين. رفعت يدي مستأذناً، وقلت له: هل أجريتم أبحاثاً علمية لكل شيء وفي كل مكان، بحيث ثبت لديكم بالدليل أن الله تعالى غير موجود؟! وهل استطعتم أن تجروا أبحاثا على ذلك في المريخ وفي الكواكب التي لم تصلوا إليها؟ فإذا كان الكلام بأن النظريات العلمية أثبتت العدم، فأنتم لم تجروا أبحاثاً عن كل شيء وفي كل مكان، إذاً يمكنكم القول: نحن لم نجد.

ولا تستطيعون القول: لا يوجد. إذ أن دائِرة التجارب محدودة وجزئية ومحصورة.

والأمر الآخر هو أنَّ الأبحاث العلمية تركز على المحسوسات، ولا تستطيع إخضاع كل شيء للتجربة داخل المختبر. فالمادة المحسوسة كالحديد والدم واليد والزئبق الخ... تخضع لدراسات علمية داخل المختبر، أما غيرها من الأمور العقلية والروحية فلا تستطيع دراستها بشكل مباشر في المختبر لتقول بأنها لم تثبت على المستوى العلمي، فالعلم التجريبي له علاقة بالماديات والمحسوسات، وهو يقف عند حدودها ولا يتجاوز ما وراءها، فهو يدرس المغناطيس لكنَّه يقف عاجزاً أمام القوة المغناطيسية، أمام تفاصيل هذه القوة، إنه يلاحظ وجود احتكاك بين الحديد والمغناطيس بحيث يتلاصقان مع بعضهما، أما كيف يتلاصقان؟ إنها القوة المغناطيسية الموجودة من دون تفاصيل وتفسير. فمن خلال التجربة لاحظوا ظواهر أوصلتهم الى نتائج، لكنها نتائج غير ملموسة ومحسوسة وغير خاضعة لسلطة التجربة العلمية وإجاباتها، فالعلم التجريبي يجيب عن الماديات والمحسوسات، والعقل يجيب عما وراءها وعن الأمور العقلية والروحية. عندما نجد النظام والدقة في تنظيم هذا الوجود، ألا تدل هذه المعطيات على وجود قوة غيبية نظَّمت ونسقت وأوجدت الحياة في هذه الأمور بدقة متناهية، إننا نقول بأنَّ هذه القوة هي قوة الله جل وعلا.

والأمر الثالث أريد أن أسأل ما الدليل العلمي على كوننا نملك عقولاً؟ أثبت لنا بالدليل أنه يوجد عندنا عقول نحن الموجودين في الصف؟ قال: الأمر واضح. قلت له: كيف يكون واضحاً فهو عندي غير واضح؟ فالعلماء لم يقوموا مرة واحدة بتشريح العقل أي بتشريح طريقة التفكير داخل المختبر! فقال: لكنَّ هذا من المسلمات!، قلت: كيف يكون وجود العقل عند الإنسان من المسلمات؟ قال: من التصرفات. قلت: بما أنَّ التصرفات أوصلتنا إلى وجود العقل فهذا يعني بأن العقل لم يكن خاضعاً لتجارب المختبر، بل كانت التصرفات خاضعة لها. وعندما نقول بأن فلاناً مجنون فإننا نستنتج ذلك من حركاته وتصرفاته وليس من وجوده في المختبر. إذاً أثبتنا العقل خارج دائرة التجربة المباشرة، وذلك بعد أن لاحظنا التصرفات فاستنتجنا منها وجود العقل عند الإنسان، ما يؤكد وجود استنتاجات أخرى خارج المختبر.

إذاً لدينا طريقتان للاستنتاج: الطريقة العلمية التي تخضع لها الماديات والمحسوسات وتعتمد على الاختبارات والتجارب، والطريقة العقلية التي تستند إلى ملاحظة الواقع، لاستكشاف ما وراءه، وتعتمد على تحليل ما وراء التصرفات والآثار.

مما تقدم كنموذج، يتبيَّن بأنَّ بعض العلماء استغلوا موقعهم العلمي ليعبروا عن قناعاتهم التي توصلوا إليها بالطريقة العقلية بطريقة مخادعة توحي وكأنها علمية، مع أنهم لم يصلوا إلى هذه

القناعات عبر التجارب العلمية، بل لا علاقة لها بهذا الاتجاه، فهي خارجة عن الطريقة العلمية تماماً. وقد ارتبط هذ الأسلوب بترويج الإلحاد في فترة الخمسينيات وما بعدها من القرن العشرين.

على كل حال فقد سقطت هذه الفكرة بشكل واسع، لأنَّ الوحدانية في وجدان الناس وفطرتهم، أدلتها واضحة وبارزة كالشمس،فالأعرابي في الصحراء يستقرئ واقعه فيقول: «**البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، لا تدلان على الخالق الخبير؟!**»[1]. إنَّ كل ما في الكون يدل على عظمة الخالق: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]،لقد دخلنا الى عالم التوحيد بطريقة شبة مُسَلَّمة.

إنَّ غالبية أصحاب الاتجاه العلمي يؤمنون بوحدانية الله تعالى، لما يلمسونه من عظمة الخالق ودقة التنظيم والتقدير الإلهي لما خلق، وقد صدرت تصريحات وكتب كثيرة تحدثت عن هذا الأمر، لكن ضوضاء وضجة بعض المنكرين كانت هادفة وموجهة فبرزت كبيرة، لكنَّها انتهت. يبقى الأمر الأهم وهو التوحيد العملي.

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص:١٣٤.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

من أخلص بلغ الآمال

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «تعبده لا تشرك به شيئا» كأن الإمام عليه السلام يقول عودوا الى سورة الإخلاص؟

لماذا يريدنا الله أن نعبده؟ هل هو بحاجة لنا حتى يطلب منا العبادة وهو الغني؟

إنَّ العبادة تركز على شخصية الإنسان بما يستفيده من علاقته مع الله، فالله غني عن العالمين، وسواء أعبدناه أم لم نعبده، فهذا لن يزيد أو ينقص في ملكه وغناه. لذلك عندما يتحدث رب العالمين عن الصلاة ـ وهي عبادة ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، فأنت أيها الإنسان ستستفيد من الصلاة، ومن التبس عليه الأمر لقوله أثناء النية: أصلي قربة إلى الله تعالى. نقول له: أنت تصلي لله عز وجل على قاعدة أنك تلتزم بأمره لمصلحتك، ولست تصلي لله تعالى لأنه بحاجة إليك، فأنت الذي تستفيد من القرب منه لتأخذ منه ومن هذه الصلاة بالانتهاء عن الفحشاء والمنكر. كذلك الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، فأنتم الذين تستفيدون منه، لعلَّكم تتقون، وهذا يساعدكم على الإخلاص والاستقامة في حياتكم. إذاً نعبد الله لأنه الخالق، ولا بدَّ أن تكون

(١) سورة العنكبوت، من الآية: ٤٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

لنا صلة مع خالقنا، حيث تتم من خلال الإيمان والالتزام بالأوامر والنواهي، فنكون معترفين ومقرِّين بهذه الصلة عملياً، وهذا ما ينعكس على حياتنا اليومية، فنستفيد من أدعيتنا وصلواتنا وصومنا وحجنا وتتأثر نفوسنا بهذه العلاقة مع الله تعالى.

نأتي إلى تتمة حديث الإمام عليه السلام بقول: «فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة»، إنَّ آثار العبادة مرتبطة بالإخلاص، ولكن هل توجد عبادة بلا إخلاص؟ نعم. توجد عبادة بلا إخلاص، إذ يمكن للإنسان أن يصلي ليراه الناس فهو مُراءٍ وليست صلاته لله تعالى، ولا يمكن أن تؤتي الصلاة ثمارها من دون إخلاص، والإخلاص يتطلب التوجه نحو الواحد الأحد فقط، للوصول إلى الكمال الإنساني، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له»**[1].

فالموضوع لا يقبل المساومة إذ لا يمكن اجتماع عبادة الله تعالى بتنفيذ أوامر غير الله تعالى وعبادة الشيطان. أما الشيطان فهو كل الدائرة الأخرى التي تكون في مقابل الدائرة الأولى وهي دائرة العبادة لله تعالى، فلا يجوز سلوك طريق الإزدواجية في العمل بل يجب أن تخلص لله وأن تكون مع الله. من هنا فالشرك بالله ليس منحصراً بالشرك النظري فقط، بل يمتد إلى الشرك العملي ويؤدي

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص: ٢٠.

إلى ازدواجية في الشخصية والى ضياع، ويصل في كثير من الأحيان إلى نقطة اللاعودة، عندها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

لنسمع أمير المؤمنين علي عليه السلام كيف يحدد لنا طريقة الوصول الى الإخلاص، يقول عليه السلام: «**الإخلاص ثمرة العبادة**»[2]، فالعبادة طريق للإخلاص. إذا صليت وصمت وتصدقت وقمت بالواجبات العبادية الملقاة على عاتقك، وأنت متوجه بهذه العبادات الى الله تريده أن يتقبل منك هذا العمل، فستتفاعل هذه الأمور في نفسك لتصبح يوماً بعد يوم جزءاً لا يتجزأ من شخصيتك وحياتك. إنَّ هذه الأعمال التي قمت بها هي عملية تربوية، تتراكم مع الزمن ومع الاستمرار، لتولِّد الإخلاص بسبب سلامة طريقة الأداء والالتزام بالتكاليف الملقاة على عاتقك، هذا التفاعل مع العبادات هو الذي ينعكس على شخصيتك فتُخلص لله تعالى.

إضافة إلى ذلك فمن أراد تحقيق الأهداف الكبيرة والعظيمة، عليه أن يسلك طريق الإخلاص، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من أخلص لله بلغ الآمال**»[3]، أي منتهى الوصول إلى ما يريد، وسيجد أن الطريق ممهدة أمامه، وتتحقق رغباته المستقيمة، وتهون

---

(١) سورة النساء من، الآية: ١١٦.

(٢) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٣٨.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص:٧٦٠.

العقبات التي تعترضه، مع حسن الثواب في الآخرة. أما الشيطان رمز الكفر والانحراف والذي يوسوس للإنسان فهو عاجز عن التأثير مع الإخلاص، كما ورد في كتاب الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، لأنَّ المخلص قد حصَّن نفسه بطريقة سد معها كل الأبواب بوجه الشيطان.

القليل مع الإخلاص

كيف نحصن الإخلاص في نفوسنا؟

يحتاج الإخلاص إلى عبادة والى تأمل في هذه العبادة، إلى عيش مع النفس، والى محاسبة ووقفة مع الذات. هل يقف كل إنسان منا يومياً من أجل أن يناقش نفسه؟ ماذا زاد وماذا نقص؟ وكيف قضى يومه وكيف أهدر وقته؟ كم واحد يقوم بذلك؟! الواحد منا يقضي فترة طويلة لسنة أو سنتين ثم يقف ويقول: إن وضعي صعب من دون أن يتوقف ويضع العلاج أو يبحث عنه! نحن بحاجة الى منهج عبادة نمارسه في حياتنا، والحمد لله هذا المنهج موجود من خلال الإسلام، ولسنا بحاجة لإضافة شيء إليه من خارجه، لكنَّ علينا متابعته ومراقبته وإجراء المحاسبة لنصل إلى الإخلاص، عندها: «**أخلص قلبك يكفك القليل من العمل**»[2] كما يقول رسول الله ﷺ، فالأمور ليست معقدة، وليس الكم هو الأساس بل

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص:١٧٥.

المضمون ولو كان قليلاً، طالما أنَّه مقيدٌ بالأوامر والنواهي الإلهية من دون نقصان.

يكفيك أمر الدنيا والآخرة

سماحة الشيخ «حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة» وكأن هناك عملية بيع وشراء أو مقايضة؟

الله تعالى خالق الإنسان يعرف النفس الإنسانية وما تحتاجه، ويعرف طبيعة الإنسان ومتطلباته والأشياء التي يرغبها ويحبها، إنه يعده بإعطائه ما يحب وأكثر، لكن المطلوب أن يقدم شيئاً، وهذا الذي سيقدمه سيكون لمصلحته ومع ذلك سيعطيه رغباته. وهذا لا يعني رفضه للدنيا ولما فيها، بل توجيه لحلالها فالله تعالى يقول: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[١]، و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾[٢]، هذه الأمور لك أيها الإنسان ولكن احصل عليها عن طريق الحلال. إن الفكرة التي تتحدث عن تخلي المؤمن عن الدنيا غير دقيقة، لأن الإنسان المؤمن يأخذ أفضل ما في الدنيا ويتفوق على الآخرين في أخذ خيراتها، وبعد ذلك يعطيه الله تعالى مكافأة تتمثل في دخوله إلى الجنة. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**واعلموا عباد الله، أنَّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا**

(١) سورة القصص من، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم. سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المُبَلِّغ والمتجر الرابح. أصابوا لذة زُهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم»[1].

إنَّ الإسلام يوجهنا إلى كيفية التعاطي مع الدنيا بالامتناع عن المحرمات، امتنعوا عن شرب الخمر فهو محرم ومضر، وامتنعوا عن شرب الدم فهو محرم ومضر... الخ بالمقابل قال لنا كلوا لحماً مما ترغبون ومما أحل الله تعالى بالطريقة الشرعية، واشربوا شراباً محللاً ترغبونه، ولكن تحرم عليكم المسكرات التي تؤدي الى ضياع العقل. فلنتكلم على المستوى الصحي، إن الإنسان الذي لا يشرب الخمر ولا يأكل الميتة أو الأشياء التي حرمها الله، ويأكل ويشرب ما أحله الإسلام، سيكون مرتاحاً على المستوى الجسدي، لأنه اختار الأطعمة الحسنة وترك الأطعمة السيئة التي تتعبه.

إضافة إلى ذلك، ما يعطينا الله إياه من رحمته وفضله فيما رزقنا إياه، فهو الرزاق ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، وطالما أن

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٧ من عهده لمحمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر، ص:٦٠٢.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

الرزق من الله فنحن لا نعلم كيف سيعطينا هذا الرزق. إذا أيها الإنسان اطمئن بأن رزقك سيصلك، وفي كل الروايات أن الرزق محدد ومعروف من قبل الله تعالى، وعلى هذا الأساس ستحصل على الرزق بالحلال أو بالحرام، فالأفضل أن تحصل عليه بالحلال. وإن أبطأ عنك الرزق قليلاً فعليك أن تصبر، والله تعالى يعطيك ما يكفيك، إنه مقسوم لك ويزداد بالدعاء وصلة الرحم وبعض الأعمال الصالحة.

إذاً جعل الله تعالى على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا، ويرفع عنك البلاء، ويعينك عند المصائب والمصاعب، فلا تشغل نفسك بكيفية عون الله لك، قم بما عليك والتزم بتعاليم الله، وتوكَّل على الله تعالى، يهيّىء لك الأسباب والنتائج، ويسدد أعمالك من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب. فالله لا يتخلى عن عبده.

أما فيما يتعلق بالآخرة فهو يكفيك في الآخرة أيضاً، إن جنة الله تعالى في الآخرة ستكون للمؤمنين، حيث العطاءات كثيرة لا حصر لها، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله أعدَّ لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[2]، والأعظم من

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣١ و٣٢.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص:٣٩٨.

ذلك كله أن يرضى الله تعالى عنك وتكون راضياً بما أعطاك إياه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، فتعب الدنيا وعذابها يسير جداً في مقابل ما ينتظرك في الآخرة. ومهما بلغ متاع الدنيا فهو قليل، ومن كانت عنده آمال وطموحات لم يحققها في الدنيا بإمكانه أن يطلبها من الله ليعطيه إياها أو بدلاً عنها بأفضل منها، ويحفظ له كل ما يحب في الآخرة، ليس على قاعدة أن يترك الإنسان الدنيا إنما على قاعدة القيام بتكليفه فيها. هذه المقايضة تمثل تشجيعاً لبني البشر وتحفيزاً على الاستقامة والعمل الصالح.

رفض الاعتزال

ما رأي سماحتكم بقول «ما علي أؤديه» ولا شأن لي بما يجري من حولي أي أن الاتجاه هو لتفسير حق الله بالعلاقة الشخصية دون أي ارتباط بالمجتمع؟

ليست العبادة عندنا مجرد صلاة وصوم وحج وخمس وزكاة وابتعاد عن كل ما عداها، إنما العبادة عندنا تربية وتهذيب وتكوين لشخصية الإنسان المسلم الملتزم، حتى يحملها في الحياة فيتفاعل معها ويعكسها على المجتمع،فالإسلام يرفض الاعتزال والابتعاد عن المجتمع، فإذا عبدت الله خمسين سنة هذا يعني أن تكون صلاةً واحتكاكاً بالحياة وتفاعلاً مع المجتمع ومع القضايا

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

الموجودة، وإلا ما نفع هذه الصلاة حيث ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[1]، وأين تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ إنها تنهى عندما يحتك الإنسان بالمجتمع ويبتعد عن المحرمات. لذا يعتبر الدين الإسلامي دين فرد وجماعة، دين الحياة والمجتمع، دين تنظيم الحياة الفردية والدولة، أي أنه يوائم بين خصوصية الإنسان في تكوين شخصيته وعبادته وخصوصية المجتمع، فهو يتطلب أداءً إيمانياً من الإنسان ليعكسه على واقع المجتمع. ألم يكن الرسول محمد ﷺ أفضل العابدين على وجه الأرض، لقد كانت حياته مفعمة بالإيمان، ودخل إلى المجتمع ليبلغ رسالة الإسلام ويحارب المشركين والكفار ويقيم دولة الحق والعدل، ويساعد الناس في شؤونهم وفي قضاياهم الاجتماعية. فإذا كان هذا الإنسان يقول بأن ليس له علاقة بأي شيء إذاً كيف سيقتدي برسول الله ﷺ؟ وكيف سيقوم بتكليفه والتعبير عن إيمانه؟ كيف سيغيِّر المجتمع؟ وكيف سيقف ضد الظالمين والواقفين أمام حقوق البشر؟ لا يمكننا القيام بما علينا إلا إذا عملنا للتأثير والتغيير في مجتمعنا.

---

(١) سورة العنكبوت من الآية: ٤٥.

الحق الثاني

حــق النفس

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حقُّ نفسك عليك، فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي الى لسانك حقَّه، والى سمعك حقَّه، والى بصرك حقَّه، والى يدك حقَّها، والى رجلك حقَّها، والى بطنك حقَّه، والى فرجك حقَّه، وتستعين بالله على ذلك».

جهاد النفس

سماحة الشيخ، الركيزة الثانية كما نرى هي علاقة الإنسان مع نفسه، كيف يوفيها حقها بحسب رسالة الحقوق؟

ركائز الحقوق ثلاثة: حق الله وحق النفس وحق المجتمع، تحدثنا عن حق الله، والآن نتحدث عن حق النفس. النفس البشرية هي مستودع التربية ومستودع التوجيه، فإذا أصلحها الإنسان صلحت حياته، وإذا أفسدها فسدت حياته. فالعنوان العام كما تحدث عنه القرآن الكريم بإيجاز رائع: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنهَا﴾[1]، هذه النفس الإنسانية تحمل القابليتين السلبية والإيجابية، ومن خلال التربية تتجه باتجاه الصلاح أو باتجاه الفساد، وليس صحيحاً ما يتصوره البعض من أنَّ النفس الإنسانية تتجه دائماً نحو الفساد. إنَّ التأثر بالعوامل التي تحيط بالإنسان هي التي تساهم في تحديد أحد المسلكين، لذا يعطي الإسلام أهمية كبيرة لتربية النفس وبنائها.

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧ و٨.

إن القصة المشهورة عن النبي ﷺ تُعتبر مَعلماً في هذه الدائرة، عندما رجعت جماعة من المسلمين من سرية في مهمة لها، قال الرسول ﷺ لهم: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثم قال ﷺ: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[(١)]. إنَّ القتال مع ما فيه من موت وجرح وتضحية جهادٌ أصغر، وإنَّ المعاندة للنفس كي لا تشذ ولا تنحرف لتبقى على الاستقامة هو جهادٌ أكبر. كيف يمكن أن نربط بين هذين الأمرين لنصنِّف كما صنف الرسول ﷺ جهاد النفس بالجهاد الأكبر، وقتال العدو بالجهاد الأصغر؟ الواقع أن قتال العدو هو نتيجة لجهاد النفس، إذ عندما ينجح الإنسان في الجهاد الأكبر فيصبح مستقيماً ويسلِّم نفسه لله، يصبح قادراً على التحكم في إرادته وأعماله، وقابلاً للتكليف الشرعي في محاربة الظلم والأعداء، فينتقل إلى المعركة ليقاتل العدو بكل ثقة وجرأة واندفاع واطمئنان.

وللتدليل على أهمية جهاد النفس، فليتصور كل واحد منّا نفسه، كم يعيش من صراع مع نفسه في كل يوم حين تحدثه لارتكاب المنكرات والمحرمات، ويخطر بباله أشياء سيئة وخاطئة، ثم يناقش بعض الأمور بينه وبين نفسه، أُقدم على هذا الأمر المحرَّم أم لا؟ أؤذي هذا الإنسان أم لا؟ أعفُو عنه أم لا؟ فالإنسان

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٥٥٣.

في حوار دائم مع نفسه في محطات كثيرة يومياً وهو بحالة جهاد مع النفس، إمَّا أن يربح في جهاده في طاعة الله وإمَّا أن يسقط في معركة الجهاد فينهزم ليسقط في حبائل الشيطان، فلا يعود قادراً على الفعل الإيجابي ولا يعود قادرا على الانتصار. ففي حديث المعراج قال تعالى: **«يموت الناس مرة، ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم، ومخالفة هواهم والشيطان الذي يجري في عروقهم، ولو تحركت ريح لزعزعتهم، وإن قاموا بين يدي كأنهم بنيان مرصوص، لا أرى في قلبهم شغلاً لمخلوق، فوعزتي وجلالي لاحيينهم حياة طيبة»**[1].

ولا يتصورنّ أحد أن الأمر خارج عن الإرادة، أو كما يقول البعض بأنه مضغوط عليه نفسياً وقد شعر بأنه ينساق الى ارتكاب المحرمات والأخطاء! كلا، لا أحد ينساق الى ارتكاب الأخطاء، فالإنسان هو الذي يقرر وهو الذي يختار، فقد جعل الله تعالى زمام الأمور بيده. هنا يمكن أن يسأل: ولكن الآية القرآنية تقول: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[2]، فهل أنَّ نفس الإنسان تأمره بالسوء دائماً أو أن الطاغي في حياته أن تأمره بالسوء؟ أبداً، هذا لا يعني أنَّ النفس بتكوينها أمَّارة بالسوء، ولكن إذا بُنيت بناء خاطئاً ولم تُهذب، تصبح أمَّارة بالسوء، فتوسوس له باتجاه السوء. لذا فقد ورد في القرآن الكريم أيضاً: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[3]،

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص:٢٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٧.

فكيف أصبحت هذه النفس مطمئنة بينما النفس الأخرى أمَّارة بالسوء؟ أصبحت كذلك بالتربية والمجاهدة والعبادة والاستقامة والعمل الصالح.

عندما تترك نفسك من دون أن تعتني بها تصل الى أن تأمرك بالسوء، بتراكم الأمور السيئة على هذه النفس، ثم يتكون خطٌّ خاطئ ومنحرف فيتوجه السلوك نحو الانحراف، لذا قالَ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾، لأن طريق التوبة مفتوحة ليربي الإنسان نفسه مجدداً على الطاعة. فبرحمة الله، وما أودع في الإنسان من فطرة صالحة، وما أرسل من أنبياء موجهين ومعلمين، وما يواجهه من إنذارات وبشائر وأشخاص يعظونه، وأمام الابتلاءات التي تذكِّره بالله تعالى، كلُّ هذا يعيد الإنسان إلى نفسه. من هنا أهمية السعي لنربي هذه النفس ونتعب عليها، لأنها إذا صلحت صلح كل شيء في حياة الإنسان، وإذا فسدت فسد كل شيء في حياته.

طاعة الله وبناء النفس

نرجو أن توضح لنا سبب الربط بين حق النفس وطاعة الله؟

يشعرني الاختصار الشديد الذي عرضه الإمام زين العابدين عليه السلام عن حقِّ النفس وكأنَّه يريد أن يقول للإنسان بأن الطريق بسيط وواضح، فلا تعقِّد نفسك بأفكار فلسفية وتحليلات عقلية مطولة وصعبة، لاحظ قوله في رسالة الحقوق: «وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله». لماذا هذا الربط بين

الاثنين؟لأنَّ السؤال المركزي يتمحور حول تأدية حق النفس والتربية التي توصل إلى استقامتها. أمَّا الطريق والمنهجية فهما في طاعة الله تعالى،أي إذا اتبع الإنسان أوامر الله تعالى وانتهى عن نواهيه سلك الطريق الصحيح، هذا هو التوجيه البسيط والواضح لتهذيب النفس. والمسألة ليست في إكثار الحديث والتحليل عن تهذيب النفس وحق النفس وأهميتها، بل كيف يكون ذلك؟ الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: في طاعة الله. ولكن كيف تكون طاعة الله؟ إنَّ طاعة الله مفتوحة على احتمالات كثيرة وتفاسير متنوعة، وقد حدَّدها الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1]. هنا تأتي وظيفتنا في معرفة طاعة الله تعالى التي تحقق تمام النعمة وكمال الدين والراحة والسعادة، إنها تعاليم الإسلام الموجودة بين يديك، تقول لك: هنا يجب، وهنا يحرم، هذا مستحب، وذاك مكروه، وذلك مباح، إنها الأحكام الإسلامية الخمسة. فإذا أطعت الله تعالى بما أمرك مقتدياً بالنبي والأئمة عليهم السلام، وملتزماً بأوامر الله ونواهيه، تكون قد سلكت الطريق الصحيح لبناء نفسك، لتصل إلى النفس المطمئنة الراضية المرضية، وعليه عندما يقول إمامنا عليه السلام: «**وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله**»، يعني أنَّك إذا قمت بطاعة الله كما أمرك، عبر بوابات العبور إلى العمل الصالح وهي الجوارح،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

«فتؤدي إلى لسانك حقَّه، وإلى سمعك حقَّه، وإلى بصرك حقَّه، وإلى يدك حقَّها، وإلى رجلك حقَّها، وإلى بطنك حقَّه، وإلى فرجك حقَّه، وتستعين بالله على ذلك»، تكون قد أدَّيت حق هذه النفس، وعندها ستشعر بالسعادة والراحة والطمأنينة، وبغير طاعة الله لا ضرورة لأن يتعب الإنسان نفسه في تهذيبها خارج هذه الدائرة.

وهنا أريد أن أذكر أمراً لطالما ضيَّع بعض الناس أوقاتهم فيه، ففي بعض البلدان يفتشون عن طريقة لتقوية إرادة الإنسان لتهذيب النفس، تارة يلجأون لفكرة اليوغا على أساس أنها بناء نفس وقوة إرادة، وأخرى بإجراء بعض الطقوس والأعمال والحركات من الرقص أو الهيام بطريقة معينة، وثالثة بفكرة وخز الجسد وإيذائه بجرحه وإيلامه كجزء من تقوية النفس وربطها بقوة كبرى هي قوة الله تعالى، ورابعة بأوراد ورياضات مرهقة للجسد تتطلب وقتاً طويلاً، وأساليب أخرى مختلفة. لسنا بحاجة إلى هذه الأساليب، فقد قدَّم الله عز وجل لنا طريقة واضحة وسليمة من خلال الإسلام لنسير على هديها كما أمر، فلو التزمنا بالعبادات والأحكام الشرعية التي أمر بها الإسلام، أي قمنا بالواجبات وتركنا المحرمات فقط، سنجد بشكل طبيعي أنَّنا نوفي أنفسنا حقها ونعيش السعادة، وسنشعر بأننا مرتاحون ومطمئنون وأن أنفسنا ترتقي، ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«اعمل بفرائض الله تكن أتقى**

الناس»[١]. عندها يبقى على همة كل واحد منّا ما يزيده من المستحبات ويبتعد عنه من المكروهات ليرقى بها أكثر فأكثر في درجات التقوى.

عزلة النفس

لعلنا كمسلمين نختلف عن بقية أصحاب المذاهب الوضعية والإلهية بأن مسألة الحلال والحرام تحدد لنا المنهج التربوي،أما غيرنا فيفضل توجيه النفس وتقوية الإرادة كهدف مستقل. فما رأيكم بهذا؟

عندما يتم الفصل بين حق النفس والطاعة الإلهية، ستشذ النفس وتعيش في حالة غير متوازنة وغير منسجمة. أمَّا عندما تسلك درب الطاعة الإلهية كما أمر الله وفق المنهجية الدقيقة للإسلام فستعيش النفس في قمة سعادتها فضلاً عمّا تحقِّقه من إنجازات في هذه الدنيا. ها نحن الآن بعيدون عن عصر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام باستثناء الإمام الحجة (عج) الذي ننتظر ظهوره، ولكن لاحظ تجربة الإمام الخميني(قده) وكل من معه من أولئك العلماء العظماء الذين عملوا معه وهؤلاء المجاهدين الذين قاوموا في إيران وفي لبنان وفي أمكنة عدة من العالم تحت لواء الإسلام المحمدي الأصيل، ألا يشعر الإنسان أنَّ هؤلاء العظماء قد سموا الى درجةٍ لم يعد فيها لهذه الدنيا الفانية أي قيمة عندهم، فجلت نفوسهم وعظمت وارتفعت بطاعة الله، ومع ذلك حصلوا على الدنيا ومنافعها،

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:٨٢.

وأصبحوا أقوياء، ربُّوا أنفسهم فجزاهم الله بما صبروا. إذاً نحن بحاجة للعودة الى الطاعة حتى نحقق تربية النفس.

ولنقرأ تجارب فصل تربية النفس عن الطاعة لله تعالى، إلى أين أوصلت؟ وماذا حققت من أهداف؟ وهل انعكس هذا الأمر على السلوك في الحياة الفردية والعامة؟ وهل أنتجت نظاماً متكاملاً للحياة؟ لقد بقيت في إطار فردي بحت، ولم تحقق نقلة نوعية في حياة الأفراد فضلاً عن المجتمعات، بل غرق أصحاب هذه الطرق في عزلة وغربة، وتقوقعوا على ذواتهم، وأوجدوا عصبيات رافضة للتفاعل مع الحياة.

الحق الثالث

حقوق الناس

١ ـ حق السلطان

٢ ـ حق الرعية

٣ ـ حق المالك

٤ ـ حق ملك اليمين

٥ ـ حق المنعم بالولاء

٦ ـ حق العبد

٧ ـ حق ذي المعروف

٨ ـ حق المؤذن

٩ ـ حق إمام الجماعة

١٠ ـ حق الجليس

١١ ـ حق الجار

١٢ ـ حق الصاحب

حق السلطان

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«فأما حقُّ سائسك بالسلطان، فأن تعلم أنَّك جُعلت له فتنة، وأنَّه مُبتلى فيك، بما جعل الله له عليك من سلطان، وأنْ تخلص له في النصيحة، وأن لا تماحكه وقد بُسِطت يده عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه. وتذلَّل وتلطَّف لإعطائه من الرضى ما يكفُّه عنك، ولا يضرُّ بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله. ولا تعازُّه، ولا تعانده، فإنك إن فعلت ذلك عققته، وعققت نفسك فعرَّضتها لمكروهه، وعرَّضته للهلكة فيك، وكنت خليقاً أن تكون معيناً له على نفسك، وشريكاً له فيما أتى إليك، ولا قوة إلاَّ بالله».

السلطان هو الحاكم، الذي يتحمل مسؤولية إدارة شؤون البلاد، وهو صاحب السلطة على الناس، فإن أحسن وأنصف الناس وعمَّر البلاد وأعطى كل ذي حق حقه فهو عادل، وإن أساء وقرَّب الحاشية وأساء إلى المال العام وميَّز بين القوي والضعيف

وبين الغني والفقير فهو ظالم، ومن الطبيعي ان يرغب الناس بالحاكم العادل.

إنَّ تسلُّم السلطان للسلطة يضعه أمام مسؤولية الناس وحقوقهم، لأنَّه يمتلك قدرة التصرف بحكم القانون والنظام العام، وهذا ابتلاء واختبار له، قد يُحسن وقد يُسيء تبعاً لإدارته وسياسته. واعلم «**أنَّك جُعلت له فتنة، وأنَّه مبتلى فيك**»، كما ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام، أي أنك اختبار له، وابتلاء له، لأن مقاليد الأمور بيده، ومطالبك عنده، وبحسب تقييمك لتعامله معك ونظرتك إليه ينجح في العلاقة معك أو يفشل.

لكنَّ الحقوق متبادلة، فللحاكم حق عليك، ولك حقٌّ عليه، وينعكس أداء كل من الطرفين على المجتمع، ولا يصلح مجتمع إلاَّ بتكاتف الجهود وأداء الحقوق، وإلاَّ فمع الظلم والإساءة وعدم القيام بالواجبات المجتمعية المطلوبة من الحاكم والرعية، تتجِّه الدولة إلى الخراب والانهيار.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق: حق الوالي على الرَّعية، وحق الرَّعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍ على كل، فجعلها نظاماً لأُلفتهم، وعزاً لدينهم. فليست تصلحُ الرعية إلاَّ بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلاَّ باستقامة الرعية. فإذا أدَّت الرعية إلى الوالي حقَّه، وأدَّى الوالي إليها حقها، عزَّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت**

معالم العدل، وجرت على أذلالها[١] السنن، فصلح بذلك الزمان، وطُمِعَ في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية والِيَها، وأجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثُر الإدغال[٢] في الدين، وتُركت محاجُّ السنن، فعُمل بالهوى، وعُطلت الأحكام، وكثُرت علل النفوس، فلا يُستوحشُ لعظيم حق عُطِّل، ولا لعظيم باطل فُعل. هنالك تَذِلُّ الأبرار وتعزُّ الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد، فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه»[٣].

فإذا علمت أنَّ للسلطان حقوقاً عليك، وأنَّك جُعلت له فتنة، فاعمل لتخلص له في النصيحة، وتقول له كلمة الحق، بالأُسلوب المناسب والاقتراحات الملائمة، فلو كان السلطان جائراً، وأردت أن تؤدي واجبك بقول الحق له مهما كان مراً، فاستعن بالأداء اللائق، ولا تتصرف بطريقة التشفِّي والعداء والإفشال، وإنما بطريقة الإصلاح وتوفير الفرص الملائمة للعودة عن الأخطاء، ففي نصح السلطان جهاد عظيم وأجر كبير.

قال رسول الله ﷺ: **«من مشى إلى سلطان جائر، فأمره بتقوى الله وخوَّفه ووعظه، كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس، ومثلُ أعمالهم»**[٤].

---

(١) أذلالها: جمع ذل أي الوسط.

(٢) الإدغال: الإفساد.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦، ص:٥١٧.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص:٣٧٥.

وقال ﷺ عندما سُئل عن أفضل الجهاد: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[١].

وقال ﷺ: «**إنَّ أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**»[٢].

يجب ان تكون النصيحة هادفة. وعندها لا معنى للماحكة والمخاصمة، ولا أن يكون الناصح لجوجاً في غير محله، وإلاَّ أدى ذلك إلى الخصومة والمشاكل والتعقيدات، وهو ما يسبب هلاك الطرفين(الحاكم والرعية) بسبب أسلوب التعاطي. ويجب ان تكون المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية محقة، فلا يكون الهدف إفشال الحاكم وإنما إرشاده واستثمار وجوده لخير البلاد والعباد. وإلاَّ إذا اتضح عدم أهلية الحاكم واستفحال فساده وعدم نفع النصح معه عندها يجب العمل لتغييره.

إنَّ أخلاقية التعاطي مع الحاكم جزء من تربية الإسلام لعامة الناس من الرعية، ولا ينفع استفزازه وجرُّه إلى ردات الفعل السلبية، لذا «**تذلل وتلطف لإعطائه من الرضى ما يكفُّه عنك**»، والمقصود أن لا تتصرف بكبرياء وعجرفة وإنما بلطافة ولياقة، كي يكون مرتاحاً وراضياً عن الأُسلوب، فلا يستخدم سلطته بأُسلوب فظ أو مؤذ، وإنما يكف عنك اساءته لعدم وجود مبرر لها. وطالما ان هذا التصرف اللائق يحقق الأهداف، فيوصل إلى المطلوب، ولا يسيء

---

(١) مسند أحمد، ج٤، ص: ٣١٥.
(٢) سنن الترمذي، ج٣، ص: ٣١٨.

إلى العلاقة لمصلحة الأهداف، ولا يضر بالدين فيبقى محفوظاً، فاستعن بالله تعالى عليه كي لا يستغل موقعه للظلم والانحراف.

ثم يؤكد الإمام السجاد عليه السلام على أهمية عدم المعاندة، وعدم معارضته في العزة، فلا تعازُّه بأن لا تكون سبباً لإسقاط عزَّته ومعنوياته، وإلاَّ حصل العقوق والخلاف والتأزم، وعندها تتعرض لما تكره من أعماله وتصرفاته السيئة، ويتعرض هو للهلكة بسبب فقدانه لانضباطه وحسن تصرفه، فتكون بذلك قد أعنته على الإساءة وشاركته فيما تصرف به.

هذه التوجيهات مرتبطة بالحرص على إعطاء الحاكم فرصة للإصلاح، وعدم وقوف الرعية بموقف المماحكة والخصومة له. وكما لاحظنا فإنَّ هذا لا يمنع النصيحة بل هي مطلوبة، كما لا يعني الاستسلام والخفة في التعاطي مع الحاكم، وغض النظر عن أخطائه، والتملق له، فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «**من مدح سلطاناً جائراً، أو تخفَّف وتضعضع له طمعاً فيه، كان قرينه إلى النار**»[1].

فالأصل إعطاء المجال للحاكم ليتمكن من العدل بين الناس، واستخدام سلطته لمصلحة الرعية، كي يبقى نظام العلاقة بين الحاكم والمحكوم مساعداً في استقرار البلاد، فإن كان صالحاً وجبت طاعته، وإن كان مخطئاً وجب السعي لإصلاحه، إلاَّ مع فقدان الأمل به فعندها يجب تغييره.

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص:١١.

حق الرعية

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«فأما حقوق رعيتك بالسلطان، فأن تعلم أنَّك استرعيتهم بفضل قوَّتك عليهم، فإنَّه إنما أحلَّهم محل الرعية لك، ضعفهم وذلهم، فما أولى من كفاكه ضعفه وذله، حتى صيَّره لك رعية، وصيَّر حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلاَّ(بالله) بالرحمة والحياطة والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزة والقوة التي قهرت بها، ان تكون لله شاكراً، ومن شكر الله أعطاه فيما انعم عليه، ولا قوة إلاَّ بالله».

ركز الإمام زين العابدين عليه السلام في حقوق الرعية على السلطان على الأساس الذي يميِّز بينهما وهو القوة، فالسلطان قوي لأسباب عديدة ولذلك حكمَ وامتلك زمام الأمور، والرعية ضعاف لضعف قدراتهم أو موقعهم من النظام بصفتهم محكومين، أو لأنهم سلّموا

للحاكم بالسلطة والقوة ليتمكن من إدارة البلاد فلم يعودوا في الموقع القوي.

وبما ان الرعية تتعاطى مع الحاكم بأنَّه يملك القوة والسلطة والقرار، وتتصرف معه بالرحمة والحياطة والأناة، فما الداعي ليتباهى الحاكم بقوته أو يستخدمها في غير محلها؟ وبما ان الرعية لا تنافسه ولا تتصرف بندِّية معه، فما الداعي ليقسو عليهم أو يبطش بهم؟ المطلوب من الحاكم أن يكون عادلاً مع الرعية، وأن يحترم النظام العام، وأن لا يستغل موقعه ومنصبه للإضرار بالناس وبالمال العام، وأن يكون أميناً على مصلحة الدولة والجماعة، وأن يستفيد من سلطته وقوته لإحقاق الحق ونصرة المظلوم وسيادة القانون. فيكون بذلك قد استخدم قوته في المحل الصحيح، في مقابل ضعف الرعية وتسليمهم له، وساهم في إعمار البلاد وإسعاد العباد.

حق الناس على الحاكم ان لا يستضعفهم، فهم الذين سلَّموا له وأطاعوه، وجعلوا حكمه نافذاً عليهم، ولا ينافسونه بعزة ولا قوة، بل ينتظرون منه حسن استخدامه لسلطته، ورعايته لحقوق الناس، ورقابته لله تعالى. فإذا أراد الحاكم أن يطيل حكمه فبالعدل يستمر الحكم لا بالظلم، وإذا أراد أن تستمر سلطته فبحسن المعاملة للناس لا بالفظاظة والقسوة عليهم، وما تأمَّر حاكم بالظلم والخيانة والاساءة والتفريط بالمال العام وجمع المحاسيب حوله إلاَّ وفشل وزال حكمه، وسجَّل تاريخه سجلاً أسود له.

نسوق في هذا المقام بعض التوجيهات التي ذكرها أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة لبعض ولاته في كيفية استخدام موقعهم ونفوذهم، والتي يحتاجها كل حاكم في التعاطي مع رعيته، وتؤسس للحكم العادل الذي تتوق إليه البشرية في كل زمان ومكان، وهي حقوق للرعية على سلطانهم.

١ ـ قول الحق للحاكم وطلب العدل منه، من دون خوف او تحفظ، وعلى الحاكم أن يستمع ويصحح، وأن لا يضع نفسه في مواضع الجبابرة المتكبرين الذين يوجدون فاصلاً بينهم وبين الناس وكأنهم من كوكب آخر، هذا الحاكم الذي لا يتحمل كلمة الحق فكيف يعمل بها؟ والذي لا ينصت لنصيحة عادلة فكيف يعدل بين الناس؟ وهل توجد حياة سياسية إذا لم يتحرك الناس للإشارة إلى الأخطاء والمطالبه بالحقوق؟

قال امير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة خطبها في صفين: «**فلا تكلموني بما تُكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظ عند أهل البادرة**[١]**، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيلَ لي، ولا التماسَ إعظام لنفسي، فإنَّه من استثقل الحقَّ أن يقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقلُ عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل**»[٢].

(١) البادرة: الحدة والغضب.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦، ص: ٥١٩.

٢ ـ لين الحاكم مع رعيته، ونصرة الضعفاء منهم، فهو المسؤول أمام الله تعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده لمحمد بن أبي بكر عندما ولاَّه مصر:

«فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ[1] بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فِإنَّ الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يُعذِّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم»[2].

٣ ـ المساواة بين الرعية مهما كان جنسهم ودينهم، وليكن العفو مقدماً على العقوبة، ولا ينصب الحاكم نفسه في موقع الانتقام من الناس ومعاداتهم، ولا يتبجح بموقعه وامرته، فالله رقيب عليه، وليتذكر الحاكم دائماً أنَّه ليس الأقوى فالله فوق الجميع.

قال الأمير عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

«واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرُطُ منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فاعطهم

---

(١) آسى: ساوى.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٢٧، ص: ٦٠١.

من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنَّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاَّك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم. ولا تنصبنَّ نفسك لحرب الله، فإنَّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمنَّ على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة[1] ولا تقولنَّ إني مؤمر آمر فأطاع، فإنَّ ذلك إدغالٌ في القلب، ومنهكةٌ للدين، وتقربٌ من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبَّهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك»[2].

٤ ـ الظلم يغيِّر النعمة، والفساد يُسقط البلاد، وها هي تجربة الأمم السالفة فقد سقطت حضاراتها وبنيانها بسبب الظلم، وهذه سنة الحياة على الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[3]. وقال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنَّ الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد**»[4].

٥ ـ رضى عامة الناس أولى من رضى الحاشية، ومهما

---

(١) المندوحة: الفسحة وعدم الاضطرار.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص: ٦٧٢.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٤) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص: ٦٧٤.

غضبت الحاشية فهي تسعى إلى مصالحها الخاصة على حساب الناس، فإذا كان الحاكم عادلاً تجاوزهم ووضع حداً لهم فلا يؤثرون على حكمه، أما عامة الشعب فغضبهم تعبير عن الشعور بالمظلومية، ولا قدرة للحاكم على مواجهة الغضب العام الذي لا يوقفه رضى الحاشية الخاصة.

قال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**وليكن احب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإنَّ سُخطَ العامة يجحفُ برضى الخاصة، وإنَّ سُخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة**»[1].

فعلى الحاكم أن يحرص على إنصاف عامة الناس في المعاش والوظائف والمكتسبات وأموال الدولة، ولا يكون منحازاً إلى فئة قليلة تستغل أموال الشعب، وتسيء إلى مصالح الناس، وتسرق المال العام، مستفيدة من قربها من السلطان وحمايته لها.

٦ ـ إعمار البلد بالمشاريع الإنتاجية، وتوفير الفرص لليد العاملة، وتنشيط الحركة الاقتصادية، ودعم الزراعة والصناعة... أولى من إرهاق الناس بالضرائب(الخراج) والرسوم وقيمة حاجاتهم الضرورية. لأن الإعمار ضمن خطة مدروسة يزيد من الأموال والإمكانات بيد الناس، فتكون الضرائب على الانتاج المرتفع مرتفعة، وتستفيد خزينة الدولة، فينتعش المستثمرون بإنتاجهم

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص: ٦٧٥.

وأرباحهم، وتنتعش الدولة بما تأخذه من الناس لمصاريفها وخدماتها العامة. أمَّا إذا كان التركيز على الضرائب والرسوم، مع قلة الموارد عند الناس، فستكون شحيحة وقليلة، ولا تكفي الدولة، وبذلك تقع الدولة تحت أسر المديونية ويتحمل المواطنون أعباء التكلفة العالية للدَّين من دون قدرة على مواكبة احتياجات الدولة، فضلاً عن حاجة المواطنين إلى مستلزمات حياتهم الأساسية بينما هم مفتقرون إلى العمل والإنتاج.

إنَّها معادلة اقتصادية اجتماعية واضحة، إمَّا خطة انتاجية تحرك العجلة الاقتصادية فتغني المواطنين وتستفيد الدولة من الضرائب، وإمَّا استسهال فرض الضرائب من دون خطة اقتصادية فتتعثر أثناء التطبيق ويفتقر المواطنون وتنهار الدولة. فالمواطن المرتاح محور الخطة الاقتصادية الناجحة، وخدمة الناس مقدمة لاستثمار طاقاتهم وإمكاناتهم.

قال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلاَّ بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاَّ قليلا، فإن شَكَوا ثقلاً أو علة، أو انقطاع شرب، أو بالة[1]، أو إحالة[2] أرضٍ اغتمرها غرق، أو**

(١) انقطاع بالة: أي ما يبل الأرض.
(٢) إحالة الأرض: تغير الأرض وفساد محصولها.

أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم»[١].

يختم الإمام زين العابدين عليه السلام حق الرعية على حاكمها بالتأكيد عليه ليكون شاكراً لله تعالى على ما أنعم عليه، فإنَّ القوة والسلطة التي وضعته في هذا الموقع، وميَّزته عن الرعية، تستلزم الشكر لله مانح هذه القوة، لتستمر وتدوم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، وقال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**بالشكر تدوم النعم، وبالكفر زوالها، وخير القول أصدقه**»[٣].

وليس شكرها باللسان والكلمات، بل بالعمل الصالح وخدمة الرعية، وفق التفاصيل التي ذكرناها أعلاه، بالعدل، وقبول شكاوى الناس، والتواضع، والمرونة مع الشعب، والمساواة، ورضى الرعية، وعدم تمييز الخاصة، وإعمار البلاد بالإنتاج، وعدم إرهاق المواطنين بالضرائب. وبما أن الشكر لله تعالى، فالعمل يكون على أساس ما يرضيه في اتباع ما أحلَّ والامتناع عمَّا حرَّم.

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص: ٦٨٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ج٢، ص: ١٥٠.

حق المالك

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق سائسك بالملك، فنحوٌ من سائسك بالسلطان، إلاَّ أنَّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك، تلزمك طاعته فيما دقَّ وجلَّ منك، إلاَّ أن تُخرجك من وجوب حق الله، ويحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق، فإذا قضيتَه رجعتَ إلى حقِّه فتشاغَلت به، ولا قوة إلاَّ بالله».

التشابه بين المالك والسلطان أنَّ لكليهما سلطة، المالك على ماله، والسلطان على أموال الناس وشؤونهم، والفرق بينهما، بأنَّ مال المالك له يتصرف به كما يشاء، أمَّا السلطان فهو أمين على اموال الناس ولا يملكها.

عندما تكون أموال وممتلكات المالك بين يديك، لتجارة تشرف عليها، أو مصنع تديره، أو وظيفة في شركته، أو وكالة منه

في التصرف بأمواله وفق حدود وضوابط. . .فهذا يرتب حقاً للمالك عليك.

أساس الحق أن تعطيه فيما يريد في ملكه، على ان تراعي الدقة أثناء القيام بالعمل، مهما كانت قيمة الشيء قليلة أو كبيرة، ومهما كان العمل بسيطاً او خطيراً، «فيما دقَّ وجلَّ منك»، فلا يحق التصرف بأمواله إلاَّ بإذنه، ولا يحق لك الاجتهاد إلاَّ في الدائرة التي وكلك فيها، لأنك لا تملك المال، ولا تخوِّلك مسؤوليتك التفريط بماله أو المخاطرة به.

نستفيد من توجيه امير المؤمنين علي عليه السلام إلى عماله دقة التصرف بأموال الناس، إلى درجة رعاية أبسط الأمور: «**أدقُّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار، فإنَّ أموال المسلمين لا تحتمل الاضرار**»[1]. فتدقيق رأس القلم يساعد من الاستفادة من المساحة البيضاء لكلماتٍ أكثر، والمقاربة بين السطور تقلل الفراغات وتخفف من صرف الأوراق، وقلة الكلام مع توضيح الفكرة بالألفاظ الموجزة للمعاني المحددة يوفِّر في الوقت والورق والحبر. . .إنَّه نموذج عن الدقة في أحد الجوانب، التي لو تمت مراعاتها في الجوانب الأخرى لحصل توفير كبير، والعبرة في هذا

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٣١٠.

التوجيه، تبيان مسؤولية الموظف والوكيل تجاه مال الغير سواء أكان فرداً او جماعة.

لكنَّ الطاعة في أوامر المالك بملكه مشروطة بعدم معصية الله تعالى، ولا ينفصل حق الله عن حقوق خلقه، فأوامره ونواهيه لمصلحة الناس، فلو أمر المالك بالتجارة الحرام، أو بيع مغشوش، أو تزوير الفواتير، أو غبن الزبون، أو شراء المنكرات، او الإشراف على تحصيل مال القمار... لا تجوز طاعته. فحق الله في رعاية أوامره والانتهاء عن محارمه مقدَّمة على طاعة المخلوق. قال تعالى في طاعة الوالدين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[١]، فكيف بطاعة المالك الذي أخرجك عن حق الله تعالى. قال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٢].

إنَّ ادعاء عدم مسؤوليتك لعدم ملكيتك للمال لا يبرئ ذمتك أمام الله تعالى وأمام عباد الله، فلا تُعن المالك على ارتكاب المحارم وهضم حقوق الآخرين، بل لعلَّ موقفك يساعده على الاستقامة وصحو الضمير. وإن خفت إنهاء خدماتك عنده وإقالتك

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ ١٦٥، ص: ٧٧٧.

من وظيفتك لرفضك الانصياع للحرام، فاعلم أن الرزق مقسوم من عنده الله تعالى، وأنت مسؤول في السعي لرزقك عن طريق الحلال، ولا يتوقف الأمر بالعمل عند هذا المالك، فلا تضع نفسك في موضع الشبهات والآثام، فتخسر آخرتك بدنيا غيرك.

«**فإذا قضيته رجعت إلى حقه فتشاغلت به**»، أي إذا قضيت حق الله تعالى، بعدم الطاعة فيما حرَّم الله تعالى، وأداء حقوق الناس وفق ما أحلَّ الله تعالى، رجعت إلى حق المالك لترعى أمواله من ضمن الصلاحيات التي أعطاك إياها، وقمت بوظيفتك ومهامك، واشتغلت في المحافظة على حق المالك عليك.

انظر إلى دقة هذا الحق، في المحافظة على موقعك كأمين على مال المالك، وحريص على دقتك أثناء عملك، شرط أن لا تكون سبباً وواسطة في أكل حقوق الناس ومعصية الله تعالى، مهما كانت النتيجة، ولعلَّك توفّق لتصويب أداء المالك، فتكسب مع أجرتك أجراً من الله تعالى كمكافأة لاستقامك.

حـــق ملك اليمين

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق رعيتك بملك اليمين، فأن تعلم أَنَّه خلق ربك، ولحمك ودمك، وأَنَّك تملكه لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقتَ له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً، لكنَّ الله كفاك ذلك. ثم سخَّره لك، وائتمنك عليه، واستودعك إيَّاه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته، فتطعمه مما تأكل، وتُلبسه مما تلبس، ولا تكلِّفه ما لا يطيق، فإن كرهته خرجت إلى الله منه واستبدلت به، ولم تعذِّب خلق الله، ولا قوة إلا بالله».

كان الرق نظاماً عالمياً سائداً قبل الإسلام، فبعض الناس عبيدٌ يُباعون في الأسواق، ويُنقلون من مالك إلى آخر، كما يُباع أثاث المنزل ونحوه. وقد كانت القبائل والدول تتقاتل مع بعضها البعض في حروب ضارية، فينتج عنها الغلبة والغنائم والأسرى، ثم يتم التعامل مع أسرى الحرب كعبيد يُباعون ويُشترون، كما كانت بعض

الجهات تبادر بالإغارة والعدوان على أماكن معينة في العالم فتخطف وتعتقل الأفراد وتنقلهم إلى بلدانها لتتاجر بهم كرقيق للبيع، ولم يخل الأمر من حالات كثيرة يبيع فيها الأهل أبناءهم بسبب الفقر والعوز، كما كانت تجري اتفاقات بين الدول لنقل عدد كبير من رعاياها كعبيد إلى البلدان المستعمرة، كما حصل في نقل مجموعات كبيرة من البلدان الأفريقية إلى الدول الأوروبية وأمريكا، ولم ينته العمل بنظام الرق والاستعباد إلاَّ في القرنين الأخيرين، بعد الجهود الجبارة التي بذلها المسلمون الأوائل بناء على ما حثَّ عليه الإسلام، والتي تواصلت مع بروز عناوين حقوق الإنسان وتحريره انطلاقاً من الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، مروراً بالتحاق الدول الأوروبية بها تباعاً، وكذلك حركة تحرير العبيد في أمريكا كنتيجة لصراع الشمال مع الجنوب وتوحيد الولايات المتحدة الأمريكية. ليتحول الرق الآن إلى عمل مستنكر ومرفوض على مستوى النظام العالمي بأسره.

وقد اختار الإسلام خطوتين كبيرتين ساهمتا في توجيه نظام الرق باتجاه التحرير، الأولى تمثلت في وضع ضوابط للرق وتنظيم حقوق وواجبات العبيد لحمايتهم من سطوة أسيادهم، والثانية بتشجيعهم على تحريرهم خاصة بعد أن أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من مجتمع المسلمين.

وبما أن الأغلب في العبيد أنَّهم من أسرى الحروب بحسب

النظام السائد آنذاك، «فالمعاملة المتصورة مع هؤلاء الأسرى إحدى ثلاث لا رابع لها:

١ ـ تخلية سبيلهم، ليرجعوا إلى ما كانوا فيه من منابذة الإسلام من جديد.

٢ ـ قتلهم جميعاً، ليرتاح العالم من شر وجودهم المانع عن نشر العدالة الإنسانية.

٣ ـ إبقاؤهم تحت تربية المسلمين، في معاملة حسنة محدودة شرعياً، لا يتجاوزونها، معاملة عادلة يحددها الإسلام وفق روحه العادلة الرحيمة لعلَّهم يهتدون إلى المعالم الإنسانية، وينقلبون أفراداً صالحين بعد أن كانوا فاسدين، فيستفيد منهم الاجتماع الإنساني كعضو صالح فعَّال، بعدما كان المجتمع البشري يخشى غيَّهم وإفسادهم»[1].

وبإمكاننا أن نلمس بوضوح حجم الاهتمام الإسلامي في معالجة مسألة الرق، «ولذلك تجد النظام الاجتماعي الإسلامي(الفقه الإسلامي) العريض قد فتح باباً خاصاً للتحرير(كتاب العتق)، أمَّا الرِّقيَّه فلا يوجد له كتاب خاص في الفقه الإسلامي، اللهم إلاَّ أسطر في كتاب الجهاد»[2].

فعندما يكون الرق واقعاً موجوداً، لا بدَّ من تنظيمه بما يؤدي

(١) الشهيد الثاني، شرح اللمعة الدمشقية، ج٦، ص:٢٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص:٢٢٨.

إلى التعامل مع العبيد والإماء من الموقع الإنساني، ومن ضمن المنظومة الكاملة في توزيع الأدوار والصلاحيات واستثمار الطاقات. وهذا ما نجده بدقّة في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام عن حق ملك اليمين.

وقد أدرجه الإمام عليه السلام كواحد من حقوق الرعية الأربعة التي ذكرها متتابعة في رسالته وبيّن ضوابطها، وهي: «حقوق رعيتك بالسلطان، حق رعيتك بالعلم، حق رعيتك بملك النكاح، حق رعيتك بملك اليمين». فكما يرعى السلطان رعيته، ويرعى العالم المتعلمين، ويرعى الزوج زوجته، على مالك العبد أو الأَمَة أن يرعاهما من موقع المسؤول وفق ضوابط الشريعة المقدسة لكل نوع من أنواع الرعاية المذكورة.

إنَّ العبد مخلوق لله تعالى كما أنت، وهو مكوَّنٌ من اللحم والدم كتكوينك نفسه، فأنت مالك له لتنتفع منه وعليك أن تعطيه حقوقه، إذ كل ما عنده من السمع والبصر والرزق والقدرة هو من خلق الله، «إنَّه خلق ربك، ولحمك ودمك، وانك تملكه لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقتَ له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً».

وحيث سخَّر الله الناس بعضهم لبعض لاحياء دورة الحياة الدنيا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ

﴿رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١]. فقد سخَّره الله لخدمتك، أي وفَّر لك ظروف الاستفادة من طاقته في شؤونك، في مقابل أن تكون أميناً عليه تحفظه وترعاه وتهديه وتؤمن حاجاته، فقد «ائتمنك عليه واستودعك إياه، لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته».

إنَّ حسن المعاملة والإحسان إلى العبيد(ملك اليمين) والخدم ومن هم تحت السلطة والإمرة جزء من أخلاقية المسلم في التعاطي مع الآخرين، وقد أمرنا الله بالإحسان إليهم من ضمن مجموعة من الناس، وذلك بالبذل الأخلاقي والعملي من دون مقابل.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٢].

ومقتضى الأمانة والرعاية أن «تطعمه مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلفه ما لا يطيق»، فهو جزء من رعيتك، وله كامل الحقوق الإنسانية، فإن لم تنسجم معه، ولم يعجبك عمله، فاستبدله ولا تقهره أو تعذبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«الله الله في صلاتكم، وما ملكت أيمانكم»**[٣].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥ص ٤٥٧.

وعن أبي ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليكسه مما يلبس، ولا يكلِّفه ما يغلبه فإن كلَّفه ما يغلبه فليبعه»**(١).

وعن مختار التمار، قال: «**أتى أمير المؤمنين علي** عليه السلام **سوق الكرابيس فاشترى ثوبين، أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، فقال لقنبر: يا قنبر خذ الذي بثلاثة.**

قال: أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المنبر وتخطب الناس.

قال عليه السلام**: يا قنبر، أنت شاب ولك شره الشباب، وأنا استحي من ربي أتفضَّل عليك، لأني سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تأكلون»**(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان وأذنب العبد والأمة يكتب عنده:

«أذنب فلان، وأذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يابن رسول الله.

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص:٤٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١٥، ص:٤٥٨.

حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت، كما أحصيت علينا كلَّما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلاَّ أحصاها، وتجد كلَّما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلَّما ما عملنا حاضراً، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوَّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحدا، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلاَّ أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك، ويصفح فإنه يقول: «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم».

وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين»[1].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: **«أن جارية له كانت تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص:١٠٣.

وجهه فشجَّه، فرفع الإمام رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزَّ وجل يقول ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾. فقال لها: كظمت غيظي.

قالت له: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾. **قال: قد عفا الله عنك.**

قالت له: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. **قال: اذهبي فأنت حرة»**[1].

هذا التوجيه الإسلامي هو جزء من النظرة العامة إلى الإنسان في أي موقع كان، ومهما كان لونه وجنسه ودوره، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

قال رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق: «**يا أيها الناس، الا إنَّ ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاَّ بالتقوى**»[3].

وقد أدّى التفاعل مع العبيد في مجتمع المسلمين إلى دمجهم فيه وإعطائهم أدوارهم التي يستحقونها، ثم تحريرهم، وقد أبلوا فيها بلاءً حسناً، فهذا بلال الحبشي العبد الأسود يتحمل التضحيات

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص:٢٦٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) مسند الإمام احمد بن حنبل، ج٥، ص:٤١١.

من مشركي قريش للدفاع عن إيمانه والتزامه بدين الإسلام ويصبح مؤذناً للرسول صلى الله عليه وآله في أوقات الصلاة.

وها هي شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى ابرويز[١]، يرسلها حريث بن جابر الحنفي الذي ولاّه أمير المؤمنين علي عليه السلام جانباً من المشرق كأسيرة ومملوكة مع أختها فيزوج الأمير شاه زنان للإمام الحسين عليه السلام فتلد له الإمام زين العابدين عليه السلام، ويزوج اختها لمحمد ابن أبي بكر فتلد له القاسم.

وتشتري حميدة[٢] أم الإمام موسى الكاظم عليه السلام جارية اسمها نجمة، فيتزوجها الإمام عليه السلام وتلد له الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك تلد نرجس[٣] الجارية الإمام المهدي(عج)، ما يؤكد أن عنوان الرق لم يكن مؤثراً في بناء الأسرة الإسلامية والاستفادة من هذه الطاقات البشرية لبناء المجتمع بشكل عام، خاصة مع العمل الدؤوب المتواصل لتحريرهم بأساليب مختلفة وذلك بعد تهيئتهم للاندماج في الحياة المجتمعية الجديدة.

---

(١) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص: ٢٠١.
(٢) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص:١٩٦.
(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص:٤٨.

حق المنعم بالولاء

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمّا حقُّ المنعم عليك بالولاء، فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذُل الرِّق ووحشته إلى عزِّ الحرية وأنسها، وأطلقك من أسر الملكة، وفكَّ عنك حلق العبودية، وأوجدك رائحة العز، وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر، وبسط لك لسان الإنصاف، وأباحك الدنيا كلها، فملَّكك نفسك، وحلَّ أسرك، وفرَّغك لعبادة ربك، واحتمل بذلك التقصير في ماله. فتعلم أنَّه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك، وأحقُّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك».

الأصل في النظرة الإسلامية إلى العبيد هو تأهيلهم وتحريرهم، فعندما يتحقق الاندماج للعبيد في المجتمع الإسلامي، يصبح عتقهم وتحريرهم ضرورياً، لأنَّ مبررات الرق الاستثنائية قد

زالت، وقد بنى الإسلام نظامه على تنمية قدراتهم الإنسانية بما يؤهلهم للمشاركة في بناء المجتمع في إطار توفير مقومات حريتهم في الاختيار. لذا نجد التشريعات الإسلامية قد كثَّفت الاهتمام بالتحرير في موارد الكفارات والإحسان، ما جعل الكفارات لا تخلو تقريباً من عتق للرقبة لتكون الفداء عن الخطأ أو الإثم الذي تاب عنه المكلف، وهذا ما أدى إلى تحرير تدريجي وفاعل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أعتق رقبة فهي فداه من النار، كل عضو منها فداء عضو منه**»(١).

وقد شملت الكفارات التي فيها عتق موارد كثيرة، نذكر منها:

١ ـ كفارة قتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٢).

٢ ـ كفارة حنث اليمين: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص: ٣٨٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

٣ ـ كفارة خدش الوجه أو شق الثوب في المصاب: «كفارة خدش المرأة وجهها في المصاب حتى أدمته ونتفها رأسها فيه، وكفارة شق الرجل ثوبه على زوجته أو ولده، فإنهما ككفارة اليمين»[2].

٤ ـ كفارة إفطار شهر رمضان: «أمور ثلاثة: عتق رقبة وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً مخيراً بينها، وإن كان الأحوط الترتيب مع الإمكان(أي عتق الرقبة أولاً وهكذا)، والأحوط الجمع بين الخصال(الثلاث) إذا أفطر بشيء محرم كأكل المغصوب وشرب الخمر والجماع المحرَّم ونحو ذلك»[3].

وتفسح بعض القوانين في المجال للتحرير بشكل طبيعي، كقانون «الخدمة: إذا خدم العبد المؤمن مولاه سبع سنين فهو حر. وقانون الإقعاد والعمى والجذام: فإنها أسباب قهرية لانعتاق الرقيق. وقانون الاستيلاء»[4]، والمولود حرٌ على كل حال لأنَّه يتبع أشرف الأبوين.

ويُدفع لهم من أموال الزكاة لتحريرهم، وهم الذين عبَّرت

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٢) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٣٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص:٢٨٩.

(٤) الشهيد الثاني، شرح اللمعة الدمشقية، ج٦، ص:٢٢٦.

عنهم آية الزكاة بالرقاب: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فإذا أصبح العبد حراً، فإنَّ عليه الالتفات إلى من كان سبباً لتحريره، لأنه المنعم عليه، وقد أفرد الإمام زين العابدين عليه السلام حقاً خاصاً له، وخاطب العبد المحرر بقوله: «وأمَّا حق المنعم عليك بالولاء»، مذكراً إياه بما قدَّمه سيده من إنفاق للمال لإعالته ثم تحريره، وإخراجه من الرق وما يحيط به من وحشة القيود وحجز الحرية إلى نعمة التحرير والأنس بلذتها ومعانيها، وقد أنصفه لأن مقتضى العدالة أن يكون الإنسان حراً لا عبداً، فقد خلقه الله تعالى كذلك لتكون الدنيا مباحة له، يعمل فيها ويتحمل مسؤولية عمله في الدنيا والآخرة، ولا عذر له أن لا يكون مهتماً بعبادة ربه.

إن استحضار إحسان السيد ونتائج التحرير العظيمة على العبد، تساعد في الالتفات إلى المسؤولية. فبعد أولي الأرحام الذين لهم الأولوية بالصلة والاهتمام والعون، يأتي المنعم بالولاء الذي كان له الفضل في التحرير، ما يستدعي النصرة له والعون والمساعدة إذا احتاج إلى ذلك، في إطار ضوابط تحقيق رضوان الله تعالى فيما أحلَّه وشرَّعه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

هذا الحق يعوِّد على الوفاء لمن أحسن وبذل، ليكون التعاطي بين المؤمنين مبنياً على التقدير لتقديمات بعضهم للبعض الآخر، ومن شكر المخلوق عملياً شكر الخالق. فعن الإمام الرضا عليه السلام: **«من لم يشكر المنعم من المخلوقين، لم يشكر الله عزَّ وجل»**[1].

(١) الشيخ النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج٦، ص: ٣٠.

حق العبد

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمّا حقُّ مولاك الجارية عليه نعمتك، فأن تعلم أنَّ الله جعلك حامية عليه وواقية وناصراً ومعقلاً، وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحريِّ أن يحجبك عن النار، فيكون في ذلك ثوابٌ منه في الآجل، ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم، مكافأة لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقِّه بعد إنفاق مالك، فإن لم تخفه، خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه، ولا قوة إلاَّ بالله».

للعبد حقٌّ على سيده، فلا تتحول الملكية إلى استعباد وقهر وصلاحيات مطلقة، وعلى الرغم من البذل على العبد وهذا ما وصف به الإمام عليه السلام الحق بقوله: «وأما حق مولاك الجارية عليه نعمتك»، فإن البذل يؤسس لتبادلية في الحقوق والواجبات بين العبد وسيده. فالسيد يحوط عبده بالحماية والوقاية من الانحراف

والنصرة في الحق والإيواء والسكن والانعام، والعبد يخدم سيده في حاجاته ومتطلباته المشروعة وينفذ أوامره.

وليعلم السيد بأنَّ حسن أداء الحق للعبد يحجبه عن النار، وهو ثواب الله تعالى في الآخرة لمن أحسن عملاً وأدى حقوق الآخرين، إضافة إلى التشريع الدنيوي الذي يعطي للسيد حق وراثة أموال العبد إن لم يكن له أرحام يرثونه بحسب قانون الإرث الإسلامي، وذلك مكافأة له على ما أنفقه عليه أثناء حياته. وأي خلل في أداء حق العبد وحرمانه من حقوقه المالية والإنسانية يحرم السيد من طيب الميراث فضلاً عن حسابه في يوم القيامة.

وقد بيَّنا تفاصيل المعاملة الإسلامية المطلوبة في الحديث عن حق ملك اليمين.

حق ذي المعروف

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق ذي المعروف عليك، فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه. فإنَّك إذا فعلتَ ذلك، كنتَ قد شكرته سراً وعلانية، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته، وإلاَّ كنتَ مرصداً له، موطِّناً نفسك عليها».

صانع المعروف صاحبُ فضل، والمعروف خدمة تقدَّمُ للآخرين سواء أكان عوناً أو مساعدة أو تسهيل مهمة أو مشاركة في جهد... وبما أن ذي المعروف قد بادر وقدَّم ولا شيء يلزمه بذلك، فقد أعطى شيئاً يرتب له حقاً على من شمله بمعروفه.

حقه ان تشكره على ما فعل، فالشكر أدبٌ في المعاملة، يستحقه ذو المعروف، ومع أنه كلمات يطلقها الشاكر، إلاَّ أنها تعبِّر عن التقدير والامتنان، وتريح نفس ذي المعروف باستحقاق من

صنع معه معروفه لحسن تلقيه منه، وحسن تحيته في المقابل. وعن الإمام السجادعليه السلام: «**إنَّ الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور، يقول تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا رب. فيقول: لم تشكرني إن لم تشكره، ثم قال «أشكَركم لله أشكَركم للناس**»[1].

وأن تذكر معروفه الذي صنعه معك أمام الناس، وتتحدث عنه بصفاته الحسنة، فهذا تشجيع للمحسنين على الاحسان، وتكريم لذي المعروف أمام الناس، ومن المفيد نشر السمعة والعمل الصالح في المجتمع.

وبما أنك استفدت منه، فادعو له بينك وبين الله ليوفقه ويمنحه عطاياه ويغفر ذنوبه، خاصة وأن المستحب الأكيد أن تدعو لجميع المؤمنين والمؤمنات، ممن تعرفهم أو لا تعرفهم، وأن لا تقتصر بالدعاء لنفسك، عن أبي عبد اللهعليه السلام: «**قال رسول الله ﷺ: إذا دعا أحدكم فليعم، فأنه أوجب للدعاء**»[2]. فكيف بمن قدَّم لك يد المساعدة ولبَّى حاجتك؟ اذكره في دعائك، في الأسماء الأربعين في قيام ليلك، وفيما تشعر أنها لحظات الاستجابة لك بسبب اقبالك على الله تعالى.

.هذه الأعمال التي تقدمت تعني أنك شكرته علانية بين الناس،

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص: ٣١٠.
(٢) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص: ١٦٢.

وسراً بينك وبين الله أو معه. فلو أمكنك مبادلته بمكافأة أو هدية أو شيء يحبه ويرغبه، أو شيء بمتناول يدك ويتناسب مع المقام، أو خدمة ما، فافعل ذلك، فاليد المليئة بالعطاء خير من اليد الفارغة، والمقصود هو التعبير عن الشكر بطريقة عملية. فإذا لم تكن مستطيعاً أو لم تتوفر لديك المكافأة، فترصَّد أي فرصة لاحقة تكون قادراً فيها على المكافأة، ووطِّن نفسك بأن يكون الموضوع حاضراً عندك لتباشره في أي وقت، وهذا تعويد للمؤمن على المبادلة ولو كانت رمزية، بل يكفي الشكر في السر والعلن.

حق المؤذِّن

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق المؤذن، فأن تعلم أنَّه مذكرك بربك، وداعيك إلى حظك، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك، فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك، وإن كنت في بيتك مهتماً لذلك، لم تكن لله في أمره متهماً، وعلمت أنَّه نعمة من الله عليك لا شكَّ فيها، فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال، ولا قوة إلاَّ بالله».

يستحب الأذان عندما يحين وقت الصلاة، وللمؤذن أجرٌ عند الله تعالى لأنَّه يذكِّر الناس بتكليفهم في إقامة الصلاة، ويستحب الجهر بالأذان من على مرتفع. واسماع الناس في البلدة أو الحي، وهو شكل من أشكال التذكير بالله تعالى والأمر بالصلاة التي تصل الإنسان بربه من خلال هذه العبادة العظيمة والمؤثرة.

لماذا حق المؤذن؟ لأنَّه يذكرك بالله تعالى، ويدعوك إلى

حظك ونصيبك في الكسب بالاقتراب من الله تعالى، ويعينك بالإعلان عن دخول الوقت لتؤدي الفريضة التي افترضها الله تعالى عليك، فهو مناديك إلى طاعة الله تعالى، وهو صوت الخير في العبادة التي تؤثر على عقلك وسلوكك وتنعكس على اعمالك في الدنيا وثوابك في الآخرة.

فاشكره شكر من أحسن إليك، لأنَّه قدَّم لك خدمة التذكير بمسؤوليتك في طاعة الله، ولا يعني هذا عدم اهتمامك بالصلاة، فقد تكون مهتماً بذلك في بيتك سواء ذكّرك المؤذن أم لم يذكِّرك، لأنك تعرف تكليفك وتتحمل مسؤوليتك، لكنَّ الأنس الذي يحصل لك بأذان المؤذن في الحي أو من مئذنة المسجد، يجعلك ملتفتاً إلى دخول وقت الصلاة، وقد تنتظره في بعض الحالات عند ثقتك بدقته من دون النظر إلى توقيت الساعة، فلا داعي للتفكير بتهمة المؤذن بأنَّه يدينك لأنَّه يذكرك، فالتذكير لا يدينك بشيء، إنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، بل هذه نعمة من الله تعالى عليك، بأن تكون محاطاً بمن يذكرك بالله تعالى، بكلمات الأذان المعبِّرة فالله أكبر من كل شيء، والشهادة لله تعالى أنَّه واحد أحد لا شريك له، وأن محمداً رسوله الأمين المبلغ لرسالته، وأن الإمامة طريق الخلاص، فحي على الصلاة للفلاح والنجاح في خير العمل.

ليكن موقفك بحسن استقبالك وصحبتك لنعمة الأذان ودور

المؤذن، وذلك بحمد الله تعالى، فالحمد تعبير عن الاعتراف بالنعمة والشكر لله تعالى، وليكن ذلك على كل حال أنت فيه، في السراء والضراء، في الصحة والسقم، في الفراغ والشغل، في الراحة والتعب، لتكون في حمد الله تعالى دائماً.

حق إمام الجماعة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق إمامك في صلاتك، فأن تعلم أنَّه قد تقلَّد السفارة فيما بينك وبين الله، والوفادة إلى ربك، وتكلَّم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وطلب فيك ولم تطلب فيه، وكفاك همَّ المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك، ولم تكفِهِ ذلك. فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه، ولم يكن لك عليه فضل، فوقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته، فتشكر له على ذلك، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله».

صلاة الجماعة

صلاة الجماعة مظهر من مظاهر المساواة وتوحيد القلوب والظاهر، فالمصلون يتوجهون إلى الله تعالى مستقبلين القبلة،

يكبِّرون ويركعون ويسجدون معاً، حيث يجتمع الفقير والغني والصغير والكبير، فتزول الفروقات في مشهد الجماعة.

حثَّ الإسلام عليها، وأكَّد على استحبابها، وشدَّد على اهميتها، فعن رسول الله ﷺ أنَّه أجاب جماعة من اليهود عن مسائل إلى ان قال: «**أمَّا الجماعة فإنَّ صفوف أمتي كصفوف الملائكة، والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة، كل ركعة احب إلى الله عزَّ وجل من عبادة أربعين سنة، وأمَّا يوم الجمعة فيجمع الله فيه الأولين والآخرين للحساب، فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلاَّ خفَّف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يأمر به إلى الجنة**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة**»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**الصلاة في جماعة تفضل على كل صلاة الفرد بأربع وعشرين درجة تكون خمساً وعشرين صلاة**»(٣). فالأجر كبير، وتستفيد الجماعة ببركة أفرادها وتوفيقهم في الصلاة، وهي تعطي شحنة معنوية خاصة، وتحقق عنوان الجسد الواحد.

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص:٢٦١.
(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٥٢٠.
(٣) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٣، ص:٢٥.

تنعقد صلاة الجماعة باثنين أحدهما الإمام، وصلاة الجمعة بخمسة أحدهم الإمام، وتشجع قلة العدد في انعقادها للاهتمام بصلاة الجماعة للصلوات الخمس في كل مكان بشرطها وشروطها، وتشكل هذه القلة حافزاً على عدم تفويتها مع جزيل الأجر المقرر للمصلين، وتستحب إعادتها مع الجماعة في الوقت فيما لو صلاها فرادى قبلهم، إنها تدل على الاتجاه الإسلامي العام في التشجيع على ملازمة الجماعة.

وتزداد أهميتها بانعقادها الأساسي في المساجد، ما يجمع شرائح الأمة في مكان واحد وبطريقة متكررة يومياً. لقد عصت المساجد على الظَّلَمة فهي ليست مراكز خاصة لمنعها أو منع اللقاءات فيها، ومهما حصل من تدخلات في شؤون المساجد فإن العودة من خلالها إلى الدين أمر مؤثِّر ومستمر.

إنَّ التشجيع على الجماعة يؤكد على توجهات الإسلام في إبقاء الأمة متكتلة قوية، تتفاعل دائماً وبشكل يومي من خلال عبادة الصلاة، لتكون الصلة بالله تعالى طريق الوصل بالحياة بين الأفراد في قضاياهم المشتركة، ويكون تطلُّع الناس إلى الائتمام خطوة على طريق الالتزام بالقيادة الواحدة الواعية، ولا تقف الجماعة عند حدود الصلاة، بل تتثقف وتتربى وترتقي بإيمانها ما ينعكس على الحياة والمجتمع. إنَّ الاهتمام بصلاة الجماعة يعوِّدنا على عدم مفارقة الجماعة، وعلى حرصنا لنكون جزءاً منها.

ولا تقاس المسألة بتجربة أفراد لم يعيشوا همَّ الجماعة أو لم يستفيدوا من صلاة الجماعة، فربما كانت الجماعة تحتاج إلى إعادة نظر لخصوصية فيها، وربما كان الفرد بحاجة إلى التخلص من حجب تمنعه من التفاعل معها، فإذا نظرنا إلى الأهداف المطلوبة وعملنا على تحقيقها، تجاوزنا العقبات والثغرات لمصلحة الجماعة كأصل.

إنَّ إمام الجماعة محور الفوائد الجمَّة لصلاة الجماعة، فلا بدَّ أن تتوفَّر فيه أهلية إمامة الصلاة، ولذا ذكر الفقهاء ما يشترط في الإمام ومنها أمور: «الإيمان، وطهارة المولد، والعقل، والبلوغ إذا كان المأموم بالغاً، بل إمامة غير البالغ ولو لمثله محل إشكال، بل عدم جوازه لا يخلو من قرب، والذكورة إذا كان المأموم ذكراً، بل مطلقاً على الأحوط، والعدالة، (فلا تجوز الصلاة خلف الفاسق ولا مجهول الحال)، وهي حالة نفسانية باعثة على ملازمة التقوى، مانعة عن ارتكاب الكبائر، بل والصغائر على الأقوى، فضلاً عن الإصرار عليها الذي عُدَّ من الكبائر، وعن ارتكاب أعمال دالة عرفاً على عدم مبالاة فاعلها بالدين»[١].

وإنما تُعرف عدالة الإمام بظاهر حاله بين الناس، الذين يتحدثون عن حسن سلوكه العام، وعدم ارتكابه للذنوب صغيرها وكبيرها، وتكفي المعرفة الإجمالية بذلك، كما يكفي ما يتحقق

(١) الإمام الخميني(قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص: ٢٧٤.

بسبب ثقة أهل الحي به أو جماعة المصلين الذين عاشروه، فالاختبار الشخصي ليس مطلوباً. إذاً لا يجوز الصلاة خلف الفاسق أو المذنب، وبمعنًى آخر غير العادل. وما الاهتمام بعدالة إمام الجماعة للصلاة خلفه، إلاَّ خطوة طبيعية للتعويد على الانقياد لمن توفَّرت فيه أهلية القيادة ومنها عدالته.

وأمَّا حق إمامك فلم ينشأ عن تشريف وإنما عن تكليف، فهو يتحمل مسؤولية عنك في إمامته، يفتتح الصلاة بالتكبير، ويقرأ في الركعتين الأُولتين في الصلوات الخمس فاتحة الكتاب وسورة قصيرة فيرفع قراءتها عنك، ويتابع الركوع والسجود والذكر والتشهد وكل أفعال الصلاة فهو ينظم البداية والنهاية والمسار، فما عليك إلاَّ متابعة أقواله وأفعالك في ذلك، ينوي الإمامة وتنوي المأمومية، يبدأ من الموقع المتقدم أمام المصلين والمأمومون من بعده.

«قد تقلد السفارة فيما بينك وبين الله، والوفادة إلى ربك»، فكأن الإمام في هذا الموقع المتقدم سفيرٌ بينك وبين الله، ومعين لك لتفد إلى الله تعالى وترتبط به، لإيصال أمر محدد من خلال فريضة الصلاة، وللتعبير عن عبادة الجماعة لله تعالى بهذا الشكل الذي يتصدى فيه أحدهم لإمامتها، علماً بأن علاقة الإنسان بالله تعالى مباشرة وبأشكال مختلفة ولا يشترط حصرها بالواسطة، فأنت تدعو بينك وبين الله، وتصلي وحدك لله تعالى، وتصوم قربة إلى الله تعالى، وتقرأ القرآن أملاً بالهداية والأجر والثواب.

«وتكلَّم عنك ولم تتكلَّم عنه»، فقرأ في الركعتين الأُولتين نيابة عنك، وكأنه في إمامته ممثلاً لك وللمصلين في الخطاب مع الله تعالى. «ودعا لك ولم تدع له»، لأنَّ إمامته تستلزم أن يدعو لجماعة المصلين ويتحدث عنهم، وأن يلتفت إلى مهمته بالنسبة إليهم، وفي كل الأحوال فإن الدعوة للجماعة أولى من الدعوة للفرد، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بمن تصدى لإمامة الجماعة. «وطلب فيك ولم تطلب فيه»، فموقعه يستلزم ذلك.

والأهم من ذلك أنه «كفاك همَّ المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك ولم تكفه ذلك»،فأنت مسؤول عن نفسك فقط، ومحاسب على حسن أدائك لصلاتك فقط، أمَّا هو فمسؤول عن حسن أداء صلاة الجماعة للمأمومين، وقد وضع نفسه في مقام المساءلة في حدود تكليفه كإمام للجماعة، بأن تتوفر فيه شروط التصدي وإسقاط التكليف عن المأمومين وعن نفسه. فلو افترضنا انه أخطأ أو قصَّر فالمسؤولية عليه وحده، «فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك»، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر: «**وانظر إلى صلاتك كيف هي، فإنَّك إمام لقومك (ينبغي لك) أن تتمها ولا تخففها، فليس من إمام يصلي بقوم يكون في صلاتهم نقصان إلاَّ كان عليه، لا ينقص من صلاتهم شيء، وتممها وتحفَّظ فيها، يكن لك مثل أجورهم، ولا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً**»[1]. وإن ترتب على عمله اثم فلا ينسحب على

المأمومين، لذا «إن كان آثماً لم تكن شريكه فيه»، بينما تنسحب إيجابيات عمله عليهم، كما يكسب أجراً إضافياً من اجورهم يضاف إليه من دون أن ينقص من أجرهم شيئاً.

وفي النتيجة ليس لك عليه فضل بينما له عليك فضل، إذ «وقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته»، فحماك بطاعته لتكسب من خيراتها، وحماك بصلاته فأحسنت أداء صلاتك، فارتحت من الخلل المحتمل أثناء أداء الصلاة. فهو يستحق الشكر على ذلك، كما هو كل شكر لكل ذي حق عندما لا يكون هناك بدل مادي أو عملي لمكافأته، ولا يخفى أثر الشكر في نفس الآخر، كما لا يخفى أثر الشكر في نفس الشاكر لتعويده على تقدير فضل عطاءات الآخرين، وهي أخلاقية الإسلام في دفع المؤمن باتجاه الشكر الدائم على كل خير وعمل صالح أعانه الله عليه بمعونة الآخرين.

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٢٩.

حــق الجليس

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق الجليس: فأن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت، وتقصد في اللفظ الى إفهامه إذا لفظت، وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلاَّ بإذنه، ولا قوة إلا بالله».

تنظيم العلاقات

سماحة الشيخ، لماذا التفت الإمام عليه السلام الى ناحية المجالسة وجعل لها نظاماً وقانوناً؟

وضع الإمام زين العابدين عليه السلام رسالة الحقوق على أساس ما يحيط بالإنسان من مفردات العلاقات اليومية الضرورية والطبيعية، والتي تميَّزت بالشمولية في دوائر العلاقات الثلاث مع الله والنفس وبني البشر، وبما أنَّ العلاقات الاجتماعية محور الاجتماع

الإنساني فقد شملت حيزاً واسعاً من هذه الرسالة الغنية. ويأتي حق الجليس كتعبير عمَّا أولاه الإمام عليه السلام من اهتمام للصِّلات اليومية المباشرة التي تشمل لقاءات التزاور بين الأفراد والأرحام والجيران والأصدقاء، والتخاطب في المعمل والمدرسة والمتجر، وما يجري من معاملات يومية بين الناس.

وقد تفوَّق الإسلام في شرح تفاصيل وجزئيات أدب العلاقة مع الآخرين، حيث وردت آيات وروايات كثيرة تعرضت لهذه المفردة الهامة، ما يساعد على تحديد طريقة التعاطي والتخاطب بين الناس في سياق توجهات مترابطة تشكِّل أدباً خاصاً، وتُعين المخاطَبين على حسن التعاطي مع بعضهم البعض. فإمَّا أن تتحول المجالسة إلى مجال للنزاع والصراع والحديث الفاحش واللهو والفساد، وإمَّا أن تؤدي إلى أخوَّة ومصاحبة ومحبة ونفع وفائدة، والذي يساعد على إحدى النتيجتين هو السلوك المعتمد وأسس المجالسة والمخاطبة في المجلس الواحد. وهذا ما ركَّز عليه الإمام السجاد عليه السلام ليكون المجلس مجالاً للفائدة وحسن العلاقة مع الآخرين.

أسس المجالسة

قال الإمام عليه السلام: «وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت»، سماحة الشيخ، لنبدأ بتفصيل هذه الأمور، ماذا يريد الإمام منّا؟ وما هو القانون الذي يريدنا أن نسير عليه؟.

أوجز الإمام عليه السلام عدة أسس في المجالسة فبدأها بأساس يتعلق بطبيعة الجلسة منذ بدايتها، لأنَّ الانطباع الأولي ينعكس على واقع الجلسة، سواء ما يتعلق بطريقة الجلوس أو النظرات وأسلوب التخاطب، فقال: «وأمَّا حق الجليس فأن تلين له كنفك» والمقصود من الكنف الحضن، وذلك بأن تُشعره باللين والحنو والمودَّة، «وتطيب له جانبك» بحيث يشعر بالاستئناس في جلسته معك، «وتنصفه في مجاراة اللفظ» فتستخدم الكلمات اللائقة التي تنصف جليسك، فلا تكون جارحة أو مؤذية أو غير مراعية لخصوصياته وما يأمله منك، وتترك له مجال التعبير عمَّا يجول في خاطره، فتكون بذلك مجارياً له في حديث متبادل بينكما.

«ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت»، أي لا تحدِّق بعينيك لتراقب تفاصيل حركة جليسك أو أكله أو طريقة لباسه، كي لا تقيِّده أو تربكه، فلتكن نظرتك إليه عادية وطبيعية، مهما كانت الانطباعات والملاحظات التي ارتسمت في ذهنك، إذ لا داعي لتثبيتها والتأكد منها طالما أن الهدف يرتبط بالمجالسة وليس بالمراقبة.

«وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت»، فالمقصود من المخاطبة الإفهام، ولا ينسجم هذا التوجيه مع ما يفعله البعض ممن يدَّعي الثقافة وسعة الإطلاع، عندما يستخدم المصطلحات والعبارات التي لا تتلاءم مع المجلس الذي يجلسونه، وكأنهم يقصدون الهيمنة على جُلسائهم وعدم إفهامهم، لإعطاء الانطباع حول المستوى

الثقافي الرفيع الذي يتميزون به. وفاتهم أنَّ لكل مقام مقال، والأعلم مَنْ يتمكَّن من مخاطبة الناس على قدر استيعابهم، فعن الرسول محمد صلى الله عليه وآله: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم**»(١). وعليك أن تفسح في المجال للاستفسار والتوضيح، فمن آداب المجالسة أن تتحدث بحديث يفهمه جلساؤك.

«وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار» **لأنَّ** زيارتك له مرتبطة بالأهداف التي رسمتها لها، فإذا حققتها غادرت.

ويختلف الأمر عند انتهاء الزيارة بين ان تكون زائراً أو مُستقبلاً. فإذا كنت زائراً، فتوقيت المغادرة يعود إليك بعد أن تقضي حاجتك من هذه الزيارة وتحقِّق أهدافها، فالخيار لك، «وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار». وإذا كنت مُستقبلاً، فعليك ترك المجال لزائرك ليحدد وقت مغادرته، لأنَّه قَصَدك ويعلم مقدار حاجته من مجالستك. لكن تطول الجلسة في بعض الحالات، وتشعر بالحرج من جليسك، إمَّا لأن الموضوع قد استنفد المطلوب منه وقد حققت الجلسة أهدافها، وإمَّا لارتباطك بمواعيد أو نشاطات لا تسمح لك بالإطالة في الجلسة، فمن آداب المجلس أن تستأذن من جليسك بلباقة كي يكون إنهاء اللقاء طبيعياً ومنسجماً مع احترام خصوصيته، وفي هذا يقول الإمام السجاد عليه السلام: «وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلاَّ بإذنه».

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٢٣./ البرقي، المحاسن، ج١، ص:١٩٥.

إننا بحاجة إلى تقدير أوضاع بعضنا البعض، وأن نتعاطى ببساطة وواقعية لمراعاتها، فبما أن المجلس يتقوَّم بالطرفين، وقد يكون أحدهما مستأنساً ومرتاحاً لزيارة صديقه أو قريبه أو أي فرد آخر، لكنَّ ظروف الطرف الآخر لا تسمح بالإطالة، فلا بدَّ من التعاطي بيسر مع تضارب الظروف، وعلى كل منهما أن يتقبَّل خصوصيات الطرف الآخر واعتذاره بسبب الانشغال أو الخصوصيات الدافعة لذلك، من دون ترتيب أثر سلبي على هذا الموقف، على أن يتم التعبير عنه بالأسلوب اللائق والمناسب من الطرفين.

الاستئذان

ما رأيك بالزيارات المفاجئة؟ وهل يقتضي أدب المجالسة قبولها على كل حال؟

ليست ظروف الناس متشابهة، فالبعض يجلس في بيته فترة طويلة، وهو مستعد لاستقبال الزائرين في أي وقت، فقد اعتاد على هذا النمط من الحياة، بل ينزعج عندما لا يزوره الناس، وربما كان عمله يساعده على هذا النمط من التزاور، أو كانت حياته وخصوصياته مبنية على تقبُّل الزيارات المفاجئة من دون أن تنعكس سلباً على عمله ونشاطاته.

أمَّا البعض الآخر فلا يستطيع استقبال الزائرين من دون موعد مسبق، وسواء أكان السبب موقعه ومسؤولياته التي تجعل وقته

مضغوطاً، أو كان عمله مضنياً وشاقاً بحيث تكون فترة استراحته وحضوره بين أهل بيته محدودة، أو كان تنظيم حياته يتطلب توزيعاً خاصاً لأوقاته ونشاطاته، فإنَّ من حقه أن يأخذ علماً مسبقاً بالزيارة لتكون مبنية على اتفاق ملائم للطرفين. ومع تقدم وسائل الاتصال فإنَّ بالإمكان التواصل هاتفياً أو بأي وسيلة أخرى للإشعار بالرغبة في الزيارة، وهذا أمر عادي يتلاءم مع ضغوطات الحياة المدنية الحديثة التي عقَّدت متطلبات الإنسان، وجعلته منهمكاً في ظروفه المعيشية الخاصة أو في شبكة واسعة من العلاقات المتشعِّبة التي يصعُب إنجاز القيام بمستلزماتها إلاَّ بتنظيم الوقت وتوزيعه بحسب الأولويات.

وقد وجهنا القرآن الكريم إلى الاستئذان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]. فالاستئذان تمهيد لدخول البيوت، وعند إعراب صاحب المنزل عن عدم الاستعداد للقاء بسبب ظروفه، وطلبه الرجوع لاختيار وقت آخر، فعليكم الرجوع بشكل طبيعي فهو أزكى لكم.

وهل تهدف الزيارة غير التواصل والاستئناس أو تلبية بعض

(١) سورة النور، الآيتان: ٢٧ و٢٨.

الحاجات؟ إذاً يمكن تأجيلها واختيار الوقت المناسب، فإذا تحولَّت إلى عبء خرجت عن أهدافها وفقدت معناها. قد يكون التوقيت غير ملائم بسبب وقت الصلاة، أو الراحة، أو بعض الأعمال الخاصة، أو وجود زائر له موضوعاته ومطالبه، أو نشوء مشكلة عائلية تتطلب حلاً قبل استقبال الزائرين، وفي مطلق الأحوال ليس لأحد أن يتدخل في خصوصيات غيره، أو أن يطلب التبريرات والحجج، فالعلاقة الاجتماعية المبنية على التساهل والتسامح أمتن وأفضل من تلك المبنية على التعقيدات وحساب الاحتمالات السلبية.

بعضهم يطرق باب جاره أو قريبه فجأة، أو يأتيه في وقت غير ملائم، أو يأتيه في وقت يكون فيه غائباً عن البيت، فلا يسمع جواباً، ويصرُّ على طرق الباب مراراً وتكراراً، ويضع أذنه على الباب ليسترق السمع كي يطمئن من خلو البيت من ساكنيه، ثم يسمع حركة ما، قد تكون لهرة أو لبابٍ دفعه الهواء فأحدث صوتاً، فتبدأ حساباته وتأويلاته، ويحكم على أصحاب البيت بعدم احترامه، مع أنَّه لم يتأكد من وجودهم وإنما احتمل ذلك، بل لو كان أحدهم في المنزل ولا يستطيع استقباله، إمَّا لأنَّ المرأة وحدها، أو كان الرجل مريضاً، أو عنده مسألة خاصة يخشى إطلاع أحد عليها، أو أي سبب من الأسباب، فلا داعي للتصرف بهذه الطريقة، لأنَّ الاستئذان أدب إسلامي مطلوب، بل الرجوع بعد الاعتذار جزء من هذه اللياقات الاجتماعية النبيلة، والأهم من ذلك

أن نتربى على احترام خصوصيات وظروف الآخرين لتكون العلاقات الاجتماعية مبنية على أسس سليمة.

آداب الحديث

سماحة الشيخ، ما هي أبرز آداب الحديث بين الجليسين؟

من نافل القول ضرورة إفهام الطرف الآخر المقصود من الحديث، فكما قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت»، وإلاَّ انتفت الفائدة من المحاورة.

وعلى المتجالسين إفساح المجال أمام بعضهما ليعبِّر كل منهما عن فكرته ووجهة نظره، لا كما يحصل في بعض المجالس حيث يتسلَّط أحد الحاضرين على الجلسة، وينتقل من فكرة إلى أخرى، ومن حديث إلى آخر، من دون ترك المجال للآخرين ليبدوا وجهة نظرهم، وكأن قدر الحاضرين أن يخضعوا لرغبته في الكلام المستوعب للجلسة بأكملها، بل يحاول إسكات من يرغب بالرد أو الحديث وذلك بأسلوبه المهيمن أو صوته المرتفع، وهذا الاشكال لا ينطبق فيما لو كان المتحدث أهلاً لذلك، أو كانت طبيعة الجلسة تتطلَّب أن يتصدَّرها أحدهم.

وتكتسب الجلسة أهميتها بمضمونها الثقافي أو الاجتماعي أو التربوي، ما يؤكد على أهمية الخط العام لحديث المتجالسين، الذي يجب مراعاته والاهتمام به، فحين يتحول الحديث إلى إساءة

للعقيدة أو تشويش لمضمونها أو استهانة بأهدافها، يفقد اللقاء فوائده المرجوّة بل ينعكس سلباً على أجواء اللقاء، ولذا وجهنا جلّ جلاله في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. إنَّها حماية للجليس الذي يفتقر لقدرة الدفاع لضعف ثقافته، أو حماية له من التشويش بحوار يتضمن الإساءة للتعاليم السماوية، وليس الموقف مبنياً على رفض الحوار، وإنما هو رفض لحوار غير متكافئ أو مرتكز على الإساءة كهدف وحيد للجلسة.

أمَّا إذا كان الحديث مفيداً ونافعاً، فالجلساء يكسبون الأجر عند الله تعالى، مضافاً إلى ما يحققونه من مكاسب دنيوية كثمرة لأحاديثهم. فعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال لفضيل: «**تجلسون وتتحدثون؟**

قال: نعم، جُعلت فداك.

قال: إن تلك المجالس أُحبها، فأحيوا أمرنا، يا فضيل رحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر»[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٢) ابن إدريس الحلي، السرائر، ج٣، ص:٦٢٦.

وقد تتميز المجالس بخصوصيات تجري فيها، فالمجالس بالأمانات، ولا يحق للجليس أن يكشف مضمونها أمام الآخرين، فقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: «**المجالس بالأمانة إلاَّ ثلاثة مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام، ومجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله. إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره**»[1]. فحديث المتجالسين أمانة مشتركة يتحملان مسؤولية حملها وحفظها بحدود ما يتفقان عليه.

المجالس المُستنكرة

كأني فهمت من الإجابة وجود مجالس مستنكرة ولا يجوز انعقادها، فهل هذا صحيح؟

يؤثر المجلس على روَّاده، ويخرج كل واحد منهم حاملاً لأثر ثقافي أو تربوي أو نفسي أو روحي، فلننظر إلى المضمون النافع الذي يحدد طبيعة المجلس إذا أردناه إيجابياً، وإلاَّ فعدم انعقاده أفضل إذا برزت منطلقاته السلبية.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «**لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره**»[2]، لأن بقاءه في المجلس من

---

(١) التحفة السنية للسيد عبد الله الجزائري، ص: ٣٢٣./ وورد نص الحديث في آخره ما يخاف بدل ما يكره، في الجامع الصغير للسيوطي، ج١، ص: ٣٩٤./ والمتقي الهندي، كنز العمال، ج٩، ص: ١٤٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٣٧٤.

غير فعَّالية مشاركةٌ في المعاصي والمنكرات، وتحمُّل للتبعات والنتائج كشاهد صامت، أمَّا إذا استطاع التغيير فوجوده نهي عن المنكر بالحد الأدنى، وربما حقَّق فوائد ومنافع أخرى للجالسين.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسب فيه إمام،أو يُغتاب فيه مسلم، إن الله تبارك وتعالى يقول:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ. .﴾»[1].

فالبديل المناسب هي مجالس الورع والحكمة التي تؤدي إلى صلاح الجالسين في دنياهم وآخرتهم، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**جالس أهل الورع والحكمة وأَكثِر مناقشتهم، فإنَّك إن كنت جاهلاً علَّموك، وإن كنت عالماً ازددت علماً**»[2].

وقد احتاط الإسلام من مجالسة بعض الأفراد لخصوصية في واقعهم بصرف النظر عن تفاصيل أحاديثهم، لأنَّ شخصياتهم قد انطبعت بمضمون وسلوك إجمالي ينعكس سلباً على الطرف الآخر المقابل بمجرد الجلوس معهم، وأبرز نموذج من هؤلاء: الغني المترف، الذي يجعله غناه مغروراً بطراً ويحمل نفسية استعلائية مريضة، فإذا جلس إليه الطرف المقابل انقبض وتأثرت روحيته من الإغراق في الحديث عن الزينة وملذات الدنيا. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص:٢٦٦.
(٢) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٢٢٣.

عند حديثه عن الأربعة التي تميت القلب منها: «**ومجالسة الموتى، فقيل له يا رسول الله، وما الموتى؟ قال: كل غني مترف**»[١].

وأشار الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له إلى أهمية مضمون المجالس بتوجيه تربوي مؤثر، حيث اعتبر أُلفة مجالس المنكر عقوبة تُخرج من رحمة الله، وعدم ارتياد مجالس العلماء خذلاناً وخسارة، فقال: «**أو لعلَّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني! أو لعلَّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني! أو لعلَّك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خلَّيتني!**»[٢].

رياض الجنة

وهذا يعني التشجيع على مجالس معينة، فهل لنا بمعرفة مواصفاتها؟

إنَّ المجلس بمضمونه الذي يرتبط بنوعية الجالسين والموضوعات التي يطرحونها، فالاختيار السليم يشمل الاهتمام بالأمرين معاً. ونلاحظ من التجارب العملية كيف يخرج المرء من بعض اللقاءات سعيداً متشوقاً للعودة إليها ما ينعكس راحة نفسية تظهر على قسمات وجهه وتعابيره، وكيف يتنفس الصعداء عند مغادرة مجلس أحدث له انقباضاً نفسياً ويتمنى أن لا يعود إليه ولا

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٢٢٨. وفي رواية أخرى «كل غني قد أبطره غناه»، في الدر المنثور للسيوطي، ج٦، ص:٣٢٦. وأسد الغابة لابن الأثير، ج٥، ص:٢٩٠.
(٢) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام، من دعاء أبي حمزة الثمالي، ص:٢٢٢.

يرى من فيه مجدداً، ويبقى لفترة من الزمن متأثراً ومنزعجاً مما تعرَّض له في هذا المجلس.

ما أجمل مجالس ذكر الله تعالى، تهدأ فيها النفوس، وتمتلئ حباً لله تعالى، وتستنير من هدي الرسالة السماوية المقدسة، وتستعيد سلامة الفطرة الإنسانية الخيِّرة.

ما أجمل مجالس المجاهدين في سبيل الله تعالى، يحدثونك عن ركوعهم وسجودهم وتوكلهم على الله تعالى، وتشعر بسمو أرواحهم في مواجهة التحديات قربة إلى الله تعالى، ويقوُّون عزيمتك بشجاعتهم واطمئنانهم، وينقلوك إلى عالم العطاء والتضحيات بعيداً عن الملذات المكبَّلة بأمراض الدنيا المادية والمعنوية.

ما أجمل مجالس الأخوة والصحبة والأرحام لتعزيز الصِّلات البشرية، وإظهار السمو الإنساني، وإعطاء المعنى العميق لحياة الإنسان مع إخوانه وأحبته، وتحقيق الراحة في تأمين التفاعل الضروري بين أفراد المجتمع الواحد.

روي عن رسول اللهﷺ، أنَّه خرج على أصحابه فقال: «**ارتعوا في رياض الجنة.**

قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟

قال: مجالس الذكر»[1].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٧، ص:٢٣١./ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص:١١٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«قال الحواريون لعيسى: يا روح الله، من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيتُه، ويزيدَ في علمكم منطقُه، ويرغِّبكم في الآخرة عملُه»**[1].

تصدُّر المجالس

ما رأيكم في تصدِّي صاحب الرأي في المجتمع للحديث في الجلسة؟

عندما يتواجد في مجلس واحد عدد من الأفراد بينهم عالم أو مثقف أو مطَّلع أو محدِّث أو صاحب رأي، فإنَّ من المفيد إفساح المجال له للكلام والإنصات إليه، لأنَّ في كلامه نفعاً للحاضرين واستفادة من مخزونه العلمي والثقافي، ومن الطبيعي أن تتجه الأنظار إليه، وأن يتصدر المجلس. فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إنَّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق»**. وقال: **«لا يجلس في صدر المجلس إلاَّ رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق»**[2].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٣٩./الدر المنثور للسيوطي، ج٢، ص:٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص:١٩.

ففي مثل هذا المجلس غنى وتفاعل، لأن العالم المتصدي يعطي من علمه ويزيد من ثقافة الجالسين، ويجيب على أسئلتهم فيزيل حيرتهم، ويحاورهم فيبصِّرهم طريق الهداية، ويعرض لفكرته بطريقة تعلِّم أدب الحوار، ويتصرَّف بأخلاقية تصلح للاقتداء. وقد تكون النتيجة أقل من هذا لضعف إمكانية المتصدي، لكنَّ جزءاً من إيجابيات المجلس تتحقق.

وهذا ينطبق بنسبة ما على جو العائلة وتصدي كبيرها لمجلسها، شرط أن يلتزم بقواعد التصدي، فلا يعتمد على كبر سنِّه ليصنِّف نفسه بأنَّه أفهم الحاضرين، وعلى الظروف التي جعلته عميداً للعائلة فيعتدَّ برأيه ويرفض نقاش الآخرين له. فالمتصدي يحمل مواصفات أجملها أمير المؤمنين عليه السلام بالخصال الثلاث التي تساعده على الانتفاع بموقعه والتأثير من خلاله.

فالمراهنة في الفهم الإسلامي على المضمون لا على الظاهر وصاحب الرأي من أثبت رجحان رأيه عملياً، والأب القادر على حسن إدارة أسرته من تمكَّن من توفير المقومات اللازمة لذلك، والقائد الملهم من أثبت جدارة بين الرعية في قيادتهم وتعامله معهم، والمثقف المؤثر من اختزن معرفة واسعة قادرة على الإقناع بالدليل والبرهان.

أمَّا إذا تصدى الجاهل في أي موقع من المواقع، واستحوذ على الحديث بحضور من هم أكثر أهلية منه، فسيقع في أخطاء

ومغالطات كثيرة، وستنكشف قدراته وعيوبه، وسيتحول المجلس إلى مجلس من دون فائدة، عدا عمَّا يسببه ذلك من إهانة للحاضرين، فعلى الجليس أن يلتفت إلى موقعه بين الجالسين، وأن يُحسن تقييم نفسه، ليحدَّد تصدِّيه للمجلس أو استماعه واستفادته من المتصدي له.

آداب الاستماع

هل يمكننا الاستفادة من بعض التوجيهات لآداب الاستماع؟

عند الحديث عن آداب الاستماع أثناء المجالسة فهذا يعني حصرها فيما لو وجد في المجلس عالم أو مفوَّه فكل لقاء بين اثنين أو أكثر لأي قضية من القضايا يشكِّل مجلساً، ولهذا المجلس آداب أبرزها أدب الاستماع الذي يتطَّلب توجيهاً واهتماماً لمصلحة الجالسين.

يجب أن يترك المستمعُ المتكلمَ يُنهي كلامه ويُعبِّر عن فكرته من دون مقاطعة.

فإذا تكلَّم أحد الجالسين أنصت الآخرون كي لا تعمَّ الفوضى مجلسهم.

فإذا رغب أحدهم بالرد أو التعليق قبل انتهاء المتحدث فليرسل إشارة لبقة برغبته بذلك، ليكون تدخُّله في الحديث مناسباً وبإذن المتحدث، ولا تليق المقاطعة عند إصرار المتحدث على المتابعة.

وفي حال رغبة المستمع بتغيير الموضوع لعدم استفادته منه، أو عدم ملاءمته لطبيعة الجلسة، أو غموضه بالنسبة إليه، أو إشكالية الاستغابة فيه، فليشر إلى المتكلم بضرورة تغيير موضوعه، ومن المفيد تبيان الغرض من ذلك، خاصة إذا كان دفعاً للغيبة.

وكم نحن بحاجة إلى اختيار الأسئلة المناسبة لكل مجلس من أجل إثارة موضوعات البحث فيه، وتحويله إلى مجلس مفيد ونافع، ولتكن الأسئلة غير مؤذية للمستمعين الحاضرين، بحيث تكون ملائمة لهم ولمستوياتهم من ناحية، ولا تستفزهم بالإشارة إلى جهلهم ومحاولة إحراجهم.

إنَّ مشكلة بعض المجالس في عدم إتقان فن وأدب الاستماع، بحيث يتكلم الجميع دفعة واحدة وعلى الجميع أن يسمع دفعة واحدة، فتعلو الأصوات لتهيمن على بعضهما البعض وتفرض أحقيتها في الكلام، وتضيع المضامين بين الصراخ ومحاولة البعض الهيمنة على المجلس.

مراعاة الوقت

هل هناك وقت مخصَّص لأي لقاء أو مجلس؟

يختلف اللقاء أو المجلس باختلاف أهدافه، ويكون الوقت المطلوب مرتبطاً بتحقيق هذه الأهداف، وقد تحتاج بعض اللقاءات إلى التكرار والتواصل، وقد تنجز بعض اللقاءات ما هو مطلوب

منها خلال جلسة واحدة، كما أن بعض اللقاءات تُنجز بدقائق وبعضها الآخر يحتاج إلى ساعات.

لكنَّ القاعدة العامة هي أن اللقاءات الطويلة مرهقة مهما كانت ضرورتها، وتخسر الكثير من فعاليتها بسبب تعب الحاضرين فيها عندما تكون ممتدة في أغلب ساعات الليل أو النهار. ولعلَّ من المفيد في مثل هذه الحالات التحضير الجيد لهذه اللقاءات بتوفير مقدماتها، كإطلاع الحاضرين على جدول أعمال اللقاء مسبقاً ليستعدوا جيداً له، وتوفير بعض الدراسات والمستندات التي توضح الفكرة بتمامها وكمالها، وتحديد سقفٍ لوقت اللقاء لإنجاز قسم من برنامجه وتأجيل القسم الآخر للقاءات أخرى، واختصار التعبير عن الرأي بما يفيد البحث المطروح بتجنب الاستطراد المخل والممل، والحرص على عدم التكرار المطول لفكرة طُرحت بل الاكتفاء بتأييدها بما يوفر وقت الحاضرين، وهكذا يترتب على المعنيين عن تهيئة اللقاء وتنظيمه، أن يدرسوا خطواتهم جيداً، ويوفروا له أسباب النجاح، بالوقت الأقل، والحوار الأجدى، والمعطيات الأدق، والنتائج الأمثل.

أمَّا الزيارات الاجتماعية وتواصل الأرحام مع بعضهم البعض، فالمعيار فيها وقت الطرفين ورغبتهما بتطويل فترة اللقاء أو تقصيرها، لكن علينا الالتفات دائماً إلى الطرف الآخر ورغبته وقدرته على تحمُّل الزيارة الطويلة، كما ترتب علينا تنظيم برنامج

الأولويات بما يساعدنا على القيام بواجباتنا الاجتماعية، فلا يكون الوقت الطويل المهدور من دون فائدة في زيارة ما على حساب أمور واجبة أو ضرورية.

وقد ذكر الإسلام مجموعة من التوجيهات لبعض الزيارات التي يُكتفى فيها بالحد الأدنى والأقصر من الوقت نظراً لظروف الشخص المقصود، منها عيادة المريض الذي لا يتحمل الإطالة عنده مع أنَّه يفرح ويستأنس بمن يتفقده، فعن رسول الله ﷺ: **«أعظم العيادة أجراً أخفُّها»**[1]، لكن إذا طلب المريض الإطالة فمن المفيد الاستجابة لرغبته، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إنَّ من أعظم العُوَّاد أجراً عند الله، لَمَنْ إذا عاد أخاه خفَّف الجلوس، إلاَّ أن يكون المريض يحب ذلك، ويريدُه، ويسألُه ذلك»**[2]. ومنها مشاركة أهل العزاء بمصابهم بما يشعرهم بالمشاركة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«كفاك من التعزية بأن يراك صاحب المصيبة»**[3].

فالمهم أن نراعي أهمية الوقت فنحن محاسبون عليه، وأن نلتفت إلى ظروف من نزوره فربما قضى حاجتنا بأقل وقت ممكن، وعلينا احترام خصوصياته ومشاغله.

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٩، ص:٩٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٣، ص:١١٨.
(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١ص١٧٤.

مجالسة العلماء

ما رأيكم بالاهتمام الذي يوليه البعض في زيارة العلماء والكبار وخاصة ولي أمر المسلمين؟

إنَّ مجالسة العلماء تحتوي على فوائد كثيرة علمية وروحية وأخلاقية وغيرها، فتكون الزيارة لمقاماتهم الشريفة سبباً لمنافع كثيرة يصعب تحقيقها من دونهم، ولعلَّ توجيهاً ما يؤسس لخطوات مهمة في حياة الإنسان، خاصة عندما يكون العالم مطَّلعاً على أوضاع وظروف من يوجهه بالإجمال. فإذا كانت مواصفاتهم عظيمة كما ذكر القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[(١)]، وقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[(٢)]، فإنَّ جليسهم يكسب من علمهم وخشوعهم لله تعالى، ويأخذ شحنة روحية دافعة من شخصياتهم الربَّانية الرسالية.

وقد شجع الإسلام على مجالستهم، واعتبر أنَّ «**النظر إلى وجه العالم عبادة**»[(٣)]، كما جاء في الحديث النبوي الشريف، لأنَّ النظر إليهم يذكِّر بالطاعة والاستقامة، ويترك آثاراً نفسية ومعنوية في الناظر إليهم، ويحقق الكثير من البركات والخيرات التي نجهلها ولكننا نشعر بآثارها. فكيف إذا كان اللقاء مع ولي أمر المسلمين وقائد الأمة الإسلامية؟ كيف إذا كان اللقاء مع الإمام الخميني(قده)

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص:٢٠٥.

أو مع السيد القائد الخامنئي(حفظه الله ورعاه)؟ إنها تذكرة للمتقين الذين يتمنون لقاء رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ. ليست القداسة مفتعلة لمثل هؤلاء العلماء والقادة، وإنَّما هي متمثلة في علمهم وتعاليمهم وسلوكهم، وهي غير موجَّهة بطريقة فوقية لأنَّها نتاج طبيعي للاستقامة والعظمة التي دعا إليها الإسلام، وبسبب ارتباطهم بما أوصلهم إلى المقام الإلهي الرفيع، فمن الطبيعي أن ينتفع الجالسون معهم منافع شتَّى.

صفات الجليس واحدة

هل تختلف آداب المجالسة بين مجلس وآخر وبين شخص وآخر؟

آداب المجالسة واحدة في صفات الجليس، من حسن الخلق والانصات وأدب الحوار ولين الجانب وكل المواصفات الأخرى التي تجسِّد مضمون قول الإمام زين العابدين ﷺ في حق الجليس. فلا يكون الجليس امرء سوء مع جماعة وامرء خير مع جماعة أخرى، ولا يكون الجليس لائقاً مع شخص معين ويفتقر إلى اللياقة مع شخص آخر، ولا يميز بين جلسته بين المستضعفين والأغنياء، أو بين أصحاب المواقع وعامة الناس. وعلى الرغم من الفوارق الاجتماعية التي تتطلب بعض التمايز المحدود في الانصات الأكثر عند الجلوس إلى العالم، وفي رفع الكلفة عند الجلوس إلى صديق، وفي التحفظ بالكلام عند الخوف من شخص غريب

ومجهول للجالس، فإنَّ الصفات العامة الإجمالية للجليس واحدة من حيث سياقها وانعكاساتها.

ومهما اختلف المجلس، فإن سنخيته هي التي تختلف، بين مجلس زيارة أو مجلس تجارة أو مجلس تعارف أو مجلس علم، لكنَّ الشخصية المستقرة التي تعطي الانطباعات الكامنة في داخلها لا تتغير، ولا علاقة للأدب الإنساني بمضمون الجلسة، فإذا كان مضمونها تجارياً يمكن الحديث فيها عن التجارة بآدابها الإسلامية، ويبرز سلوك الجليس منسجماً مع آداب الجليس، وإذا كان مضمونها صلة رحم يتحقق هذا الأمر باللقاء وتبقى آداب الجليس حاضرة، وهكذا تبرز الآداب الإسلامية في كل المواقع وفي كل الظروف، من دون أن تتبدَّل شخصية ومضمون الإنسان المؤمن، وإن تبدَّلت الموضوعات المبحوثة ومقوِّمات التكامل معها.

التلفاز والمجالسة

سماحة الشيخ، أصبح التلفزيون اليوم أحد الجليسين، فما هي نصيحتكم في هذا المجال؟

استحوذ التلفزيون على الغالبية العظمى من الناس، فأصبح مجالاً لتسلية تمتد لساعات وساعات يومياً، ما جعل الكثير من الناس يتسمَّرون أمام التلفاز ويهملون واجباتهم المدرسية والاجتماعية والتربوية، فالجلوس في المنزل أمام شاشة الإطلالة

على العالم مع عشرات القنوات الفضائية المنوَّعة مؤنس وقليل المؤونة ومتنوع اللذائذ والرغبات، لكنَّ نتائجه مرَّة ومضرَّة.

لا مانع من الاستفادة من التلفاز، واختيار بعض البرامج منه، ولا مانع من تمضية وقت محدود كجزء من الوقت المقسَّم على اهتمامات الإنسان، لكنَّ الخطر هو الاستسلام لتوجيه محطات التلفزة للمشاهدين وفق أهدافها، والوقوع في فخ الإباحية والانحراف وعالم الجريمة والتعبئة الخاطئة والأفكار المنحرفة، والتسليم لهذه الشاشة بأن تتحكم بمشاعر وتفكير المشاهد الملتزم بها، عدا عن تعطيل القدرة البحثية وتطوير المهارات الذاتية التي يجب أن يسعى الإنسان إليها بدل أن يكون متلقياً من غير اختيار لما يتلقَّاه.

لا مانع من اعتبار التلفاز وسيلة استفادة وتسلية واطِّلاع بشكل محدود، لكنَّ علينا أن لا ننسى واجباتنا الاجتماعية وصلة أرحامنا وتعزيز علاقاتنا وصداقاتنا والاستفادة من مجالس العلم والعلماء. ولا يمكن تعويض الفوائد المحقَّقة من الحوار والتداول أثناء المجالسة بانصراف الحاضرين في مجلس واحد إلى الشاشة الصغيرة وكأنَّهم على موعد مع فيلم سينمائي وليسوا على موعد مع بعضهم البعض.

إنَّ تطور وسائل الاتصال اليوم مع الشاشة الصغيرة سواء أكانت عبر التلفاز أو الكمبيوتر أو الإنترنت يشكِّل مرضاً معاصراً

بدأ الأطباء بالحديث عن أمراضه الخطيرة، كالإدمان على التلفاز والإدمان على الإنترنت وغير ذلك، ما يعطي فكرة عن مرض حقيقي له أعراضه ونتائجه ويتطلب علاجاً مدروساً قبل فوات الآوان، ولعلَّ العودة إلى المجالسة بمضامينها المختلفة وتحديد وقت محدد مخصص للشاشة يُحدث توازناً ملائماً لشخصية إنسانية أفضل.

حــق الجــار

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حقُّ الجار، فحفظُه غائباً، وكرامتُه شاهداً، ونصرتُه ومعونتُه في الحالين جميعاً. لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوأة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلُّف، كُنتَ لما علمتَ حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثتْ الأسنةُ عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه. لا تستمع عليه من حيث لا يعلم. لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة. تُقيل عثرته وتغفر زلَّته. ولا تدَّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له. تردُّ عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيدَ حامل النصيحة، وتعاشرُه معاشرةً كريمةً، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله».

تعريف الجار

سماحة الشيخ، السؤال الأول من هو الجـار؟

الجار هو الشخص الذي يسكن في الجوار، سواء أكان قريباً من

حيث الصلة الرحمية، أو كان من اتباع الديانة نفسها، أو كان من أتباع الرسالات السماوية الأخرى، أو غير ذلك، فلا علاقة لمعتقداته وآرائه بانطباق عنوان الجار عليه. ولا يُصنَّف على أساس المعرفة القديمة به، أو المعرفة الحديثة الناشئة عن السكن في الجوار.

لكن لعامل القرب والبعد عن مكان السكن أهمية واضحة لتحديد الجار، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما سئل عن حد الجوار، قال: «**أربعون داراً**»[1]. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**حريم المسجد أربعون ذراعاً، والجوار أربعون داراً من أربعة جوانب**»[2].

وقد أشار القرآن الكريم بالإجمال إلى قسمي الجوار: الجار القريب والجار البعيد، عندما أمر بالإحسان إلى أصناف من الناس ومنهم الجار بقسميه، فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[3].

النصرة والمعونة

لنبدأ مع رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال: «وأمَّا حقُّ الجار، فحفظُه غائباً، وكرامتُه شاهداً، ونصرتُه ومعونتُه في الحالين معاً»، فكيف نفهم هذا الموقف من الجار؟

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص:٢٧٦.

(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص:٣٣٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

يغيب الجار عن منزله قاصداً عمله أو زيارة أرحامه وأصدقائه أو مسافراً لفترة من الزمن، فحقه أن يكون محفوظاً من جيرانه عند غيابه، وذلك بحفظ بيته وماله وخصوصياته وأسراره، وحفظ غيبته في المجالس التي تنعقد بين الجيران والأصحاب.

أمّا في حالة حضوره فله الاحترام وحسن المعاملة ولطافة الملاقاة، وهذه هي آداب الإسلام العامة في العلاقة مع الناس، وهي آكد في العلاقة مع الجار، لأنَّها تعبِّر عن رعاية كرامة الجار لجاره. فالكرامة مسألة معنوية تترجمها مفردات السلوك وأخلاقية التعامل بين الجيران، فالكلمة الجارحة تخدش عنفوان الإنسان، وعبوس الوجه يزعج عند الملاقاة، وعدم الاكتراث يؤذي مع تكرار الاحتكاك اليومي، وعدم المساعدة يؤلم عند التعرض لأزمات ومشاكل من دون مساندة الجار.

فالقاعدة في التعاطي مع الجار نصرته ومعونته في حالتي الحضور والغياب، بالوقوف إلى جانبه في حالة الحضور، وبالذود والدفاع عنه وعن أملاكه وعياله في حالة الغياب. وكذلك في كل أحواله، سواء أكان ظالماً أو مظلوماً، فإذا كان مظلوماً وقف جاره إلى جانبه لدفع المظلومية عنه، وأعانه في مواجهة الظالمين، وأعاد الحق له، ودفع البلاء عنه، وإذا كان ظالماً نصحه وأرشده وذكَّره بالآخرة، ومنعه من التمادي والتورط في ظلم أكبر. ولا تعني النصرة والمعونة مساندته في ظلمه وعدوانه والتعصب له على

الباطل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.**

قيل: يا رسول الله نصرتُه مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟

قال: تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»[1].

ستر العثرات

يتابع الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوأة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلُّف، كُنتَ لما علمتَ حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثتْ الأسنةُ عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه»، فلم هذا الاهتمام بحفظ أسرار الجار؟

لكل إنسان أسراره وعيوبه، فلا يصح من الجار تتبع عثرات جاره، وهذا بلاء كبير منتشر في مجتمعاتنا، حيث الرغبة في كشف أسرار الآخرين ومعرفة عيوبهم والإطلاع على خصوصياتهم. فإذا صدر صوت من بيت الجار ترصَّد المحيطون به مصدر الصوت وأسبابه ونتائجه، وإذا حصلت مشكلة بين الزوج وزوجته سعى البعض لمعرفة أسبابها وتناقلوها بينهم، وإذا اختلفت العائلة في داخلها بين الوالدين والأولاد انتشر خبرهم بين الجميع وانتهكت حرمتهم وحرمة أسرارهم. ويبالغ البعض بحشريته فيطالب الآخرين بتعريفه وكشف عيوب جيرانه كعربون للأخوة والصداقة، وهذا مرض اجتماعي ونفسي وأخلاقي يهدم بنيان العلاقات الاجتماعية.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص:٩٤.

وماذا ستنفعك المعلومات الخاصة بجيرانك؟ ولماذا يوقع المرء نفسه في دائرة الغيبة والبهتان فيرتكب إثماً شرعياً يحمِّله وزراً يوم القيامة؟ وما هي فائدة فضح أسرار الناس الذين يعيشون مع بعضهم البعض ويرون بعضهم يومياً؟ وهل تستقيم علاقة الجوار في إطار عدم المحافظة على أسرار وسوءات وعيوب الجيران؟

الأفضل أن لا يطَّلع الإنسان على ما لا يعنيه، فربما حلَّ المختلفون مشاكلهم، فلا نتعرف عليها ولا نعرف بحلها، فهي خارج دائرة التأثير في حياتنا وما يحقق منافعنا، بل من المفيد أن تبقى الصورة والانطباعات إيجابية عنهم وذلك حسن استمرارية الجوار والتعاون بين الجيران من دون مواقف مسبقة أو حساسيات وإشكالات وخلافات.

عليك أن لا تتبع عثرات جارك لتعرفها، فلو صادفت بعض عيوبه وعرفتها من غير إرادة وقصد منك، ومن دون بذل وتكلُّف للإطلاع والمعرفة، كنت حريصاً على سترها ستراً لا يطَّلع عليه أحد إلاَّ الله، وكأنك حصن مكين يدفع عنه كل من يتقدم إليه، ومهما حاول الآخرون وبذلوا الجهد لإثارة الموضوع على رؤوس الأشهاد، عليك أن تبقى كتوماً وحريصاً على أسرار جارك من دون بذل أي جهد للإطلاع عليها واستكشاف حقائقها وتفاصيلها.

المعاشرة الكريمة

أرجو متابعة تفسير كلام الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن حق الجار لتكتمل الصورة لدينا؟

«لا تستمع عليه من حيث لا يعلم»، فهذا تجسس محرم، وعليك أن تحفظ رغبة جارك في عدم إطلاعك على بعض أسراره، فلو أراد إطلاعك لفعل.

«لا تسلمه عند شديدة»، لأنَّه بحاجة إلى مساعدتك ومساندتك ونصرتك، فكن إلى جانبه بقدر استطاعتك، فسيترك موقفك أثراً كبيراً في نفسه بوقوفك معه عند الشدائد.

«ولا تحسده عند النعمة»، فالحسد تمنٍ لحصولك على نعمة أنعمها الله عليه بحرمانه منها، وهذه نظرة ضيقة وجاحدة، فالله هو المنعم، وكما أنعم عليه يمكن أن يُنعم عليك، فاطلب من الله أن يعطيك من دون أن تتمنى حرمانه مما أعطاه الله تعالى، فالله غني حميد، وهو مجيب الدعاء، والحسد مضر بصاحبه، وهو استبدال لطلب الخير بولوج الشر.

«تُقيل عثرته وتغفر زلَّته»، فكل بني آدم خطَّاء، لذا كن رحيماً بجارك يرحمك الله تعالى، فأقِل عثرته إذا تعثَّر وكن سنداً له في ذلك، واغفر زلته إذا أخطأ وأساء، وأعطه الفرصة ليتعظ ويعود إلى رشده، وإلاَّ لن تبقى علاقة بين اثنين إذا حاسب أحدهما الآخر وعاداه على كل خطأ يرتكبه.

«ولا تدَّخر حلمك عنه إذا جهل عليك»، فإن بإمكانك استيعابه بحلمك، ويمكن أن تخسر علاقتك معه بغضبك عليه، ولو كان مسؤولاً بسبب تصرفه الجاهل، فله عليك أن تعينه على نفسه، وأن تكون حليماً عند الغضب.

«ولا تخرج أن تكون سلماً له»، بحيث يشعر بالاطمئنان معك، لشعوره بالسلام بجانبك، في حضوره وغيابه.

«تردُّ عنه لسان الشتيمة»، فلا ترض أن يشتم بحضرتك، «وتبطل فيه كيدَ حامل النصيحة»، فلا ترضى أن تكون النصيحة سبباً للكيد والضرر والأذية، «وتعاشره معاشرة كريمة»، فتكون علاقتك معه مطبوعة بالعِشرة الحسنة، وهي خلاصة السلوك العام المأمول من الجار مع جاره.

مكانة الجار

سمعت رواية عن الرسول ﷺ بأنه ظن توريث الجار، فكيف نفهم مكانة الجار على هذا الأساس؟

بلغ اهتمام الإسلام بالجار حداً جعل النبي ﷺ يحدثنا عن ظنه بأنَّ الله تعالى سيورثه، فعنه ﷺ: «**من آذى جاره حرَّم الله عليه ريح الجنة، ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيَّع حق جاره فليس منّا، وما زال جبرائيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه**»[1].

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص:١٣./ مسند أحمد، ج٢، ص:٨٥.

إنَّ التواصل اليومي بسبب الجوار ينعكس على حياة الإنسان في مكان استقراره وسكنه، لذا يسأل بعض الناس عن طبيعة وواقع السكان في مبنى معين أو حي معين أو قرية معينة قبل أن يستأجر المنزل أو يشتريه، فإذا ارتاح لمواصفاتهم أقبل على المكان وإلاَّ بحث عن غيره.

كما نلاحظ أن البعض يتمسك بمكان سكنه على الرغم من ضيق سعته وزيادة عياله، لما تولَّد عنده من حب وعلاقة إيجابية مع جيرانه، في مقابل من يسعى لتغيير سكنه بسبب أذية جيرانه له، وخوفه على سلوك أولاده، وطبيعة الأجواء السلبية في علاقات الجيران مع بعضهم البعض.

عندما نسمع كلام الرسول صلى الله عليه وآله عن مكانة الجار، نشعر بالمسؤولية في الاهتمام ببعض التفاصيل التي تؤنس الجيران بعضهم مع بعض، وتحقق غرض الجوار الإيجابي بحسب توجيهات الإسلام. وهنا تكمن أهمية اللقاءات الدورية بين سكان المبنى الواحد، والتزاور بين الجيران، والتفقد في الأفراح والأتراح، وتقديم العون والمساعدة عند الحاجة لها، والمشاركة في الأعمال ذات النفع المشترك في المبنى الواحد أو الحي الواحد، من دون النظر إلى غلبة المنفعة الخاصة على منفعة الجماعة، والموافقة على المشاريع والأنشطة التي يرغب بها أغلب السكان من دون النظر إلى الكسب الشخصي، وعدم إيذاء الجار بالاعتداء على حقوقه أو

ممتلكاته أو الأقسام المشتركة، وعدم إزعاجه بصوت مولد الكهرباء أو باستغلال الممرات المشتركة للأغراض الشخصية.

وفي كل الأحوال لن تكون تكاليف الأعمال المشتركة كبيرة، وهي تستحق التضحية لمصلحة الجيرة، ولن تكون الخلافات البسيطة بمستوى يستحق التفريط بحسن الجوار، ولن تخدم الأنانية صاحبها عندما يستغل الظروف لمكاسب محدودة على حساب جيرانه. فلو قارنَّا ما نقدِّمه لمصلحة حسن الجوار، وما نأخذه كمكاسب شخصية تسيء إلى الجوار، لوجدنا أن ما نقدِّمه قليل جداً في مقابل نتائجه الإيجابية، وما نأخذه تافه جداً في مقابل مساوئه.

احترام وقت الآخرين

في الغرب يراعون أوقات بعضهم البعض، ويُعلمون بعضهم مسبقاً برغبتهم في اللقاء، فما رأيكم باعتماد هذا الأسلوب؟

لسنا بحاجة لننطلق من تصرف غربي في مسألة عالجها الإسلام ووضع ضوابطها بدقَّة، ولم تقتصر المعالجة على جانب من الزيارة فقط، وإنما شملت مجمل العلاقات الاجتماعية وما يحيط بها، كصلة الرحم وعلاقة الجوار والصداقة والأخوة والمشاركة في الأفراح والأحزان وغيرها، لكنَّ المشكلة في التطبيق.

لقد اعتاد البعض أن يدرس ظروفه ورغباته، وأن يختار توقيت الزيارة الذي يناسبه، إذ يعتبر التكليف مرفوعاً بين الجيران

والأصحاب، فيذهب للزيارة من دون إعلام مسبق ما يسبب حرجاً لجاره، عندما تكون ظروفه غير ملائمة، أو يكون في فترة استراحته، او كان يهيىء نفسه لموعد مسبق وزيارة اجتماعية ضرورية مع عائلته. وإذ يحاول إبراز اهتمامه بظروف جاره الذي يصادفه خارجاً من باب منزله، باستعداده للعودة في وقت آخر، لكنَّ طريقته توحي باحتمال حصول مشكلة وخلاف لو لم يستقبله ويلغي مواعيده الأخرى من أجله.

إنَّ هموم وأعباء الفرد في زماننا تتطلَّب تنظيماً دقيقاً للوقت، واحتراماً له من قبل الآخرين، وقد صرَّح القرآن بما لا لَبس فيه عن أهمية الاستئذان ومراعاة ظروف الآخرين، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[١]، وعلينا أن نتقبَّل الاعتذار عن الاستقبال بشكل طبيعي وعادي، إذ يمكننا اختيار وقت آخر يكون مناسباً للطرفين. ولا يليق إشعار الجار بقبول عذره، ثم يتم ترتيب آثار سلبية في المعاملة بسبب هذه الحادثة، فالقضية لا تستحق كل هذا التضخيم، إذ أنَّ علاقات الجوار أبسط وأسهل بكثير من هذه التعقيدات، والأصل أن تُبنى على التفاهم واليسر والاحترام، وأن يقدِّر الجار ظروف جاره.

(١) سورة النور، الآية: ٢٨.

الجيران ثلاثة

هل تختلف النظرة من جار لآخر؟ وهل للإيمان وعدمه أثر في العلاقات والحقوق المجتمعية للجار؟

إنَّ النظرة الإسلامية إلى الجوار مرتبطة بهذا العنوان الذي يشمل كل فئات المجتمع من كل الأعراق والمذاهب والآراء، ولا تتبدَّل أخلاقية المسلم في التعاطي مع الجيران بين فرد وآخر في ضرورة المحافظة على السلوك الإسلامي والآداب الشرعية، وبالتالي لا تختلف الحقوق المجتمعية العامة للجار الذي ينطبق عليه هذا التوصيف.

والحد الأدنى أن يؤمن الإنسان جاره فلا يؤذيه ولا يظلمه ولا يصيبه بشرور كتطبيق لتعاليم هذه الرسالة السماوية السمحاء، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**ليس منَّا من لم يأمن جارُه بوائِقَه**»[1]، وأن تتحقق التوجيهات التي ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام في حق الجار.

روي أن رجلاً من الأنصار أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: إني اشتريت داراً من بني فلان، وإنَّ أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شرَّه. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وسلمان وأبا ذر أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بـ: «**أنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه**»[2]، فنادوا بها ثلاثاً.

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص:٢٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:٦٦٦ (بوائقه: شروره).

وعلى العموم فحق الجار محفوظ، وقد تزيد عليه حقوق أخرى، وهذا ما نفهمه من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأن الجيران ثلاثة[١]: فجار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد.

فأمَّا الجار الذي له ثلاثة حقوق، فالجار المسلم القريب، له حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

وأمَّا الجار الذي له حقّان، فالجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام.

وأمَّا الجار الذي له حق واحد، فكل من سكن بالجوار ولا يحمل صفة الإسلام أو القرابة أو كليهما معاً.

وكما تقوى العلاقة أو تضعُف بين الناس كعلاقة شخصية تنمِّيها الزيارات والقناعات المشتركة والتواصل الدائم وغيرها، فكذلك تكون علاقة بعض الجيران مع بعضهم البعض أقوى منها مع البعض الآخر، وهي تندرج في المساحة الخاصة لتمتين العلاقات وتعزيزها وفق الرغبات المشروعة والأُنس الذاتي للأفراد، ولا تؤثر على الضوابط العامة لحقوق الجار التي يجب مراعاتها مع الجميع.

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٨، ص: ٤٢٤./ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٩، ص: ٥٨.

الإحسان

لاحظنا ورود آية في القرآن الكريم تتحدث عن الإحسان للجار، **فما السر في ذلك؟**

أمرنا الله تعالى بالإحسان لمجموعة من الناس لكل منهم خصوصية تستدعي إعطاءه من دون مقابل، وتجاوز البدلية في التعامل معه، وذلك لمصلحة تمتين العلاقة بهم، وهو تعبير عن نمط الإسلام في تربية المسلم على الصفات الكمالية، ومنها الرحمة والعفو والإحسان وغيرها، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾(١)، وذلك في كل مواقع الحياة ومع جميع الناس كسلوك يطبع شخصية المسلم في الحياة، ثم يأتي التخصيص والتحديد ليضفي طابع الاهتمام بشريحة منهم، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٢).

وعندما تكون العلاقة مع الجار مبنية على الإحسان والتقديم والبذل، وترتبط بالدعوة إلى الله تعالى وعدم الشرك به، نفهم أهمية المحافظة على الجوار وتطوير العلاقة مع الجيران بما ينشر الراحة

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

والاطمئنان بينهم، ولا يقتصر الأمر على كف الأذى عنهم بل الصبر على أذاهم كمفردة من مفردات الإحسان العملي، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ليس حسن الجوار كف الأذى، لكنْ الصبر على الأذى**»[1].

الجار قبل الدار

سماحة الشيخ، أيهما أولى الجار أم مكان السكن؟

تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله عن حق الجار فقال:

«**إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن افتقر عدت إليه، وإن أصابه خير هنأته، وإن مرض عدت عليه، وإن أصابته مصيبة عزَّيته، وإن مات تبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلاَّ بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهدها له، وإن لم تفعل فادخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك يغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قِدرك إلاَّ أن تغرف له منها**»[2].

فإذاً حق الجار أن تعينه وتغيثه وتساعده عند فقره، وتقف إلى جانبه في كل حالات فرحه وحزنه، ولا تزعجه ببناء يمنع عنه الهواء أو يزعجه إلاَّ بإذنه، وتلتفت إلى مشاعره ومشاعر أولاده، فإذا أنعم الله عليك واشتريت شيئاً ولا قدرة له عليه، فاحمله إلى منزلك سراً كي لا يتأثر أولاده وهم محرومون من هذا الشيء، وتقدِّم له من

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص: ٢٠٤.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٩، ص: ٩٣.

طعامك إذا وصلت رائحته إلى منزله، فهذا دليل على مستوى التفاعل اليومي المطلوب، وحساسية العلاقة بين الجيران، وأهمية البحث عن الجار قبل البحث عن مكان السكن، لأنَّ الجار أهم من المكان، فالجار قبل الدار.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أريد شراء دار، أين تأمرني أشتري، في جهينة، أم في مزينة، أم في ثقيف، أم في قريش؟. فقال له رسول الله ﷺ: «**الجوار ثم الدار، الرفيق ثم السفر**»[1].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار**»[2].

وروى الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عامود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت لها: أمَّاه لم لا تدعِونَّ لنفسك كما تدعِونَّ لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار**»[3].

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٨، ص:٤٢٩.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، الكتاب ٣١ من وصيته للإمام الحسن عليه السلام عند انصرافه من صفين، ص: ٦٣٣.

(٣) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص:١٨٢.

ثمار دنيوية وأُخروية

ما هي ثمرة هذه العطاءات للجار؟

إنَّ مكاسب الآداب والسلوك الإسلامي دنيوية وأُخروية، كما هي كل توجيهات الإسلام فإنها تحقق للإنسان منافع دنيوية له، ثم يكسب الأجر والثواب في الآخرة كمكافأة على عمله. فالتوجيهات الإيجابية للتعامل مع الجار تُكسِب صاحبها أجراً في الآخرة لأنَّه التزم بالأوامر الإلهية، وتحقق له ربحاً دنيوياً في اتجاهين:

الأول: تحقيق الاستقرار النفسي والروحي بسبب العطاء والإحسان وحسن المعاملة مع الجيران، فالمؤمن يرتاح لما ينجزه ثم ينعكس إيجاباً عليه، فيربح في علاقاته الاجتماعية، ويأنس بالجو الذي يساهم في إيجاده بين جيرانه، ويشعر بالاطمئنان في الوسط الذي يعيش فيه.

الثاني: الحصول على عطاءات إلهية دنيوية كمكافأة مباشرة على حسن تعامله مع جيرانه، فيطيل الله عمره، ويزيد في رزقه، ويعمر دياره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسن الجوار يعمر الديار ويُنسيءُ في الأعمار**»[1].

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:٦٦٨.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الأعمار**»[١]، وهو مؤدى قول الرسول صلى الله عليه وآله.

وقال أيضاً: «**حسن الجوار يزيد في الرزق**»[٢].

وفقنا الله تعالى لحسن الاستفادة من توجيهات الإسلام العظيمة، التي ترسم لنا خطوات الحياة السعيدة في الدنيا، وثواب الآخرة في جنة أُعدَّت للمتقين.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٦٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٦٦٦.

حق الصاحب

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمّا حق الصاحب، فأن تصحبه بالفضل ما وجدتَ إليه سبيلاً، وإلاَّ فلا أقلَّ من الإنصاف، وأن تُكرمه كما يُكرمك، وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقَك كافأته، ولا تقصر به عمَّا يستحق من المودَّة. تُلزم نفسَك نصيحتَهُ وحياطتَهُ ومعاضدتَهُ على طاعة ربِّه، ومعونتَهُ على نفسه فيما لا يهمُّ به من معصية ربِّه، ثم تكون عليه رحمةً ولا تكون عليه عذاباً، ولا قوَّة إلاَّ بالله».

حق الصاحب

إنَّ حياة الإنسان ذات طبيعة اجتماعية، فهو يرغب بشبكة من العلاقات تؤنسه وتريحه وتقوِّيه وتناصره وتنصحه وتعينه، فلا يمكنه العيش وحيداً منعزلاً وإلاَّ أُصيب بأزمات نفسية وتحولت حياته إلى شقاء وإحباط، فهو يبحث دائماً عمن يألفه ويتعاطى معه. وهذا هو

المسار الطبيعي الذي شجع عليه الإسلام في ملازمة الجماعة وصلة الأرحام والعلاقة مع الجيران وحسن اختيار الأصحاب والأصدقاء.

وللصاحب تأثير كبير على شخصية صاحبه، فالفترة التي يقضيها معه طويلة، والأحاديث التي تجري بينهم كثيرة ومتنوعة، وسلوك الواحد منهما واهتماماته تؤثر على الآخر، سواء أكانت للمسايرة أو بسبب الاقتناع بها. فاكتساب الصاحب المناسب نعمة كبرى، نظراً للفوائد التي تتحقق من الصحبة والصداقة الصالحة، ومن لم يستطع اكتساب هذا النموذج من الأصحاب فقد خسر خسارة كبيرة، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم**»[١].

فمن أجل المحافظة على الصاحب الصالح، عليك أن تراعي حقوقه وتلتفت إلى تصرفاتك، فلا استمرار لعلاقة من دون أداء يساعدك على استقرارها، ولا يكفي الاتكال على المودَّة الملازمة للصحبة لاستمرارها ما لم يتم حمايتها بضوابط عملية وتصرفات سليمة.

وقد وجَّهنا الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الحقوق التي تحفظ الصحبة وتجعلها نافعة، فبدأ بالحث على الإحسان والعطاء من دون مقابل، كي لا تتحول الصحبة إلى تبادل ومقايضة مادِّية للمصالح

---

(١) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، ١٢، ص: ٧٣٤.

بين الطرفين، وكي تبقى في موقع العلاقة المعنوية كأساس، وذلك بأن «تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً»، فإن لم تستطع ذلك فكن منصفاً عادلاً تضع الحق في نصابه، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ولا تضيِّعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنَّه ليس لك بأخ من أضعت حقَّه**»[1]، فتعطيه ما يستحقه، وتمتنع عمَّا يزعجه، وتقوم بواجباتك تجاهه، وتراعي ظروفه وخصوصياته، وتحترمه وتقيم له شأناً، فلا ترهقه بطلباتٍ لا يتحملها، ولا تحمِّله مسؤولية ما لا علاقة له به. «فلا أقلَّ من الإنصاف» إذا لم تكن قادراً على الفضل والعطاء.

وليكن التبادل بينك وبينه بالتسابق نحو الخير، بأن «تُكرمه كما يُكرمك»، فلا يصح أن يعطيك ولا تعطيه، «وتحفظه كما يحفظك»، فيكون كل واحد منكما آمناً تجاه الآخر، ولتكن المنافسة في السبق إلى المكارم، فلا تنتظره حتى يعطيك، بل أعطه قبل ذلك في إطار البذل والسبق في العطاء، «ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة»، لكنْ قد لا يتيسَّر لك أن تسبقه في بعض الحالات، فلا مشكلة في ذلك، «فإن سبقك كافأته»، لتكون سمة العطاء والتهادي والمكافأة هي الغالبة على علاقتكما. ولا تقتصر الأمور على الشكل المادي أو الظاهري للعطاء من خلال الإطعام أو الإقراض أو المساندة أو

---

(١) نهج البلاغة، من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام، رقم ٣١ من الكتب والرسائل، ص: ٦٣١.

المواساة أو التصدي للمساعدة أثناء الحاجة. . .الخ، بل تتعداها إلى إبراز العلاقة العاطفية، ونشر الدفء والمحبة بين الصاحبين، فلا «تقصر به عمَّا يستحق من المودَّة»، ما يجعل الصحبة تعبيراً عن علاقة إنسانية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من تكامل وشمولية للنموذج الأفضل.

ويترتب على الصحبة مسؤولية، فعليك أن تُلزم نفسك بنصيحة صاحبك بما ينفعه ويساعده في حياته، لا بما يسرُّه أن يسمعه منك، وأن تأنَس إذا فعل ذلك معك، وكما قيل: «**صديقكَ من صدَقَكَ لا مَنْ صدَّقَكَ**»، وعليك أن تحيطه برعايتك واهتمامك، وأن تعاضده وتسانده ليكون دائماً في طاعة الله، وأي نصيحة أو حياطة أو معاضدة نافعة إذا لم تكن في طاعة الله؟! فالخير كل الخير لصاحبك في هذا الطريق المستقيم، لذا عليك أن تعينه إذا خالجته نفسه لارتكاب المعاصي، وكان عازماً على تركها لكنَّه لم يحسم خياره، بأن تكون إلى جانبه مشجعاً له على الثبات في طريق الطاعة، وكذا إذا مالت نفسه إلى المعصية بأن تردعه عنها، فتكون بذلك قد أعنته على نفسه بعدم معصية ربِّه.

فإذا التزمتَ بمفردات هذا الحق، تكون رحمةً على صاحبك ولا تكون عذاباً عليه، واحرص دائماً بأن يوصلك أداؤك إلى هذه النتيجة، ما يجعل صاحبك متمسكاً بصحبتك، لأنها مليئة بالخيرات والفوائد، وتنقذه من العذاب في الدنيا والآخرة.

حسن اختيار الصاحب

إذا كانت العلاقات الإنسانية تستلزم وجود الصحبة، فهي لا تعني إقامة أي علاقة بين شخصين، بل هي علاقة مختارة ومحدَّدة ولها مواصفات. وعلى رأس المواصفات المطلوبة في الصاحب أن يسلك طريق طاعة الله تعالى، ليؤازرك في العبادة والاستقامة، ويصبر وإياك في مواجهة التحديات وأخطار الانحراف، ويدعو معك لذكر الله ومخالفة الهوى والملذات، وهذا ما يجب أن يتوفر في الجماعة المؤمنة التي يناصر بعضها بعضاً، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[(١)].

إنَّ من مستلزمات الصحبة انعكاساتها الإيجابية على الطرفين، خاصة في وقوف الصاحب إلى جانب صاحبه في كل ما يحتاجه إليه، وما يعينه في الملمات والشدائد، وما يرشده إلى الصلاح والاستقامة، فهي مفيدة إذا توفَّرت في الصاحب مجموعة من المواصفات أبرزها ما قاله الإمام الحسن بن علي عليه السلام:

«فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدَّق قولك، وإن صلت شدَّ صولك، وإن مددت يدك بفضلٍ مدَّها، وإن بدت منك ثلمة سدَّها،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمات آساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منفساً آثرك»(١).

ولا يستوي الأصحاب في التقييم، فهم يتفاوتون في مستواهم ومدى الفائدة منهم، فبعض الأصحاب سطحيون وقليلو الخبرة لكنَّهم يتميَّزون بالمناصرة والمؤازرة والمودَّة، وبعضهم يفتقر إلى المبادرة والسبق على الخير لكنَّهم يملؤون فراغاً عاطفياً مهماً ويُسدون النصائح الجيدة، وبعضهم يمتاز بتعزيز العبادة والطاعة لله تعالى وإن كان لا يقدر على المساعدة لقلة حيلته، وبالتالي فإن ذِكرنا لمواصفات الأصحاب النموذجية لا يعني رفضنا لمن تميَّز ببعضها، طالما أن القاعدة العامة في الصحبة أن لا تدفع إلى المعصية والفساد والانحراف. وكلَّما اجتمعت المواصفات النموذجية أنتجت صحبة جيدة ومتينة، وإذا كان لا بدَّ من الاختيار في بعض الأحيان أو المفاضلة في المواصفات، فالأساس الإيماني حاكم ومقدَّم على كل شيء. سُئل رسول الله ﷺ: **أي الأصحاب أفضل؟ قال: «من إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك»**(٢). يوضح هذا التوجيه أهمية وقوف صاحبك إلى جانبك في الطاعة لله تعالى أولاً، فإذا ذكرتَ الله تعالى شجعك وأعانك ودفعك للمزيد

(١) الخزاز القمي، كفاية الأثر، ص:٢٢٨.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول، ص:٣٥.

وواكبك في هذا الأداء، وإذا نسيت أو غفلت أو سهوت أو صرفك أمر ما عن ذكر الله ذكَّرك لتعود إلى الخط السليم، الذي ينعكس على سلوكك وحياتك. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من دعاك إلى الدار الباقية، وأعانك على العمل لها، فهو الصديق الشفيق**»[1].

ضوابط الصحبة

ما هو مبرر الصحبة إذا كانت تؤذي؟ وكم سيتحمل الصاحب من إساءة صاحبه له؟ وهل يمكن الاكتفاء بالمودَّة التي نشأت في مرحلة ما من دون مراعاة تصرفات الصاحب تجاه صاحبه؟

تؤثر الخصال الفردية على بقاء الصحبة وتعزيزها، كما تؤدي الإساءات المتكررة إلى هدمها وإنهائها، وبما أن الصحبة خيار طوعي فلا بدَّ من قناعة الصاحب بأهميتها وفوائدها وما تحقق له من راحة وطمأنينة، وهذا الأمر مرتبط بسلوك الآخر وليس مرتبطاً بما يحيط به من ظروف صعبة ومشاكل وآلام، فالصحبة كفيلة بتخفيف وطأتها، وتتبلور أكثر فأكثر مع المعاناة، وتتضح في الشدائد، لأن العلاقة المعنوية وأداء حقوق الصحبة تتجاوز هذه الآلام بل تتعزَّز معها.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية: «**إياك والعجب، وسوء الخلق، وقلة الصبر، فإنَّه لا**

(١) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٣٧.

يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب»[(١)]، ما الذي يدفع لمصاحبة من يحمل هذه الخصال السيئة؟!

وعندما تتميَّز علاقة الصاحب عن غيرها من العلاقات مع باقي الناس في العمل أو الدراسة أو غيرها، فلأن الاطمئنان والثقة **دعامة أساسية من دعائم الصحبة، وهذا ما يستدعي حسن الظن بتصرفات الصاحب، وحمله على الأحسن، وإيجاد العذر له،** وعدم اتهامه مسبقاً، وتهيئة كل المقدمات اللازمة لمنع أي اهتزاز في الثقة وأي شرخ في هذه العلاقة، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام من كتاب له لابنه الحسن عليه السلام: «**ولا يغلبن عليك سوء الظن، فإنَّه لا يدع بينك وبين خليل صلحاً**»[(٢)]. لأنَّ اختيارك له لم يتم إلاَّ بعد فترة طويلة من العلاقة التي رسَّخت هذه الثقة، ما يستلزم أن يكون حسن الظن مواكباً لها.

ومع كل الأهمية في هذه العلاقة، فهي لا تعني انكشاف الصاحب أمام صاحبه في كل أسراره وخصوصياته، وليس من حق الصاحب أن يُطالب بذلك، ولا تُبنى الصحبة على انعدام الأسرار بين الصاحبين، فلا بدَّ من الاحتياط لتقلبات الزمان وضعف الصاحب في بعض المحطات ووجود ثغرات في شخصيته، فإنَّ

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:١٤٧.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول، ص:٧٩.

عدم إطلاعه على بعض الأسرار لا يضيف شيئاً على أهمية الصحبة. وهنا يجب توخي الدِّقة بين ما يثبِّت الصداقة وما لا علاقة له بتثبيتها، فالمودَّة ضرورية في أعلى مستوياتها، لأنَّها كلَّما زادت وتمَّ التعبير عنها بأشكال مختلفة، تعزَّزت الصحبة أكثر، لكن لا يجب أن تكون الطمأنينة كاملة غير منقوصة، وهي أيضاً لا تعني الشك، بل الاحتياط من هنات وثغرات وضعف الصاحب، فربما تغيَّر الزمان وحصل الاختلاف، فانفرطت الصحبة، عندها لا يكون الهدم مؤذياً من أقرب المقربين إذا أساء التصرف وكشف الخفايا.

وأما النصرة والمساعدة والمشاركة في الأفراح والمواساة في المصائب والأحزان فلتكن تامَّة ببذل أقصى الجهد لها، لكنَّها تختلف عن الأسرار والخصوصيات التي تهتك الإنسان إذا انتشرت. ولا داعي لمعرفة الصديق بها فهي لا تهمه ولا تزيده شيئاً، ولا تعبِّر عن احترامه وحسن تقييمه، إذ من يضمن أن لا يفشي الصاحب أسرار صاحبه عن خطأ في التصرف أو عدم قدرة على الاحتفاظ بالأسرار مع أنه صديق وفيٌّ، فهذه الحدود والضوابط تكشف عن الحكمة في التصرف ولا تُخل بحقوق الصديق. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ابذل لصديقك كل المودَّة، ولا تبذل له كل الطمأنينة، واعطه كل المواساة، ولا تفضِ إليه بكل الأسرار، تُوفي الحكمةَ حقَّها والصديقَ واجِبه»**[1].

---

(١) الكراجكي، كنز الفوائد، ص: ٣٤.

ولتكن الدِّقة في عدم الاستهتار بحقوقه الماديَّة والمعنوية، لأنَّه كما تُبنى الصحبة بتراكم مفردات السلوك الإيجابية في العلاقة بين الصاحبين، فإنَّها تهتز بتراكم مفردات السلوك السلبية عند شعور الصاحب بأن صاحبه لا يقيم له وزناً، ولا يؤدي له حقاً، ولا يحترم خصوصياته، ولا يراعي ظروفه. فليكن التعامل على أساس أداء كل الواجبات والحقوق التي يؤديها أي إنسان مع إنسان آخر، ثم يُضاف إليها الإحسان والتفضل وباقي المواصفات التي ذكرناها في الفقرات السابقة.

الصاحب يدل على صاحبه

قل لي من تعاشر أقل لك من أنت، فالصاحب يدل على صاحبه، إذ لا يتفق إثنان إلاَّ مع وجود قواسم مشتركة كثيرة بينهما، ولا يألفا بعضهما إلاَّ بوجود قدر من الانسجام في الرؤية والأهداف والسلوك، ومع طول الصحبة يكتسب الأضعف خصائص الأقوى، ومع التساوي فالتوجيه وإبداء الرأي يؤثر في الآخر، وبسبب صحبتهما فإنهما يرتادان الأماكن نفسها، ويحملان التوجهات نفسها، وتختلط آراؤهما لتصبح موحَّدة تقريباً.

فإذا صاحب المرء صالحاً تأثَّر بصلاحه، وإذا صاحب فاسداً تأثَّر بفساده، ولا يمكن التجرد عن آراء وصفات الصاحب، وإلاَّ فكيف يؤازره ويساعده وينسجم وإيَّاه لولا أوجه التشابه والانسجام بينهما. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله،**

فلينظر أحدكم من يخالل»[١]. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**النفوس أشكال، فما تشاكل منها اتفق، والناس إلى أشكالهم أميل**»[٢].

ولا يصح إطلاق العنان لبعض المشاعر التي تستهوي العلاقة مع شخص ما لصفةٍ فيه، فتكون سبباً لصداقة تجلب الضرر والرذيلة والفساد، كما لا يمكن الاعتماد على قدرة الفرد في أن يختلط بجماعة ضالَّة ليكون جزءاً منها، ثم يدّعي إمكانيته لحماية نفسه من أن يقع في ضلالتهم.

يجب عند بناء أي صداقة تنشأ عن مقاعد الدراسة أو أماكن العمل أو في جوار السكن أو أثناء العطل الصيفية أو خلال الرحلات والمخيمات والأسفار أن نراعي القاعدة الأساس وهي الطاعة لله تعالى، وأن لا نستخف ببعض الأعمال والنشاطات التي تحمل بذور الانحراف أو تؤدي إلى المعصية مهما كانت صغيرة، خوفاً من الوقوع بما هو أكبر. فكم من تلميذ في المدرسة تأثر ببعض زملائه الذين دعوه إلى حفلة أو نشاط، وأولوه اهتماماً أشعره بالراحة، ثم اكتشف الأهل بعد ذلك انحراف ولدهم بسبب هؤلاء التلامذة؟ وكم من شخص تودد لآخر، وقدَّم له خدمة معينة، ثم أشرَكه في سهرة أو سلوك خاطئ ومنحرف، ثم تكرَّر ذلك بأشكال مختلفة إلى أن جرفه التيار إلى ما لا يُحمد عقباه؟

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص:٥١٨./ مسند الإمام احمد بن حنبل، ج٢، ص:٣٣٤.
(٢) الكراجكي، كنز الفوائد، ص:١٩٤.

إنَّ وقع حديث الصديق كبير عند صديقه، وأفكاره تنعكس على منهجه، وسلوكه يُرخي ظلاله على تصرفاته، ومن الصعب أن نفصل تقييمنا لشخص عمَّن عاشرهم وأحبَّهم وأحبَّ عملهم، فهو شريكهم فيما يفعلون.

قرين السوء

إنَّ الصاحب السيئ يجرُّ إلى الهاوية، فيزيِّن الشر ويبخّس بالخير، ويبثُّ انحرافاته وفساده في كلماته وسلوكه، وكأنَّه شيطانٌ بشري ملازم لصديقه، وهو يحمل العنوان المعاكس للصديق، لأنَّه يُبعد الفضيلة والاستقامة ويُضِلُّ عن ذكر الله تعالى، فيسبب الخذلان في الدنيا والحساب العسير في يوم القيامة. وقد وصف لنا القرآن الكريم حالة الظالم يوم الحساب حيث يُردُّ سبب ظلمه لخليله وصديقه الشرير في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[(١)].

ليس استكشاف قرين السوء صعباً، لأنَّ مواصفاته الإجمالية سيئة، وتبرز بشكل واضح في تصرفاته، كما أنَّ تأثر المرء السلبي وانزعاجه من هذه المواصفات يشكِّل إنذاراً داخلياً ونفسياً وكأنَّه تحذير مسبق قبل فوات الأوان، لكنَّ المرء يقع في حبائل وسوسة القرين بانغماسه في بعض الملذات المحرَّمة التي يأنس بها مع

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

خليله، فيعميه المتاع الزائل عن رؤية الحقيقة، ويصرفه عن ملاحظة السلبيات الأخرى، فتكون عاقبته وخيمة.

وما أوضح ما بيَّنه أمير المؤمنين علي عليه السلام من صفات للصاحب السيّىء لا تُبقي التباساً ولا غموضاً، وذلك بإعطاء أمثلة عن سلوكه العام تكشف الصورة الكاملة لقرين السوء، محذِّراً من معاشرته وصحبته: «**واحذر ممن إذا حدَّثته مَلَّكَ، وإذا حدَّثك غمَّك، وإن أسررته أو أضررته سلك فيه معك سبيلك، وإن فارقك ساءك مَغيبُهُ بذكر سوأتك، وإن مانعته بَهَتَكَ وافترى، وإن وافقته حَسَدَكَ واعتدى، وإن خالفته مَقَتَكَ وماري. يعجز عن مكافأة من أحسن إليه، ويفرطُ على من بغى عليه، يُصبح صاحبه في أجر، ويُصبح هو في وِزْر. لسانُهُ عليه لا لَهُ، ولا يضبط قولَه، يتعلَّم للمراء، ويتفقَّه للرياء، يبادر الدنيا، ويؤاكل التقوى، فهو بعيدٌ من الإيمان، قريبٌ من النفاق، مجانبٌ للرشد، موافقٌ للغي، فهو باغٍ غاو، لا يذكر المهتدين**»[١].

إنَّ صحبة الأشرار مُضرّة، وهي تحمِّلُ الصاحب من وِزرها، فلا يستطيع التنصُّل من آثارها وآثامها، وقد شبهها أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: «**صحبة الأشرار تُكسِبُ الشر، كالريح إذا مرَّت بالنتن حملت نتناً**»[٢]. ولا توجد أي ضمانة لعدم الانجراف مع صاحب السوء.

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص: ١٠.
(٢) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٣٠٤.

ولعلَّ البعض يعيش المعاناة والصراع مع النفس من أجل التملص أو التخلص من بعض الأصحاب، لاكتشافهم مخاطر العلاقة معهم، وخوفهم من انعكاسها على دينهم وسلوكهم، وهم يلمسون أهمية موقفهم في المحطات الصعبة في الدنيا والآخرة، وقد وصف الله تعالى لنا حال مؤمن تخلَّص من قرين السوء حاول جرَّه إلى المعاصي فلم يفلح، ثم أدخله الله الجنَّة فسأل ربَّه أن يطَّلع على أحوال قرينه فرآه في جهنم. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾(١).

فالحذر الحذر من وسوسة شياطين الإنس ممن يدَّعون الصداقة والصحبة، والحذر الحذر من التسرع باختيار الأصدقاء ومجاراة السيئين منهم في أعمالهم، والحذر الحذر من عدم التدقيق في النصائح والتوجيهات عندما تصدر عن غير المؤهلين لها أو أن تكون في غير محلها فتودي بصاحبها إلى الهلاك.

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ٥٠ ـ ٥٧.

المصادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي عليه السلام.**

- نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** ابن أحمد الدمشقي، شمس الدين أبي البركات، ت ٨٧١هـ.**

- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، تحقيق الشيخ المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٥هـ.

*** ابن حنبل، الامام احمد، ت ٢٤١هـ.**

- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

*** البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ.**

- المحاسن، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط١.

*** الترمذي، محمد بن عيسى، ت ٢٧٩هـ.**

- سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** الجزائري، عبد الله، ت ١١٨٠هـ.**

- التحفة السنية، معجم مكتبة أهل البيت الكمبيوتري، ٢٠٠٥م.

*** الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

*** الحرَّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

ـ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

*** الحلي، ابن إدريس، ت ٥٩٨هـ.**

ـ السرائر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤١٠هـ.

*** الخميني، الإمام روح الله الموسوي، ت ١٩٨٩م.**

ـ تحرير الوسيلة، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٠هـ.

*** الريشهري، الشيخ محمدي.**

ـ ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

*** زين العابدين، الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام.**

ـ الصحيفة السجادية الكاملة، إشراف محمد الأبطحي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

*** السيوطي، جلال الدين، ت٩١١هـ.**

ـ الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

*** الشهيد الثاني، محمد بن جمال الدين مكي العاملي، ت ٩٦٦هـ.**

ـ شرح اللمعة الدمشقية، منشورات جامعة النجف الأشرف، ط٢، ١٣٩٨هـ.

*** الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

ـ الامالي, مؤسسة البعثة, قم, ط١, ١٤١٧هـ.

ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

ـ من لا يحضره الفقيه، جماعة من المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

ـ ثواب الأعمال، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢.

ـ علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

* **الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر، ت ٤٠٦هـ.**

ـ تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٩٠هـ.

ـ الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

* **القمي، الخزاز، ت ٤٠٠هـ.**

ـ كفاية الأثر، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١هـ.

* **الكراجكي، ابن الفتح محمد بن علي، ت ٤٤٩هـ.**

ـ كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، قم، ط٢, ١٤١٠هـ.

* **الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

ـ الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

* **الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**

ـ عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

* **المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**

ـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

ـ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **المفيد, الشيخ ابو عبد الله محمد بن النعمان, ت ٤١٣هـ.**

ـ الاختصاص، منشورات جماعة المدسين، قم.

* **النمازي، الشيخ علي، ت ١٤٠٥هـ.**

ـ مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٣، ١٤١٨هـ.

* **النوري، الحاج ميرزا حسين.**

ـ مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

* **النيسابوري، العلامة محمد بن الفتال، ت ٥٠٨هـ.**

ـ روضة الواعظين، منشورات الرضي، قم.

المحتوى

الإهداء ٥
مقدمة ٧
إطلالة ١١

الحق الأول: حق الله

حق الله ١٥
الوحدانية العملية ١٧
قصة واقعية ٢٠
من أخلص بلغ الآمال ٢٤
القليل مع الإخلاص ٢٧
يكفيك أمر الدنيا والآخرة ٢٨
رفض الاعتزال ٣١

الحق الثاني: حق النفس

حق النفس ٣٣
جهاد النفس ٣٥
طاعة الله وبناء النفس ٣٨

عزلة النفس ٤١

الحق الثالث: حقوق الناس

١ ـ حق السلطان ٤٥
٢ ـ حق الرعية ٥٠
٣ ـ حق المالك ٥٨
٤ ـ حق ملك اليمين ٦٢
٥ ـ حق المنعم بالولاء ٧١
٦ ـ حق العبد ٧٦
٧ ـ حق ذي المعروف ٧٨
٨ ـ حق المؤذن ٨١
٩ ـ حق إمام الجماعة ٨٤
١٠ ـ حق الجليس ٩١
تنظيم العلاقات ٩١
أسس المجالسة ٩٢
الاستئذان ٩٥
آداب الحديث ٩٨
المجالس المستنكرة ١٠٠
رياض الجنة ١٠٢
تصدُّر المجالس ١٠٤
آداب الاستماع ١٠٦
مراعاة الوقت ١٠٧
مجالسة العلماء ١١٠
صفات الجليس واحدة ١١١
التلفاز والمجالسة ١١٢

١١ ـ حق الجار ١١٥
تعريف الجار ١١٥
النصرة والمعونة ١١٦
ستر العثرات ١١٨
المعاشرة الكريمة ١٢٠
مكانة الجار ١٢١
احترام وقت الآخرين ١٢٣
الجيران ثلاثة ١٢٥
الاحسان ١٢٧
الجار قبل الدار ١٢٨
ثمار دنيوية وأخروية ١٣٠
١٢ ـ حق الصاحب ١٣٢
حسن اختيار الصاحب ١٣٦
ضوابط الصحبة ١٣٨
الصاحب يدل على صاحبه ١٤١
قرين السوء ١٤٣
المصادر ١٤٦
المحتوى ١٤٩
صدر للمؤلف ١٥٢

صدر للمؤلف

* **معالم للحياة من نهج الأمير** عليه السلام.
* **عاشوراء مددٌ وحياة** (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

* ١ ـ **حقوق الجوارح** (طبعة سابعة)
* ٢ ـ **حقوق الوالدين والولد** (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ **حقوق الأفعال** (طبعة سادسة).
* ٤ ـ **حقوق الزوج والزوجة** (طبعة سابعة).
* ٥ ـ **حقوق المعلم والمتعلم** (طبعة سادسة).
* ٦ ـ **الحقوق الثلاثة** (طبعة سادسة).
* ٧ ـ **حقوق الناس** (طبعة خامسة).
* **صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.**
* **حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل** (طبعة سابعة).
* **سبيلك إلى مكارم الأخلاق** (طبعة رابعة).
* **قصتي مع الحجاب** (طبعة سابعة).
* **الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء** (طبعة ثالثة).
* **المهدي المخلص** (طبعة ثالثة).
* **مجتمع المقاومة** (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* **سبيل الله تعالى** (طبعة ثالثة).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٠١/٥٤٥٨٠٠ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الناس

الطبعـــة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

الطبعة الثانيـــة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

الطبعة الثالثـــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعـــة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال



ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



دار المحجة البيضاء

للطباعة والنشر والتوزيع

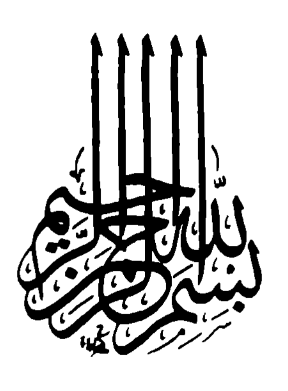
بيروت - لبنان

الشيخ نعيم قاسم

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

حقوق الناس

دار المحجة البيضاء



الاهـــــــداء

إلى المربِّي الرَّباني

الذي كان للعابدين زَيْناً

وللساجدين سيِّداً

وللسالكين موجِّهاً

وللباحثين عن الخلاص معلماً

يا سيدي وإمامي

يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك

إلى كل إنسان

لتضيء حياته بنهج الإسلام

ويعيش الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدﷺ قدوة البشرية ومرشد الإنسان إلى سعادته، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء السابع من سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تلك الرسالة القيِّمة التي فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي ما يشكِّل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع، والتي تضمَّنت خمسين حقاً مختلفاً شملت بالعنوان العام علاقات الإنسان الثلاث مع ربِّه ونفسه ومجتمعه.

يتضمن الجزء ثمانية عشر حقاً من حقوق الناس، تعالج التوجيهات المناسبة لأداءٍ أفضل من أجل حياة اجتماعية وإنسانية سعيدة، وتتجه إلى طرفي العلاقة في المجتمع بالتوجيه، فحقٌ للمدعي وآخر للمدعى عليه، حقٌ للمستشير وحقٌ للمشير، حقٌ

للمستنصح وحقٌ للناصح، حقٌ للكبير وحقٌ للصغير، حقٌ للسائل وحقٌ للمسؤول، حقٌ لمن سرَّك وحقٌ لمن أساء إليك. وهذا ما ينسجم مع الدور التكاملي للأفراد بالتزام كلٍ منهم بواجباته تجاه الآخرين، ما يؤدي إلى استقرار المجتمع.

لا يقتصر الأمر على العلاقات الثنائية بين الأفراد فحسب، وإنما يمتد إلى كل نواحي الحياة، فهناك حقٌ للمال وهو عصبٌ مركزي في توجه الأفراد والدولة، يستلزم الاهتمام به، بعدم التفريط به أو خيانة أمانته، وكسبه عن طريق الحلال، وصرفه فيما يُرضي الله تعالى. وهناك أهل الملَّة بما لهم من حق في إطار المحافظة على الجماعة متآزرة ومتعاونة، لتكون يداً واحدة على من اعتدى عليها أو أساء إلى منهجها وخياراتها. ولا تكتمل صورة الاجتماع الإنساني من دون الحديث عن حق أهل الذمة بما لهم من خصوصية الكتاب السماوي، الذي يرتب علاقة منفتحة وإيجابية مع المسلمين، على قاعدة الاعتراف بحق الاختلاف وممارسة العبادات الخاصة، في إطار «كلمة سواء» تجمع وتنظم وتحمي الجميع في إطار المواطنة والمشاركة، وذلك برسم قواعد هذا الحق بصورة إجمالية، تستفيد منها المجتمعات المختلفة.

لقد سبق الإسلام بأربعة عشر قرناً الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، التي اخذت حيزاً دعائياً كبيراً في القرن العشرين، وجسَّدت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أروع وأرقى آداب

التعامل بين الناس، ما يضفي على الاجتماع الإنساني والعلاقات الاجتماعية صفاءً واستقراراً وبهجة، وهذا ما يؤكد حاجتنا الماسَّة للتعرف على هذا الرصيد الكبير، الذي لا غنى عنه لكل فرد مهما كان موقعه، والذي يساعد على بناءٍ معرفي وسلوكي لتنظيم حياة الإنسان بشكل سليم مع ربه ونفسه ومجتمعه.

مع اكتمال كتابة هذا الجزء، نكون قد انجزنا شرح الحقوق الخمسين الواردة في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، حيث اعتمدنا تقسيماً فنياً للأجزاء السبعة التي أصدرناها يتناسب مع العنوان الذي ركَّزنا عليه في كل جزء، بحيث تندرج فيها الحقوق الخمسون، فأصبحت الأجزاء كالتالي:

١ ـ حقوق الجوارح.

٢ ـ حقوق الوالدين والولد.

٣ ـ حقوق الأفعال.

٤ ـ حقوق الزوج والزوجة.

٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم.

٦ ـ الحقوق الثلاثة.

٧ ـ حقوق الناس.

سيلاحظ القارئ بأن بعض الحقوق صيغت بطريقة السؤال والجواب، فهي التي عُرضت على شاشة تلفزيون المنار منذ سنوات

ضمن برنامج خُصِّص لرسالة الحقوق، وقد أجرينا عليها التعديلات والتطوير المناسب بما يتلاءم مع الكتابة وزمانها، أمَّا البعض الآخر فقد كتبناه حديثاً، فلم نجد حاجة لترتيبه على نسق الحلقات المتلفزة، ولذا اكتفينا بالعنونة الفرعية والتبويب الملائم معها، والله ولي التوفيق.

٢٥ صفر ١٤٣١هـ **نعيم قاسم**

١٠ شباط ٢٠١٠م

إطلالة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق (قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه

تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الأيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذّنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، **ثم حق شريكك، ثم حق مالك،**

ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

حــق الشــريك

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق الشريك، فإن غاب كفيتَه، وإن حضر ساويتَه، ولا تعزم على حكمك دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته. وتحفظ عليه ماله، وتتقي خيانته فيما عزَّ أو هان، فإنَّه بلغنا (إنَّ يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا)، ولا قوة إلا بالله».

الشركة هي كون شيء واحد لاثنين أو أزيد، فقد تكون عيناً كالأرض المشتركة، أو منفعة كاجارة بيت أو محل مشترك، أو حقاً مشتركاً في مال للتجارة، أو غير ذلك... وقد تنشأ الشركة بسبب الارث لأرض او معمل أو سيارة أو بيت، أو بسبب عقد أنشأه شخصان أو أكثر للمتاجرة أو السكن أو البناء المشترك... ومهما كانت أسباب الشراكة، فهي تُنشئ حقوقاً لكل شريك.

«فإن غاب كفيته»، وكأنَّه حاضر معك، أو كأنك مكانه، بأن تتصرف وتكفيه المؤونة وفق الضوابط المتفق عليها، أو المعروفة

في مثل هذه الحالات، آخذاً بعين الاعتبار بأنَّ المال مشترك، وأنَّ غيبة الشريك لا تخولك تجاوز حقوقه.

«فإن حضر ساويته»، فلا تميز نفسك عنه إذا كانت الشراكة متساوية، بل تساويه في التصرف العادل بحسب ما له من نسبة، والمساواة هنا تعبير عن إشعاره بموقعه كشريك فعلي يتقاسم معك الحقوق والواجبات بحسب العقد أو القواعد المعتبرة.

«ولا تعزم على حكمك دون حكمه»، فكما لرأيك اعتبار، لرأيه اعتبار أيضاً، فلا تُقدم على عمل يمس الشركة ما لم تتفقا عليه، ولا تُغلِّب حكمك على حكمه، فله حصة كما لك، ما يستلزم التوصل إلى حكم واحد وقرار متفق عليه.

و«لا تعمل برأيك دون مناظرته»، فخذ رأيه وناقش معه الأمور ولا تهمله أو تتجاوزه، وإلاَّ فما معنى هذه الشراكة إذا لم تأخذ رأيه أو لم تشترك معه بالرأي؟.

«وتحفظ عليه ماله»، فهو أمانة بين يديك، ولا يحق لك أن تتصرف به خارج الاتفاق، وعليك أن تلتفت إلى مصروفك الشخصي لتحتسبه من حصتك لا من المصروف العام، وإلى هباتك وهداياك للآخرين لتحسمها من حصتك إذا لم تكن لك هذه الصلاحية بحسب اتفاق الشراكة، فالأصل أنَّ مال الشريك ليس مالاً لك، وإنما أنت أمين عليه بحسب وكالتك، فلا تخنه في ماله بأي شكل من الأشكال وتحت أي عنوان من العناوين، «فيما عزَّ أو هان»، أي فيما كثر أو

قل، فالعبرة بعدم جواز التصرف بمال الشريك مهما كان قليلاً، وهذا مبدأ عام، وإلاَّ رُفعت البركة مع الاساءة والخيانة.

فإن الله مع الشريكين يسددهما ويوفقهما عندما يحفظ كل منهما حق صاحبه، ويده معهما كتعبير عن حصول الخير من الشركة، ما لم يخن أحدهما الآخر بالتصرف بمال صاحبه بما لا يرضى وبما يتجاوز دائرة صلاحياته وحقوقه.

أوضح الإمام الخميني (قده) بعض القيود في الشركة فقال: «لا يجوز لبعض الشركاء التصرف في المال المشترك إلا برضا الباقين، بل لو أذن أحد المشتركين لشريكه في التصرف، جاز للمأذون دون الآذن إلاَّ بإذن صاحبه، ويجب على المأذون أن يقتصر على المقدار المأذون فيه كماً وكيفاً، نعم الإذن في الشيء إذن في لوازمه عند الاطلاق»[١].

إذاً محور الحق للشريك رضاه عن تصرف شريكه، فعلى الشريك الاستئذان وتحصيل الرضا، فلو أذن أحدهما للآخر بأمر، فسمح له ببعض المصروف، فهذا لا يعني أن يتصرف هو كذلك بحجة أنَّ ما سمح به لشريكه مسموح له أيضاً، فالأمران منفصلان، وكل واحد منهما يحتاج إلى إذن الآخر على الموضوع نفسه، وقد يحصل أن يأذن الأول للثاني ولا يأذن الثاني للأول، ما يستدعي الالتفات إلى دقة حق الشريك.

---

(١) الإمام الخميني (قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٦٢٣.

حق المال

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حقُّ المال فأن لا تأخذه إلا من حِلِّه، ولا تُنفقه إلا في حِلِّه، ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه وسبباً إلى الله، ولا تؤثر به على نفسك من لعلَّه لا يحمدك، وبالحري أن لا يحسن خلافته في تركتك، ولا يعمل فيه بطاعة ربك، فتكون معيناً له على ذلك، وبما أحدث في مالك أحسن نظراً لنفسه فيعمل بطاعة ربه، فيذهب بالغنيمة وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوَّة إلاَّ بالله».

ما هي نظرة الإسلام إلى المال؟ هل هو وسيلة أم غاية؟ وماذا قصد تعالى بقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؟ ما هو الهدف من جمع المال؟ وما هي طريقة جمع المال؟ أسئلة مطروحة للإجابة عليها في هذا الحق.

نظرة الإسلام إلى المال

ما هي نظرة الإسلام إلى المال؟

المال لله، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[(١)]، فالله مصدر الرزق والعطاء، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(٢)]، والناس مستخلفون على هذا المال، فهم أمناء ومسؤولون عنه، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[(٣)].

وبما أن المال عطية ورزق من الله تعالى، فعلى الإنسان أن يستخدمه فيما أمر الله به أو أباحه، فهو وسيلة لتوفير الطعام والشراب وتأمين الخدمات ومتطلبات الحياة الإنسانية، وليس هدفاً بحدِّ ذاته، لذا لا يسعى الإنسان لتحصيل المال من أجل المال، بل ليكون مساعداً له في مستلزمات حياته. وحيث وجَّه الإسلام الناس إلى الأهداف السليمة في الحياة، كان من الطبيعي أن ينسجم السعي لتحصيل المال مع هذه الأهداف، وأن ينتج عن السعي مساران: احدهما حلال ويمثِّل الوسائل والطرق المشروعة كالبيع والإجارة والمزارعة والمضاربة والمساقاة والإرث والهدية وغيرها، وثانيهما حرام كالقمار والسرقة وبيع الخمر والمتاجرة بالمخدرات وغيرها.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٧.

إنَّ مسؤولية الإنسان أن يسلك مسار الحلال، وأن يعتبر نفسه خليفة الله في أرضه ووكيلاً على المال والرزق الذي حصل عليه، فلا يتصرَّف به خارج دائرة الأوامر والنواهي الإلهية، وإلاَّ كان عاصياً يستحق العقاب.

عنوان الحلال

وأما حق المال فأن لا تأخذه إلاَّ من حِلِّه، ولا تنفقه إلا في حِلِّه، فلو تفضلتم بشرحها؟

الحديث عن الحق حديثٌ عن المسار السليم، وإلاَّ فالمال لا يأخذ شيئاَ من الإنسان فهو بتصرفه، وحق المال يعني الطريق الذي يجب أن يسلكه المرء في التعاطي مع المال.

وبما أنَّ للمال جهتين: واحدة للحصول عليه وثانية لصرفه، فقد شمل هاتين الجهتين بالتوجيه والتحديد وفق عنوان يشمل التفاصيل كافة وهو عنوان الحلال، الذي يكون التعرف عليه بالعودة إلى التفاصيل الموجودة في رسائل المراجع في المعاملات خاصة، حيث يتبيَّن تركيز الإسلام على كيفية الحصول على المال وكيفية إنفاقه.

أمَّا كيفية الحصول على المال، فالطرق الشريفة التي تعتمد على الكفاءة ونظافة الكف والربح الحلال والإجارة المشروعة وغيرها تُيسر الثروة بشكل موضوعي، وتجعل تراكمها منطقياً،

عندها لا إشكال بتحقق الثروة عن طريق الحلال. فعندما يلتزم الفرد بضوابط البيع الحلال والأجرة الحلال والكسب الحلال والوظيفة الحلال، يكون بذلك قد حدَّد نمطاً وسلوكاً فردياً واجتماعياً لا يقتصر على المال فقط وإنما يؤثر على حياته كلها.

وأمَّا كيفية إنفاقه، فهو لا يملك الحرية الكاملة ليتصرف بماله كيفما يشاء، لأنَّ الإنفاق المحرَّم يستلزم تبعات فردية واجتماعية مفسدة وضارَّة، لذا حرَّم الإسلام إنفاقه في لعب القمار وشراء الخمر والأعمال المحرّمة والفاسدة وشراء الضمائر والتغرير بالناس، ومن الواضح أن محرمات الإنفاق لحماية الحياة الإنسانية، ومع ارتكابها يخرج عن السلوك المقبول ما يؤدي إلى انحراف عن الاستفادة السليمة، وهو قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «ولا تحرفه عن مواضعه»، ولذلك «ولا تصرفه عن حقائقه» كتعبير عن القواعد الثابتة للإنفاق التي هي بمثابة الحقائق التي يشكِّل الخروج عنها انصرافاً عن الحقيقة، بينما أحلَّ الله إنفاقه على المأكل والملبس والمسكن والطباعة والتعليم والتنزه والرياضة والهدايا وغيرها مما يدخل في المتاع الحلال.

فإذا التزم الفرد في عدم الحصول على المال إلاَّ عن طريق الحلال، وعدم إنفاقه إلاَّ في طريق الحلال، يكون بذلك قد أدى كامل حق المال، أمَّا التفاصيل الأخرى فهي بمثابة توضيح وإرشاد إلى عواقب التصرف بالمال في الاتجاه الخاطئ.

مسؤوليتك تجاه المال

فلنتابع كلام الإمام زين العابدين عليه السلام: «ولا تجعله إذا كان من الله إلاَّ إليه وسبباً إلى الله، إلى آخر الحديث»؟

«ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه»، إنَّه يقول لك: هل المال من الله أم من غيره؟ فإذا كان من الله جلَّ وعلا، فمسؤوليتك أن تجعله في سبيله، وأن تصرفه فيما يرضى عنه. فالمال كلُّه لله، وإذا كنت مؤمناً بهذا الأمر فلا تجعله إلاَّ في الطريق الذي أمرك به الله جلَّ وعلا ليكون سبباً إلى مرضاته.

«ولا تؤثر به على نفسك من لعلَّه لا يحمدك»، فلا تحرم نفسك منه لتؤثر غير المستحق له، ولا تعطه لمن لا يكون أهلاً له، ولا تعتمد على من لا يُخرج الحق الشرعي منه وإنما يأخذه لنفسه فتكون بذلك محروماً من الأجر ومسؤولاً عمَّا فعلت لأن المال لم يُصرف في محلِّه الصحيح، فمن يتصرف بالمال بهذه الطريقة لا يحمدك على ما أعطيته، لأنَّه أساء إليك. فانظر إلى من تؤثره على نفسك من أولادك أو غيرهم، أين يضع هذا المال، وكيف يتصرف به؟

«وبالحري أن لا يُحسن خلافته في تركتك»، فعندما تموت ويحصل الوريث على تركتك، ثم لا يؤدي الحقوق كما كنت تريد، تكون قد حرمت نفسك بينما صرفه في طريق الباطل، فلم يعمل فيه بطاعة الله، وتكون قد أعنته على ذلك، بتوفير المال له وعدم قيامك بما يناسب من أداء حق المال من توجيه ولدك ومراقبته كي لا يصل إلى هذه المرحلة التي تفقد فيها السيطرة عليه، ويتنعم بالمال

في حياتك أو بعد مماتك من دون حسيب أو رقيب. فما يفترض أن تراعيه في صرفك المال على أولادك أو من تتحمل مسؤوليتهم، أن تجعله سبباً لاستقامتهم، أو بالحد الأدنى بأن لا يتسلطوا عليه لارتكاب المحرمات، وأن لا تتساهل معهم في ذلك عندما ترى توجههم لاستخدام المال بغير طاعة الله. أمَّا إذا بذلت الجهد ولم تنجح في توجيههم، ومنعتهم من استخدام المال في الطريق الحرام ولم يتعظوا بذلك، فقد قمت بما عليك، وهو بلاء أن تخلفك ذرية أو بعض ذرية منحرفة.

لا تؤخر واجباتك تجاه مالك بدفع الخمس والزكاة وتأدية حقوق الناس، ولا تعتمد على ورثتك فأنت المسؤول، وإنما يكون لعملك قيمة في حياتك، وبعض الأعمال لا فضل لك بها إذا مت وقام غيرك بأدائها إلاَّ برفع المسؤولية عنك، لكنك تحمل وزر التأخير والتقصير. فكيف إذا ابتليت بمن لا يؤدي عنك هذه الواجبات، ويتصرَّف بمالك بما يحقق لذَّاته الدنيوية؟ عندها لا تنفعك الحسرة، فأنت الذي أعنته على ذلك، وبخلت على نفسك ولم تقم بواجباتك تجاه الحقوق الشرعية المتوجبة عليك، وتجاه الناس في حقوقهم عندك.

«وبما أحدث في مالك أحسن نظراً لنفسه فيعمل بطاعة ربه»، وهذه حالة معاكسة للحالة الأولى، حيث يأخذ منك المال بالوراثة أو بعطائك إياه، ويتصرف به في مساره الشرعي، فيصرفه في

الحلال، ويؤدي جميع الحقوق الشرعية المتوجبة عليه، ويراعي مسؤوليته في طاعة ربه، فيكون بذلك قد غنم لنفسه بحُسن ما أحدثه في مالك، ولا ينالك من هذا المال ما كان يجب عليك فيه، لأنك أسأت صرف ما ملكت في حياتك، وأحسن ولدك أو وريثك أو من أعطيته المال في صرف ما ملك بسببك في حياته، وبما أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]، فهو يأخذ أجر المال وتبوء أنت بالإثم وتبعاته وعقابه مع الندامة التي لا تنفع ولا تغيِّر الواقع.

إذاً راقب تصرفك بمالك ليكون نافعاً لك ولمن يأخذه منك، فيكون خيره في حسابك دائماً، ولا تصرفه في غير محله فتبوء بإثمه، ولا تعطه لمن يسيء استخدامه فتحمل من وزر عمله، والكارثة الكبرى أن يكون مالك شراً لك وخيراً لغيرك، فيكون له الغُنم وعليك الغُرم. واعلم أن المال اختبار وامتحان لك في الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[2]، فلا يغرنك المال فتراه على غير حقيقته وواقعه، إنَّه متاع زائل، تقضي من خلاله بعض حاجاتك ثم تتركه وترحل عن هذه الدنيا، فتبقى آثاره وتبعاته ومسؤولياته عليك. إنَّه زينة مؤقتة، تُغري وتجذب، فانتبه لمخاطر الانخداع والانزلاق، وتعامل مع المال بضوابط الشريعة المقدسة، تنجو في دنياك بحسن الأداء وفي الآخرة بجزيل العطاء والثواب.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

واعلم «**أن خير المال ما أورثك ذُخراً وذِكراً وأكسبك حمداً وأجراً**»، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام، و «**شر الأموال ما لم يُغن عن صاحبه**»[١].

الخمس فريضة

سماحة الشيخ، ما هو الخمس؟ وما هي دلالاته وأبعاده؟

الخمس عبادة مالية تزكي الأموال، يدفعها المؤمن بنية التقرب من الله تعالى، فيُثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهي تساوي ٥/ ١ أو ٢٠٪ مما يجب خمسه، وقد فصَّلت كتب الفقه دائرة وجوبه التي تشمل سبعة أشياء: غنيمة الحرب، المعدن، الكنز، الغوص، الفاضل عن مؤونة السنة له ولعياله، الأرض التي اشتراها الذمي من المسلم، الحلال المختلط بالحرام مع عدم تمييز صاحبه[٢].

عند الاطِّلاع على مصرف هذه الفريضة، ندرك الأهداف التي تحققها، ونستفيدها من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٣].

الخمس على ستة أسهم: سهم لله تعالى، وسهم للنبي صلى الله عليه وآله، وسهم لذوي القربى وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهذه الثلاثة

---

(١) اللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص:٢٩٣.
(٢) راجع تحرير الوسيلة والكتب الفقهية، باب الخمس.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

تندرج فيما اصطلح على تسميته بسهم الإمام المعصوم وهو الآن الإمام المهدي (عج) الذي يملك حق التصرف بالأسهم الثلاثة، وفي غيابه يصرفها الفقيه الذي ينوب عنه في التصدي لأمور المسلمين ويأذن في صرفها في حاجات ومصارف الأمة والمشاريع الإسلامية المختلفة كمساعدة الفقراء وبناء المدارس والأعمال الخيرية والاجتماعية وغيرها. وثلاثة للأيتام والمساكين وأبناء السبيل ممن انتسب بالأب إلى عبد المطلب[1] كما ورد في الروايات التي فصّلت هذا المعنى، وتندرج هذه الثلاثة تحت عنوان سهم السادة. فيكون الخمس مقسماً إلى قسمين متساويين: سهم الإمام وسهم السادة، حيث يصرف كل سهم في موارده المذكورة أعلاه.

وإذا استعرضنا الشرائح المستفيدة من الخمس، نجدها من أصحاب الحاجات الاجتماعية والنشاطات المتنوعة التي تساهم في إحياء المجتمع. وعلى الرغم من قلة الملتزمين اليوم بأداء هذه الفريضة فإنها تسد ثغرات كبيرة جداً وتُنشئ مشاريع وأعمالاً كثيرة تُغطي مساحة واسعة من متطلبات مجتمعنا، وتحقق تكافلاً اجتماعياً مهماً، ولولاها لبرزت المآسي الاجتماعية الكبيرة ولوقفنا عاجزين أمام الحاجات الملحّة لخدمة الأجيال من المدارس والتبليغ والمستشفيات والمستوصفات والأعمال الخيرية فضلاً عن دعم مقاومة الاحتلال وما يستلزمه من نفقات وأعباء.

---

(١) الإمام الخميني (قده)، تحرير الوسيلة، ج١، ص: ٣٥٢ و٣٦٥.

فإذا كانت الآثار الإيجابية كبيرة مع هذا المستوى من الالتزام، فكيف سيكون عليه الحال لو التزم الجميع بأداء الخمس؟ عندها يمكننا أن نستعيد الذكريات المجيدة في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان يكنس بيت مال المسلمين بعد أن يوزع العطايا والتقسيمات على أصحابها، ثم يمتلئ هذا البيت مجدداً ويصرفه في مجالاته أيضاً، فلا يبقى محتاج واحد في بلاد المسلمين، فقد روي عنه عليه السلام: «إن علياً كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالماء، ثم يصلي فيه ركعتين، ثم يقول: تشهدان لي يوم القيامة»[1].

الخمس عبادة وليس ضريبة مفروضة من الدولة، فالمسؤولية تجاهها أمام الله تعالى في يوم القيامة، وعلى كل فرد أن يحسبها بدقة ليُبرئ ذمته ويرفع عنه المسؤولية، ولا تُغني الضرائب المعمول بها اليوم عن هذا الحق، الذي يترتب على الأفراد بشكل أساسي في إطار ما يفضل عنهم من أرباح سنتهم بعد صرف ما يحتاجونه في شؤونهم الفردية والعائلية لسنة كاملة.

كيفية الكسب

لماذا وضع الإسلام قيوداً على تحصيل المال؟

إن طريقة تحصيل المال تؤثر على بنية المجتمع الثقافية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية، فالإنسان لا يتأثر بعامل

---

(١) الثقفي، الغارات، ج١، ص:٤٧.

واحد في حياته، وإنما تتظافر العوامل مع بعضها لتُنتج سلوكاً في حياته، فبحسب موارد تحصيل المال تتأسس البُنى الثقافية والاجتماعية في المجتمع.

ولتقريب الفكرة نضرب مثالاً عن القمار، فالسعي لتحصيل المال عن طريقه يؤدي إلى نتائج عدة أبرزها:

١ ـ حصول البعض على أموال طائلة من دون تعب، ومن ثمار جهود الآخرين الذين تعبوا لتحصيلها، ما يولِّد ثروات غير مسؤولة وأحقاداً بين الناس.

٢ ـ خسارة البعض لأموالهم بلحظات بسيطة من دون مسوِّغ منطقي باستثناء نزوة تسلية عابرة أو رغبة في ربح سريع.

٣ ـ افتقار بعض العوائل رغم حاجتها، لانصراف الزوج أو الأب عن القيام بمسؤوليته تجاه أسرته لتعلقه بلعب القمار، وهذا يؤدي إلى مآسٍ اجتماعية كبيرة.

٤ ـ رواج نمط تربوي في المجتمع يرتكز على عدم الاهتمام بالإنتاج المالي الهادئ والهادف، وعدم الاهتمام بالأعمال الصالحة والطريق السليم، ما يولِّد بطالة منحرفة تؤدي بأصحابها لسلوك طرق فاسدة لتحصيل المال، والتعود على نمط منحرف في الحياة.

فالتحريم ينطلق من قطع الطريق أمام الآثار السلبية المحتملة

على الفرد والمجتمع، فهي ليست مشكلة اقتصادية أو مالية بحتة، إنما هي مشكلة تربوية ومجتمعية، لا تنحصر آثارها بمن يحصل على المال المحرَّم، بل تعمُّ أفراد المجتمع وتنعكس مباشرة على الأجيال الناشئة التي يغرُّها سلوك الدرب السريع والمحرَّم لتحصيل المال، فتقع في أزمات ومآزق في ريعان شبابها، تشكل عقبات مستقبلية أمامها.

أمَّا ما يمارسه البعض من المتاجرة بأعراض الناس أو ترويج أفلام ومجلات الخلاعة والرذيلة أو بيع المخدرات بأنواعها، فإنَّه يدمِّر بُنية المجتمع، ويجعله رهينة أطماع الرأسماليين المالية، الذين لا يهتمون إلاَّ بزيادة ثرواتهم مهما كانت النتائج.

من هنا كانت المكاسب المحرَّمة من الكبائر التي نهى عنها الإسلام، منها القمار، وأكل السحت[١] كثمن الميتة والخمر، والمسكر، وأجر الزانية، والرشوة على الحكم ولو بالحق، وما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، وبيع الأموال المزوَّرة[٢]، ومعونة الظالمين في ظلمهم، وعمل السحر، والغش، والتزوير وغيرها.

وقد اعتبر القرآن الكريم الإثم والعدوان والسحت في سياق

---

(١) الإمام الخوئي (قده)، منهاج الصالحين، ج١، ص: ١٠.
(٢) (الدراهم الخارجة عن الاعتبار أو المغشوشة) تحرير الوسيلة للإمام الخميني (قده)، ج١، ص: ٤٩٥.

واحد، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**السحت أنواع كثيرة، منها أجور الفواجر، ثمن الخمر والنبيذ المسكر، والربا بعد البيِّنة، فأما الرشا في الحكم فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله صلى الله عليه وآله**»[2].

الثروة المشروعة

هل نرفض وجود الثروة مع أحد؟

لسنا مع رفض الثروة لأحد إذا جاءت عن طريق الحلال، ولسنا مع التربية الحاقدة التي يلجأ إليها البعض لتحريض الفقراء على الأغنياء لمجرد غناهم، فالإسلام لا يمنع الثروة ولا يحدِّد كميتها، وإنما يحدِّد كيفية الحصول عليها، فهو يحدد الكيف ولا يحدد الكم. فطالما حصل الإنسان على المال عن طريق الحلال فماله مشروع، وهو رزقه المقسوم له من الله تعالى، تبقى العبرة في كيفية صرفه.

عن أبي ذر (رض) قال: **خرجت ليلة من الليالي فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده وليس معه إنسان، فظننت أنَّه يكره أن يمشي معه أحد، فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني، فقال: من هذا؟ قلت: أبو ذر جعلني الله فداك. قال: يا أبا ذر تعال،**

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٢.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص:١٢٦.

فمشيت معه ساعة، فقال: «إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلاَّ من أعطاه الله خيراً، فنفخ فيه بيمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل منه خيراً»[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**إنَّ الله عزَّ وجل يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيِّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله عزَّ وجل فمنعوا حقَّ الله عزَّ وجل في أموالهم**»[٢].

وعن سدير الصيرفي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال له: «**يا سدير ما كثُر مال رجل قط إلاَّ عظمت الحجة لله عليه، فإن قدرتم أن تدفعوها عن أنفسكم فافعلوا.**

فقال له: يابن رسول الله بماذا؟

قال: بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم»[٣].

فالمقياس هو الاستقامة في تحصيل المال، وصرفه في محله الصحيح، وتأدية الواجب تجاهه، بإخراج الحق الشرعي منه. فعن أبان بن تغلب، قال أبو عبد الله عليه السلام: «**أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع ما منع من هوان به عليه؟ لا، لكنَّ المال**

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٤٠٩.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٣، ص: ٥٠٦ (قيس: قدر).
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٣٠٢.

مال الله يضعه عند الرجل ودائع، وجوَّز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلموا به شعثهم، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]»[2].

الغرور تربية خاطئة

بعض الأشخاص يتكبرون على الناس ويصيبهم الغرور بسبب المال، فكيف نعالج هذه المشكلة؟

إذا امتلك الإنسان بعض المقوِّمات من مال أو موقع او علم أو جمال أو قوة فهو معرَّض للاعتداد بنفسه وللإصابة بالغرور، وهذا أمر تربوي، فبحسب التربية التي نشأ عليها وتقييمه لنعم الله تعالى، يصبح مغروراً إذا ادَّعى القدرة الذاتية، ويكون متواضعاً وطبيعياً إذا أقرَّ بعطاء الله تعالى.

والخطأ الذي يقع فيه البعض هو نسيانهم وإغفالهم لمصدر النعم والقدرات، فمهما امتلك الإنسان من كفاءة وأهلية، فإنها لا تكفي لحصوله على مكاسب الدنيا، بل الكفاءة نفسها من عطاء الله تعالى، وما لم ييسر الله تعالى الرزق له فلا يمكنه الحصول على

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) تفسير العياشي، ج٢، ص:١٣.

المال، الذي يُعتبر عطاءً اختبارياً وامتحاناً إلهياً في هذه الحياة الدنيا، وليس تشريفاً أو تكريماً للإنسان، لكنَّه نعمة تستحق الشكر إذ لا يتساوى الناس فيها حتى لو تساووا في المقدمات.

هل تبقى النعمة لصاحبها؟ وهل يضمن زيادتها؟ وهل يأمن الانتكاسات التي يمكن أن يتعرض لها؟ ألم ير أقرانه من الذين تدمَّرت مصالحهم وتراجعت ثرواتهم وخسروا أملاكهم وأموالهم؟ فليتعرَّف على نفسه وعلى قدرتها ليتصرَّف بواقعية وموضوعية.

إنَّ التواضع حماية للنفس الإنسانية، وإقرار بالربوبية بشكل علمي، وتدريب على الاعتراف بالجميل وشكر لله تعالى على نعمه، والذي يؤدي إلى الزيادة والتوفيق: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١].

مسؤولية الدولة

من هو المسؤول عن الخلل في توزيع الثروات؟

يأتي الخلل في توزيع الثروة من سوء الإدارة والظلم واستغلال الموقع والاتجار بالمحرمات، وتتحمل الدولة مسؤولية كبرى في ذلك لأنَّها ترعى القوانين المنظِّمة للحصول على الثروات من خلال قوانين البيع والشراء والامتلاك والوكالات الحصرية وغيرها، فإذا لم تطبق قاعدة من أين لك هذا؟ فإن

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

إغراءات الثروة المحرَّمة متعددة، تصيب المسؤولين في السُلطة ومواقع الدولة الأساسية بمرض السمسرة والعمالة المالية واستغلال الموقع، حيث يجنون الثروات الطائلة عن طريق الحرام، ويعملون لتشريع القوانين التي تلائم أصحاب رؤوس الأموال الكبرى التي تعود بالنفع عليهم أيضاً. ومع عدم وجود الرقابة الفاعلة فإن استغلال أموال الشعب أمر سهل لمن بيده قرار التلزيمات والمناقصات وشراء التجهيزات وغيرها.

ومن الصعب أن تُجمع الثروات في الأغلب الأعم إلاَّ من شُحٍ أو حرام، وهذا ما يُوجِد خللاً كبيراً بين فئة غنية مترفة وفئة فقيرة معدمة، وبينهما فئة محدودة من متوسطي الحال. ولا يمكن للأفراد أن يعالجوا هذه المشكلة بالنصائح والتوجيهات، لأنها تحتاج إلى معالجة على مستوى إدارة الدولة، وهذا يعود إلى مستوى استقامة المسؤولين فيها ومدى جدِّيتهم في المحاسبة ورعاية شؤون عامة الناس.

لكنَّ هذا لا يدفعنا إلى سلوك مسلك الحرام في مجاراة الآخرين، فإذا كان الشعب عاجزاً عن المحاسبة فإنَّ الرقابة الإلهية لا تتوقف لحظة واحدة، وهي تسجِّل ما يرتكبه الإنسان من محرَّمات، وبطبيعة الحال فإنَّه لا تنفع هذه الرقابة في الدنيا إلاَّ مع من آمن بها، فيستقيم حتى لو انحرف الجميع.

الرزق المقسوم

البعض يأتي رزقه من الحرام، ويعتقد بصعوبة حصوله على رزقه من الحلال، فما رأيكم؟

هذه النظرة خاطئة، فمعادلة الرزق تنطلق عندنا من الإيمان بأنَّه من عند الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1]، وهو الذي يقسمه بين عباده، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]، وهو جزء من الاختبار الإلهي، يمنح من يشاء من عطائه ليختبره به، ويحرم من يشاء من عطائه ليمتحن صبره وثباته.

فالرزق مقسوم لا يبدِّله سلوك طريق الحلال أو طريق الحرام، بمعنى أنَّ حصة الإنسان من هذه الدنيا له، فلو اجتمع العالم ليسلبه إياها لما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولو بذل جهوداً استثنائية وقام بمحاولات مضنية لما تمكن من الحصول إلاَّ على رزقه المقسوم. وبما أنَّه عطاء إلهي للاختبار فلا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، وهذا جزء من التفاوت الاجتماعي الذي يساعد على تكامل الحياة من خلال حاجة الناس بعضهم إلى بعض.

عندما نطَّلع على حياة شخصين يمتلكان المواصفات نفسها في

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

العمر والشهادة والكفاءة، فنجد الأول قد تيسرت له فرصة نادرة فجمع ثروة مهمة في وقت قصير، ونجد الثاني متعثراً لا يقوى على تجاوز قوت يومه على الرغم من الجهود التي يبذلها في عمله، فإنَّه لا تفسير لهذا الاختلاف في النتائج مع تشابه المقدمات إلاَّ الرزق المقسوم.

أمَّا أن يعتقد البعض بحصوله على الثروة بسبب الحرام، وأنَّه لو بقي في طريق الحلال لما حصل عليها، أو أنَّه انتظر طريق الحلال طويلاً فلم يتوفق وبمجرد أن قرر سلوك طريق الحرام انفتحت أمامه أبواب الثروة، فهذا التباس واضح. لأن الأول سيحصل على هذه الثروة فهي رزقه، لكنَّه اختار طريق الحرام من البداية ولو سلك طريق الحلال لحصل على الثروة نفسها، أمَّا الثاني فقد حصل على رزقه عن طريق الحرام، ولو صبر لحصل عليه عن طريق الحلال، فاعتقاده بأنَّه صبر كثيراً ولم ينجح إلاَّ عن طريق الحرام، يرد عليه بأنَّه لو صبر قليلاً لوصل إلى مرامه عن طريق الحلال.

المكانة للعمل

ألا يُقيَّم الناس في المجتمع على أساس إمكاناتهم المالية؟

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**قيمة كل امرئ ما يحسنه**»(١).

فالمال لا يزيد من قيمة الإنسان، والمركز لا يرفع من مكانته، إنما

---

(١) نهج البلاغة، حكم ومواعظ، رقم ٨١، ص٧٤٩.

العمل الصالح هو الذي يزيد من قيمته ويرفعه بين الناس بشكل واقعي. وعندما ينبهر البعض بأصحاب رؤوس الأموال، ويتحسَّرون لعدم امتلاكهم ما يحوزون عليه، فهي تربية خاطئة تؤثر على صاحبها، وتجعله يختنق بحسرته وحسده ونظرته إلى ما عند الآخرين، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۢ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1]. فمن أراد زيادة أو ثروة أو حاجة فليسأل الله من فضله، وليقم بما عليه من جهود وسعي، وليكن مستعداً للرضى بالنتائج مهما كانت، لأنَّها خارجة عن قدرته، ومن الأفضل أن لا يعيش المأزق الذي يولِّد له الأزمات في داخل نفسه إذا لم يحصل على ما يريد، فإنَّه لن يغير من الأمر شيئاً.

كما نبَّهنا الإسلام من معاشرة الأغنياء المترفين، الذين يسرفون فيما ينفقون، ويتباهون بأموالهم، ويعتقدون في أنفسهم قدرة على امتلاك عقول وقلوب الناس، فعن الرسول ﷺ: «**أربع تميت القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء، ومجاراة الأحمق تقول ويقول ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى. فقيل له: يا رسول الله وما الموتى؟ قال: كل غني مترف**»[2].

واعمل لتكون مالكاً لمالك مهما كان قليلاً، لا أن تكون

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٢٢٨.

مملوكاً له، وملكك له بالتعامل معه كوسيلة لحاجاتك في الحياة من دون أن يستأثر بحياتك، أو أن يدفعك للتخلي عن مبادئك من أجل الحصول عليه والمحافظة عليه، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزَّ وجل**»[(١)]، ولنعم ما قيل: ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شيء.

وليكن احترامك للصلاح لا للأموال، وإن طغت الأعراف الاجتماعية في تكريم أصحاب المواقع والأموال، فإنَّها لياقات ظاهرية لا يصح أن تدخل في مضمون تقييمك، وليكن تقييمك للناس على أساس أعمالهم، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص: ٧٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

حـق الغـريم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمّا حق الغريم المطالب لك، فإن كنتَ موسراً أوفيتَه وكفيتَه وأغنيتَه، ولم ترده وتمطله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (مَطلُ الغني ظلم). وإن كنتَ معسراً أرضيته بحسن القول، وطلبت إليه طلباً جميلاً، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً، ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته، فإنَّ ذلك لؤم، ولا قوة إلا بالله».

الغريم المطالب هو الدائن الذي أقرض مالاً لشخص آخر هو المدين أو المديون، واقراض المؤمن من المستحبات الأكيدة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من أقرض أخاه المسلم، كان له بكل درهم أقرضه، وزن جبل أحد، وجبال رضوى، وطور سيناء، حسنات، فإن رفق به في طلبه، يعبر به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع، بغير حساب ولا عذاب، ومن شكا إليه أخوه المسلم فلم يقرضه،**

حرَّم الله عليه أجر المحسنين»[١]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من مسلم أقرض مسلماً قرضاً حسناً يريد به وجه الله، إلّا حسب له أجرها كحساب الصدقة حتى يرجع إليه»**[٢].

والأفضل كتابة الدين، لتوثيق قيمته وتاريخ استحقاقه، لضمان عدم الخطأ أو النسيان، وحفظ حقوق الورثة في حال وفاة أحد طرفي الدين، وقد حثّنا القرآن الكريم على تدوينه وفق الأصول مع البيِّنة بشهادة عدلين أو رجل وامرأتين، من دون التحرج بالأعراف الاجتماعية والصداقة، فالشريعة رسمت الضوابط لحفظ الحقوق التي لا تُخل بالأخوة والتعاون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ . . .﴾[٣].

إنَّ حق الغريم الدائن على المدين يرتبط باحدى حالتين:

---

(١) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص: ٢٨٩.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص: ٣٣٠.

(٣) سورة البقرة من، الآية: ٢٨٢.

الأولى: أن يكون المدين قادراً على التسديد في زمن الاستحقاق، فعليه أن يوفي الدائن حقَّه، ويكفيه ويغنيه عن السؤال والمطالبة، ولا يرده أو يماطل به أو يؤجل التسديد من دون عذر، طالما أن الله تعالى قد أغناه من فضله ويسَّر له أمره، فما الداعي لعدم المبادرة إلى التسديد، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّ مماطلة وتسويف الغني القادر على أداء حق الغريم ظلم يُحاسب عليه يوم القيامة، كما ذكر الإمام الخميني (قده) : «مماطلة الدائن مع القدرة معصية»[١]، و «يجب على المديون عند حلول الدين ومطالبة الدائن، السعي في أدائه بكل وسيلة، ولو ببيع سلعته ومتاعه وعقاره، أو مطالبة غريم له، أو اجارة أملاكه وغير ذلك»[٢].

الثانية: أن يكون المدين معسراً غير قادر على التسديد، فليتصرف بحسن القول ودماثة الخلق مع الغريم، ليعوض له بأخلاقه عن التأخير بالتسديد، فإن الطلب الجميل والرد اللطيف والاعتذار اللبق لتأجيل التسديد يُحدث في نفس الدائن أثراً طيباً. وفي كل الأحوال فهذه أخلاقية المؤمن في التعاطي مع الناس، لكنَّها تصبح آكد مع من قدَّم خدمة لأخيه أثناء حاجته إليها مع استمرارها كذلك.

---

(١) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج١، ص:٦٥١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص:٦٥٠.

أمَّا أن يتصرف المدين مع غريمه بعصبية أو سوء خلق وكأنه صاحب الحق، ويتأفف من أصل مطالبة الدائن له، فهذه مشكلة حقيقية؟ ألا يكفي عدم حصول الغريم على حقه ليضاف إليه سوء المعاملة، «فيجتمع ذهاب ماله وسوء معاملته، فإنَّ ذلك لؤم».

فليترك المدين مجالاً لغريمه ليساعده انسجاماً مع توجيهات الإسلام له، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. ولقوله لرسوله ﷺ: «**ليس لمسلم أن يعسر مسلماً، ومن أنظر معسراً أظلَّه الله بظلِّه، يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله**»[2].

فالتشجيع للغريم الدائن ليصبر على المدين أو يمحو عنه من الدين، يستدعي حسن الخلق من المدين لتتلاقى الصورتان: مدين معسر يتصرف بأخلاقية، ودائن يمهل أو يعفو قربة إلى الله تعالى، فلا تتعقَّد المشكلة، مع التأكيد بأن الأصل سعي المديون ليفي بالتزاماته تجاه غريمه الدائن.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص: ٩.

حـق الخليـط

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق الخليط، فأن لا تغرَّه ولا تغشه، ولا تكذبه، ولا تغفله، ولا تخدعه، ولا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يُبقي على صاحبه، وإن اطمأن إليك، استقصيت له على نفسك، وعلمت أن غبن المسترسل رِباً».

الخليط لغة هو المخالط والمشارك في أمر مشترك كالزوج والصاحب والجار والجليس والشريك وغيرهم، فمن خالطك في أمر ما واشترك معك به ترتب له حق عليك. وقد استخدم القرآن الكريم هذه اللفظة عند الحديث عن شخص له نعجة ضمَّها إلى أخيه الذي يملك تسعاً وتسعين نعجة، كان قد شكا للنبي داود عليه السلام أخاه بعدم انصافه، فقال داود عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١]. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من سعادة المرء الخلطاء الصالحون. . .** »[٢].

إنَّ حق مخالطك بناء على ضوابط العلاقة الإنسانية التي شرَّعها الإسلام أن لا تغرَّه بخداعه وتدليس الحقائق عليه وإطماعه بالباطل، ولا تغشه بإخفاء واقع الأشياء، ولا تكذبه بذكر أحداث لم تحصل وغير صحيحة، ولا تغفله عند عدم انتباهه، ولا تخدعه بإبراز الصورة على غير حقيقتها، ولا تنتقص من كفاءته وشخصيته، فلا تسخر ولا تهزأ منه. إنَّ عليك الابتعاد عن كل هذه الصفات المذمومة وما شاكلها، لأنها لا تبقي على صاحب، وهي من أعمال العدو مع عدوه.

انتبه إلى تصرفاتك وسلوكك إذا اطمأن إليك، فلا تستغله، فليس هذا من شيم المؤمنين، بل اجهد لتعطيه من نفسك أقصى ما يمكنك. ولا تغبنه فتخدعه عند استرساله في حديثه معك ولجوئه إليك واستشارته لك في بعض أموره، وقد شبَّه الإمام زين العابدين عليه السلام غبن المسترسل بالربا، فكما يحرم الربا الذي يزيد عن قيمة القرض، يحرم الغبن وما يشابهه من الصفات الذميمة التي ذكرها لأنَّه يمثل زيادة غير مشروعة ومخالفة للواقع والحقيقة.

أيها الإنسان، انصف خليطك، واصدقه القول والعمل، وعبِّر

---

(١) سورة ص، من الآية: ٢٤.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص:١٨٩.

عن انسانيتك معه، فإن قوام الاجتماع الإنساني السليم أن يتصرف المرء بأخلاقية وصدق مع اخوانه ومن يحيطون به، واعلم أن حساب الرقيب الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء أعظم وأشد، فادَّخر لآخرتك سلوكاً قويماً وأعمالاً صالحة، ففيها سعادة الدنيا بالصلاح، وسعادة الآخرة بالثواب.

حق المدَّعي

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق الخصم المدعي عليك، فإن كان ما يدَّعي عليك حقاً، لم تنفسخ في حُجتُهُ، ولم تعمل في إبطال دعوته، وكنت خصم نفسك له، والحاكم عليها، والشاهد له بحقِّه دون شهادة الشهود، فإنَّ ذلك حقُّ الله عليك. وإن كان ما يدَّعيه باطلاً، رفقت به، وروَّعته، وناشدته بدينه، وكسرت حدَّته عنك بذكر الله، وألقيت حشو الكلام ولغَطه، الذي لا يردُّ عنك عادية عدوِّك، بل تبوءُ بإثمه، وبه يشحذُ عليك سيفَ عداوته، لأنَّ لفظة السوء تبعثُ الشَّر، والخير مقمعةٌ للشر، ولا قوة إلاَّ بالله».

تحصل الخصومة بين الأفراد، ويدب الخلاف بينهم، فينشأ إدعاء للحق من طرف، وإنكار له من طرف آخر، فالأول مُدَّعٍ والثاني مدَّعى عليه، ثم يتحاكمان إلى القاضي أو الحاكم الشرعي

ليحكم بينهما. عندها تسلك الدعوى طريقها الشرعي، فعلى المدعي إثبات حقِّه أو مدَّعاه وذلك بالدليل المعتبر، ومنه البيِّنة، بشهادة رجلين عادلين، أو شهادة رجل وامرأتين، او شهادة رجل مع يمين المدعي، أو شهادة امرأتين مع يمين المدعي... حيث تختلف تفاصيل البينة بحسب الدعوة إذا كانت مالية كالبيع والصلح والإجارة أو كانت ديناً أو كانت أموراً أخرى، وتراجع كتب الفقه لتحديد التفصيل المناسب لكل مورد، وما يهمنا في المقام، حاجة المدعي إلى الدليل وفق الموازين المعتبرة لإثبات مدَّعاه، فلا يكفي إيمانه لتصديقه، ولا يكفي استعداده لقسم اليمين على مدَّعاه ابتداءً، إذا كان المنكر مستعداً لقسم اليمين مع عدم وجود البينة عند المدَّعي لدعوته، قال رسول الله ﷺ: «**البيِّنة على من ادَّعى واليمين على من ادُّعي عليه**»[1].

وهذا ما يدفعنا لتوجيه الناس بأن يدونوا حقوقهم عند بعضهم البعض، ويُشهدوا عليها وذلك لاعتبارات عديدة منها:

أ ـ نسيان أحد المتعاملين مع مرور الزمن لحق الآخر فتكون الوثيقة والشهادة مذكراً للطرفين بما تعاقدا أو اتفقا عليه.

ب ـ موت أحد المتعاملين، فلا تضيع حقوق الورثة، ولا يتهمون المتعامل الآخر بحقوق ليست لهم.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٧، ص: ٤١٥.

ج ـ تجنب الوقوع في طمع أو احتيال أحد الطرفين الذي قد يزوِّر الحقائق لمصلحته، فمع إمساك هذا الطرف بمقدرات الأمور، ومع عدم وجود الاثبات عند الطرف الآخر، يصعب تحصيل الحق، ويعسر تهيئة الدليل بسبب عدم تدوينه أو تبيينه بالشهود.

د ـ عدم اعتبار التدوين مخلاً بالثقة بين الطرفين، أو منافياً للاعتبارات العرفية، فالعودة إلى شرع الله تعالى وتوجيهاته أوثق وأكثر اعتباراً، فقد وجَّه القرآن المتداينين أن يدونوا دينهم صغيراً كان أو كبيراً، وأن يُشهدوا على دينهم، فإن كان الذي عليه حق لا يملك الصلاحية والأهلية لصغر سنه او سفهه فليكن الإملاء من وليِّه، ويستثنى من عدم الكتابة ما كان تجارة حاضرة تنتهي مباشرة بالبيع والشراء، فالمقصود حفظ الحقوق لا تعقيد المعاملات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

إنَّ تشريع الضوابط القانونية لتحديد صاحب الحق، ولفصل الخلافات بين الناس، ضرورة لا بدَّ منها، إذ لا يمكن الاعتماد على عنوان الإيمان فقط، ولا على عنوان الثقة الشخصية، فقد يهتز الإيمان عند فرد معين في بعض الحالات فيعصي ويخطئ، وقد تكون الثقة مبالغاً فيها أو لا تستند إلى معطيات دقيقة، كما أنَّه مع ازدياد أعداد الناس، لا يمكن معرفة جميع الأشخاص ولا يمكن الاعتماد على التقصي لاصدار الأحكام بناء على المعلومات السرية والخاصة التي قد تكون خاطئة وغير مقنعة في بعض الحالات. هذا التشريع القانوني لتحديد المدعي والمدعى عليه، وتحديد الآليات المتبعة لتقديم الأدلة من أجل الاثبات أو النفي، يجعل الصورة واضحة أمام أي قاض أو حاكم ليتخذ الأحكام المناسبة بناء على الأدلة.

لكن هذا لا يعني أنَّ الدليل الشرعي للحكم بين المتخاصمين يؤدي إلى الحكم الواقعي، فالقانون يعتمد على الأدلة المادية لاثبات الحق، قال رسول الله ﷺ: «**إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان، وبعضكم ألحنُ بحجته من بعض، فأيما رجل قطعت له**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

من مال أخيه شيئاً، فإنما قطعت له به قطيعة من النار»[(١)]. فلو لم يُشهد صاحب الحق على شرائه لمنزلٍ من آخر، فإنَّه يفتقر إلى البينة، عندها ينتقل اليمين إلى المُنكر وهو المدَّعى عليه، فلو تجرأ وأقسم خلافاً للحقيقة، لم يثبت المنزل للمدَّعي، فمن ناحية شرعية وفق الآلية المعتمدة لحفظ الانتظام الإنساني فالمنزل للمدعى عليه، ومن ناحية واقعية بحسب الحقيقة وعلم الله بخفايا الأمور فالمنزل للمدَّعي. لكن مع تقصير المدَّعي بتوفير الدليل أو مع وجود ظروف معينة منعت من تحقيقه، في مقابل عدم خشية المنكر من الله تعالى، واستغلاله عدم قدرة المدعي على اثبات حقِّه، لا مجال أمام المدعي إلاَّ أن يتقبَّل هذا الحكم، وليشكو مظلوميته إلى الله تعالى الذي لا يضيع لديه حق في يوم الحساب، إذ لا تستقيم حياة البشر إلاَّ بوجود الضوابط القانونية التي تحكم بظواهر الأمور، وتحسم الخلاف بين المتخاصمين. فالمستندات والأدلة دليل قانوني لا يبطل الحق لصاحبه في الواقع ولا عند الله تعالى.

إنَّ الاهتمام الإسلامي بتعزيز رقابة الله تعالى في حياة الإنسان، ينطلق من تربية إيمانية وأخلاقية تساعد في رعاية حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها، سواء توفرت الاثباتات والأدلة القانونية لحقوقهم أم لم تتوفر، فالأصل عند المؤمن أن لا يأكل

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٧، ص: ٤١٤.

الحرام ولا حقوق الآخرين، وإن لا تغريه بعض المكتسبات الدنيوية، وأن لا يتصرف خلسة بما يجعل الدليل لمصلحته، فهو عالم بحقه ومراعٍ لحقوق الآخرين خشية الحساب عند مليك مقتدر.

إنَّ للمدعي عليك حقاً يترتب على كلا الاحتمالين بالنسبة إليك، فله حق عليك إن كان ما يدَّعيه حقاً له، وله حق عليك إن كان ما يدَّعيه باطلاً.

١ ـ فإن كان ما يدَّعي عليك حقاً، وأنت متيقن من ذلك، لا يجوز لك أن تعمل لإبطال دعوته، حتى لو توفرت لك المخارج التي تقلب حقه باطلاً، لأنك مسؤول أمام الله تعالى، وحق الله عليك أن تُنصف عباده، وتعطي كل ذي حق حقه، وعلى هذا الأساس يجب ان تكون خصم نفسك، ومعارضاً لرغباتك، ورافضاً للمتاع المحرَّم، وأن تكون نصيراً للحق، فتحكم على نفسك، وتشهد بحقه من دون حاجة إلى شهود من قبله، وهكذا تكون منسجماً مع إيمانك بالله تعالى، وصادقاً في شعورك برقابته، فإن الحق لا يبطله شيء، وأنت الأمين على حقوق الآخرين انسجاماً مع تكليفك، فلا تحتاج إلى إرغام للاعتراف بالحق، ولا تنتظر أدلة الآخرين لاثباته عليك، فما كان واضحاً عندك لا التباس فيه، تُقرُّ به مهما كانت التبعات.

٢ ـ وإن كان ما يدَّعيه باطلاً، وأنت متيقن من ذلك، فاعمل

على اثبات حقك بالوسائل المشروعة، واحرص على تعاملك معه بأخلاقية عالية، فإنَّ ادعاءه عليك لا يجعله عدواً، ولا يغيِّر في أدائك وسلوكك الإسلامي. لذا فارفق به بأن تتعامل معه بلطف، وروِّعه أي أفزعه بالحساب العسير في يوم القيامة، وبالابتلاء الصعب في الدنيا، وناشده بدينه بأن يُشهد الله على نفسه وأن يعود إلى تكليفه الشرعي، ويميز بين الحلال والحرام، ويعطي الحق لاصحابه. وذكِّره بالله تعالى، فإنَّ ذكره يكسر الحدَّة والغلظة والعنفوان عنده.

وانتبه إلى خطابك ليكون مفهوماً وواضحاً، فلا تقترب من حشو الكلام ولغطه، الذي يسبب الالتباس وتضيع الحقائق، فمثل هذا الكلام لا يرد عنك عادية عدوك أي غضب خصمك واعتداءه على حقك، فتكون شريكاً معه في الاثم لأنك استخدمت التعابير التي تستنفره وتشعره بمحاولة التفافك عليه، بل تبوءُ باثمه.

وبما أنك مؤمن بحقك، فلا تصرف النظر عنه بحادث آخر ينشأ عن اللفظ السيّيء، فلطالما انصرف المتخاصمان إلى مطالبة أحدهما للآخر بكلمة أساءت له أكثر من استمراره بالمطالبة بحقه الأصلي. والمعادلة واضحة: لفظة السوء تبعث الشر، وتوقع العداوة، وتوتر الأجواء، وتزيد المأزق. أمَّا لفظة الخير فتقمع الشر، وتقرّب القلوب، وتسهّل الحلول، وتوفّر المناخ الملائم لانصاف صاحب الحق، وربما أدَّت إلى الصلح.

إنَّ حق المدعي عليك، مواجهته بحقك وأدلتك، بالأسلوب اللائق والتصرف الرزين والأدب الإسلامي الرفيع، فالدعوة تعبير عن خصومة واختلاف، ولا يجوز أن تتعدى ذلك إلى ما عداها، وهي ليست نهاية المطاف في العلاقة بين طرفين، ولا تبرِّر الخروج عن السلوك الشرعي مهما كانت المبررات.

حق المدَّعى عليه

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق الخصم المدَّعى عليه، فإنْ كان ما تدَّعيه حقاً، أجملتَ في مقاولته بمخرَج الدعوى، فإنَّ للدعوى غِلظةً في سمع المدعى عليه، وقصدتَ قصد حجتك بالرفق، وأمهلَ المهلة، وأبينَ البيان، وألطفَ اللطف، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال، فتذهبَ عنك حجتك، ولا يكون لك في ذلك دَرَك، ولا قوة إلا بالله».

الادعاء مزعج للمدعى عليه، سواء اعتقد بأنه صاحب الحق، أو كان مدركاً لحق المدعي، ولكن لا تُحل الخصومة والاختلاف في بعض الحالات إلاَّ بالادعاء عند الحاكم أو القاضي، وهو حق مشروع على ان يُراعى حق الطرف الآخر، وأن يُعتمد على الوسائل المعتمدة شرعياً في التحاكم واسترداد الحق.

ذكر الإمام زين العابدينعليه السلام فرضية لو كان ما تدَّعيه حقاً من وجهة نظرك، ولم يذكر الاحتمال الآخر في ادعاء ما ليس حقاً لك، لأنَّه لا يجوز لك أن تدَّعي على احد مع علمك بحقِّه عليك، فالتوجيهات مرتبطة بسلامة أصل الدعوى، وإلاَّ لا نفع لها مع الظلم الناشئ عن الادعاء بغير حق.

إذاً أنت صاحب الحق الذي ادعى على خصمه، فلا تتذرع بحقك لتتصرف بطريقة غير شرعية أو غير لائقة، واتبع التعليمات التالية التي تخفف من وطأة غلظة الدعوى، وتساعدك على إنصاف خصمك بحصر الخلاف في استحصالك على الحق:

أ ـ أجمل في مقاولته أي في مجادلته، فلا تكثر من الكلام، ولا تُطِل فيما لا فائدة منه، وليكن تركيزك على الكلام النافع والمختصر الذي يبيِّن حجتك، ويوضح مجال الخصومة، ويخفف من غلظة الدعوى، إذ يكون المدعى عليه في حالة انزعاج، فلا تزدها عليه بالمبالغة في الكلام والتهمة.

ب ـ قدِّم حجتك بالرفق واللين، لتكون دليلك عليه، من دون المؤثرات السلبية في غلظة التصرف أو الكلام أو التعاطي، وامهل المهلة الكافية لاستكمال ملف الدعوى للاطمئنان على حسن سيرها، فإذا احتاج إلى وقت لتوفير الأدلة بحسب زعمه، فاعطه الفرصة لذلك كي لا تكون لديه حجة. وليكن بيانك واضحاً وبيِّناً من دون التباس في مضمونه وآثاره، وكن لطيفاً إلى أبعد حد، فلا

شيء يستدعي خروجك عن الأخلاق الإسلامية الرفيعة في التعاطي مع الآخرين، خاصة عندما تنشأ خصومة بسبب ادعائك عليه، فإذا آلمه ادعاؤك فلتسعه اخلاقك.

ج ـ لا تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال، فالدعوى مرتبطة بالأدلة، وهي التي تنفعك في حسم الخصومة، إذاً ما الداعي للقيل والقال، تقول ويقول، تطرح مسائل لا علاقة لها بالدعوى ويناقشك بها، فتصرفان وقتاً طويلاً بالمنازعة حول مسائل لا علاقة لها بالموضوع. وهذا ما يحصل غالباً بين المتخاصمين، فيثير أحدهما أصل العلاقة المتعثرة بينهما، ويتحدث عن النوايا الخبيثة وراء هذه الدعوى، ويناقش هواجسه منه وعدم ثقته به، ويطلق عبارات وألفاظاً تسيء إليه. لا داعي لهذه المنازعة طالما أن حجتك معك، وقد تفتح على نفسك أبواباً جديدة فتفقد حجتك قيمتها، ومثل هذا الأداء لا يكون لك فيه درك أي نهاية، فهو لا يؤدي إلى إنهاء الدعوى، بل يفتح أبواباً لا تُغلق، ويثير نزاعات لا تنته.

إنَّ الادعاء اثبات للخصومة وفتحها على ازمة علاقة مع المدعى عليه، لكنَّ مراعاة حق المدعى عليه بما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام يقلل غلظة وخسائر الدعوى إلى أقصى حد ممكن، وقد يفتح الباب للمصالحة والتفاهم والحل.

حـق المستـشـير

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق المستشير، فإن حضَرَك له وجهُ رأي، جهدتَ له في النصيحة، وأشرتَ عليه بما تعلم أنَّك لو كنتَ مكانه عملت به، وليكن ذلك منك في رحمة ولين، فإنَّ اللين يؤنس الوحشة، وإن الغلظ يوحش موضع الأُنس. وإن لم يحضرك له رأي، وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك، دللته عليه، وأرشدته إليه، فكنت لم تألُهُ خيراً، ولم تدَّخرْه نصحاً، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله».

حق المستشير

يحتاج الإنسان إلى المشورة في قضايا كثيرة تمر معه في حياته، وفي محطات هامة يترتب عليها قرارات مؤثِّرة في مساره، ومهما كان الأمر بسيطاً أو خطيراً فإنَّ الاستفادة من آراء الآخرين تضيف خبرة ومعرفة للراغب للمشورة، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في**

عقولها»[١]، وتوفر عليه التجارب السلبية الناتجة عن عدم اكتمال الصورة أو عدم نضج المقدمات العملية المناسبة.

إنَّ النمو التدريجي للإنسان في مراحله العمرية المختلفة، تضعه في موضع الحاجة للتعلم واكتساب المعارف والخبرات، وتجعل أسئلته مفتاحاً هاماً للاستفادة من تجارب الآخرين، ومن العدل أن يُعين أصحاب الوعي والخبرة من يستشيرونهم، كما يترتب على الاجتماع الإنساني حق للمستشير. وحيث تعرَّض الإمام زين العابدين عليه السلام لحقوق الإنسان كافة، فقد أورد في رسالته أربعة حقوق مترابطة مع بعضها البعض هي: حق المستشير، وحق المشير، وحق المستنصح، وحق الناصح.

أمَّا حق المستشير على المشير فله وجهان:

الأول: أن يكون المشير صاحب رأي في المسألة لقوله عليه السلام: «فإن حضَرَكَ له وجه رأي»، ما يرتب للمستشير ثلاثة أمور:

أ ـ «جهدت له في النصيحة»، من بذل الجهد، كي تكون النصيحة في موضعها الصحيح والأفضل، وتتوفر فيها العوامل الإيجابية المناسبة، وتتحقق لها كل المعطيات والشروط اللازمة للإحاطة بها من كل الجوانب، فتكون مشورة ناضجة ومكتملة وملائمة. وحيث تصدى المشير للمشورة، فلا يحق له التسرع أو

---

(١) نهج البلاغة، حكم ومواعظ، رقم ١٦١، ص:٧٧٧.

الاستهانة، فقد وثق المستشير به، ليأخذ منه أفضل ما عنده، فليبذل الجهد الكافي والمناسب لمثل حالته.

ب ـ «وأشرت عليه بما تعلم أنَّك لو كنت مكانه عملت به»، وهل تقرِّر لنفسك من دون تأمل؟ وهل ترضى لنفسك الضرر؟ إذاً لتكن مشورتك لأخيك وكأنها لك، فأحب له ما تحب لنفسك، وأبغض له ما تبغض لنفسك، فتكون بذلك قد أنصفته، حيث وضعتَ نفسك مكانه، لتصبح مشورتك له بمثابة عملك لو كانت القضية قضيتك. وما نفع المشورة إن لم تكن بهذه الروحية؟ وما قيمة المشير إن لم يعش أهمية رأيه وتأثيره على اختيارات المستشير؟

ج ـ «وليكن ذلك منك في رحمة ولين»، فلا تعنِّفه عند إبداء رأيك، ولا تسخِّفه بسبب سؤاله إياك، ولا تقسو عليه في تسويق فكرتك لديه، فقد أقبل عليك مستشيراً، وهو بحاجة إلى رعاية منك ليأنس بمشورتك، فمع الرحمة واللين يكون استعداده لسماع رأيك أكبر، ويشعر باهتمامك وحرصك عليه، وهذا ما يسهل إصغاءه لك واستئناسه بمشورتك. والتفت إلى حالته النفسية عند حيرته ووقوعه تحت تأثير مسألته، فقد يكون في مأزق أو خوف أو تشويش أو ارتباك، أو يعيش الوحشة في داخله، «فإن اللين يؤنس الوحشة»، ويهدئ الروع، ما يساعد على إنارة الطريق وحسن التأمل والتفكر، أما الضغط والقسوة فيربكان المستشير، فيتأزم وضعه أكثر، فإن

«الغلظ يوحش موضع الأنس»، وبذلك يخسر الفائدة من المشورة، وتنسد الطريق أمامه، وتتعقد المشكلة بدل ان تجد طريقها إلى الحل.

الثاني: أن يرشده المشير إلى صاحب رأي مناسب: «وإن لم يحضرك له رأي، وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك، دللته عليه، وأرشدته إليه». وبذلك تكون قد ساعدته فعلاً، لأنك لم تبادر إلى إبداء الرأي الناقص وغير الملائم، بل اخترت له شخصاً مؤهلاً للمشورة، وتعاطيت معه كما تتصرف في ما يعنيك، حيث كان المرشح موثوقاً لديك وترضى به لنفسك.

هكذا تكون الأخوَّة، وهكذا تكون المشورة الصادقة، بعدم التقصير في بذل الجهد بشكل مباشر أو غير مباشر لإبداء الرأي الصالح، وعدم إدخار القدرة اللازمة للنصح والإرشاد.

وأمرهم شورى بينهم

إنَّ أبرز مقومات الاجتماع الإنساني تكامل قدرات وطاقات البشر مع بعضهم البعض، وتراكم التجارب والخبرات التاريخية للتأسيس عليها، ولا يمكن إعمار الكون بشكل سليم من دون الاستفادة المتبادلة بين البشر، فإن كان الأمر مرتبطاً بالجماعة فهي بحاجة لإمكانات وخبرات أفرادها وبالأخص المتميزين القادرين لديها، وإن كان مرتبطاً بالأفراد فهم بحاجة إلى المشورة واختصار

الجهود والأوقات لمصلحة معالجة النقص لديهم وضعف الخبرة عندهم. أمَّا أن يعيش الإنسان اعتداداً بنفسه، وثقة زائدة بقدراته، وغروراً بإمكاناته، فهذه مقدمة السقوط والهاوية.

إننا بحاجة إلى الواقعية، ولعلَّ بعض التعابير الشائعة في مجتمعنا تدل على الغرور بالذات، ففي بعض جلسات الحوار والنقاش تُستعمل عبارات مثل: أنا أفهم من الجميع، وأنا أعلم من الجميع، وخبرتي لا تضاهيها خبرة، ورأيي لم يتوصل إليه أحد، ولا أحتاج إلى توجيه أو مشورة من احد... وكذلك يتصدى بعض المسؤولين مع مرؤوسيهم أو الآباء مع أولادهم، ليطلقوا شعارات الزهو بالفهم والإدراك كمثل: رأيي هو الصائب وما عداه خاطئ، ولا أقبل بمناقشة ما قررته لأنه الأفضل، وأنا أفهم أكثر منك لعمري وخبرتي، وعليك التسليم بصحة قراراتي، ولا أريد إضاعة وقتي بالمشورة، وأنا. . وأنا... إنها أزمة حقيقية في طريقة تفكير هؤلاء.

أنت بحاجة للاعتراف بضعفك وعجزك ونقصان قدراتك، وإمكانية الاستفادة من طاقات وإمكانات الآخرين، من دون أن تبخس نفسك حقها، ومع ملاحظة الأفراد المناسبين للمشورة، وكذلك الأهداف الأخرى التي تتعدى الأخذ بالرأي الآخر للتدريب والتأهيل وتنمية قدرات الآخرين.

ذكر القرآن الكريم المشورة كصفة من صفات المؤمنين، قال

وهل يجني المرء من الاستبداد برأيه إلاَّ المخاطر؟ وهل يأمن من عدو الباطن والظاهر، أي من وسوسة النفس وقرين السوء، أن يجرَّه إلى الهلاك؟ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**خاطَرَ بنفسه من استغنى برأيه**»[١]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوه من عنقه**»[٢].

سئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييداً للعقل، وأيهما أشد اضراراً به؟ فقال: أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت (التأكد)، وأشدُّها اضراراً له به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وفي آداب ابن المقفع: لا يقذفنَّ في روعك أنَّك إذا استشرت الرجال ظهر منك للناس حاجتك إلى رأي غيرك، فيقطعك ذلك عن المشاورة، فإنَّك لا تريد الرأي للفخر، ولكن للانتفاع به، ولو أنَّك أردته للذكر، لكان أحسن الذكر عند العقلاء أن يُقال: إنَّه لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من أخوانه[٣].

يستفيد الإنسان من تجارب غيره أو يكون موضعاً للتجربة فيستفيد منه الآخرون، وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصص الأنبياء وأقوامهم والأمم السابقة، وما جرى معهم من احداث وقضايا

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص:٤١.
(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص:٤١.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١١، ص:١٠٦.

وكيفية تصرف الأنبياء معهم، وما تحملوه من تضحيات في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وما أنجزوه من نتائج إيجابية بأساليبهم المختلفة في العمل بين الناس، ولم يكن ذكر تجارب نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وأقوامهم، وقصص فرعون والنمرود وقارون وقوم هود وقوم صالح، وما جرى مع أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف... إلاَّ للعبرة والاستفادة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فهنيئاً لمن اعتبر بغيره ووفر على نفسه أن يُكثر من تجاربه في كل أمر، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**السعيد من وُعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره**»[2].

على المؤمن أن لا يوفِّر أي جهد يغنيه عن المعاناة والتجارب الفاشلة، وعليه أن يسعى للاختيار السليم بعد الدرس والبحث والتدقيق، فلا يتسرَّع في اتخاذ المواقف، ولا يغفل الحكمة المناسبة والموعظة المفيدة والإرشاد البنَّاء من أي جهة حصل له هذا. فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «**الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها**»[3]، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الحكمة ضالَّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق**»[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج٢٠، ص: ٢٨٩.
(٣) سنن ابن ماجة، ج٢، ص: ١٣٩٥.
(٤) نهج البلاغة، الحكم والمواعظ، رقم ٨٠، ص: ٧٤٩.

مَن نشاور؟

لا تنفع المشورة إلا إذا توفرت في المشير صفات أبرزها: العقل والدين والتجربة والعلم والشجاعة وغيرها من الفضائل ذات الصلة بموضوع الاستشارة. فمنها ما يرتبط بالعلم والاختصاص ولا ينفع معها التحليل وإضاعة الوقت بالاحتمالات المختلفة، كالمسائل القانونية او الشرعية فالحاجة إلى معرفة نصوصها أسبق من تفسيرها وتحليلها، وهو اختصاص العلماء والمطَّلعين على هذه المسائل.

ومنها ما يرتبط بتجارب الحياة فلا ينفع سؤال من لم تتراكم لديه التجارب، أو لم يكن له رصيد كاف ليقدم المشورة المناسبة بملاحظة الاحتمالات المختلفة. وغالباً ما يشتبه الناس، فيستشير الصاحب صاحبه الذي يساويه في السن والمعرفة والتجربة في مسألة تتطلب أكثر من ذلك بكثير، وهو يخلط بين صاحبه مستودع أسراره وما تستلزمه المشورة من صفات أخرى، فيقع في الأزمات والأخطاء.

ولعلَّ استعراض بعض الروايات يغنينا عن المزيد من التفاصيل لوضوحها وشموليتها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي، لا تشاورنَّ جباناً فإنَّه يضيِّق عليك المخرج، ولا تشاورنَّ البخيل فإنَّه يقصّر بك عن غايتك، ولا**

تشاورنَّ حريصاً فإنَّه يزيِّن لك شرَّها. واعلم يا علي، أنَّ الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن»[١].

وعن النبي ﷺ: **«الحزم أن تستشير ذا الرأي، وتطيع أمره»**[٢].

وقال ﷺ: **«إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل، وإياك والخلاف عليهم فإنَّ فيه الهلاك»**[٣].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«من شاور ذوي الألباب، دُلَّ على الصواب»**[٤].

وقال عليه السلام: **«شاور في حديثك الذين يخافون الله»**[٥].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«استشر في أمرك الذين يخشون ربهم»**[٦].

وقال عليه السلام أيضاً: **«إنَّ المشورة لا تكون إلاَّ بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلاَّ كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثانية أن يكون حراً متديناً، والثالثة أن يكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون**

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:١٠٢.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص:١٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٧٢، ص:١٠٥.
(٤) الشيخ المفيد، الارشاد، ج١، ص:٣٠٠.
(٥) البرقي، المحاسن، ج٢، ص:٦٠١.
(٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص:٤١.

علمه به كعلمك بنفسك، ثم يُسِرُّ ذلك ويكتمه. فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك إذا اطلعته عليه، وإذا اطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك به، تمَّت المشورة، وكملت النصيحة»(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «**شاور في أمورك ما يقتضي الدِّين من فيه خمس خصال: عقلٌ، وعلمٌ، وتجربة، ونصح، وتقوى**»(٢).

وقال عليه السلام: «**المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل**»(٣).

وقال عليه السلام: «**لا تشر على المستبد برأيه**»(٤).

لا تَكُفُّوا عن مشورة بعدل

من نعم الله تعالى عليك أن تكون مقصوداً لرجاحة عقلك وصوابية رأيك، فلا تحجب هذه النعمة عمن يحتاجها، واعلم أن مشورتك بذلٌ وعطاء تكسب عليه أجراً عند الله تعالى، فهي نموذج من الصدقات والبر على المحتاجين إليها، فكما تتصدق بمالك على الفقراء، وتتصدق بعلمك على الجهلاء، تتصدق بمشورتك على أخيك ومن يحتاج إليك في ذلك. إنها صدقة بالمعنى الأعم كونها عطاء من دون مقابل، وتبتغي منها الأجر والثواب.

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص:٤٣.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٨، ص: ٣٤٤.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص:١٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٧٢، ص:١٠٥.

وقد شجع الإسلام عليها، فقال رسول الله ﷺ: «**تصدقوا على أخيكم بعلم يُرشده ورأي يُسدده**»[١].

بل هي جزء من قضاء حق النعمة عليك، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروة، وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة. . .**»[٢].

وليكن تصدِّيك للمشورة في كل موقع تراه مناسباً ومفيداً، تأييداً للحق، وإحقاقاً للعدل، ومساهمة في معالجة قضايا اخوانك، ما يرفع من مستوى المجتمع الإسلامي، ويعين أفراده على فعل الصواب، وفي هذا المقام يحثنا أمير المؤمنين عليه السلام على الخدمة العامة: «**فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل**»[٣].

أما من لم يؤد حق النعمة بإبداء الرأي، ولم يخدم اخوانه في توجيههم وتبنيهم، فقد عطَّل إمكانية مَنَحَهُ الله تعالى إياها، ومن لم يستخدم ما وهبه الله تعالى له حُرم منه بأشكال مختلفة، فالنعم تزيد على العطاء والبذل، وتنقص مع البخل والتقصير، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**من استشار أخاه، فلم ينصحه محضَ الرأي، سلبه الله عزَّ وجل رأيه**»[٤].

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص:١٠٥.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٢٠.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦، ص:٥٢٠.
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص:٤٤.

حـق المشـير

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق المشير عليك، فلا تتهمه فيما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك، فإنما هي الآراء وتصرُّف الناس فيها واختلافهم. فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمتَ رأيه، فأمَّا تُهمته فلا تجوز لك إذا كان ممن يستحق المشاورة، ولا تدع شكره على ما بدا من إشخاصِ رأيه وحسن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدت الله، وقبلت ذلك من أخيك بالشكر، والإرصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك، ولا قوة إلا بالله».

عندما تُشاور أحداً فلا تفترض ان يشير عليك بحسب رغبتك أو توقعاتك، فقد يخالفك الرأي لرجاحة عقله وسعة معرفته ومستوى خبرته، أو يوصله تحليله للمقدمات والمعطيات إلى نتيجة لا ترغبها، وهذا امر طبيعي، فالاختلاف بين البشر موجود في

أصل الخلقة باختلاف القابليات والاستعدادات، ثم يضيف ما اكتسبه الإنسان من علم وتجربة رصيداً يتفاوت بين الأفراد بحسب استفادتهم، ولولا هذا الاختلاف والتفاوت لما عمرت الحياة الاجتماعية ولما أُنشئت الحضارات.

وحيث اخترت المشير لأهليته لذلك من وجهة نظرك، فحقه عليك أن «لا تتهمه فيما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك»، إذ أنَّ اتفاقه مع وجهة نظرك ممكن، كما أنَّ اختلافه معك ممكن أيضاً، «فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم»، وهذه هي سنة الحياة. فإذا كنت تنتظر أن يشير عليك بما ترغب، وهيأت نفسك مسبقاً لرفض أي رأي مخالف، فهذا اختيارك أنت، ولا تعني لك المشورة إلا الاستئناس بالرأي الآخر، فلا يحق لك أن تتهمه إذا اختلفت معه، وتشيد به إذا اتفقت معه، وإلاَّ كنت ظالماً له مخالفاً لحقه عليك.

وبما أن القرار يعود إليك، والاستشارة غير ملزمة لك، فإذا اتهمت رأيه بالنقصان أو الضعف أو الخطأ مما دعاك لعدم القناعة به، فلا تلتزم به، ولا شيء عليك، أمَّا أن تتهمه بشخصه وأهدافه وانحيازه فهذا تجنٍ عليه. والفرق كبير بين تهمة الرأي بأنه مجافٍ للصواب، وبين تهمتك لصاحب الرأي، إذ لم يكن يستحق المشورة عندك لولا أنَّه أهلٌ لذلك، فما الذي غيَّر نظرتك إليه غير اختلافك في الرأي معه، إذاً كن منصفاً وميِّز بين الرأي وصاحب الرأي، و

«كن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه، وأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة».

يستحق المشير الشكر من المستشير، لأنَّه بذل جهداً طوعياً من دون مقابل، وأحسن في أدائه بالخدمة التي قدَّمها، ومع أنَّ الشكر لا يحقق كسباً مادياً للمشير، لكنَّه يعبِّر عن اخلاقية التعامل الإنساني معه، ويعطيه كسباً معنوياً فيما حققه للآخرين، فلا تُقاس الأمور بآثارها المادية ومكاسبها الدنيوية فقط، وإنما تقاس أحياناً بالآثار المعنوية والمكاسب الأخروية. ومن المفيد أن نتربى على شكر المعطي والباذل والمضحي وصاحب العمل الصالح، فالشكر لله تعالى المنعم على عباده، والشكر للوالدين على تسبيبهما لولادة ابنهما وما قدَّماه له، والشكر للمخلوقين في مواقع التعليم والجهاد والانفاق والاحسان وغير ذلك. وقد دعا الله تعالى الناس للشكر ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[١]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يشكر المنعم من المخلوقين، لم يشكر الله عزَّ وجل**»[٢].

فلا تدع شكر المشير «على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته»، فمع انسجام رأيه مع رأيك، وتوصله إلى الاستنتاج أو الاقتراح نفسه، سيكون سرورك أعظم باكتشافك

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص:٢٧.

لحسن اختيارك وموافقة أهل المشورة له، وهذا ما يستدعي منك أن تحمد الله تعالى على ما أنعم عليك، وأن تبادل أخيك بالشكر، فهو لا يريد منك بدلاً، لكن على الأقل أن تتصرف بما يبيِّن لياقتك وأخلاقيتك الإسلامية، ويعطيه دفعاً معنوياً ينطبع في نفسه بشكرك إياه. واحرص في أن تردَّ له الجميل عندما يحتاج إليك في أمر من الأمور، فمثل المشورة لا تُقيَّم بثمن، لكنَّها مكافأة كبرى عندما تأتي في وقتها أثناء حاجة أخيك إليها، إذاً اشكره وترصَّد أن تكافئه بالمشورة إذا لجأ إليك.

حق المستنصح

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق المستنصح، فإن حقه أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنَّه يَحْمِلُ، ويَخْرُجُ المخرَجَ الذي يلين على مسامعه، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة، ولا قوة إلاَّ بالله».

لعلَّ الفرق محدود بين النصيحة والمشورة، إذ يمكن القول بأن المشورة استئناس بالرأي الآخر لتوسيع خيارات الإنسان على حسم الأمور بعد الاطلاع على آراء عدة، وأن النصيحة طلب للرأي الآخر بما يشبه الالتزام به، حيث يُعوَّل على رأي الناصح بالإرشاد والتوجيه بشكل أكبر من رأي المشير، فالنصيحة أقوى من المشورة.

وأما حق المستنصح، فأن تراعي قدرته واستيعابه ومدى

تحمله للنصيحة التي تقدمها له، كي لا تنقلب النصيحة إلى عبء عليه فيرفضها لثقلها وصعوبتها، وهنا يأتي دور الناصح في أن يعرف من يخاطب؟ وما هي قدرته على التحمل؟ وهل يستوعب الحل بشكل كامل أو بشكل تدريجي؟ وهل الأفضل إعطاؤه جزء الصورة وجزء الحل بما ينسجم مع ظروفه المعقدة؟ وهل يتطلب التشجيع أن تكون الخطوات الأولى مقبولة لديه ليتلمَّس نتائجها ثم يكتشف الخطوات الأخرى وحده؟

إنَّ من حق المستنصح تحميله ما يطيق، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، ومخاطبته بما يفهم ويستوعب، ففي الحديث الشريف: «**إنا معاشر الأنبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم**»[2]. فالقواعد النافعة للتعاطي مع المستنصح أربعة:

أ ـ النصيحة التي تؤدي إلى الحق بمقدار ما يتحمل منه، وليس في الأمر تقصير أو نقص، إذ المطلوب أن تحقق النصيحة هدفها، فإذا أعطينا المستنصح كامل الصورة وكامل التوقعات، فستكون ردَّة فعله رافضة للنصيحة، وبذلك نكون قد خسرنا إفادته بسبب التصرف من غير حكمة وعدم إعطائه الجرعة التي تتناسب معه. فلو كان يعتقد نفسه مصيباً والآخر مخطئاً، وعلمنا من المقدمات أن خطأه أكبر، فلنذكر له جزءاً من أخطائه كي لا نُيئِّسه

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٢٣.

منًّا، ولندعُه إلى تصحيحها لتشجيعه، فيكون قبوله بخطئه الجزئي عاملاً مساعداً للمعالجة المستقبلية. ولنطلب منه أن يتحقق من المعلومات التي وردته قبل الحكم على أخيه، وقد لا يكون قادراً على ذلك، لكن مجرد نصحه بالتحقق يشوش انطباعه الأكيد بالحكم السلبي، وهذه مقدمة للاصلاح. فلا نقول لمن لا يلتزم بأحكام الإسلام كن عاشقاً لله تعالى متفانياً في سبيله دفعة واحدة، وإنما نرشده إلى الصلاة والصيام، وإلى فائدة الاستقامة في حياته، وإلى الأجر الكبير عند الله تعالى، ثم ينمو تدريجياً ويصل. فالأسلوب أن «تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنَّه يحمل».

ب ـ تقديم الاقتراح بطريقة مستساغة لدى المستنصح، فلو افترضنا وجود خلاف بين الأخ وأخيه، ونحن نعلم عسر المصالحة من جهة الأخ الآخر، ونريد أن نصلح بينهما، فلا نخيفه بالعسر المتوقع، بل نقدم له مقترحات تحفظ كرامته وتفتح الباب نحو تليين القلوب وإمكانية الصلح، وبذلك نكون قد قدمنا له «المخرج الذي يلين على مسامعه».

ج ـ «الكلام بما يطيقه عقله»، فأفهام الناس متفاوتة، ولا يمكن الاعتماد على أسلوب محدَّد ليكون قاعدة موحدة في التعاطي مع جميع الناس، إذ يتفاوت المقدار المناسب واللغة المفهومة وتأثير العواطف والظروف، فعلى الكبير أن يستوعب الصغير لا

العكس، وأن يقدِّر محدودية وعيه وضعف خبرته وضرورة الأخذ بيده، كما على الصغير ان يوقِّر الكبير بأسلوب ومضمون الخطاب، وعلينا أن ندرك الفرق بين الجاهل والمتعلم حيث لا يمكن مخاطبتهما بالأدلة نفسها في بعض الأحيان ولا بالمنطق نفسه، فيجب ان نراعي محدودية العقل أو سعته عند تقديم النصيحة للمستنصح.

د ـ «وليكن مذهبك الرحمة»، فلا تعنفه ولا تذله ولا تحقره، بل قدِّر مجيئه إليك وطلبه النصيحة منك، وهو في موضع الحاجة، فارأف به وألن جانبك، لتعينه على نفسه، وتحقق اهداف نصيحتك له، فالمستنصح بحاجة إلى الرحمة منك وإلاَّ نفر منك وخسر نصحك.

كان الأنبياء في موقع المشفقين على الناس، الناصحين لهم، يعملون لإزاحة حجب الملذات والاغراءات ووسوسات الشيطان عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ليكونوا أقرب إلى الإيمان. فقد خاطب نوح عليه السلام قومه ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[١]، وخاطب هود عليه السلام قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢].

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٦٧ ـ ٦٨.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: «**الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

وقال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**أيها الناس؟ إنَّ لي عليكم حقاً ولكم عليَّ حق، فأمَّا حقكم عليَّ فالنصيحة لكم. . وأمَّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب**»[(٢)].

إنَّ جهد الناصح محفوظ، وله أجره عند الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة، أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه**»[(٣)].

وليست النصيحة مقتصرة على ما يرغب به الآخر، فعن امير المؤمنين علي عليه السلام: «**وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة**»[(٤)].

وهي تعبير عن المودة والمحبة، فعن امير المؤمنين علي عليه السلام: «**ما أخلص المودَّة من لم ينصح**»[(٥)]، وعنه عليه السلام: «**النصح يثمر المحبة**»[(٦)]، وعنه عليه السلام أيضاً: «**النصيحة تثمر الود**»[(٧)].

---

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص: ١٠٢.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٤، ص: ٩٤.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص: ٢٠٨.
(٤) نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص: ٦٣١.
(٥) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٧٦.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٣٢.
(٧) المصدر نفسه، ص: ٣٢.

وليكن اختيارك لأخوانك على أساس نصحهم لك وصدقهم معك، لا على أساس تلبية رغباتك وخداعهم إياك، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش**»[1].

ولا تستعجل في تصديق كل مدع للنصيحة، خاصة إذا حشر نفسه وسعى إليك في إبداء النصح من غير مسوغ، ففي توجيه الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر في كتابه له، قال: «**ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإنَّ الساعي غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين**»[2].

ولا تتأخر عن تقديم النصيحة لمن احتاجها، ولا تخش من الاشكال الشرعي في إظهارك للحقائق، فإن ضوابط الحلال والحرام واضحة، فإذا خفت الوقوع في الغيبة عند حديثك عن صفات شخص سُئلت عنه، وكان جوابك مؤثراً في إتمام عقد النكاح أو عقد الاجارة أو عقد البيع... فاعلم أنَّه ربما وجب عليك ذلك في بعض الحالات دفعاً للضرر، وليس الأمر من الغيبة. فقد أخرج المحقق الكركي من عنوان الغيبة «نصيحة المستشير في نكاح، أو معاملة، أو مجاورة، أو غيرها. لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة بنت قيس حين استشارته في خطابها: (أمَّا فلان فرجل صعلوك لا مال له، وأمَّا فلان فلا يضع العصا عن عاتقه)، ولأنَّه

---

(١) البرقي، المحاسن، ج٢، ص: ٦٠٤.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص٦٧٦.

مما تعم به البلوى. ويحبب الاقتصار على موضع الحاجة، ولو اقتضت المصلحة التحذير والنصيحة ابتداءً... وربما يجب ذلك إذا كان الضرر متوقعاً»[١].

وذكر في موضع آخر: «ضابط الغيبة: كل فعل يُقصد به هتك عرض المؤمن والتفكه به، أو إضحاك الناس منه. فأمَّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرم: كنصيحة المستشير، والتظلم وسماعه... »[٢].

وقال السيد الخوئي في رسالته العملية: «وقد تجوز الغيبة في موارد: ... منها نصح المؤمن، فتجوز الغيبة بقصد النصح، كما لو استشار شخص في تزويج امرأة فيجوز نصحه، ولو استلزم إظهار عيبها، بل لا يبعد ذلك ابتداء بدون استشارة، إذا علم بترتب مفسدة عظيمة على ترك النصيحة[٣].

---

(١) المحقق الكركي، رسائل الكركي، ج٢، ص:٤٥.
(٢) المحقق الكركي، جامع المقاصد، ج٤، ص:٢٧.
(٣) منهاج الصالحين، السيد الخوئي، ج١، ص:١١.

حق الناصح

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق الناصح، فأن تلين له جناحك، ثم تشرئب له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها، فإن كان وُفِّق للصواب، حمدت الله على ذلك وقبلت منه، وعرفت له نصيحته، وإن لم يكن وُفق لها رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنَّه لم يألُك نصحاً إلا أنه أخطأ، إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال، ولا قوة إلاَّ بالله».

حق الناصح

الناصح الذي يقدم لك النصيحة له حق عليك، فاختيارك له أو سؤالك إياه عن قناعة منك بأهليته للنصح، يستدعي أن تتفاعل معه وذلك بأن «تلين له جناحك»، حيث تكون مستعداً لاستقبال النصيحة بمرونة، «ثم تشرئب له قلبك»، مثل الذي يمد عنقه إلى

شيء لينظر إليه، والمراد أن ينسجم قلبك مع توجيهاته، «وتفتح له سمعك»، لتكون منتبهاً إلى كل كلمة يقولها، ومهتماً بالمضمون الذي يلقيه عليك لتفهم مقصده جيداً.

ولا تكفي صفته كناصح ان يكون مصيباً دائماً في آرائه، فالناصح الموثوق لديك أمام أحد احتمالين:

١ ـ أن يوفَّق لقول الصواب، واسداء النصيحة الجيدة، فهذا ما يستدعي الحمد لله تعالى أن وفقك للحل المناسب، ومن الطبيعي أن تقبل منه نصيحته لإصابتها، وأن تقدِّر له ذلك، وتعرف أنَّها منه وقد أحسن الرأي.

٢ ـ أن لا يوفق باسداء النصيحة المناسبة، وهو امر يحصل لقلة الخبرة أو ضعف المعطيات أو الجهل بالمقدمات أو مستوى الإدراك أو لأي سبب أصلي أو طارئ، فلا يصح أن نتفاجأ بحصول الأخطاء في إبداء الرأي والنصيحة، وبما ان الناصح مأمون وموثوق بدينه وسلامة سريرته وصحة أهدافه، فلا تتهمه لخطأ في رأيه، وارحمه لعدم قصده إيذاءك أو التغرير بك، فقد بذل وسعه «ولم يألك نصحاً»، فلم يوفر جهداً إلاَّ أنَّه أخطأ، وجلَّ من لا يخطىء.

أما إذا كان مستحقاً عندك للتهمة، ولم يكن مأموناً لديك من البداية، لكنك رغبت بسؤاله علَّك تسمع فكرة ما او نصيحة ما ترشدك، إلاَّ أن مرادك لم يتحقق وتبيَّن عدم صفائه وعدم صدقه في

نصيحته، «فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال»، ولا تهتم برأيه، ولا تسبب لنفسك مشكلة، وتصرَّف كأن شيئاً لم يكن، إذ كنت تعلم من البداية عدم رجاحة رأيه ولم تكن واثقاً منه، فلا داعي للتأثر والاهتمام وردات الفعل، فالنتيجة متوقعة لديك على كل حال.

يهون الخطب عندما نحسن اختيار الناصح، ولا نضيع جهودنا بسؤال من لم تتوفر فيه صفات الناصح، وليكن الاختيار على أساس ما يدل على توفر صفات الناصح فيمن نستنصحه. فعن رسول الله ﷺ: «**وأمَّا علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد**»[1].

فإذا توفرت الصفات في الناصح، فالحكمة أن تعمل وفق نصيحته:

قال رسول الله ﷺ: «**وأمَّا طاعة الناصح، فيتشعب منها الزيادة في العقل، وكمال اللب، ومحمدة العواقب، والنجاة من اللوم، والقبول والمودة والانشراح والانصاف، والتقدم في الأمور، والقوة على طاعة الله، فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى**»[2].

---

(١) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ص:٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص:١٨.

وقال امير المؤمنين علي عليه السلام: «**أمَّا بعد، فإنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة**»[1].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم: «**يا هشام، مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح يمنٌ وبركة ورشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح، فإياك والخلاف، فإنَّ في ذلك العطب**»[2].

ولا تنس الناصح الدائم والثابت والأمين وهو شرع الله المقدس وعماده القرآن الكريم، الذي يرسم لك الضوابط العامة في الحلال والحرام، ويبين لك المصالح والمفاسد بإجمالها وبعض تفاصيلها، فهو يؤسس للقواعد التي تسهل عليك مسارك في حياتك، وتعينك على الأمور العملية والتفصيلية التي تحتاج إلى خبرة الآخرين كونها موضوعات جزئية وحياتية، لكنك توفر عليك الكثير عند فهمك للقواعد القرآنية العامة. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**واعلموا أنَّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدِّث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلاَّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان في عمى**»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٥، ص:٩٥.
(٢) الحرّاني، تحف العقول، ص:٣٩٨.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦، ص:٣٨٨.

الخيرة عند الحيرة

تواجه الإنسان بعض المسائل البسيطة او المعقدة، ويستنفذ وسعه في التفكير والمشورة، لكنَّه يبقى حائراً، ولا يعلم ما الصائب لاختياره، وهو يحتاج إلى ترجيح أحد الأمرين لإنجاز العمل، في مثل هذه الحالة يشجع الإسلام على الاستخارة لحسم الموقف بالتوكل على الله تعالى، وإن شاء الله تكون مصلحته فيما اختار الله له. فالخيرة ترجيح أحد الفعلين على الآخر ليعمل به، وقد تكون نتيجة العمل كما يرغب أو خلاف توقعاته، وقد تكون خيراً أو ابتلاءً، فالاستخارة لا تُنبئه بالنتيجة التي يرغبها أو يتوقعها، وإنما تحسم له الاختيار، وبما أنَّها استشارة لله تعالى، فالخير فيما يقع على كل حال، حتى لو كانت النتيجة ابتلاءً، فقد تكون دفعاً لما هو اعظم.

فالخيرة عند الحيرة وهي جائزة وليست واجبة، روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**بعثني رسول الله إلى اليمن، فقال وهو يوصيني: يا علي ما حار من استخار، ولا ندم من استشار**»[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلم السورة من القرآن**»[2]، وفي مسند ابن حنبل عن جابر بن عبد الله قال: «**كان**

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص:١٣٦.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص: ٣٨٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما استخار الله عزَّ وجل عبدٌ مؤمن إلاَّ خار له، وإن وقع في ما يكره**»[٢]. وقال عليه السلام أيضاً: «**من استخار الله راضياً بما صنع الله له، خار الله له حتماً**»[٣].

ومن المفيد استعراض أجوبة لاستفتاءات للإمام الخامنئي (حفظه الله) توضِّح مورد الاستخارة، وحكمها الشرعي، وكيفية التعاطي معها:

بناء على ما يقال من أنَّه لا مورد للاستخارة على الاتيان بالأعمال الخيرية، فهل تجوز الاستخارة في كيفية الاتيان بهذه الأعمال؟ أو بالنسبة للمشاكل المتوقعة التي ربما تحدث خلال ذلك؟ وهل الاستخارة طريق لمعرفة الغيب الذي لا يعرفه إلاَّ الله تعالى؟

إنما تستخدم الخيرة لرفع الحيرة والتردد في الاتيان بالأعمال المباحة، سواء أكان التردد في أصل العمل أو في كيفية الاتيان به، فما لا حيرة فيه من الأعمال الخيرية لا موضوع للخيرة فيه، وليست الخيرة لمعرفة مستقبل الشخص او العمل.

هل تصح الاستخارة بالقرآن الكريم في مثل مورد طلب

---

(١) مسند أحمد، ج٣، ص:٣٤٤.

(٢) السيد ابن طاووس. فتح الأبواب، ص:١٤٩/الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص:٨١.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص:٢٤١.

الطلاق أو تركه؟ وما هو الحكم إذا استخار شخص ولم يعمل على وفقها؟ .

لا يختص جواز الاستخارة بالقرآن أو بالسبحة بمورد دون مورد، إنما يرجع إلى الاستخارة عند التردد والحيرة حيث لا يقدر الشخص المستخير على اتخاذ القرار، ولا معنى لها في غير هذه الصورة، ولا يجب شرعاً العمل بالاستخارة وإن كان الأفضل أن لا يخالفها .

هل تصح الاستخارة بالسبحة أو بالقرآن في المسائل المصيرية كالزواج مثلاً؟

في الأمور التي يريد الإنسان أن يتخذ قراراً بشأنها ، ينبغي أن يتأمل ويدقق النظر فيها أولاً ، أو يستشير فيها أهل الثقة والخبرة بها ، فإذا لم يرتفع بذلك كله التحير ، فيمكنه أن يستخير بعد أن يعين جهة ما .

هل تصح الاستخارة أكثر من مرة في مورد واحد؟ .

حيث إن الاستخارة لرفع الحيرة، فبعد ارتفاعها بالمرة الأولى، لا معنى لتكرارها إلاَّ إذا تغيَّر الموضوع»[١].

إنَّ للاستخارة أشكال متعددة بالقرآن او الصلاة أو السبحة أو الرقاع أو الدعاء أو مزيج منها ، وهي مستندة لروايات عن المعصومين في هذا الشأن، نذكر منها :

---

(١) أجوبة الاستفتاءات للإمام الخامنئي (حفظه الله)، ج٢، ص:١٢١ و١٢٢.

أبدى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام حيرته لعدم توفيقه لرأي، فقال له الإمام عليه السلام: «**افتتح المصحف فانظر إلى اول ما ترى فخذ به إن شاء الله**»(١).

وعنه عليه السلام: «**إذا أراد أحدكم شيئاً، فليصل ركعتين، ثم ليحمد الله، وليثن عليه، وليصل على محمد وأهل بيته، ويقول: اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسِّره وقدِّره، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني. فسألته: أي شيء أقرأ فيهما؟ فقال: اقرأ فيهما ما شئت، وإن شئت قرأت فيهما قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون**»(٢).

في الخبر المروي عن الإمام الصادق عليه السلام للاستخارة بالسبحة:
«**يقرأ الحمد مرة، والإخلاص ثلاثاً، ويصلي على محمد وآله خمس عشرة مرة، ثم يقول: اللهم إني أسألك بحق الحسين، وجده وأبيه، وأمه وأخيه، والأئمة التسعة من ذريته، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي الخيرة في هذه السبحة، وأن تريني ما هو الأصلح لي في الدين والدنيا، اللهم إن كان الأصلح في ديني ودنياي، وعاجل أمري وآجله، فعل ما أنا عازم عليه، فأمرني، وإلاَّ فانهني، إنك على كل شيء قدير. ثم تقبض قبضة من السبحة وتعدها، وتقول، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله إلى آخر**

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص:٢٣٣.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣، ص:٤٧٢.

القبضة، فإن كانت الأخيرة سبحان الله، فهو مخير بين الفعل والترك، وإن كان الحمد لله، فهو أمر، وإن كان لا إله إلا الله، فهو نهي»(١)

وروي عن القائم (عج) في الاستخارة بالسبحة، «**أنَّه يأخذها، ويصلي على النبي ﷺ وآله عليهم السلام ثلاث مرات، ويقبض على السبحة، ويعد اثنتين اثنتين، فإن بقيت واحدة فهو افعل، وان بقيت اثنتان فهو لا تفعل**»(٢).

ويمكن العودة إلى كتب الأدعية والكتب التي خصصت فصولاً عن الاستخارة للاطلاع على أشكالها المختلفة، ومنها خيرة ذات الرقاع التي وردت روايتها في كتاب تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، وذكرها الشيخ القمي في كتابه القيِّم مفاتيح الجنان.

إنَّ التردد مربك لحياة الإنسان، والاختيار القلق المشوب بالحيرة يؤدي إلى تعثر الخطوات أثناء العمل ويُحدث توتراً نفسياً عند الفرد، وإذا لم يحسم خياره بعد التفكير والتأمل، ولم تساعده المشورة او النصح لبلورة موقفه، تحل الخيرة مشكلة الحيرة، وتمكِّنه من الاقدام على العمل براحة نفسية وثبات في الخطوات، لما للتوكل على الله تعالى بالاستخارة من آثار في التصميم والطمأنينة.

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٦، ص: ٢٦٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص: ٢٦٥.

حق الكبير

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمّا حق الكبير، فإنَّ حقه توقير سنِّه، وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام، بتقديمه فيه، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تؤمه في طريق، ولا تستجهله، وإن جهل عليك تحملتَ، وأكرمته بحق إسلامه مع سنِّه، فإنما حق السن بقدر الإسلام، ولا قوة إلا بالله».

الكبير هو الكبير في السن، فإذا كانت له سابقة في الإسلام، ازداد شأنه ومقامه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته التي ألقاها في آخر جمعة من شهر شعبان في استقبال شهر رمضان المبارك: **«وقِّروا كباركم، وارحموا صغاركم»**(١)، موجهاً الصائمين للسلوك الذي يجب أن يتصف به المؤمنون في التعامل مع الكبار بالتوقير،

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٥٤.

ومع الصغار بالرحمة. والتوقير بحسب ما ذُكر في مجمع البحرين[1] هو : التعظيم، ومنه «وقروا كباركم»، أي عظموهم، وارفعوا من شأنهم ومنزلتهم، والمراد بالكبار، ما يشمل السِّن والشأن كالمعلمين.

الكبير في السن صاحب تاريخ وتجربة، من حقه التوقير والاحترام لما أمضاه من عمره في هذه الحياة، فإذا كان من أهل الفضل والتقوى في الإسلام، استحق المزيد من التعظيم وإجلال قدره ومكانته، وتتم ترجمة الاحترام والتبجيل بالسلوك العملي وطريقة التصرف معه وفق التالي:

أ ـ تقديمه بسبب فضله، كأن تقدمه في صلاة الجماعة ليكون في الصفوف الأولى، وتقدمه على نفسك في إجلاسه في المكان المناسب الذي يتصدر المجلس، وتقدمه في الحديث إذا أراد أن يتكلم ويُبدي وجهة نظره.

ب ـ ترك مقابلته عند الخصام، فلا تواجهه عند الخصومة، ولا تحرجه أمام الآخرين باختلافك معه، ولا تجعل نفسك نداً له فقد تتسبب بسقوط هيبته وكسر معنوياته، وقد تُخرجه عن طوره وهدوئه فتكشفه أمام الآخرين، فالأفضل أن تتجنب مماحكته عند الخصام.

---

(١) الشيخ الطريحي، مجمع البحرين، ج٤، ص: ٥٣٣.

ج ـ لا تسبقه إلى طريق، احتراماً لسنِّه ومكانته، ولا تضع نفسك في موضع المنافسة معه، فإذا سبقك إلى المجلس أو الاحتفال أو المسجد فلا بأس بذلك، بل اسع كي لا تكون في سباق معه، فإنك ستقدمه على نفسك على كل حال.

د ـ ولا تؤمه في طريق، أي لا تسر أمامه بينما يسير خلفك، فاللائق أن تكون ورائه تأدباً معه، أو إلى جانبه مسايرة له، ورفقاً بحاله وتاريخه، وتعبيراً عن تقديرك له.

هـ ـ ولا تستجهله، أي لا تتعاطى معه كجاهل، حتى لو تفوقت عليه في العلم والعمل، فظروفه تختلف عن ظروفك، وهو برَكة المؤمنين وأُنسهم، وليس المجال لمقارنة نفسك وقدراتك مع كل أحد، وانظر إلى ما أفاده في تاريخه وما انجزه، فزمانه يختلف عن زمانك. إنك مدعوٌ لتتعامل معه ككبير من دون الدخول في تفاصيل تقييم قدراته، ولا تحدِّثه بما يوحي إليه أنك تستجهله.

و ـ وإن جهل عليك تحملت، فلو تبيَّن لك ضعف وعيه وعلمه وفهمه، واكتشفت ذلك من خلال حواره معك أو في محضرك، وفاجأك بمستواه، ثم تكلم بطريقة أحرجتك أو أزعجتك، فعليك أن تتحمل ذلك منه.

ز ـ وأكرمته بحق إسلامه مع سنِّه، وهذه مسؤوليتك أن تُشعره

بالإكرام، بطريقة مخاطبته، أو ذكر محاسنه أمام الآخرين، أو أي تصرف يحمل عنوان التكريم وهو مجال واسع جداً.

كل ذلك بسبب سنِّه ودينه، وكلما زاد قدره وقيمته في الإسلام زاد حقه أكثر، فالكبير الذي أثَّر في الأجيال، وحافظ على نفسه ومحيطه من الفساد، بسبب جهاده وسلوكه، يستحق عرفاناً بالجميل لما أضافه من عمره في مسيرة الإسلام.

حق الصغير

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق الصغير، فرحمته، وتثقيفه وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته فإنه سبب للتوبة، والمداراة له، وترك مماحكته فإنَّ ذلك أدنى لرشده».

كثيراً ما يتعاطى الكبار بتسرع أو لا مبالاة أو قسوة مع الصغار، ولا يلاحظون طبيعة ومتطلبات الولد في المراحل العمرية المختلفة، فيتسببون له بأزمات وعُقد نفسية وآثار تربوية خاطئة.

لخَّص الإمام زين العابدين عليه السلام حق الصغير بكلمات معدودة مليئة بالمضامين التربوية العميقة، التي تمثل أسس وقواعد العلاقة مع الصغار، في إطار التوازن والتوجيه السليم، وإعطاء الفرص للنمو الطبيعي والهادف، واستثمار إمكانات وطاقات الصغار.

أمَّا قواعد العلاقة مع الصغير لأداء حقه فهي:

١ ـ **الرحمة**: قال رسول الله ﷺ: «ارحموا صغاركم»، والرحمةُ عطاءٌ من دون مقابل، بروحية إنسانية فيها الرأفة بالصغير، لضعفه، وحاجته للرعاية الدائمة، ولا تنظر أن تأخذ منه، فلا قدرة عنده ليبادلك بعطاءاتك وأخلاقيتك معه، أنت مدرك لما تفعل وباستطاعتك التحكم بعواطفك ومشاعرك وتصرفاتك، فارحمه.

٢ ـ **التثقيف والتعليم**: الصغير صفحة بيضاء قابلة لتلقي كل ما يُكتب عليها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبك**»[1]. فإذا تلقى تعليماً سليماً، وثقافة تحمل معلومات ومقدمات صحيحة، يكون بناؤه العلمي مستقيماً، فيتراكم علمه وينمو عقله ثم ينتقل نحو الأفضل، فلينتبه الكبير والمربي إلى ما يتعلمه الصغير، وإلى الرصيد المعرفي الذي يتكوَّن عنده، فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر، يصعب تغيير مضمونه بعد ذلك، ويؤثر في وعيه المستقبلي، كما أنَّه يصعب تعويض خسارة هذه المرحلة العمرية، التي تكون فيها ذاكرته قوية، وانشغالاته وهمومه قليلة، وقدرته على الاستيعاب جيدة.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص: ٦١٧.

إنَّ كل ما يحيط بالصغير يساهم في تعليمه وتثقيفه، المدرسة والبيت والأصدقاء ووسائل الإعلام والمسجد والكشاف. . . ورُبَّ كلمات معدودة من كبير في أسلوب التعامل والتوجيه تؤثر في مستقبل هذا الصغير، وعلى الكبار عند اختلاطهم بالصغار، أن يسمعوا أسئلتهم، ويعطوهم الإجابات الصحيحة، وأن لا يصدوا الأولاد عند رغبتهم بالتعرف، كل ذلك في حدود قدراتهم وإمكاناتهم.

٣ ـ **العفو عنه**: عند ارتكابه للأخطاء، ونحن نتوقع أن يُخطئ الصغير، فلا يعقل أن نلاحقه على كل خطأ ونحاسبه عليه، فإنَّه لا بدَّ من العفو عن مقدار من الأخطاء، وهذا ما يساعد على الأخذ بيده. فحتى البر للوالدين لا يتحقق بشكل سليم إلاَّ بتشجيع الولد عليه عملياً، ومساعدته بالعفو عنه، لتزداد محبته لوالديه، وتنمو قابلية إحسانه إليهم. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**رحم الله من أعان ولده على برِّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله**»[١].

٤ ـ **الستر عليه**: بعدم كشف أخطائه وعيوبه، وعدم محاسبته أمام الناس، كي نُبقي له فرصة التراجع والعودة عن الخطأ، من دون تثبيت انطباع سيّيء عنه عند الآخرين، ومن دون تيئيسه بسبب انكشاف أمره. إننا ندعو الله ستار العيوب أن يستر عيوبنا، وفي

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٠١، ص:٩٨، عن عدة الداعي، ص:٦١.

دعاء كميل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سري**»[١]، فالأولى أن نستر على الصغير لا أن نفضحه بطريقة أدائنا وذكرنا لأخطائه أمام الآخرين، فالستر عليه جزء من العملية التربوية الناجحة لردعه وتقويم سلوكه.

٥ ـ **الرفق به**: وذلك بلين الجانب، والرأفة، وترك الغلظة في الأفعال والأقوال، سواء أصدر عنه خلاف الأدب أم لم يصدر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق**»[٢]. فلا نحمِّل الصغير اكثر من طاقته، ولا نتعامل معه كندٍ لنا، إنَّه ضعيف البنية والإدراك، فعلينا ان نختار طريقة التعامل التي تنسجم مع قدرته ومستواه في كل المجالات، نعلمه برفق، نؤدبه برفق، ونأمره وننهاه برفق، ونكلفه بأعباء تنسجم مع طاقته برفق، ونتصرف معه برفق.

٦ ـ **المعونة له**: فهو يحتاج إلى المساعدة، فتجربته حديثة، ووعيه محدود وقاصر، ولا بدَّ أن نمد له يد العون.

٧ ـ **الستر على جرائر حداثته فإنَّه سبب للتوبة**، لأنَّ لأخطائه آثاراً واضحة، ولا تقدير لديه عما يمكن ان تؤدي إليه بعض تصرفاته من إساءة أو ضرر أو أذية أو إرباك. . . وهذه كلها جرائر

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، ص: ٨٤٤.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص:١١٨.

أعماله الناتجة عن حداثة سنة، لكنَّ الستر عليه حافز للتوبة، وتعزيز لرقابة الله في نفسه، وعدم تكرار اخطائه.

٨ ـ **المداراة له**: فلا نتوقع أن يقدِّر الصغير الكبير ويلتزم بالقواعد والآداب، بل على الكبير أن يداري الصغير، ويراعي مشاعره، ويساير متطلباته، ليشدَّه إلى التصرف اللائق والأداء السليم، وبما أننا نفهمه ولا يفهمنا، ونعرف مرحلته ولا يعرف مرحلتنا العمرية، فنحن أقدر على مداراته للتأثير عليه. قال رسول الله ﷺ: «**أمرني ربي بمداراة الناس، كما امرني بأداء الفرائض**»[1]، لما لها من آثار في حياة الناس عموماً، وهي أولى مع الصغار.

٩ ـ **وترك مماحكته**: فلا تدخل معه في جدل، هو يقول وأنت تقول، إنَّ مبانيك تختلف عن مبانيه، ووعيك يختلف عن وعيه، فهل تتصور وجود قواسم مشتركة لتصل إلى نتيجة في الحوار؟ يصمم الصغير أحياناً على رأي، ويحمل قناعة راسخة به، ولا تزيده المماحكة إلاَّ تصميماً وعزيمة، وتزيدك إحراجاً وغضباً. لا فائدة من هذا الأسلوب، بل ترك المماحكة يقربه من الرشد والوعي، فيخوض تجربته ويكتشف بنفسه، أو يتأمل بينه وبين نفسه بما سمع من نصائحك وأفكارك فلعلَّها تؤثر على موقفه.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١١٧.

إنَّ هدفنا مراعاة قدرات الصغير الناشئة، ومساعدته باعتماد هذه القواعد لتنميته وتقويمه، وهي مسؤولية الكبار في المجتمع، الذين يتصرفون في أغلب الأحيان من دون مراعاة لخصوصيات ومشاعر الصغار، تحت عنوان أنهم لا يفهمون، أو أنَّ تصرفاتهم هذه لا تؤثر عليهم، وهذا خطأ فادح. يجب مراعاة حق الصغير علينا، وفق القواعد أعلاه، لنؤدي واجبنا تجاهه.

أعماله الناتجة عن حداثة سنة، لكنَّ الستر عليه حافز للتوبة، وتعزيز لرقابة الله في نفسه، وعدم تكرار اخطائه.

٨ ـ **المداراة له**: فلا نتوقع أن يقدِّر الصغير الكبير ويلتزم بالقواعد والآداب، بل على الكبير أن يداري الصغير، ويراعي مشاعره، ويساير متطلباته، ليشدَّه إلى التصرف اللائق والأداء السليم، وبما أننا نفهمه ولا يفهمنا، ونعرف مرحلته ولا يعرف مرحلتنا العمرية، فنحن أقدر على مداراته للتأثير عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمرني ربي بمداراة الناس، كما امرني بأداء الفرائض**»[١]، لما لها من آثار في حياة الناس عموماً، وهي أولى مع الصغار.

٩ ـ **وترك مماحكته**: فلا تدخل معه في جدل، هو يقول وأنت تقول، إنَّ مبانيك تختلف عن مبانيه، ووعيك يختلف عن وعيه، فهل تتصور وجود قواسم مشتركة لتصل إلى نتيجة في الحوار؟ يصمم الصغير أحياناً على رأي، ويحمل قناعة راسخة به، ولا تزيده المماحكة إلاَّ تصميماً وعزيمة، وتزيدك إحراجاً وغضباً. لا فائدة من هذا الأسلوب، بل ترك المماحكة يقربه من الرشد والوعي، فيخوض تجربته ويكتشف بنفسه، أو يتأمل بينه وبين نفسه بما سمع من نصائحك وأفكارك فلعلَّها تؤثر على موقفه.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١١٧.

إنَّ هدفنا مراعاة قدرات الصغير الناشئة، ومساعدته باعتماد هذه القواعد لتنميته وتقويمه، وهي مسؤولية الكبار في المجتمع، الذين يتصرفون في أغلب الأحيان من دون مراعاة لخصوصيات ومشاعر الصغار، تحت عنوان أنهم لا يفهمون، أو أنَّ تصرفاتهم هذه لا تؤثر عليهم، وهذا خطأ فادح. يجب مراعاة حق الصغير علينا، وفق القواعد أعلاه، لنؤدي واجبنا تجاهه.

حق السائل

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق السائل، فاعطاؤه إذا تهيأت صَدَقَةٌ، وقدرتَ على سدِّ حاجته، والدعاء له فيما نزل به، والمعاونة له على طلبته. وإن شككت في صدقه، وسبقت إليه التهمة له، ولم تعزم على ذلك، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان، أراد أن يصدَّك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، فتركته بستره، ورددته ردّاً جميلاً. وإن غلبت نفسك في أمره، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه، فإنَّ ذلك من عزم الأمور».

السائل الذي يسأل العطية لحاجته إليها، إنسان مبتلى بالفقر، ومن حقه مساعدتك إياه بالصدقة، ومراعاة مشاعره بعدم المن، وملاحظة أسلوب تقديم العون له في السر أو العلانية، بما يصلح به شأنه وتعالج حالته.

إنَّ الصدقة خير وبركة لدافعها، وتقع في يد الله تعالى، قال تـعـالـى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**خلّتان لا أحب ان يشاركني فيهما احد: وضوئي فإنّه من صلاتي، وصدقتي فإنّها من يدي إلى يد السائل، فإنّها تقع في يد الرحمن**»[2].

فإذا تهيأت الصدقة، وقدرت على سد حاجة السائل، يستحب إعطاؤها له، فعن رسول الله ﷺ: «**من تصدق بصدقة على رجل مسكين، كان له مثل أجره، ولو تداولها أربعون ألف إنسان، ثم وصلت إلى مسكين، كان له أجراً كاملاً، وما عند الله خير وأبقى، واتقوا وأحسنوا لو كنتم تعلمون**»[3].

ولا تكتف بذلك، بل ادع الله تعالى أن يساعده على ما نزل به من البلاء، وهو نوع من الإحساس الإنساني بمشكلته من ناحية، وبإمكانية أن يرزقه الله تعالى ببركة دعاء المؤمنين، حيث ينقلك الدعاء إلى الحالة الوجدانية في التعامل مع المشاكل الإنسانية والحاجات الاجتماعية، وينمي روحانيتك في الإيجابية مع الآخرين.

واقرن ذلك بمعونته على طلبته إن لم تكن مستطيعاً على

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ص:٣٣.

(٣) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص:٢٩٠.

تأديتها، فالساعي إلى الخير كفاعله، وعجزك عن التصدق عليه لا يعفيك من أخلاقية السعي بين معارفك من أصحاب الفضل والبذل، وبهذا تكون قد ساهمت في إعطاء السائل بثلاث سبل: التصدق عليه، والدعاء له فيما نزل به، ومساعدته لتأمين حاجته.

أمَّا إذا شككت في صدق السائل، واتهمته بينك وبين نفسك في أصل حاجته، ولم تعزم على مساعدته، فقررت عدم تلبية طلبه أو إجابة سؤاله، فانتبه؟ قد يكون هذا من كيد الشيطان، فأنت غير متأكد من عدم حاجته، ولا يحق لك أن تجزم بكذبه، وبالتالي يجب ان تضع في حسابك احتمال أن يكون محقاً ومحتاجاً، وأنك ستخسر أجر الصدقة، فتكون الوسوسة التي أصابتك قد حالت بينك وبين التقرب إلى ربك بالصدقة التي تقع في يد الله تعالى.

إنَّ الأصل هو استحباب الصدقة، لكن لو تم اختيارك لعدمها مع هذا السائل، فحقه عليك أمران:

١ ـ أن تتركه وتستر عليه، فلا تشهِّر به، ولا تحذِّر منه، فأنت شاكٌ به، إذاً اتركه لحاله، ولعلَّه محتاج فييسر الله له غيرك، ولا مبرر لديك في إيذائه بهتكه أو توصيفه بما لا تعلم عنه أو اتهامه بما تشك فيه.

٢ ـ أن تردَّه رداً جميلاً، بالكلمة اللائقة، والتصرف الحسن، فهي اخلاقية الإسلام في التعامل مع الآخرين، وليس لك عليه شيء، جلَّ ما في الأمر أنَّه سألك وتريد ردَّه، فإذا كان قول

المعروف أفضل من الصدقة التي يتبعها المن والأذى، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[1]، فكيف بك وقد قررت عدم التصدق على هذا السائل!! فليكن ردك جميلاً، أي لاحظ طريقتك الإيجابية بالرد، فإن لم تسعه بمالك فلتسعه أخلاقك.

وأمَّا إذا قرَّرت مساعدته، فغلبت نفسك في أمره، واعطيته لما استقر عندك من رأي تجاهه، فهذا موقف إيجابي، وإنَّ ذلك من عزم الأمور. فيظهر من طريقة عرض الإمام زين العابدين عليه السلام التشجيع على الصدقة عند الشك، لأرجحية عدم رد صاحب الحاجة المحتملة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

حق المسؤول

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق المسؤول، فحقُّه إن أعطى قُبلَ منه ما أعطى، بالشكر له، والمعرفة لفضله. وطلب وجه العذر في منعه، وأحسن به الظن. واعلم أنَّه إن منع فماله منع، وأن ليس التثريب في ماله، وإن كان ظالماً، فإنَّ الإنسان لظلوم كفار».

المسؤول هو الذي يعطي من سأله، بالتصدق عليه، وتأمين حاجته، . وقد يكون توقع السائل من المسؤول مبالغاً فيه، أو أكثر مما حصل عليه، فيتخذ موقفاً سلبياً أو يهين المسؤول، ما لا ينسجم مع أخلاقية التعامل التي شرَّعها الإسلام.

لقد حثَّ الإسلام المسؤول على التصدق والخدمة والإعانة ورغَّبه بها، لكنَّها مستحبة، وقد أوردنا في الحق السابق بعض التوجيهات في هذا الشأن. فعلى صاحب الحاجة أن يكون

موضوعياً، ويعرف حقوقه وواجبات الآخرين تجاهه، فليس له حق شرعي عند المسؤول ليحاسبه على تقصيره في عدم أداء واجبه تجاهه، إنما هو عمل طوعي مستحب، وعليه ان يتصرف مع المسؤول بملاحظة امرين:

١ ـ قبوله لما أعطاه إياه المسؤول مهما كان قليلاً، فإذا خالف توقعاته فليعلم أن تكرار الطلب قد لا يكون مناسباً من هذا الشخص، ولعلَّ قدرته وإمكاناته أو قناعته لا تسمح له بأكثر من ذلك. وحيث جرت المعاملة، فطلب السائل ولبَّى المسؤول، فليكن الرَّد من السائل بالقبول.

٢ ـ طلب وجه العذر في منعه، لما توقعه منه السائل، أو لعدم البذل أصلاً، لعلَّه غير ملتفت إلى مستوى حاجة السائل، أو لعلَّه يمر بظروف تمنعه من المساعدة، أو لعلَّه يساعد الكثيرين ما يجعل قدرته محدودة... فالأصل هو عذره في منعه، وعدم اتهامه وإساءة الظن به، فالمؤمن محمول على صحة عمله واستقامته ورعايته لتكليفه الشرعي.

وفي كل الأحوال فالمال ماله، وقد منع ماله عن الآخرين من ضمن حقه في التصرف والاختيار، ولا يُتَّهم في ماله أو يوبَّخ ويلام فيه، فليس التثريب[1] في ماله. فهو مال حلال لا تتضرر حلّيته بعدم تلبيته لهذا السائل.

---

(١) التثريب: الملامة والتقريع.

أمَّا إن كان ظالماً بتصرفه هذا، فالله أدرى به، يعلم ما في نفسه وما يظهره أمام الآخرين، والاحتمال وارد، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]، فالإنسان من شأنه العدل والتقوى إذا أحسن وأطاع، كما من شأنه الظلم والجهل إذا حاد عن الطريق، وهذا ما يعود إلى اختياره، فإذا أساء كان ظلوماً جهولاً نتيجة هذا الاختيار.

إنَّها تعزية من الإمام السجاد عليه السلام للسائل فيما لو أصاب في تقييمه لمن لم يمد له يد المساعدة مع قدرته عليها، بأن الناس لا يتصرفون بطريقة واحدة بناء لطبيعة خلقهم، ومع ورود الاحتمال السلبي، فلا حق للسائل على المسؤول، فالله هو الرزاق وبيده الحساب.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

حق مـن سَـرَّك

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأمَّا حق من سَرَّك الله به وعلى يديه، فإن كان تعمَّدها لك، حمدتَ الله أولاً، ثم شكرتَه على ذلك بقدرِه في موضع الجزاء، وكافأته على فضل الابتداء، وأرصدت له المكافأة. وإن لم يكن تعمدها، حمدت الله اولاً، ثم شكرته، وعلمت أنَّه منه، توحَّدك بها، وأحببت هذا إذ كان سبباً من أسباب نِعَم الله عليك، وترجو له بعد ذلك خيراً، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت، وإن كان لم يتعمَّد، ولا قوة إلاَّ بالله».

عن أبي عبد الله عليه السلام: **«من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد وصل ذلك إلى الله، وكذلك من أدخل عليه كرباً»**[1].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١٩٢.

يحدث لك السرور من بعض الأمور، ويكون على يدي أحدهم، وقد ينتج عن خبر مفرح، أو خدمة مفيدة، أو هدف تحقق... بمعنى أن يكون ما قضاه الله تعالى على يديه خيراً ومُسِرّاً.

فإن كان تعمَّد ان يسرك بما أنجزه أو قاله، حمدت الله أولاً، لأن الله مبدأ النعم والخيرات، ثم شكرت من سرَّك كجزاء على فعله. وبما أنه ابتدأك بالفضل حيث لم تكن تتوقعه، ولم يكن نتيجة حق لك أو مبادلة بينك وبينه، فمن آداب الإسلام أن تكافئه على فضل الابتداء، بأن ترصد له مكافأة تتلاءم مع فعله وبحسب قدرتك على ذلك، لأنَّ الشكر العملي بالهدية والمكافأة أبلغ أثراً من الشكر اللفظي.

وإن لم يتعمَّد أن يسرَّك، لكنَّ ما فعله أدى إلى ذلك، فالحمد لله تعالى أولاً وأخيراً، فبما أن صاحبك طريقُ سرورك، وقد خصَّك بما أسرَّك دون غيرك، وأحببت ما فعله معك ولو لم يكن قاصداً، فهو ما سخّره الله لك على يديه، حيث كان أداؤه بركة وخيراً عليك، وقد جعله الله طريق النعمة التي حصلت عليها، فلا يهمك عدم قصده طالما أنَّه سبب النعمة والخير، لذا أرج له الخير.

إنَّها أخلاق الإسلام في الدعوة إلى شكر نعمة الخالق، وشكر المخلوقين لأنهم وسطاء في النعم والخيرات، على خلفية مبادلة المؤمن للآخرين بفعل الخيرات والمكافأة والدعاء، وهذا ما يؤنس الحياة الاجتماعية في علاقات الناس مع بعضهم البعض.

حـق من أسـاء إليـك

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق من ساءك القضاء على يديه، بقول أو فعل، فإن كان تعمَّدها، كان العفو أولى بك، لما فيه له من القمع وحسن الأدب مع كثير من أمثاله من الخلق، فإن الله يقول: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ **- إلـى قـولـه -** لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، **وقال عزَّ وجل:** ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾، **هذا في العمد. فإن لم يكن عمداً، لم تظلمه بتعمد الانتصار منه، فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ، ورفقت به، وردته بألطف ما تقدر عليه، ولا قوة إلاَّ بالله».**

إنَّ الاهتمام بالتوجيه لحق من أساء إليك، دليلٌ على رحمة الإسلام ورحابة تعاليمه، وتأكيدٌ على الهدف الأساس في جذب الناس إلى الاستقامة والصلاح، وعدم التوقف عند أخطائهم

طويلاً، إنما بمقدار العبرة والموعظة، لحثهم على عدم تكرار الخطأ أو المعصية، فالتشفي والانتقام من المخطئ والعاصي غير واردين، ولا يجوز أن تتجاوز العقوبة حدَّها، إنما تكون بمقدار الذنب وإلاَّ تحولت إلى ظلم وعدوان، لكنَّ العفو هو الأولى والأفضل.

خلق الله الدنيا وما فيها، ووضع لها القوانين وجعل لها المقادير، فالقدر ما قدَّره الله تعالى للعباد وللكون وفق أسس محددة، فإذا جرى حادث ما فهو قضاء، لأنه حصل وفق المقادير الإلهية، فقد قدَّر الله تعالى للنار أن تُحرق، فإذا لامستها أحرقت يدك وهو القضاء والحادث.

فإذا تصرف بعضهم معك بقول أو فعل، فهو قضاء وحادث، فإن كان الكلام أو الفعل مسيئاً لك، فقد أساء إليك، ويكون بذلك قد «ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل». وعادة ما تكون الاساءة ضمن أحد احتمالين:

الأول: أن يتعمد الاساءة إليك، بأن يتكلم بالكلام النابي معك، أو يتهمك ظلماً وبهتاناً بأمر لم ترتكبه ثم يشيعه بين الناس، أو يسبب لك تلف مالك، أو يشهد عليك شهادة زور باطله فتخسر حقك بسببه... فإذا استعطت التحمل والصبر واحتساب الأجر على الله تعالى، «كان العفو أولى بك»، فأنت أهلٌ لذلك، بسبب إيمانك وأخلاقك وبُعد نظرك في أثر عملك على من أساءك.

وللعفو أثر في قمع الإساءة ومنع تكرارها، فهو محرج للمسيء، ومُنَفِّسٌ لاحتقانه، ويقطع الطريق على اساءاته، ويحدث أثراً واعظاً في نفسه. إضافة إلى أنَّ حسن الأدب والتصرف والأخلاق الحميدة من شيم المؤمن وسلوكه العام، وذلك مع جميع الخلق سواء أكانوا محسنين أو مسيئين، فالمؤمن لا يغيِّر سلوكه بحسب الآخرين، وإنما يتصرف بحسب ما تربَّى عليه من الإسلام.

وبما أن الهدف تحقيق رضوان الله تعالى وكسب ثوابه، فالصبر وغفران الذنب لمن أساء، من الأعمال المهمة التي تحقق أجراً عند الله تعالى، فهي من عزم الأمور، وإن كان من حق المظلوم ان ينتصر لظلمه، ويرد على العدوان بمثله، وهذا ما استند إليه الإمام زين العابدين عليه السلام من قول الله تبارك تعالى في سورة الشورى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1]، وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

فالخيار بيدك في أن تعفو عمن أساء إليك في العمد، أو

---

(١) سورة الشورى، الآيات: ٤٠ ـ ٤٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

تعاقبه بمثل ما يستحق على الاساءة، وإن كان العفو أولى منك. وقد يعترض البعض على العفو الذي يؤدي إلى مردود سلبي في بعض الحالات، فيظنه المسيء ضعفاً، أو يتجرأ على تكرار الاساءة. وكي لا ندخل في التفاصيل الواسعة جداً، نقول بأنَّ تقدير الموقف الأصلح بيدك أنت، بحسب ما ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام من توجيهات أعلاه، وما نقله عن القرآن الكريم كتاب الله تعالى، لكنَّ الأغلب الأعم نفع العفو في تحقيق الأهداف المرجوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

الثاني: أن لا يتعمد الاساءة، كأن يتسرع في نقل خبر لم يقدِّر ضرره عليك، أو يحدثك بقول جاف بسبب حالته النفسية لموت عزيز، أو يسبب لسيارتك الضرر المادي لخطأ غير مقصود، أو أي اساءة أخرى في القول والفعل... فالسلوك الطبيعي أن لا تظلمه، فلا تحمِّله مسؤولية العمد، ولا تتهمه في خطئه، ولا تتصرف بردة فعل ضدَّه بهدف استرداد الحق منه وكأنه في موقع العامد. فإذا تعمَّدت الانتصار منه كنت قد كافأته بخطئك معه، فيكسب أجراً عند الله تعالى لأنك وضعته في موقع المظلوم بظلمك إياه.

يميِّز التشريع الإسلامي بين العمد والخطأ في العقوبات

(١) سورة التغابن، الآية: ١٤.

والحكم على الأفعال، فبينما يكون عقاب القتل العمدي قتل المعتدي إلاَّ أن يعفو وليه ويقبل الدِّية، لا يُقتل الرجل بالقتل غير العمدي. فكيف إذا كانت الأمور أبسط من القتل بكثير؟ وكيف إذا كان التسامح مطلوباً في العمد بالأصل؟.

فارفق بمن أساء إليك عن طريق الخطأ، لأنَّ الرفق صفة حميدة تدل على مستوى فاعلها. قال رسول الله ﷺ: «**نِعم وزير الحلم الرفق**»[1]، وقال ﷺ: «**إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يُحرم الرفق يُحرم الخير**»[2]. ورُدَّه بألطف ما تقدر عليه في القول أو الفعل.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص:٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص:١١٩.

حق أهل المِلَّة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أما حقُّ أهلِ مِلَّتك عامة، فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة، والرفق بمسيئهم، وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه واليك، فإنَّ إحسانه إلى نفسه إذا كفَّ عنك أذاه وكفاك مؤونته وحبس عنك نفسه، فعُمَّهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وأنزلهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه».

أهل المِلَّة هم أهل الرسالة السماوية الإسلامية، أي المسلمون والمسلمات، فما ينشأ بينهم من رابطة دينية يرتِّب على كل واحد منهم حقوقاً وواجبات تجاه الآخرين، ويستلزم نمطاً من

العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، موسومة بالأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة وحماية المجتمع. فلا يتوقف الانتماء الديني عند الإقرار به أو تأكيد الالتزام بمؤشراته الإجمالية، إنما يشمل مساحة الحياة بأكملها، والنظرة إلى المسلمين والمسلمات. قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمُهُ وماله وعرضه**»[(١)]. ما يؤسس لقواعد المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين، فدم المسلم حرام حيث لا يجوز الاعتداء عليه أو جرحه أو قتله، وماله حرام فلا يجوز سرقته أو عدم ردِّه إلى صاحبه او حجزه، وعرضه حرام فلا يجوز النظر الحرام إليه أو مسّه أو إثارة التهم حوله، فلا رابط مشروعاً إلاَّ النسب بحدوده وضوابطه، والسبب بالزواج المشروع للتحليل، فالانتماء إلى الإسلام يؤدي إلى جملة من الممنوعات بين المسلمين[(٢)] يحرم تجاوزها، ويعاقب العاصي على فعلها.

الحديث عن «حق أهل ملتك عامة» لشمولهم جميعهم بهذا الحق، وإن تفاوتوا فيما بينهم بمستوى العلاقة وببعض التفاصيل، لكنه حقٌّ يركز على آداب المسلم مع أبناء ملَّته، وهو حقٌّ يلحظ تعميم السلوك الإيجابي بين الناس في المجتمع، بإفشاء السلام والأمان والاستقامة والنصرة والسكينة... وذلك لتوفير المناخ النظيف لحياة فاضلة وسعيدة، وتربية هادفة ومستقرة.

---

(١) مسند أحمد، ج٢، ص: ٢٧٧.
(٢) سيأتي الحديث عن غير المسلمين في حق أهل الذمة.

أ ـ إضمار السَّلامة: بالنية الصادقة والمستقيمة والمخلصة، التي توجِّه سلوك وتصرفات الإنسان، بهدف السلامة في المجتمع من الآثام والمعاصي والأضرار، ففي الدعاء: «اللهم إني أسألك بعزائم مغفرتك، وبواجب رحمتك، السلامة من كل إثم»[١]. فحق المجتمع عليك أن يكون ما تضمره وتخفيه، إيمانك بسيادة الفضيلة، وسلامة المجتمع من كل إثم، ما ينعكس على أدائك خيراً وصلاحاً.

ب ـ ونشر جناح الرحمة: فالإسلام دين الرحمة، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]، الرحمة سلوك عام يطبع شخصية المؤمن وتبرز في آرائه ومواقفه وتربيته وأدائه. فالرحمة مع الأصدقاء بالعفو عن أخطائهم، والرحمة مع المستخدمين بعدم القسوة معهم، والرحمة مع الغافلين بتذكيرهم والأخذ بأيديهم، والرحمة مع العاصين بإعانتهم ليتلمسوا طريق الهداية، والرحمة مع الحاكم بإعطائه الفرصة الكافية ليخدم الناس ويحسن قيادة البلاد، والرحمة مع الأرحام بصلتهم ومساعدتهم ولو كانوا مقصِّرين، والرحمة بالفقراء بمد يد العون لهم ورفع العوز عنهم، والرحمة مع الأولاد بالعفو عن سيئاتهم وإعانتهم على البر مع الوالدين... فلتسع رحمتنا كل عباد الله في المجتمع، بأن ننشرها بينهم، بما يتناسب مع كل فئة منهم، ولنستفد من رحمة الله تعالى التي وسعت

---

(١) السيد ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج١، ص:١٠١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

كل شيء، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١]، فنتربى بها، وندرك أهميتها في حياتنا، حيث انقذتنا من مهالك حتمية، فأقل العرفان بالجميل لعطاء الله تعالى، أن نرحم عباد الله، الذي يؤدي إلى رحمة الله لنا، ففي الحديث الشريف: «**الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء**»[٢].

ج ـ الرفق بمسيئهم: في الحديث: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٣]، فالاساءة أمر معتاد في حياة الناس، وهو جزء من الابتلاء الذي يكبر أو يصغر بحسب مستوى الاساءة، لكن عندما نؤمن بأهمية استيعاب الناس في المجتمع، وإعانتهم على انفسهم، وتربيتهم بتعاليم الدين، فهذا يتطلب منا رفقاً بمسيئهم لنحمله على التغيير والتوبة والتراجع عن المعصية، بالكلمة الحسنة الهادفة، والسلوك الإيجابي والمؤثر، فبدل السلبية والغلظة والعداوة، نستخدم الإيجابية واللطافة والصداقة، ليسمع منا ويلتفت إلى نصائحنا وتوجيهاتنا، ولنجعله يتأمل بأخطائه من خلال تحريك الوازع الداخلي لديه، بإشعاره برقابة الله تعالى له، ومسؤوليته عن أعماله وآثارها. إذا أشرت للمسيء بإساءته ولاحقته عليها وفضحته بها، حشرته في إثمه وقد يوغل تمرداً وعناداً، وإذا رفقت به وأظهرت له الحنان والاحتضان، فقد يراجع نفسه ويعود عن غيِّه

---

(١) سورة الأعراف من، الآية: ١٥٦.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٩، ص: ٥٥.

(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص: ٣٣٨.

بسبب توجيهاتك ورعايتك، فتكسب أجراً عند الله تعالى بصلاحه، ويكسب دنياه وآخرته بتوبته.

د ـ وتألفهم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ويؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس**»(١)، فالأليف هو الذي يأنس الناس بعشرته، وأساس الاجتماع الإنساني المستقر مبني على الأُلفة، ومَنْ الأولى أن يكون كذلك من المؤمن الذي يجسد التجربة الإنسانية المطلوبة؟ .

هـ ـ واستصلاحهم: يجب ان تكون عنصراً فاعلاً ومؤثراً في المجتمع، لا أن تكون على هامشه بحيث تنساق معه من دون قرار أو ثبات، يجب ان تفكر بالعمل لخدمة مجتمعك ليصلح فتستفيد مع الآخرين من صلاحه، فالمجتمع مركب واحد ينجو فيه الجميع أو يغرق فيه الجميع، فإذا كانت مساهمات أفراده مكثفة باتجاه الإصلاح ومعالجة الثغرات ومواجهة الفساد، أمكن تقويم إعوجاجه بإصلاح الناس وهدايتهم، وإصلاح ما بينهم.

بذل النبي نوح عليه السلام جهداً كبيراً مع قومه لدعوتهم إلى دين الله تعالى من أجل خلاصهم وهدايتهم، وقضى لذلك عمراً مديداً بينهم، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(٢)، ولم يكن الهدف مكسباً ذاتياً

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص:١٥٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

أو مادياً، إنما الهدف إصلاح أمرهم، قال تعالى في حديثه عن نوح عليه السلام مع قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

إنَّ الإصلاح هدف الأنبياء جميعاً، وقد روى في الكافي عن الحسن الصيقل قوله: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام، في قول يوسف عليه السلام:** ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟

فقال: والله ما سرقوا وما كذبوا.

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾؟

فقال: والله ما فعلوا وما كذب.

قال (صيقل): فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما عندكم فيها يا صيقل؟

فقلت: ما عندنا فيها إلاَّ التسليم.

فقال (أبو عبد الله): إن الله أحب اثنين وأبغض اثنين، أحب الخطر فيما بين الصفين[2]، وأحب الكذب في الإصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الإصلاح. إنَّ

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) بين الصفين: أثناء القتال.

إبراهيم عليه السلام إنما قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون، وقال يوسف عليه السلام إرادة الإصلاح»[(١)].

ويكون الإصلاح أيضاً في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس.**

قيل له: جُعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟

قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه، فتخبث نفسه، فتلقاه، فتقول: سمعتُ من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»[(٢)].

و ـ وشكر محسنه إلى نفسه وإليك، فإن إحسانه إلى نفسه إذا كفَّ عنك أذاه وكفاك مؤونته وحبس عنك نفسه: انظر إلى هذه اللفتة الطيبة، فالمحسن محسنٌ لنفسه ولغيره في آن معاً، محسنٌ لنفسه بعمله الصالح الذي يسجل في صحيفة أعماله ثواباً في يوم القيامة، هذه الفكرة مقتبسة من الآية الكريمة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[(٣)]. ومحسنٌ لغيره بسبب الأداء السليم الذي يرتاح له الآخر، فاشكر المحسن إلى نفسه وإليك.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص: ٣٤١.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٣٤١.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٥.

أمَّا المثال العملي على هذا المعنى، فما ذكره الإمام عليه السلام في أنَّه كفَّ أذاه عنك فلم يعمل عملاً يؤذيك، وكفاك مؤونته وحاجته ومطالبه فلم يلق عليك تبعات مسائله، وحبس عنك نفسه بأن منعها من أي تصرف يسيء إليك، فالنتيجة انه أحسن إليك بسبب تصرفه معك، وبالتالي فقد أحسن لنفسه، على قاعدة أن من أحسن لغيره فلنفسه أحسن أيضاً، بتأكيد الآية القرآنية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾[1]. ومن أساء وتعدى حدود الله تعالى فقد ظلم الآخرين وظلم نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[2].

أشكر المحسن إلى نفسه وإليك، لتشجيعه على الإحسان، ولتسببيه الراحة لك من جانبه، ولأن هذا العنصر الإيجابي يساهم في نجاح العلاقات الاجتماعية بين الناس.

ز ـ **فعُمّهم جميعاً بدعوتك**: ولا تقتصر في دعائك إلى الله تعالى على نفسك فقط. إنَّه توجيه القرآن الكريم في شمول الدعاء لك ولمن يحيط بك وللمؤمنين والمؤمنات: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[3].

إنه ربح لك في أن تشمل الناس بدعائك، لعلَّ الله يوفقهم،

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٥.
(٢) سورة الطلاق من، الآية: ١.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٨.

ولهذا السلوك له دلالة على الإيثار والنظرة الإيجابية إلى الجماعة والحنو عليهم، وتعود فائدته على الداعي على كل حال، ولا ينقص من رزقه وثوابه ومكافأته وإجابته شيء، مهما كان الطلب والدعاء للآخرين، فالله غني حميد، يسع بغناه وعطاياه العالمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا دعا أحدكم فليعُم، فإنَّه أوجب للدعاء**»[١].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من دعا لإخوانه المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وكَّلَ الله به عن كل مؤمن ملكاً يدعو له**»[٢].

وكانت السيدة الزهراء عليها السلام لا تدعو لنفسها، فقال لها ولدها الإمام الحسن عليه السلام: «**يا أمَّاه لم لا تدعين لنفسك. فقالت: الجار ثم الدار**»[٣].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**ما من مؤمن يدعو للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إلاَّ كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة، منذ بعث الله آدم إلى أن تقوم الساعة**»[٤].

ح ـ وانصرهم جميعاً بنصرتك: كن إلى جانبهم في نصرتهم

---

(١) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص:١٦٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦١.
(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ج٢، ص:٣٠٩.
(٤) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص:١٦١.

ضد الظلم، وفي نصرتهم على انفسهم بمنعهم عن الظلم، فالنصرة لا تكون إلاَّ في الحق، قال رسول الله ﷺ: «**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره**»[1]. انصرهم جميعاً حيث يكون وقوفك إلى جانبهم محققاً للعدالة، انصرهم من غير تمييز بينهم، فلا تكن إلى جانب القوي متملقاً له، ولا تترك الضعيف استخفافاً بقدرته وموقعه الاجتماعي، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه**»[2]. انصرهم لتكون لهم سنداً في الملمات والصعوبات، وسنداً في ردعهم عن المعاصي.

ط ـ **وأنزلهم جميعاً منك منازلهم**: فلا تتصرف بدافع العصبية للرحم في مقابل الآخرين، بل تصرف بدافع التكافل الاجتماعي مع الجميع، فلكل واحد منهم منزلة عندك، ولا احد خارج هذه الدائرة. والفرق واضح بين المودة والمحبة التي تخصص بها البعض وهذا حق لك، وبين حسن المعاملة واحترام خصوصيات الآخرين التي تشمل الجميع.

وما ألطف هذا التصنيف الذي رسمه الإمام السجاد عليه السلام رابطاً إياه بالمقربين من الإنسان، فالمطلوب أن يُصنَّف الناس في

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص:٤١٤.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٧، ص:٩٨.

المجتمع بحسب منزلتهم ومواقعهم وكأنهم أقرباء أي بين الوالد والولد والأخ، حيث تكون علاقة الإنسان مع أقربائه المباشرين طبيعية بشكل عام وتسودها الرحمة والحرص على استمراريتها، وهم بين والد وولد وأخ.

كبيرهم بمنزلة الوالد، حيث الاحترام والتقدير، ففي خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك: «**وقِّروا كباركم**»[(١)]، فالكبار في المجتمع، قضوا ردحاً من أعمارهم في الكد والجهد والانتاج والتربية، ومن حقهم أن يشعروا بمكانتهم بين الناس، اعترافاً بجميلهم وعطاءاتهم وتضحياتهم، وهم يأنسون بحسن التعامل معهم، فلم يبق لهم من العمر إلاَّ القليل، فما الداعي للاساءة إليهم؟ وما كلفة الكلمة الطيبة والسلوك الحسن كي يكون الإنسان ضنيناً بهما؟ اعتبر أن الكبير منهم كالوالد، فكما تحرص على الإحسان لوالدك حتى ولو أساء إليك، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[(٢)]، فأحسن إلى الكبار بما يقارب هذه المنزلة لا بتفاصيلها الأبوية، على الأقل على قاعدة الآية القرآنية: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[(٣)].

وصيرهم بمنزلة الولد، فكما يحتاج الولد إلى الرعاية والعفو عن سيِّئه، ويتحمل الأهل منه هناته وهفواته، ويتأملون بإصلاحه،

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٥٤.
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٨٣.
(٣) سورة القصص من، الآية: ٧٧.

ويعطونه الفرص المتتالية، حباً به، وتحملاً لمسؤولياتهم تجاهه، كذلك يحتاج الصغير في المجتمع إلى الحماية والاهتمام والرحمة، فتجربته محدودة، وأخطاؤه كثيرة، وفرصته للنمو والصلاح كبيرة، ويؤثر الجميع في شخصيته، فلا يستخفن أحد بتأثير المجتمع على شخصية الصغير، وقد قال رسول الله ﷺ: **«ارحموا صغاركم»**[1].

وأوسطهم بمنزلة الأخ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، ليكون التعامل بينكم تعامل القرب والتعاون، تعامل التسديد والنصح، تعامل الإصلاح والهداية، فمن أتاك ليطلب حاجة أو معالجة لمشكلة أو غير ذلك، تعاملت معه بلطف ورحمة، فالمعاملة الحسنة تدخل إلى القلب وتؤثر فيه، وتساعدك في حسن توجيهه، فإن لم يسعه عونك إياه، فليسعه حسن معاملتك له.

واعلم أنَّ الاخوة في الإسلام ليست لقباً سطحياً، أو وصفاً معنوياً، بل يترتب عليها حقوق وواجبات، ذكرناها في حق الأخ، محورها الأساس أن يشعر الأخ عملياً بمساعدة أخيه ووقوفه إلى جانبه في السراء والضراء.

ونلاحظ في هذا الحق مساراً عاماً للتوجيه يرتبط ببنية

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٥٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

المجتمع بشكل عام، لنخلص إلى فرق واضح بين حق كل فرد لخصوصيته كحقوق الأب والأخ والشريك والزوجة وغيرهم، وبين الحق العام لمجموع الناس في الحياة العامة بما هم جماعة تعيش حياة مشتركة بصرف النظر عن خصوصية كل فرد منهم.

وهذا ما يفترض منا مراعاة المشتركات في الحق العام بما يمس الأفراد في المجتمع، وهو ما نسمية اليوم بالحقوق المدنية المشتركة أو النظام العام أو حقوق المواطنة، ومنها النظافة والمحافظة على البيئة فهي مرتبطة بالسلامة العامة، واحترام قوانين السير لتقليل الحوادث وتسهيل انتقال الناس، ومراعاة استخدام السكن بما لا يؤذي الجيران، والمحافظة على حق المرور والمشاعات العامة لجميع الناس، ورعاية المال العام للدولة فهو ملك مشترك للمواطنين جميعاً فالمسؤول أمينٌ عليه وليس مالكاً له، وتحملُ أعباء الخدمات العامة في المبنى الواحد أو الحي الواحد أو القرية الواحدة ليستفيد الجميع من التحسينات التي تنطلق من الجهد الجماعي والبذل من الجميع، والمساهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحماية الناشئة والشباب من الفساد والانحراف، ومسؤولية المواطنين في التكاتف للذودِ عن البلد ضد مطامع العدو في الأرض والخيرات، وغيرها... فلا تختص نتائج هذه الأعمال بفرد دون آخر، فهي حقوق مشتركة للجميع وعليهم احترامها.

إنَّ الشخصية التي يؤكد عليها هذا الحق شخصيةٌ ثابتة في مواصفاتها، فلا تكون جيدة وإيجابية مع البعض، وسيئة وسلبية مع البعض الآخر، فالتعامل الإسلامي الإنساني واحد في السلوك العام مع المواطنين كافة، في إطار النظام العام، وفي المجتمع الذي يضمهم، مهما كانت ألوانهم ومواقعهم وانتماءاتهم ومذاهبهم.

حق أهل الذمة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق أهل الذمة، فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قَبِلَ الله، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله صلى الله عليه وآله حائل، فإنَّه بلغنا أنَّه قال: من ظلم معاهداً كنتُ خصمه. فاتق الله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله».

أهل الذمة من لهم كتاب سماوي كاليهود والنصارى، وعقدوا اتفاقاً مع المسلمين يسمى عقد الذمة، على ان يكونوا في دولة الإسلام كمواطنين لهم حق المواطنة، ضمن تفاصيل ذكرتها كتب الفقه المختلفة، ولسنا بصدد التعليل أو الترويج أو التعديل لمضمون عقد الذمة، فمجال انعقاده يرتبط بظروف معينة، ولا

ينعقد في ظروف أخرى، بل قد تنشأ، كما نشأت بالفعل، أنماط من العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى تختلف عن العلاقة المنصوص عليها في عقد الذمة، ومثاله ما: «لا خلاف فيه بين أهل العلم بالسِّير، أن رسول اللهﷺ لما نزل المدينة، وادَعَ يهوداً كافة على غير جزية، والموادعة والمهادنة شيء واحد، منهم بنو قريظة والنضير والمصطلق»[1]، وما عليه الحال اليوم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية من مواطنة ومشاركة في الدولة كنموذج من نماذج العلاقة مع أهل الكتاب من دون وجود عقد الذمة. فالأسس العامة للعلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي المرجع المباشر لتنظيمها وتقنينها.

إنَّ الأسس العامة التي تنظم العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب مبنية على امور منها:

١ ـ الاعتراف بكتبهم السماوية، وبما تضمنته من تعاليم وأحكام، حتى لو خالفت تعاليم الإسلام وأحكامه، وهذا منصوص عليه، في خصوصيتهم بكنائسهم وبيعهم وطعامهم وشرابهم ولو كان شرباً للخمرلحليته عندهم بسبب اعتقادهم... فجميع ما يؤمنون به من مختصاتهم التي لا يحق لأحد التدخل فيها ولو كانوا ضمن دولة تحكم بالإسلام، بما فيها خصوصية قانون أحوالهم الشخصية. قال

---

(١) الشيخ الطوسي، المبسوط، ج٢، ص:٦٠.

تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

ذكر الشيخ الطوسي في الخلاف: «أهل الذمة إذا فعلوا ما يجب به الحد مما يحرم في شرعهم، مثل: الزنى، واللواط، والسرقة، والقتل، والقطع، أقيم عليهم الحد بلا خلاف، لأنهم عقدوا الذمة بشرط أن تجري عليهم أحكامنا، وإن فعلوا ما يستحلونه مثل: شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ونكاح المحرمات، فلا يجوز أن يتعرض لهم ما لم يظهروه بلا خلاف»(٢).

وذكر الشيخ المفيد ما حصل في فجر الإسلام من تخيير لهم بالبقاء على تعاليم دينهم، فقال: «أمَّا أهل الكتاب، فكانوا مخيرين بين اختيار الإسلام، او البقاء على دياناتهم بشروط المواطنة الصالحة، والالتزام بقوانين الدولة العامة، المعروفة بشروط الذمة»(٣).

٢ ـ التأكيد على التعامل الإنساني من موقع التوجيه الإسلامي، من دون النظر إلى العرق والهوية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أيها الناس، إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٢) الشيخ الطوسي، الخلاف، ج٥، ص:٥٥٣.

(٣) الشيخ المفيد، ذبائح أهل الكتاب، ص:٥.

تراب، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلاَّ بالتقوى»[١].

وأوضح أمير المؤمنين علي عليه السلام كيفية التعاطي التفصيلي مع اختلاف المواطنين، فهم أخوة في الدين، أو نظراء في الخلق، ففي وصيته لمالك الأشتر عندما ولاَّه على مصر: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمَّا أخ لك في الدين وإمَّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه»**[٢]. ما يؤكد على عدم التمييز في المعاملة بين المواطنين لوجودهم تحت سقف الدولة الواحدة المسؤولة تجاه الجميع.

٣ ـ الدعوة للبحث عن المشتركات بين المسلمين وأهل الكتاب لتأكيد الارتباط بالإيمان بالله تعالى كسبيل طبيعي لوحدة الناس على اساس الطاعة لله تعالى. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣]. فإذا حصل جدال ونقاش وبرزت خلافات في

---

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص: ٣٤.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص: ٦٧٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

الرأي، فلا يمنع هذا من المجادلة بالتي هي أحسن، ثم يتحمل كل فريق مسؤوليته فيما يؤمن به، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1].

هذه الأمور الثلاثة توضح الصورة التي ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام في الحق، فالحكم فيهم ما قبله الله تعالى، وهو الوفاء بالعهد والاتفاق معهم، ليكون لهم ما أقروه على انفسهم وما التزموا به، فليس لأحد أن يلزمهم بما ليس في رسالتهم، وهذه هي المعاملة الصحيحة في احترام كل طرف لما عند الآخر في رسالته.

ويجب عليك رعاية حقوقهم، فليكن بينك وبين ظلمهم حائل ومانع من الشرع المقدس، حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من ظلم معاهداً كنت خصمه**». فالمعاملة الإيجابية واحترام خصوصيات أهل الكتاب دين ندين به، وليس لياقة عابرة ناشئة عن بعض مستلزمات الاجتماع الإنساني، ولذا كانت دعوته عليه السلام لتقوى الله في الحذر من المعصية بسبب الظلم ومخالفة الشريعة المقدسة التي أمرت بحسن المعاملة والاحترام المتبادل ورعاية الحقوق لأهل الكتب السماوية المقدسة.

يجب أن نبني العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب انطلاقاً من هذه الأسس العامة التي تحتاج إلى تفاصيل ترتبط بشكل مباشر

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

بالزمان والمكان، فلا يمكن تعميم تفاصيل الأداء وجزئياته على كل البلدان وفي كل الأزمنة بنمط واحد، ولا يمكن الحكم على التجارب السابقة باعتبارها نموذجاً يؤدي في بعض الحالات إلى رفض أي محاولة حديثة للتفاهم والتعاون، كما تختلف قوانين البلاد وأساليب الحكم عن بعضها البعض.

وبما أن الأسس تركز على الاعتراف المتبادل والتعامل الإنساني والحث للبحث عن المشتركات، وتحرم الاخلال بشروط التوافق بين المسلمين وأهل الكتاب، فليكن العمل الجاد لترجمة هذه العلاقة في إطار المواطنة التي تحدد الحقوق والواجبات المشتركة لجميع المواطنين، وتترك لكل جماعة خصوصية ما يرتبط بإيمانهم كعلاقة شرعية بينهم وبين ربهم، وكمسؤولية في المحافظة على الضوابط الشرعية التي تنعكس على حقوق وواجبات المنتمين إلى كل رسالة من الرسالات السماوية. فالأحوال الشخصية شأن خاص يترتب عليه حلال وحرام في الزواج والطلاق والإرث والنبوة وغيرها، وهي لا تخضع للمساومة، نظراً لآثارها الفردية والاجتماعية على المؤمنين بها، وهي لا تؤثر على الاتفاق السياسي وحكم الدولة والبحث عن القواسم المشتركة لإدارة شؤونها، إذ يمكن ان يجتمع المسلمون وأهل الكتاب في دولة واحدة يقتربون فيها بما يتلاءم مع الدين، ويتعاهدون فيما بينهم على قانون مشترك يتفقون عليه، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه وآمنوا به، إذ لا

إكراه في الدين. فإذا رغب فريق ما أن يشد الطرف الآخر إليه للاعتبار الديني أو السياسي، فإنَّ النظام العام لا يستقيم، إلاَّ إذا كان نتيجة الاختيار الحر للمواطنين. ويجب ان يتجه النظر إلى استقرار الاجتماع الإنساني في توافق الجماعات التي جمعها وطن واحد، لا إلى التمسك بالمذهبية أو الطائفية التي تقف حائلاً دون الاستقرار، وتسبِّب النزاعات المختلفة، وتفكِّك البلد والمواطنين، فتحل الفوضى والصراعات بدل النظام وتحديد المسؤوليات، عندها يكون الأولى سيادة القانون بالأسس الاجمالية التي تصلح قاعدة للاتفاق العام، ليكون العمل وفق الوسائل المتفق عليها من أجل التعديل والإصلاح، طالما أنَّ بناء الدولة لا يقوم إلاَّ على المواطنة واحترام التنوع.

المصـادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي عليه السلام.**

- نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

*** ابن ابي الحديد، ت ٦٥٦هـ.**

- شرح نهج البلاغة، دار احياء الكتب العربية، قم، ط٢، ١٩٦٧م.

*** ابن حنبل، الامام احمد، ت ٢٤١هـ.**

- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

*** ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر، ت ٦٦٤هـ.**

- اقبال الاعمال، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- فتح الابواب، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

*** البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ.**

- المحاسن، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط١.

*** الثقفي، ابراهيم بن محمد، ت ٢٨٣هـ.**

- الغارات، معجم مكتبة أهل البيت(عم).

* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**

- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

* **الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

- أجوبة الاستفتاءات، مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية، لبنان، ط٦، ٢٠٠٤م.

* **الخميني، الإمام روح الله الموسوي، ت ١٩٨٩م.**

- تحرير الوسيلة، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٠هـ.

* **الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، ت ١٤١٣هـ.**

- منهاج الصالحين، مطبعة مهر، قم، ط٢٨، ١٤١٠هـ.

* **الريشهري، الشيخ محمدي.**

- **ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.**

* **الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

- **الامالي، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.**
- التوحيد، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.
- ثواب الأعمال، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢.
- الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

* **الطريحي، الشيخ فخر الدين، ت ١٠٨٥هـ.**

- مجمع البحرين، مكتب النشر للثقافة الاسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ.

* **الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر، ت ٤٠٦هـ.**

- الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- الخلاف، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- المبسوط، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٨٧هـ.
- مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

* **العياشي، محمد بن مسعود، ت ٣٢٠هـ.**

- تفسير العياشي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران.

* **القزويني، محمد بن يزيد، ت ٢٧٥هـ.**

- سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت.

* **كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، ت ١٢٢٨هـ.**

- كشف الغطاء، انتشارات مهدوي، اصفهان.

* **الكركي، المحقق الشيخ علي بن الحسين، ت ٩٤٠هـ.**

- جامع المقاصد، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم، ط١، ١٤٠٨هـ.
- رسائل الكركي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

* **الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

- الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

* **الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**

- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

* **المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥هـ.**

- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

* **المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** المفيد، الشيخ محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي، ت ٤١٣هـ.**

ـ الارشاد، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

ـ ذبائح أهل الكتاب، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

*** النوري، الحاج ميرزا حسين.**

ـ مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

*** النيسابوري، مسلم ابن الحجاج، ت ٢٦١هـ.**

ـ صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

المحتـوى

الإهداء ٥
مقدمة ٧
إطلالة ١١
١ ـ حق الشريك ١٥
٢ ـ حق المال ١٨
نظرة الإسلام إلى المال ١٩
عنوان الحلال ٢٠
مسؤوليتك تجاه المال ٢٢
الخمس فريضة ٢٥
كيفية الكسب ٢٧
الثروة المشروعة ٣٠
الغرور تربية خاطئة ٣٢
مسؤولية الدولة ٣٣

الرزق المقسوم ٣٥
المكانة للعمل ٣٦
٣ ـ حق الغريم ٣٩
٤ ـ حق الخليط ٤٣
٥ ـ حق المدعي ٤٦
٦ ـ حق المدَّعى عليه ٥٤
٧ ـ حق المستشير ٥٧
حق المستشير ٥٧
وأمرهم شورى بينهم ٦٠
فوائد المشورة ٦٥
مَنْ نشاور؟ ٦٨
لا تكفوا عن مشورة بعدل ٧٠
٨ ـ حق المشير ٧٢
٩ ـ حق المستنصح ٧٦
١٠ ـ حق الناصح ٨٣
حق الناصح ٨٣
الخيرة عند الحيرة ٨٧
١١ ـ حق الكبير ٩٢
١٢ ـ حق الصغير ٩٦
١٣ ـ حق السائل ١٠٢

١٤ ـ حق المسؤول ١٠٦
١٥ ـ حق من سرَّك ١٠٩
١٦ ـ حق من أساء إليك ١١١
١٧ ـ حق أهل المِلَّة ١١٦
١٨ ـ حق أهل الذِّمة ١٣٠
المصادر ١٣٧
المحتوى ١٤١
صدر للمؤلف ١٤٤

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

* **١ ـ حقوق الجوارح** (طبعة سابعة)
* **٢ ـ حقوق الوالدين والولد** (طبعة ثامنة).
* **٣ ـ حقوق الأفعال** (طبعة سادسة).
* **٤ ـ حقوق الزوج والزوجة** (طبعة سابعة).
* **٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم** (طبعة سادسة).
* **٦ ـ الحقوق الثلاثة** (طبعة سادسة).
* **٧ ـ حقوق الناس** (طبعة خامسة).
* صدر كتاب «في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* **قصتي مع الحجاب** (طبعة سابعة).
* **الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء** (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* سبيل الله تعالى (طبعة ثالثة).

* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net